

كتاب تفسير للقاضي بيضاوي

نسخ ٢٣

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

١٥٢

قد وقف هذا الكتاب الشريف الجليل سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين
السلطان بن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى كره اعلى
حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش باوقاف
الحرمين غفر لهما

١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا • فتحدى باقصر
سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء • فلم يجد به قديرا • وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء
عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا • ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا
آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا • فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا • وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا
قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا • ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الآيات والماعها •
ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا • فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد •
ومن لم يرفع اليه راسه • واطفى نبراسه • يعش ذميما ويصلى سعيرا • فيا واجب الوجود • ويا فائض الجود
ويا غاية كل مقصود • صل عليه صلوة توازي غناءه • وتجازي عناءه • وعلى من اعانه • وقرر تبيانه تقريرا •
وافض علينا من بركاتهم • واسلك بنا مسالك كراماتهم • وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا • وبعد فان اعظم
العلوم مقدارا • وارفعها شرفا ومنارا • علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها • ومبنى قواعد
الشرع واساسها • لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها
وفاق في الصناعات العربية • والفنون الادبية بانواعها • ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن
كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي
على نكت بارعة • ولطائف رائعة • استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتأخرين • واماثل المحققين • ويعرب
عن وجوه القراآت المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين • والشواذ المروية عن القراء المعتبرين • الا ان قصور
بضاعتي يثبطني عن الاقدام • ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام • حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به
عزمي على الشروع فيما اردته • والاتيان بما قصدته • ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل
واسرار التأويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول • وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤل •

سورة فاتحة الكتاب وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشاؤه • ولذلك تسمى
اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله • والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده
وعلى جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب
السعداء • ومنازل الاشقياء • وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء
وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء
لقوله عم هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية
دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة
وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم **بسم الله الرحمن الرحيم** من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك

والشافعي

والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة
فيه بشيء فظن انه ليس من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى ولنا احاديث
كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول
ام سلمة قرأ رسول الله عم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف
في انها آية برأسها ام بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها
في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ
لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ
لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله
بسم الله مجريها ومرسيها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق
للوجود فان اسمه مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا
ما لم يصدر باسمه لقوله عم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى
متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد
على نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية
والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم
عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة استعمالها وبنيت اوائلها على السكون
وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن
ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا
آثرك الله به ايثاركا • والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له
ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد
بان الهمزة لم يعهد داخلا على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال باسم الذي في كل
سورة سمه • والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف
الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء
فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تبارك وتعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما
يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب
او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما • وان اريد به الصفة كما هو
رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى
ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق
بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا
عنها والله اصله الاله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص
بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله
الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته
او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته
او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العابد يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه

تباركا

أو من أله الفصيل إذا أولع بأمه إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد أو من وله إذا تحير
وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه
فقيل إلاه كإعاء وإشاح ويرده الجمع على آلهة دون أولهة وقيل أصله لاه مصدر لاه
يليه ليها ولاها إذا احتجب وارتفع لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع عن كل شيء وعما لا يليق
به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من أبي رباح • يشهدها لاهه الكبار • وقيل علم لذاته لأنه يوصف
ولا يوصف به ولأنه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولأنه لو كان
وصفا لم يكن قول لا إله إلا الله توحيدا مثل لا إله إلا الرحمن فإنه لا يمنع الشركة والأظهر أنه وصف
في أصله لكنه غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق وأجري مجراه
في إجراء الأوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة إليه لأن ذاته من حيث
هو هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ ولأنه لو دل
على مجرد ذاته المخصوص لما أفاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولأن معنى الاشتقاق
هو كون أحد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة وقيل
أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف الأخيرة وإدخال اللام عليه وتفخيم لامه إذا انفتح ما قبله
أو انضم سنة وقيل مطلقا وحذف ألفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء
لضرورة الشعر شعر ألا لا بارك الله في سهيل • إذا ما الله بارك في الرجال • الرحمن الرحيم •
اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف
يقتضي التفضل والإحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات
التي هي أفعال دون المبادي التي هي انفعالات والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى
كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك إنما يؤخذ تارة باعتبار الكمية وأخرى باعتبار الكيفية فعلى الأول قيل
يا رحمان الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة
ورحيم الدنيا لأن النعم الأخروية كلها جسام وأما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وإنما قدم والقياس
يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى لتقدم رحمة الدنيا ولأنه صار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره لأن
معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لأن من عداه فهو مستعيض بلطفه
وإنعامه يريد به جزيل ثواب أو جميل ثناء أو مزيح رقة الجنسية أو حب المال عن القلب ثم إنه كالواسطة
في ذلك لأن ذات النعم ووجودها والقدرة على إيصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها
والقوى التي يحصل بها الانتفاع إلى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها أحد غيره أو لأن الرحمن لما دل على جلائل
النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له أو للمحافظة على رؤس الآي
والأظهر أنه غير منصرف وإن حظر اختصاصه بالله أن يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانة إلحاقا له بما هو
الغالب في بابه وإنما خص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان به في مجامع الأمور
هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره إلى جناب
القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره • الحمد لله • الحمد هو الثناء على الجميل
الاختياري من نعمة أو غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول
حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما أخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا شعر

افادتكم

أفادتكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا • فهو أعم منهما من وجه وأخص من آخر
ولما كان الحمد من شعب الشكر أشيع للنعمة وأدل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال
جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران
نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقد قرئ به وإنما عدل عنه إلى الرفع
ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة لا تكاد
تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرف كل أحد أن الحمد ما هو أو للاستغراق
إذ الحمد في الحقيقة كله له إذ ما من خير إلا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه
إشعار بأنه تعالى حي قادر مريد عالم إذ الحمد لا يستحقه إلا من كان هذا شأنه وقرئ الحمد لله
بإتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث إنهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة •
رب العالمين • الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به
للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك
لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيدا كقوله ارجع إلى ربك والعالم اسم لما يعلم
به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض فإنها لإمكانها
وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته يدل على وجوده وإنما جمعه ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة
وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر أوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم
من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فإن كل واحد منهم
عالم من حيث إنه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض يعلم بها الصانع كما يعلم
بما أبدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما قال الله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقرئ
رب العالمين بالنصب على المدح أو النداء أو بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على أن الممكنات
كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها • الرحمن الرحيم • كرره للتعليل
على ما سنذكره • مالك يوم الدين • قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لأنه قراءة أهل الحرمين
ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء
من الملك والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك
بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح أو الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على أنه خبر
مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان
وبيت الحماسة شعر ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا • أضاف اسم الفاعل إلى الظرف
إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع • كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار • ومعناه ملك الأمور
يوم الدين على طريقة ونادى أصحاب الجنة أو له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الإضافة
حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين
وتخصيص اليوم بالإضافة إما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه وإجراء هذه الأوصاف
على الله تعالى من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها
مالكا لأمورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه

على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من
لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا على ما بعده وهو
اياك نعبد فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث
للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات ووجوب عليه قضية
لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة
فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين • اياك نعبد واياك نستعين •
ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم
بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون
ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكأن اول
الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في اسمائه والنظر في آلائه
والاستدلال بصنائعه على عظم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض
لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين
الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب
الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس
كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه الى بلد ميت وقول امرئ القيس شعر تطاول ليلك بالاثمد • ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة • كليلة ذي العائر الارمد • وذلك من نبأ جاءني • وخبرته عن ابي الاسود
وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم
والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارأيتك وقال الخليل ايا
مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب
وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر
النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة
وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل
وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تع والاستعانة
طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار
الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر
للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة
التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين
للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته
في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت
الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه
نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره

الى المعبود

الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث
انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة
جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها
ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه
عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت
العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى
الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه
فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه
وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة
بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها • اهدنا الصراط
المستقيم • بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود
الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى
باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا
لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء
الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة
بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياه عنى بقوله
وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف
على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم
يختص بنيله الانبياء والاولياء واياها عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات
عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك
لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء
يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام
اذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق
الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية
قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت
في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق
الحق وقيل هو ملة الاسلام • صراط الذين انعمت عليهم • بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو
في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق
المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه
من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم

الانبياء وقيل النبي عم واصحابه وقيل اصحاب موسى وعيسى عم قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط
من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت
لما يستلذ من النعمة وهي الكرة ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني
كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق
البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية
النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة
والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوءه في اعلى عليين
مع الملائكة المقربين ابد الابدين والمراد من النعمة هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم
الاخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل
من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم
عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد
التاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله شعر ولقد امر على اللئيم
يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى
له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور
والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس
ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل
بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك
جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين
والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه
واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى
لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة
والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان
المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى
في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ
ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين امين اسم الفعل الذي هو
استجب وعن ابن عباس سالت رسول الله عم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين
وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا
وليس من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عم علمني جبريل امين عند فراغي من قراءة سورة
الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده
يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عم كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع
بها صوته وعن ابي حنيفة رح انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس
والماموم يؤمن معه لقوله عم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين

وان الامام

وان الامام يقول امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة
ان رسول الله عم قال لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقران مثلها قلت
بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس قال
بينا رسول الله عم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عم قال
ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية واياتها مائتان وسبع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها
الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير
والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عم قال من قرا
حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف متجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه
باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى
اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل
موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل
ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها
لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى
بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله
لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع
الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي
الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك
ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي
حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف
مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك
خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع
امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها
حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة
نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين
الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف
والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاكثر ومن البواقي المنخفضة نصفها
ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة
الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد
والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في عن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك

حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم
في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد
والفاء والظاء والشين والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيها وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر
الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة
التي لا يدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت
الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء
والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز
عن السباعية ذكر من الزوائد العشر التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها
وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكفوفة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية
ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر
ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها
تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور
لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع
وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلث
عشر سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر منها عشرة للاسماء وثلثة للافعال
ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها
فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القران لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير
التنبيه والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا
وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن
وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب
بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران بيانا وهدى ولما امكن التحدي به
وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل
لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران
نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون
مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف اخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها
اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت لي قاف كما روي عن ابن عباس انه قال
الالف الاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه
انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبرائيل والميم من محمد اي
القران منزل من الله بلسان جبريل على محمد عم او الى مدد اقوام واجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية
متمسكا بما روي انه عم لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته
احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله فقالوا هل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا
فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على
ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة

والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله
ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية
بثلثة اسماء فصاعدا مستكرهة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء
عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه
والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي
ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ
واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة
الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعاني دون غيرها
اذ لا مخصص لفظا ولا معنى ولا بحساب الجمل فيلحق بالمعربة والحديث لا دليل فيه لجواز انه عم
تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها
والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا
نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة وجزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته
ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم
من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود
العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل
عليه ان عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى
الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي اخرها جمع بينها
ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله وقيل انه سر استاثره الله بعلمه
وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله
ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله او القران او السور
لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن
كذا بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة
او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله
تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر
على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن
فيكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن
لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث
لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص
وطه وطسم وحم ويس اية وحم عسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه
ذلك الكتاب • ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران واشير
بما يشار الى البعيد فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا وتذكيره متى
اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد

الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به
المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان تكتب لانه مما يكتب واصل
الكتب الجمع ومنه الكتيبة • لا ريب فيه • معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل
بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة
نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحققوا ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة
وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب
في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق
النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه
ريب الزمان لنوائبه • هدى للمتقين • يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والبكى
ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى انا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون
به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى
للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر في المعجزات وتعرف
النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة والى هذا اشار
قوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه
في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط
الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى الثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك
حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعنى بقوله ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله
تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية تحتمل اوجها
من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القران او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان
اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان لا يحمل الاخص على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ
اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك
خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته وريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية
للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي
بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب
كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب
على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره
على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم او يكون الم
خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفته والاولى ان يقال انها اربع جمل
متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به

هو

هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت
بغاية الكمال ثم تجل على كماله بنفي الريب عنه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا
رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله او تستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول
وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه
الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة
وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود
مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف
والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية
المشارف للتقوى متقيا مجازا ايجازا وتفخيما لشانه • الذين يؤمنون بالغيب • اما موصول بالمتقين على انه صفة
مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل
او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان
والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر
الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله الصلوة عماد
الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة بما تضمنه المتقون وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة
وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع
بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف
على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب
والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن
وبه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم
بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق
والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل
في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه للتصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال
كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل
الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل
وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق
بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى
ذم المعاند اكثر من الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر
وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا
او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بداهة العقل وهو قسمان قسم
لا دليل عليه وهو المعنى بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل
كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في هذه الاية هذا اذا جعلته صلة الايمان

واو تعتد موقع المفعول به وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم
يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم
قرأ هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة • ويقيمون الصلوة • اي يعدلون
اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها مأخوذ من قامت
السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب • لاهل العراقين حولا
قميطا • فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وضده قعد عن الامر
وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود
والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى
حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله لا المصلون
هم على صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله
على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى
الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع الساجد
ومما رزقناهم ينفقون • الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف
خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا ان يمكن الله من الحرام لانه
منع من الانتفاع وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا
بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث
عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن
رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة الا على الله رزقها وانفق
الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب
والخروج والظاهر من انفاق ما رزقهم الله صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر
افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة
على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع
المعاون التي اتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق
منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون • والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك • هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون
بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك
وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين وكانه

قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط
العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله يا لهف
زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالآيب • على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة
والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول
تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين
عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء
من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوق الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل
بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ وينزل به فيبلغه
على الرسول والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التورية
والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بهما جميعا فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا
من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد
المعاش • وبالاخرة هم يوقنون • اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو
من جنس نعيم الدنيا او غيره ودوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن
عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم
بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والاخرة
تانيث الاخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الي مؤسى • وجعدة اذ اضاءهما الوقود • اولئك على هدى
من ربهم • الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبرا له وكانه لما قيل هدى للمتقين
قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى اخر الايات والا فاستيناف لا محل لها وكانه
نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى
ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف
بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب
الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم
عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى • واقتعد غارب الهوى
وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر
هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي شعر
فلا وابي الطير المربة بالضحى • على خالد لقد وقعت على لحم • واكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له
وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة • واولئك هم المفلحون • كرر فيه اسم الاشارة تنبيها
على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم

ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم
الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شي واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى
فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب
كانه انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل
على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في [الآخرة]
او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه سبحانه
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل
مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم
وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين
الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا
ان الذين كفروا • لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى
والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات
والنذر ولم تعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم
وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح
ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت
عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون
الخبر قبل دخولها كان مرفوعا على الخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه
الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها
فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة
ويذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك عن ذي القرنين قل ساتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له
في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم
اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود
او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر
النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي
الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا
لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها
واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه
مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم • سواء عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم • خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم

انذارك

انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار
عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا
على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل
لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا
عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا
ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه
اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت
البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها
الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الالف بينهما [محققتين]
وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لا يؤمنون • جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة
او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه
سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم
الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث
ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء
او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد
العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل
سواء [عليك] كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار
بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات • ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة • تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء
بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة
من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية في الحقيقة
وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات
بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم
تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق
كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما
وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية
وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال
في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات
باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع
الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم
ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق

وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل
حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله تعالى عليها ونظيره
سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان
او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم
لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء
على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم
في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية
السادس ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة
فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلام من تقدمنا فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال
ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه
ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع
الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك
الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن
عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس
سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو
وكذا السمع ولعل المراد بها في الاية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل
العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز
امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء
عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير
وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم
بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة
ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة • ولهم عذاب عظيم • وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب
كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني
عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم
نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس
بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على ابصارهم غشاوة
ليس مما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه
الا الله • ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر • لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق
لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا
الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين

امنوا

امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم
موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم
انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد
يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا • شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت
فعال في ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك
سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال
ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن
ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم
على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس
انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا يكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص
الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم
احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون
فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الاخر
ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم
الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم
وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم
لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل
واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى
المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر
الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة •
وما هم بمؤمنين • انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح
بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد
المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى
انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى
الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب
عما يوافقه او ينافيه مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا تنهض حجة عليهم • يخادعون الله
والذين امنوا • الخداع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم
خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب
اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة
تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا
خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث

والاصل لوقة الوقة لطعامه بالضم اذا اصلحه بالزبد

الرخال بكسر الخاء الانثى من اولاد الضأن

كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة
صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم
وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عم
والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة
صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو
الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب
فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة يخدعون
فكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل
بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين ويطلعوا على اسرارهم ويذيعوها
الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد • وما يخادعون الا انفسهم • قراءة نافع
وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا
انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة
من لا يخفى عليه خافية وقراءة الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ
ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول
ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به
وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي
في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس
ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم • وما يشعرون • لا يحسون بذلك لتمادي
غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا
على مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار •
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا • المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به
ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد
والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية
والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر
الرسول عم واستعلاء شأنه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم
كانت مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد
التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله
واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل في قلوبهم من الجبن
والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته
تضعيفه بما زاد لرسوله عم نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد • ولهم عذاب اليم • اي مؤلم يقال
الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة
جد جده • بما كانوا يكذبون • قراءة عاصم والكسائي وحمزة والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم
وهو قولهم آمنا وقراءة الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عم بقلوبهم واذا خلوا

الى شياطينهم

الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو
وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عم كذب ثلث كذبات
فالمراد التعريض ولكن لما شابه في صورته سمي به • واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض • عطف على يكذبون
او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذي كانوا فقط
بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان هذه الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء
عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب
والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض
من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها
مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين • قالوا
انما نحن مصلحون • جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا
ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد
منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض
كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا • الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون •
رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان
همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك
لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان
المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك
بلا يشعرون • واذا قيل لهم آمنوا • من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض
عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا • كما آمن الناس
في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون
في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني
المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي
ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذا الناس ناس والزمان زمان • او للعهد والمراد به الرسول ومن معه
او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب
النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد
قالوا انؤمن كما آمن السفهاء • الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء
ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه
والسفه خفة العقل وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم مقابله • الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون • رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة
واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية
بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق

والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد
من اقوالهم وافعالهم ● واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ● بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به
القصة فسيقت لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة
فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد
بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد
بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم
رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته
اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى ● واذا خلوا الى شياطينهم
من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية
او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد شياطينهم الذين ماثلوا الشياطين
في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون
صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له
قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل ● قالوا انا معكم ● اي في الدين
والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا
بالاول دعوى احداث الايمان وبالثاني تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانهم لم يكن لهم باعث
من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين
من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوا مع الكفار ● انما نحن مستهزؤن ● تاكيد لما قبله لان المستهزئ
بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف وكان الشياطين
قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك و
الاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو
القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف ● الله يستهزئ بهم ●
يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمقابلة اللفظ او
لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان
الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام
المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح
لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون وانما استونف ولم يعطف ليدل على ان الله تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين
ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم
ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله
فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ● ويمدهم في طغيانهم يعمهون ● من مد الجيش
وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد
لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر
عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم

بسبب كفرهم

بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طريق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة
تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا
اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب مجازا واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد
الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي فقال واخوانهم
يمدونهم في الغي وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا
الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه
او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر
كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال
الله انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه
وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه ● اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى ● اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان
احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي
العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد
ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا
ازعرا ● وبالثنايا الواضحات الدردرا ● وبالطويل العمر عمرا جيدرا ● كما اشترى المسلم اذ تنصرا
ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل
الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة
واستحبوها على الهدى ● فما ربحت تجارتهم ● ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه
ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية ● وعشش في وكريه جاش له صدري
والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده
الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح
والخسران ● وما كانوا مهتدين ● لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء
قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كانت الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه
الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق
ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل ● مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ●
لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب
واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال
وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ
عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة
التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي
بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز
وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة

بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع
وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة
التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم
اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقدوا
والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار
ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا • فلما اضاءت ما حوله • اي النار ما حول المستوقد وان جعلتها
متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة
في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول
لانه يدور • ذهب الله بنورهم • جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال
بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت
حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين
والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى
اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي
الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما
اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل
ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة
النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكد بقوله • وتركهم في ظلمات لا يبصرون • فذكر الظلمة التي
هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك
في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات
وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه • والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي
ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد
او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح وكان الفعل غير متعد والاية
مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا
تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت
به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له
بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق
عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد
ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره
باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها • صم بكم عمي • لما سدوا مسامعهم
عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت
مشاعرهم وانتقضت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا • اصم عن الشيء
الذي لا اريده • واسمع خلق الله حين اريد • واطلاق هذه عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها

ان يطوى

ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير شعر
لدى اسد شاكي السلاح مقذف • له لبد اظفاره لم تقلم • ومن ثمه ترى المفلقين السحرة يضربون عن
توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائي ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء • وههنا
وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة • فتخاء
تنفر من صفير الصافر • هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان
جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول
تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة
يسمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على
هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة
فهم لا يرجعون • لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها
او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤوا منه كيف يرجعون والفاء
للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم • او كصيب من السماء
عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي
في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى
ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك
قوله او كصيب من السماء وان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه
بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر
وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب • وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه
اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء
كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء • امد به
ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف
الماهية • فيه ظلمات ورعد وبرق • ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر
وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان
اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على
موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها
اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما
مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا • يجعلون اصابعهم في آذانهم • الضمير لاصحاب الصيب وهو
وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله
يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل • حيث ذكر الضمير لان
المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب
بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة • من الصواعق • متعلق بيجعلون اي
من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا

الواو. عليه من الصعق وهو شدة الصوت، وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد، ويقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت، وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق
لاستواء كلا البنائين في التصرف، يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة، وهي في الاصل
اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية، او مصدر كالعافية والكاذبة. حذر الموت
نصب على العلة كقوله: واغفر عوراء الكريم ادخاره ❊ واصفح عن شتم اللئيم تكرما. والموت
زوال الحياة، وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة، ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام
مقدرة. والله محيط بالكافرين، لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط، لا يخلصهم الخداع
والحيل، والجملة اعتراضية لا محل لها. يكاد البرق يخطف ابصارهم، استيناف ثان كانه جواب لمن يقول
ما حالهم مع تلك الصواعق، وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه
لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع، وعسى موضوعة لرجائه فهو خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف
عسى، وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان ليوكد القرب بالدلالة
على الحال، وقد يدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة
والخطف الاخذ بسرعة، وقرئ يخطف بكسر الطاء، ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء
ثم ادغمت في الطاء، ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها، ويتخطف. كلما اضاء
لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا، استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق
وخفيته، فاجيب بذلك. واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه، او
لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره، وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل
ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول، وقول ابي تمام: هما اظلما حالي ثمة اجليا ❊ ظلاميهما
عن وجه امرد اشيب، فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة
ما يرويه. وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه
فرصة انتهزوها، ولا كذلك التوقف، ومعنى قاموا وقفوا، ومنه قامت السوق اذا ركدت، وقام
الماء اذا جمد. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم، اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد
وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما، فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه، ولقد تكاثر حذفه في شاء
واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله: فلو شئت ان ابكي دما لبكيته. ولو من حروف
الشرط، وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء
اللازم. وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة.
وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه، والتنبيه على
ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته.
وقوله ان الله على كل شيء قدير، كالتصريح به والتقرير له. والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل
مصدر شاء، اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال تعالى قل اي شيء اكبر شهادة
قل الله شهيد، وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة، وعليه
قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير، الله خالق كل شيء، فهما على عمومهما بلا مثنوية، والمعتزلة لما قالوا
الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن، او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا

لزمهم

لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل. والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء، وقيل صفة
تقتضي التمكن، وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل، وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي
العجز عنه. والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل، والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء
ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى. واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على
مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيته. وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه
مقدوران، وان مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور له تعالى. والظاهر
ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة، وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت
حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها، كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية، فانه
حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة. والغرض منهما تمثيل
حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقادها في ظلمة، او بحال من اخذته السماء
في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق. ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد
وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها، كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور، وقول امرئ القيس: كان قلوب الطير رطبا ويابسا ❊ لدى وكرها العناب
والحشف البالي. بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين، واظهارهم الايمان باستيقاد
النار، وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول
المستوقدين، وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب
السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم. وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب، وايمانهم المخالط بالكفر
والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق، من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة
عاد نفعه ضرا، ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع
في الاذان من الصواعق حذر الموت، من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار
وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها
مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم.
وقيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب
الذي به حياة الارض، وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة
بالظلمات، وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد، وما فيها من الايات الباهرة بالبرق، وتصامهم عما يسمعون
من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها، وهو معنى
قوله والله محيط بالكافرين، واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم على
تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة
وسدوها عن الفوائد الاجلة، ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها لها فانه على ما يشاء قدير. يا ايها
الناس اعبدوا ربكم، لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب
على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة
العبادة بلذة المخاطبة، ويا حرف وضع لنداء البعيد، وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد
اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد، او لغفلته وسوء فهمه، او للاعتناء

بالمعقول وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل وأيّ جعل وصلة
الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطى
حكم المنادى واجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت
بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة
في القرآن لاستقلاله باوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا
لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها
المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى
فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت
النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عم ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام
الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين
آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك
بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان
بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان
الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين
ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية • الذي خلقكم •
صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب
اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد شيء على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس • والذين من قبلكم • متناول كل ما يتقدم الانسان
بالذات او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم
اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض
ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول
وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم • تيم الثاني بين الاول وما اضيف
اليه • لعلكم تتقون • حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك
المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى
منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى الى الله تعالى وان العابد ينبغي
ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون
رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة
من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين
في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله
تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد
لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير
اخذ الاجر قبل العمل • الذي جعل لكم الارض فراشا • صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او

مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة تجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل • من الاكوار مرتعها قريب • وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد
كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير
يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء
مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة واللين حتى صارت مهيأة لان
يقعدوا وينا موا عليها كالفراش المبسوطة وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كروية شكلها مع عظم
حجمها واتساع جرمها لا يأبى الافتراش عليها كالجبل • والسماء بناء • قبة مضروبة عليكم والسماء
اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي
به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء
جديدا • وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم • عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة
الله ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى
عادته بافاضة صورها وكيفياتها وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما
ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي
الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة • ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء
السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت
عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا
ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا
كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع
اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا
مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه
اراد به جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد
او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت
محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر
كانه قال رزقا اياكم • فلا تجعلوا لله اندادا • متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان
جوابا له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السماوات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا
لله اندادا او بالذي جعل ان استأنفت به على انه نفي وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء
للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام
ينبغي ان لا يشرك به • والند المثل المناوي قال جرير أتيما تجعلون الي ندا • وما تيم لذي حسب نديد
من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل
في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته
ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال
من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم

من حجر فتهكم بهم وشنّع عليهم بان جعلوا انداداً لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو
بن نفيل • ارباً واحداً ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور • تركت اللات والعزى جميعاً •
كذلك يفعل الرجل البصير • وانتم تعلمون • حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي
وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات
موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر
على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب
لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون
الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه
انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعاراً بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم
وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة
اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امور لا يقدر عليها غيره
شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما
دل عليه الظاهر وسيق له الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني
والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض
عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية
والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة
الفاعل المختار فان لكل آية ظهراً وبطناً ولكل حد مطلعاً • وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة من مثله • لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة
محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحم من طولب بمعارضته
من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على
المعازة والمعارة • وعرّف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا
لان نزوله نجماً فنجماً بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم
كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا
الوجه ازاحة للشبهة والزاماً للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويهاً بذكره وتنبيهاً على انه مختص به منقاد
لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمداً عليه السلام وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات
وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة
على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة
قال ولرهط حراب وقد سورة • في المجد ليس غرابها بمطار • لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها
القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة
فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سوراً افراد الانواع وتلاحق
الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك
عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلاً او طوى بريداً والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظاً
تاماً وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد • من مثله

صفة سورة

صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة
مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه
بشراً امياً لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق
لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه
ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في
التحدي من ان يقال لهم ليأتي بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه
لقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم
امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله • وادعوا شهداءكم من دون الله • فانه امر بان يستعينوا
بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام
وكأنه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور
ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان
من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك
ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز
حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا
ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق • اي اذا تجاوزت وقاية
الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم
وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون
لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم
الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين يشهدون
لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه • ليعينوكم وفي امرهم
ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون
اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى
لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله • ان كنتم صادقين • انه من كلام البشر
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة
او امارة لانه تعالى كذّب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف
التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به • فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة • لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول عليه السلام
وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته
وعجزتم جميعاً عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا
العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازاً ونزل لازم الجزاء
منزلته على سبيل الكناية تقريراً للمكنى عنه وتهويلاً لشأن العناد وتصريحاً بالوعيد مع الايجاز
وصدّر الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكاً في عجزهم
ولذلك نفى اتيانهم معترضاً بين الشرط والجزاء تهكماً بهم وخطاباً معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل

الا ما لم يكن محققا عندهم وتعلق جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة
بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال
فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب
عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء
لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه
وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين
وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف
اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها
الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع
المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم
كما عذب الكانز بما كنزوا او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا
يكنزونها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت
وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به
غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله اراد به ان الاحجار كلها لتلك
النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة
التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة
معلومة. اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة
والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما
بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع
في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن
ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجاوا الى جلاء
الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه
عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عم لو شك في امره لما دعاهم
الى المعارضة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم
الان. وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات. عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف
حال من امن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع
الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب
ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي
ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن امن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء
ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم
بالبشارة كما خوطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنوا بما اعد لهم وقرئ
وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر
السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي

ولدي

فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم
فعلى طريق التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة
التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني
وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل
على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع
بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء
عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى
الايمان اذ الاصل ان لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء
الفعل اليه او مجرور باضمار مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار
التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة
قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا. اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه
من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا
ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها
لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة
المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت
الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح
لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع
ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه لئن اشركت ليحبطن عملك
واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد هنا استغناء بها. تجري من تحتها الانهار. اي من تحت اشجارها
كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام
في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة
في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون
البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها
واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها. كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذي رزقنا. صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل
ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما
على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام
واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق
بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال
الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا
اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة
منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي

ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل
ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين
لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة
كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل
فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة
ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول
اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم
وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة • واتوا به متشابها • اعتراض
يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل
ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل
التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا
الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الهيئة واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه
هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما
في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد • ولهم فيها
ازواج مطهرة • مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق
فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت • واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة
ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال
للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم التغذي ودفع
ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها
وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل
الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها • وهم
فيها خالدون • دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي
والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام
كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب
اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق
الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام هنا عند الجمهور لما يشهد له
من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك
والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل
اجزاءها مثلا متفاوتة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة
لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده

ونشاهد من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم
والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف
الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ
منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور • ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
ما بعوضة • لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط
فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون
الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس
ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه
الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل
غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام
العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال
المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها
اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا
لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع
في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها
لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة
على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه
انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اعتلت
نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم
ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به
الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره
قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك
لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب
المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب
بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق
التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني
بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر
مع غيره فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ
وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن
وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كانه لما رد استبعادهم
ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك

نظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينارا وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب
غلب على هذا النوع كالخموش. فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها
في الجثة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا
عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عم ضرب به مثلا للدنيا
ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله عم قال
ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة
في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عم ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة
لخطاياه حتى نخبة النملة. فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم. اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد
ما صدر به ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء
فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء
لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير
الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه
للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة
والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج. واما الذين كفروا فيقولون
كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا
واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه. ماذا اراد الله بهذا مثلا
يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا
اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد والاحسن في جوابه الرفع على الاول
والنصب على الثاني ليطابق السؤال الجواب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها
عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور
اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره
ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل
والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه
بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا
استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية. يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار
بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان
وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين
بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال
كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة
المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان الكرام
كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا. وما يضل به الا الفاسقين. الخارجين
عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت

واصل

واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا. والفاسق في الشرع
الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا
مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو
ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه
ولابس الكفر وما دام في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق
الذي هو مسمى بالايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا
الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما
ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال
بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم
وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت
به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به. وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون
بالرفع. الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب
واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد
المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو
من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف
منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته. والعهد الموثق ووضعه لما
من شأنه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ
لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده
ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل
على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا
حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلاثة عهد
اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذ على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه
وعهد اخذ على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه. من بعد ميثاقه. الضمير للعهد والميثاق
اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما
وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض
بعد الميثاق. ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض
عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر
ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل
وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد
الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا
قصدت قصده. وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى
ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه
اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية

كيف

والاستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها
واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب • كيف تكفرون بالله • استخبار
فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال
وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار
الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال
وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك
والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون • وكنتم امواتا • اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية و
اخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة • فاحياكم • بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه
متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي • ثم يميتكم • عند تقضي اجالكم • ثم يحييكم • بالنشور
يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور • ثم اليه ترجعون • بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه
من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم
يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة
العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم
ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او الخطاب مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد
والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح
صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف
يعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال
تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع
من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحد من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل
وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى
كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت
المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة
النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث
انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم
وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته
يقتضي ذلك على الاستعارة وقرئ ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن • هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا • بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه
خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها
في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة
والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه
وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل

للكل

للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد
بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني • ثم استوى الى السماء • قصد اليها بارادته من قولهم
استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء
واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل
استوى استولى وملك قال • قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق • والاول اوفق للاصل
والصلة المعدي بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات
العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين
امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تأخر
دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحيها مقدرا لنصب
الارض فعلا اخر دل عليه انتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر
• فسويهن • عدلهن وخلقهن مصونة عن العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع
او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا • سبع سموات • بدل او تفسير فان قيل اليس
اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزايد مع
انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف • وهو بكل شيء عليم • فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما
بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الاحسن الانفع واستدلال بان من كان
فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه
الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان من بعد ما
وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم
اليها ما لم يكن منها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية
على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة
واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع
والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية
والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر
على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعيا فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي
علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو
تشبيها له بعضد • واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة • تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس
كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع
لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما
الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب
ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر
قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية
قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية

المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخل في حكم الصلة وعن معمر
انه مزيدة والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل في جمع شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب
مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف
العقلاء في حقيقتهم بعد الاتفاق على انهم ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها
اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك
وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها
جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق
والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم
العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به
القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية
على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض
وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس
في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجبال والجزائر وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة
اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب
منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله
في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور
المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا عليه السلام
ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري
تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما لياخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض قبله
او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره
عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم او خلفا يخلفكم وفائدة
قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة
قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب
خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك • قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل
الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم
ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في خاطره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن
في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز في عقولهم
ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع
من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في

عن فم القربة

عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل
موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم • ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك • حال مقررة
لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى انستخلف عصاة ونحن معصومون
احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب
والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد
وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو
باعتبار تلك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع
منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة
للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما
تقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل
الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله • قال اني اعلم ما لا تعلمون • والتسبيح
تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد
ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعد عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك
على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم
الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة • وعلم آدم الاسماء كلها • اما بخلق
علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه
العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح
بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها
آدم فلذلك ياتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس
ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى
الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا
مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة
والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف
على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات
من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول
العلم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها • ثم عرضهم على الملائكة • الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير
اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا لان
العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد
به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى
عرض مسمياتهن او مسمياتها • فقال انبئوني باسماء هؤلاء • تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة
فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال
وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد

إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم أو أن خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق إليه بغرض ما يلزم مدلوله من الأخبار وبهذا الاعتبار يعتري الإنشاءات • قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا • اعتراف بالعجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفسارًا ولم يكن اعتراضًا وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه وإظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه تعالى وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل إلا مضافًا منصوبًا بإضمار فعله كمعاذ الله وقد أجري علمًا للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى سبحانك تبت إليك وقال يونس سبحانك إني كنت من الظالمين • إنك أنت العليم • الذي لا يخفى عليه خافية • الحكيم • المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة وأنت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك أنت وإن لم يجز مررت بأنت إذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر إن • قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم • أي أعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما • فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون • استحضار لقوله إني أعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه فإنه تعالى لما علم ما خفي عليهم من أمور السموات والأرض وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى وهو أن يتوقفوا مترصدين لأن يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا يخلق خلقًا أفضل منهم وقيل ما أظهروا من الطاعة وأسر إبليس منهم من المعصية والهمزة للإنكار دخلت حرف الجحد فأفادت الإثبات والتقرير واعلم أن هذه الآيات تدل على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأنه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وأن التعليم يصح إسناده إلى الله تعالى وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وأن اللغات توقيفية فإن الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في إلقائها على المتعلم مبينًا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والأصل ينفي أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم وإلا لتكرر قوله إنك أنت العليم الحكيم وأن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الأولى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لأنه أعلم منهم والأعلم أفضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها • وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • لما أنبأهم بأسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافًا بفضله وأداء لحقه واعتذارًا عما قالوا فيه وقيل أمرهم به قبل أن يسوي خلقه لقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانًا لهم وإظهارًا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق إن نصبته بمضمر وإلا عطفه بما يقدر عاملًا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بأسرها على القصة الأخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الأصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الأكم فيه سجدًا للحوافر • وقال وقلن له اسجد لليلى فأسجدا يعني البعير إذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به إما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل

آدم قبلة لسجودهم تفخيمًا لشأنه أو سببًا لوجوبه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون أنموذجًا للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة إلى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تذللًا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرًا لما أنعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان: شعر

أليس أول من صلى لقبلتكم • وأعرف الناس بالقرآن والسنن

• أو في قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس وأما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيمًا له كسجود إخوة يوسف له أو التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم فالكلام في أن المأمورين بالسجود الملائكة كلهم أو طائفة منهم ما سبق • فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر • امتنع عما أمر به استكبارًا من أن يتخذه وصلة في عبادة ربه أو يعظمه ويتلقاه بالتحية أو يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والإباء امتناع باختيار والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع • وكان من الكافرين • في علم الله تعالى أو صار منهم باستقباحه أمر الله تعالى إياه بالسجود لآدم اعتقادًا بأنه أفضل والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما أشعر به قوله أنا خير منه جوابًا لقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على أن آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وأن إبليس كان من الملائكة وإلا لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى إلا إبليس كان من الجن لجواز أن يقال إنه كان من الجن فعلًا ومن الملائكة نوعًا ولأن ابن عباس روى أن من الملائكة ضربًا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم إبليس ولمن زعم أنه لم يكن من الملائكة أن يقول إنه كان جنيًا نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغمورًا بالألوف منهم فغلبوا عليه أو الجن أيضًا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فإنه إذا علم أن الأكابر مأمورون بالتذلل لأحد والتوسل به علم أن الأصاغر أيضًا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع إلى القبيلتين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود إلا إبليس وأن من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان الغالب فيهم العصمة كما أن من الإنس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربًا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وإنما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الإنس والجن يشملهما وكان إبليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس ولذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط من محله كما أشار إليه بقوله عز وعلا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة أنه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لأنه كالتمثيل لما ذكرت فإن المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير أن ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق فإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وأنه قد يفضي بصاحبه إلى الكفر والحث على الائتمار لأمره وترك الخوض في سره وأن الأمر للوجوب وأن الذي علم الله من حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة إذ العبرة بالخواتيم وإن كان بحكم الحال مؤمنًا وهو الموافاة المنسوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري • وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة • السكنى من السكون لأنها استقرار ولبث وأنت تأكيد أكد به

المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع الجنة
دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين
او بين فارس وكرمان خلقه الله امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى
اهبطوا مصرا • وكلا منها رغدا • واسعا رافها صفة مصدر محذوف • حيث شئتما • اي مكان من الجنة
شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فيه مبالغة تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول
مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب
ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما
مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما
بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة
هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية
لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء • فازلهما الشيطان
عنها • اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان زل يقتضي عثرة
مع الزوال وازلاله قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما
بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك
رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء
لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل
في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى • فاخرجهما مما كانا فيه
اي من الكرامة والنعيم • وقلنا اهبطوا • خطاب لآدم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير
لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس خرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة
او دخلها مسارقة او من السماء • بعضكم لبعض عدو • حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين
يبغي بعضكم على بعض بتضليله • ولكم في الارض مستقر • موضع استقرار او استقرار • ومتاع • تمتع
الى حين • يريد به وقت الموت او القيامة • فتلقى آدم من ربه كلمات • استقبلها بالاخذ والقبول والعمل
بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت
ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال
يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت
اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام
والجراحة • فتاب عليه • رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنها معنى التوبة
وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا
له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن • انه هو التواب الرحيم • الرجاع على عباده بالمغفرة

او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية
واذا وصف بها الباري تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة • الرحيم • المبالغ في الرحمة وفي الجمع
بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو • قلنا اهبطوا منها جميعا • كرر للتاكيد ولاختلاف
المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر
بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن
باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي
ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا
والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون
ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا • فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان
ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال
او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لانه محتمل في نفسه غير واجب
عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل
اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم
يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب
على اكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا
بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور
والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته
ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي
او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت
او ائية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت
الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء من وجوه الاول ان آدم كان نبيا وارتكب المنهي
عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين
والثالث ان الله تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه
التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب
لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه
وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي
الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك
الاولى ووفاء بما قال للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه
عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام
اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق

البينة المقررة دون المؤاخذ كحنا ولا اثم على الجاهل بانه لا يعاتب بانه باطل لقوله تعالى ما نهيكما ربكما وقاسمهما الآيتان اذ ليس فيهما ما يدل على ان تناولهما حين ما قال ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرام على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد عليه السلام وبما انزل عليه فقال • يا بني اسرائيل • اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء • اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر قيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها • واوفوا بعهدي • بالايمان والطاعة • اوف بعهدكم • بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة • واياي فارهبون • فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية

متضمنة

متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله • وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم • افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحد منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله • ولا تكونوا اول كافر به • بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت • ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا • ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله عليه السلام فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه • واياي فاتقون • بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه • ولا تلبسوا الحق بالباطل • عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تأويله • وتكتموا الحق • جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون الحق اي وانتم تكتمون الحق بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق • وانتم تعلمون • عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر • واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة • يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل • واركعوا مع الراكعين • اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا

عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي
لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه • اتأمرون الناس بالبر • تقرير مع توبيخ
وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة
بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب • وتنسون انفسكم • وتتركونها
من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع
محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون • وانتم تتلون الكتاب • تبكيت كقوله
وانتم تعلمون اي تتلون التورية فيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل • افلا تعقلون
قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس
تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان
فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها
حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان
الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر • واستعينوا بالصبر والصلوة • متصل
بما قبله كانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك
والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر
عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة
لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة
والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة
الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب
وجبر المصائب وروي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء • وانها • اي
الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر
او جملة ما امروا بها ونهوا عنها • لكبيرة • لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه • الا
على الخاشعين • اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين
والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب • الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون • اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله
تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان
اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر • فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف
جائف • وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها
ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلام جعلت قرة عيني في الصلوة • يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه
بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها • واني فضلتكم • عطف على نعمتي • على العالمين
اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان تغيروا بما منحهم من
العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك

وهو ضعيف

وهو ضعيف • واتقوا يوما • اي ما فيه من الحساب والعذاب • لا تجزي نفس عن نفس شيئا • لا تقضي
شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه
اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط
الكلي والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد
المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال
اصابوا • ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل • اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى
وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول
النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو
ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله
الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها
سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء • ولا هم ينصرون • يمنعون من عذاب الله
والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد
والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي
الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده
ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم • واذ نجيناكم من ال فرعون •
تفصيل لما اجمل في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكال على الملائكة
وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك
وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل
اذا عتا وتجبر وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف
ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة • يسومونكم • يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل
السوم الذهاب في طلب الشيء • سوء العذاب • افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر
ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها
ضمير كل واحد منهما • يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم • بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ
يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم
من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا • وفي ذلكم بلاء • محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم
ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصل البلاء الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة
اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما • من ربكم • بتسليطهم
عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما • عظيم • صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد
من خير او شر اختبار من الله فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين • واذ فرقنا
بكم البحر • فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا
بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا • وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر
بعدد الاسباط • فانجيناكم واغرقنا آل فرعون • اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى
به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه • وانتم

نظرون ذلك وغرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى
الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده
وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب به فظهرت فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا
حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين
واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم
وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل
في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل
القرآن والتحدي به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوته دقيقة يدركها الاذكياء واخباره
عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره • واذ واعدنا موسى اربعين ليلة • لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
وعد الله تعالى موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها
غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده
موسى المجيء للميقات الى الطور • ثم اتخذتم العجل • الها معبودا • من بعده • من بعد موسى اي مضيه • وانتم
ظالمون • باشراككم • ثم عفونا عنكم • حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس • من بعد ذلك • اي الاتخاذ
لعلكم تشكرون • لكي تشكروا عفوه • واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان • يعني التوراة الجامع بين كونه
كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او
بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله
يوم الفرقان يريد به يوم بدر • لعلكم تهتدون • لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات • واذ قال
موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم • فاعزموا على التوبة والرجوع الى
من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره
اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمدين من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم
من الطين • فتوبوا فاقتلوا انفسكم • تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها
ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي
ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا
يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى
سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب • ذلكم خير لكم عند بارئكم • من حيث انه طهرة
من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية • فتاب عليكم • متعلق بمحذوف ان جعلته
من كلام موسى لهم على تقدير ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا
من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر
عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي
هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب
انه هو التواب الرحيم • الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم •
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك • لاجل قولك او لن نقر لك • حتى نرى الله جهرة • عيانا وهي في الاصل مصدر

قوله

قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل
او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا • والقائلون هم
السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التوراة
وكلمك او انك نبي • فاخذتكم الصاعقة • لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى
يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن
ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال
في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين
ميتين يوما وليلة • وانتم تنظرون • ما اصابكم بنفسه او اثره • ثم بعثناكم من بعد موتكم • بسبب الصاعقة
وقيد البعث لانه قد يكون من اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم • لعلكم تشكرون • نعمة البعث
او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة • وظللنا عليكم الغمام • سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس
حين كانوا في التيه • وانزلنا عليكم المن والسلوى • الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر
الى الطلوع ويبعث الجنوب فتحشر عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت
ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى • كلوا من طيبات ما رزقناكم • على ارادة القول • وما ظلمونا • فيه اختصار واصله
فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • بالكفران لانه لا يتخطاهم
ضرره • واذ قلنا ادخلوا هذه القرية • يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه • فكلوا منها
حيث شئتم رغدا • واسعا نصب على المصدر او الحال من الواو • وادخلوا الباب • اي باب القرية او القبة
التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام • سجدا • متطامنين مخبتين
او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجكم من التيه • وقولوا حطة • اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة
من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا
هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها • نغفر لكم خطاياكم •
بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ
كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت
الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء
ثم فعل بها ما ذكر • وسنزيد المحسنين • ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن
واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه
يفعله لا محالة • فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم • بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب
ما يشتهون من اغراض الدنيا • فانزلنا على الذين ظلموا • كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان
الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها
الى ما يوجب هلاكها • رجزا من السماء بما كانوا يفسقون • عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز
في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات
به في ساعة اربعة وعشرون الفا • واذ استسقى موسى لقومه • لما عطشوا في التيه • فقلنا اضرب
بعصاك الحجر • اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه
ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا

او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذى فر بثوبه لما وضعه
عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل
لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته
وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا
فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع
والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة • فانفجرت منه
اثنتا عشرة عينا • متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم
وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه • قد علم كل اناس • كل سبط • مشربهم • عينهم التي
يشربون منها • كلوا واشربوا • على تقدير القول • من رزق الله • يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء
العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به • ولا تعثوا في الارض مفسدين • لا تعتدوا
حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى
بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك
حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون
من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض
او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك • واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام
واحد • يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام
مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجمعوا او ضرب واحد لانهما معا طعام
اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما ألفوه • فادع لنا ربك • سله لنا
بدعائك اياه • يخرج لنا • يظهر لنا ويوجد • وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة • مما تنبت
الارض • من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض • من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها • تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض
من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ
قثائها بالضم وهي لغة فيه • قال • اى الله او موسى • اتستبدلون الذي هو ادنى • اقرب منزلة وادون
قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد
الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة • بالذي هو خير • يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع
وعدم الحاجة الى السعى • اهبطوا مصرا • انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط
منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم
وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل
اصله مصرايم فعرب • فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة • احيطت بهم احاطة القبة
بمن ضربت عليه والصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر
اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم • وباؤا بغضب من الله • رجعوا
او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة
ذلك • اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب • بانهم كانوا يكفرون بآيات الله

ويقتلون

ويقتلون النبيين بغير الحق • بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام
وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتي
فيها نعت محمد عم من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق
عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا
كما اشار اليه بقوله • ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • اى جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات
اسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل
فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى
مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره
في الضمير قول رؤبة يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق • والذي
حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع
ان الذين آمنوا • بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين
لانخراطهم في سلك الكفرة • والذين هادوا • تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود
اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهودا وكانهم سموا باسم اكبر
اولاد يعقوب عم • والنصارى • جمع نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمرى سموا
بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها
او من اسمها • والصابئين • قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم
عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده
بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق
الى الباطل • من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا • من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه
بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام
دخولا صادقا • فلهم اجرهم عند ربهم • الذي وعدهم على ايمانهم وعملهم • ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون • حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ
خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى
الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم • واذ اخذنا ميثاقكم • باتباع موسى
والعمل بالتورية • ورفعنا فوقكم الطور • حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عم لما جاءهم بالتورية
فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله
فوقهم حتى قبلوا • خذوا • على ارادة القول • ما آتيناكم • من الكتاب • بقوة • بجد وعزيمة •
واذكروا ما فيه • ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به • لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول
المحذوف اى وقلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا • ثم توليتم من بعد ذلك • اعرضتم عن الوفاء
بالميثاق بعد اخذه • فلولا فضل الله عليكم ورحمته • بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عم يدعوكم

الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف • ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت • اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد • فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين • جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما ارادهم وقردة بفتح القاف وكسر الراء خاسئين بغير همز • فجعلناها • اي المسخة والعقوبة • نكالا • عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد • لما بين يديها وما خلفها • لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها • وموعظة للمتقين • من قومهم او لكل متق سمعها • واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة • اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدم عليه لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله • قالوا اتتخذنا هزوا • اي مكان هزء او اهله او مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسماعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا • قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين • لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي • اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي وكيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله • قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر • لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة • عوان • نصف • قال نواعم بين ابكار وعون • بين ذلك • اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله • فافعلوا ما تؤمرون • اي تؤمرون

يعني تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها • الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب • ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل يعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع • تسر الناظرين • اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي • تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله • ان البقر تشابه علينا • اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة • وانا ان شاء الله لمهتدون • الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق • قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث • اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة بقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى • مسلمة • سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له • لا شية فيها • لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر • قالوا الآن جئت بالحق • اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام • فذبحوها • فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها • وما كادوا يفعلون • لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل • واذ قتلتم نفسا • خطاب للجمع لوجود القتل فيهم • فادارأتم فيها • اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل • والله مخرج ما كنتم تكتمون • مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية

فقلنا اضربوه. عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص او
القتيل ببعضها. اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن
وقيل بالعجب. كذلك يحيي الله الموتى. يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر
القتيل او نزول الآية. ويريكم آياته. دلائله على كمال قدرته. لعلكم تعقلون. لكي يكمل عقلكم
وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى
انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة
التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن فيغالي
بثمنه كما روي عن عمر رضه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب
امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح
بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة
المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيا
حياة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء والنزاع. ثم قست
قلوبكم. القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار
وثم لاستبعاد القسوة. من بعد ذلك. يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب
لين القلب. فهي كالحجارة. في قسوتها. او اشد قسوة. منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة
او زائد عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد
من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد
يعني ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما اقسى منها. وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها
لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله. تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر
وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد
الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد
وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم. وما الله
بغافل عما تعملون. وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما
بعده والباقون بالتاء. افتطمعون. الخطاب لرسول الله عم والمؤمنين. ان يؤمنوا لكم.
اي يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود. وقد كان فريق منهم. طائفة
من اسلافهم. يسمعون كلام الله. يعني التورية. ثم يحرفونه. كنعت محمد عم وآية الرجم او تأويله فيفسرونه
بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول
في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا. من بعد ما عقلوه. اي
فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة. وهم يعلمون. انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء
ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك
واذا لقوا الذين آمنوا. يعني منافقيهم. قالوا آمنا. بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية
واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا. اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق. اتحدثونهم بما فتح الله

عليكم

عليكم. بما بين لكم في التورية من نعت محمد عم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية
ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع
وعلى الثاني انكار ونهي. ليحاجوكم به عند ربكم. ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم
بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر
ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء
لا يدفعها. افلا تعقلون. اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم
به فيحجونكم او خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا
مطمع لكم في ايمانهم. اولا يعلمون. يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم
والمحرفين. ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون. ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان
واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه. ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب. جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها. الا اماني. استثناء
منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك
يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين
او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا
اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله
اول ليلة. تمنى داود الزبور على رسل. وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون. وان هم الا يظنون.
ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع
وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة. فويل. اي تحسر وهلك ومن قال انه
واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو
في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء. للذين يكتبون الكتاب.
يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة. بايديهم. تأكيد كقولك كتبته بيميني
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا. كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل
قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم. فويل لهم مما كتبت ايديهم. يعني المحرف. وويل لهم مما
يكسبون. يريد به الرشى. وقالوا لن تمسنا النار. المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة
واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده. الا اياما معدودة. محصورة قليلة روي ان
بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة ايام الدنيا
سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما. قل اتخذتم عند الله عهدا. خبرا ووعدا
بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه. فلن يخلف الله عهده. جواب
شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره
محال. ام تقولون على الله ما لا تعلمون. ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل
التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع. بلى. اثبات لما
نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم
وتختص بجواب النفي. من كسب سيئة. قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات

والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانه من الخطاء والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة
قوله فبشرهم بعذاب • واحاطت به خطيئته • اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها
لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه
واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع
عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع
قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه
مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرا نافع
خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما • فاولئك اصحاب النار • ملازموها
في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا • هم فيها خالدون • دائمون او لابثون لبثا طويلا
والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها • والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • جرت عادته سبحانه على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى
عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه • واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون
الا الله • اخبار في معنى النهي كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان
المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول
وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل
عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه
المعنى كانه قال حلفناهم لا يعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية
لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب • وبالوالدين احسانا • متعلق بمضمر تقديره تحسنون
او احسنوا • وذي القربى واليتامى والمساكين • عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى
وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه • وقولوا للناس حسنا • اي قولا حسنا وسماه
حسنا للمبالغة وقرا حمزة ويعقوب والكسائي حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة
اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد • واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم • ثم توليتم • على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في
عهد الرسول عم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه • الا قليلا منكم • يريد به
من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم • وانتم معرضون • قوم عادتكم الاعراض
عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض • واذ اخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم • على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم
بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا
او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا
تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة
التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي • ثم اقررتم • بالميثاق واعترفتم بلزومه • وانتم تشهدون • توكيد
كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون
الاقرار اليهم مجازا • ثم انتم هؤلاء • استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه

وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل
الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما حكي
عنهم غيبا • وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم • اما حال والعامل فيها معنى الاشارة
او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلة والمجموع
هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير • تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان • حال من فاعل تخرجون
او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى
التائين وقرئ باظهارها وتظهرون بمعنى تتظاهرون • وان ياتوكم اسارى تفادوهم • روي ان قريظة
كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب
الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى
في ايدي الشياطين تتصدوا لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرا حمزة اسرى بالامالة وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه
كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو
وحمزة وابن عامر تفدوهم • وهو محرم عليكم اخراجهم • متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم ويفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه يخرجون
من المصدر واخراجهم بدلا او بيان • افتؤمنون ببعض الكتاب • اي الفداء • وتكفرون
ببعض • يعني حرمة المقاتلة والاجلاء • فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا
كقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى
منه ولذلك يستعمل في كل منهما • ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب • لان عصيانهم اشد •
وما الله بغافل عما تعملون • تاكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم
في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب يعملون على ان
الضمير لمن • اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة • اثروا الحيوة على الآخرة • فلا يخفف عنهم
العذاب • بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة • ولا هم ينصرون • بدفعهما عنهم • ولقد آتينا
موسى الكتاب • التوراة • وقفينا من بعده بالرسل • اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا
رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب • وآتينا
عيسى بن مريم البينات • المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع اي مبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية
من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه • ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل
وايدناه • قويناه وقرئ آيدناه • بروح القدس • بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل
صدق واراد به جبرائيل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته
على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل او اسم
الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن • افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم • بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا
بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا

من شأنهم ويحتمل ان يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر. استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل. ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل. وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة. وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره. بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم وابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيها بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك. فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم. ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن. مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية. وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة والانجيل او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه. فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة. فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم. بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا. ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم. بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل. ان ينزل الله لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتخفيف. من فضله يعني الوحي. على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة. فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل بكفرهم بمحمد عم بعد عيسى عم او بعد قولهم عزير ابن الله. وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه. واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها. قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتوراة. ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد. وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن. مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها. قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه. ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات. ثم اتخذتم العجل اي الها

من بعده

من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور. وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على طريقتهم مع الرسول عم طريقة اسلافهم مع موسى عم لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها. واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة. قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك. واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا. بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري. قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم. ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يأمركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما يأمركم به ايمانكم لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم بمؤمنين. قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار. من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد. فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال امير المؤمنين علي رضه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار رضه بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره. ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد عم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوه لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي عم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض. والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم. ولتجدنهم احرص الناس على حياة من وجد بمعقله الجاري مجرى علم في تعدية الى مفعولين ومفعولاه هم احرص وتنكير حياة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام. ومن الذين اشركوا محمول على المعنى وكأنه قال احرص من الناس على الحياة ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانهم لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته. يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف. لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن.

وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر • الضمير لأحدهم وأن يعمر فاعل مزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره أو لما دل عليه يعمر وأن يعمر بدل منه أو مبهم وأن يعمر موضحه وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون • فيجازيهم • قل من كان عدوا لجبريل • نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وإنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلامة فقال فما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عم لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن أربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية أبي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين وأربع في الشواذ جبرال وجبرائل وجبرائيل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقيل معناه عبد الله • فإنه نزله • البارز الأول لجبريل والثاني للقرآن وإضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج إلى سبق ذكره • على قلبك • فإنه القابل الأول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال قل ما تكلمت به • بإذن الله • بأمره أو تيسيره حال من فاعل نزل • مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين • أحوال من مفعوله والظاهر أن جواب الشرط فإنه نزله والمعنى من عادى جبريل فقد خلع ربقة الإنصاف أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته إياه لنزوله عليك بالوحي لأنه نزل عليك كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علته مقامه أو من عاداه فسبب عداوته أنه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا أو فهو عدو لي وأنا عدوه كما قال • من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين • أراد بعداوة الله مخالفته عنادا أو معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع إذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولأن المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وأبو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكال • ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون • أي المتمردون من الكفرة والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على أعظمه كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله عم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك • أوكلما عاهدوا عهدا • الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على أن التقدير إلا الذين فسقوا أو كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا • نبذه فريق منهم • نقضه وأصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى ولذا قال

فريق

فريق لأن بعضهم لم ينقض • بل أكثرهم لا يؤمنون • رد لما يتوهم أن الفريق هم الأقلون أو أن من لم ينبذها جهارا فهم يؤمنون به خفاء • ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم • كعيسى ومحمد عم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله • يعني التوراة لأن كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن وراء ظهورهم • مثل لإعراضهم عنه رأسا بالإعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات إليه • كأنهم لا يعلمون • أنه كتاب الله يعني أن علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا أي علم أنه تعالى دل بالآيتين على أن جل اليهود أربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلون المدلول عليهم بقوله أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الأكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون • واتبعوا ما تتلو الشياطين • عطف على نبذ أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرأها أو تتبعها الشياطين من الجن أو الإنس أو منهما • على ملك سليمان • أي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها إلى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عم حتى قيل إن الجن يعلمون الغيب وأن ملك سليمان تم بهذا العلم وأنه يسخر به الإنس والجن والريح له • وما كفر سليمان • تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وأن من كان نبيا كان معصوما عنه • ولكن الشياطين كفروا • باستعماله • يعلمون الناس السحر • إغواء وإضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشر وخبث النفس فإن التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز أو لما فيه من الدقة لأنه في الأصل لما خفي سببه • وما أنزل على الملكين • عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو به نوع أقوى منه أو على ما تتلو وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما أنزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة • ببابل • ظرف أو حال من الملكين أو الضمير في أنزل والمشهور أنه بلد من سواد الكوفة • هاروت وماروت • عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية أبدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت • وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر • فمعناه على الأول ما يعلمان أحدا حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على أن تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وإنما المنع من اتباعه

والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر مثلنا • فيتعلمون منهما • الضمير
لما دل عليه من احد • ما يفرقون به بين المرء وزوجه • اي من السحر ما يكون سببا لتفريقهما • وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ
بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف • ويتعلمون ما يضرهم • لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا • ولا ينفعهم • اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين
وفيه ان التحرز عنه اولى • ولقد علموا • اي اليهود • لمن اشتراه • اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب
الله والظاهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل • ماله في الآخرة من خلاق • نصيب • ولبئس ما
شروا به انفسهم • يحتمل المعنيين على ما مر • لو كانوا يعلمون • يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او
حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التاكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي
بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو
كمن لم يعلم • ولو انهم آمنوا • بالرسول والكتاب • واتقوا • بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع
السحر • لمثوبة من عند الله خير • جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف
الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا
للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام
مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء مثوبة وثوابا لان المحسن يثوب اليه • لو كانوا يعلمون •
ان ثواب الله خير • جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم • يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا • الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما
تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية
التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل
التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار
اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة
الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب • واسمعوا • واحسنوا الاستماع
حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به
بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه • وللكافرين عذاب اليم • يعني الذين تهاونوا بالرسول
وسبوه • ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين • نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون
مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل
منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين • ان ينزل عليكم من خير
من ربكم • مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي
والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد
ما يعم ذلك • والله يختص برحمته من يشاء • يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه
حق • والله ذو الفضل العظيم • اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله
بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته • ما ننسخ من آية او ننسها • نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى
محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها

في غيره

في غيره كنسخ الظل الشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت
الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها
اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة على المفعولية وقرأ ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي
نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ
ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين • نأت
بخير منها او مثلها • اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة
الفا • الم تعلم ان الله على كل شيء قدير • فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ او بما هو خير منه والآية
دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك
لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف
باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في عصر غيره واحتج
بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة
ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة
مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ • والمعتزلة على حدوث القرآن فان
التغاير والتغيير من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم
الم تعلم • الخطاب للنبي عم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم • ان الله
له ملك السموات والارض • يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير
او على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف • وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير • وانما هو الذي يملك اموركم
ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا
عن المنصور • ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل • ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي
الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال
كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت
في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه • ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل • ومن ترك الثقة
بالآيات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى
الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان
وقرئ يبدل من ابدل • ود كثير من اهل الكتاب • يعني احبارهم • لو يردونكم • ان يردوكم فان لو ينوب
عن ان في المعنى دون اللفظ • من بعد ايمانكم كفارا • مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين • حسدا • علة ود
من عند انفسهم • يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع
الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم • من بعد ما تبين لهم الحق • بالمعجزات والنعوت المذكورة
في التوراة • فاعفوا واصفحوا • العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه • حتى يأتي الله بامره
الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ
باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق • ان الله على كل شيء قدير • فيقدر على الانتقام منهم • واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة • عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله بالعبادة والبر

وما تقدموا لأنفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه
ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير
لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين
كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد
الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين
خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية
امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول
غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي
وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة
والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم
فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد
نجران على رسول الله عم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو
للحال واللام في الكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين
لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم
وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق
ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به
فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب
وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب
مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا
اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي
منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
ما كان ينبغي ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترءوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين
بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف
الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي
او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما
ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في الحرام او الاقصى
فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله
اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل
فيه ان الله واسع باحاطته الاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم
في الاماكن كلها وعن ابن عمر رض انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة

فصلوا الى انحاء

فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه
التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله
ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه
على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك
فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها
لما كانت باقية ما دام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له
ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه تعالى خالق ما في السموات
والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيته
وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان
من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي
العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا
له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة بفساد ما قالوه من ثلثة اوجه
واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما
بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع
سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا
والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له
ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله
وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء
من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة
امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير
لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني
عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة
كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه
هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر
قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او
المتجاهلين من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله
او تاتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم آيات الله استهانة به وعنادا
كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك
ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ
بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم

شبهة وعنادا وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا
وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل
عن اصحاب الجحيم مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب لا تسأل على انه نهي للرسول عليه السلام
عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر
على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عليه السلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف
يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو
الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم
اراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من املك الكتاب اذا امليته والهوى
رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته مالك من الله من ولي
ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده
او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها
والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح
وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه
والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل
العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد
التقديرين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون
العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون
كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين
وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التي بعدها
وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى واجعل هذا البلد آمنا ليرى
هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم
الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما
استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله
ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال
فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة
مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي
وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها

الثانية ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى
الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون
من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح
للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلبت عليها
كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه
واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد وامنا موضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا
ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤخذ الجاني
الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او
عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على الخطاب لامة محمد
وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا
الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم
فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي
الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها
مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا
اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما
ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس
وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع
السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا
آمنا ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم
بالله واليوم الآخر ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق
من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر
بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن
سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه
ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا
نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر
فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام
الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص
بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع
قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله
ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات
البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه

ودعاية الكلبي الحجة وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها • واسماعيل كان يناوله الحجارة
ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين أو على التناوب • ربنا تقبل
منا • أي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما • إنك أنت السميع • لدعائنا • العليم • بنياتنا
ربنا واجعلنا مسلمين لك • مخلصين لك من أسلم وجهه أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم وانقاد والمراد طلب
الزيادة في الإخلاص والإذعان أو الثبات عليه وقرئ مسلمين على أن المراد أنفسهما وهاجر أو أن التثنية
من مراتب الجمع • ومن ذريتنا أمة مسلمة لك • أي واجعل بعض ذريتنا وإنما خص الذرية بالدعاء
لأنهم أحق بالشفقة ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع وخصا بعضهم لما أعلما أن في ذريتهما ظلمة
وعلما أن الحكمة الإلهية لا تقتضي الاتفاق على الإخلاص والإقبال الكلي على الله فإنه مما يشوش أمر
المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أراد بالأمة أمة محمد عم ويجوز أن تكون من للتبيين
كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع
سماوات ومن الأرض مثلهن • وأرنا • من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين • مناسكنا
متعبداتنا في الحج أو مذابحنا والنسك في الأصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد
عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب أرنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه إجحاف لأن الكسرة منقولة
من الهمزة الساقطة دليل عليها • وتب علينا • استتابة لذريتهما أو عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه
هضما لأنفسهما وإرشادا لذريتهما • إنك أنت التواب الرحيم • لمن تاب • ربنا وابعث فيهم • في الأمة المسلمة
رسولا منهم • ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عم فهو المجاب به دعوتهما كما قال أنا دعوة أبي إبراهيم
وبشرى عيسى ورؤيا أمي • يتلو عليهم آياتك • يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد
والنبوة • ويعلمهم الكتاب • القرآن • والحكمة • ما يكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام • ويزكيهم •
عن الشرك والمعاصي • إنك أنت العزيز • الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد • الحكيم • المحكم له • ومن يرغب عن ملة
إبراهيم • إنكار واستبعاد لأن يكون أحد يرغب عن ملته الواضحة الغراء أي لا يرغب أحد عن ملته • إلا من
سفه نفسه • إلا من استمهنها وأذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم
ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وقيل أصله سفه نفسه على الرفع
فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير • ونأخذ بعده بذناب عيش • أجب الظهر
ليس له سنام • أو سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير
في يرغب لأنه في معنى النفي • ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين • حجة وبيان
لذلك فإن من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان
حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه إلا سفيه أو متسفه أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر • إذ قال
له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين • ظرف لاصطفيناه وتعليل له أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل اذكر
ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة
إلى الإذعان وإخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام روي
أنها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فأسلم سلمة وأبى مهاجر • ووصى
بها إبراهيم بنيه • التوصية هو التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها الوصل يقال وصاه
إذا وصله وفصاه إذا فصله كأن الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة أو لقوله أسلمت على تأويل

الكلمة

الكلمة أو الجملة وقرأ نافع وابن عامر وأوصى والأول أبلغ • ويعقوب • عطف على إبراهيم أي ووصى هو
بها بنيه وقرئ بالنصب على أنه ممن وصاه إبراهيم • يا بني • على إضمار القول عند البصريين متعلق بوصى
عند الكوفيين لأنه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة أخبرانا • إنا رأينا رجلا عريانا بالكسر كانوا أربعة
إسماعيل وإسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون
ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودوني ويفتوني وكودا وأوشير وبنيامين ويوسف
إن الله اصطفى لكم الدين • دين الإسلام الذي هو صفوة الأديان لقوله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون •
ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام كقولك لا تصل إلا وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه وأن من حقه أن لا يحل بهم ونظيره في الأمر مت وأنت شهيد
روي أن اليهود قالوا لرسول الله عم ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت
أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت • أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ما كنتم حاضرين إذ حضر
يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين
أم كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وإنما علمتموه من الوحي وقرئ
حضر بالكسر • إذ قال لبنيه • بدل من إذ حضر • ما تعبدون من بعدي • أي شيء تعبدونه أراد به
تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء
ما لم يعرف فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن تعيينه وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم طبيب
قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق • المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب عبادته
وعد إسماعيل من آبائه تغليبا للأب والجد أو لأنه كالأب لقوله عم عم الرجل صنو أبيه كما قال في العباس
هذا بقية آبائي وقرئ إله أبيك على أنه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين أصواتنا بكين وفديننا
بالأبينا أو مفرد وإبراهيم وحده عطف بيان • إلها واحدا • بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية
كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور
بلا تأكيد أو نصب على الاختصاص • ونحن له مسلمون • حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما ويحتمل أن يكون
اعتراضا • تلك أمة قد خلت • يعني إبراهيم ويعقوب وبنيهما والأمة في الأصل المقصود وسمي بها الجماعة
لأن الفرق تؤمها • لها ما كسبت ولكم ما كسبتم • لكل أجر عمله والمعنى أن انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم
بأعمالهم وإنما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم
ولا تسألون عما كانوا يعملون • ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم • وقالوا كونوا
هودا أو نصارى • الضمير الغائب لأهل الكتاب وأو للتنويع والمعنى مقالتهم أحد هذين القولين قالت
اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى • تهتدوا • جواب الأمر • قل بل ملة إبراهيم
أي بل نكون ملة أي أهل ملة إبراهيم أو بل نتبع ملة إبراهيم وقرئ ملة أي ملتنا أو نحن ملته بمعنى أهل ملته
حنيفا • مائلا عن الباطل إلى الحق حال من المضاف أو المضاف إليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل
إخوانا • وما كان من المشركين • تعريض بأهل الكتاب وغيرهم فإنهم يدعون اتباعه وهم مشركون
قولوا آمنا بالله • الخطاب للمؤمنين لقوله فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به • وما أنزل إلينا • القرآن قدم
ذكره لأنه أول بالإضافة إلينا وسبب للإيمان بغيره • وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب
والأسباط • الصحف وهي وإن نزلت إلى إبراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها

هي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب
او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما
بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون
جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود نؤمن
ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون
مذعنون مخلصون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى
فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون
التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق
او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم
كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما امنتم به
بالذي امنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم
الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم
الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام
الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما
يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغة وهي فطرة الله التي
فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغ حلية المصبوغ او هدانا الله هدايته وارشدنا حجته
او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم
تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون
هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل
من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم
اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على امنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها
على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل اتبعوا
حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا
من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو
ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان
كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة
على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال
ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة
ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين
تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم
بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده

وهولاء

وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني
شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم
من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض
بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما
كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع
من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الاية لنا تحذير عن الاقتداء
بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى
سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر
يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين
النفس واعداد الجواب ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة
في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة
قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما
العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة و
تقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة
اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا
اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة
من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل
والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل
لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل
اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح
السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات
والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم او بعدكم روي ان الامم
يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين
فيؤتى بامة محمد عم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى
في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عم فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه
الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة
للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الجهة التي
كنت عليها وهي الكعبة فانه عم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا
لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه
فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما
جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم

من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه
وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام
ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالماً
قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجوداً
وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسنده الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل كقوله
ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء
للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم
من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب • وان كانت لكبيرة • ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة
وقال الكوفيون ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة • الا على الذين
هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع • وما كان الله ليضيع ايمانكم • اي ثباتكم
على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عم لما وجه الى الكعبة قالوا
كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا • فنزلت • ان الله بالناس لرءوف رحيم • فلا يضيع
اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرءوف وهو ابلغ محافظة على الفواصل • قد نرى
ربما نرى • تقلب وجهك في السماء • تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله
يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى
للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسال • فلنولينك قبلة • فلنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها • ترضيها • تحبها وتتشوق اليها
لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته • فول وجهك • اصرف وجهك • شطر المسجد الحرام • نحوه وقيل
الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اي منفصلة عن الدور ثم استعمل
لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما
ذكر المسجد دون الكعبة لانه عم كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج
عليه بخلاف القريب روي انه عم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب
بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة
واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين • وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره • خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا
لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة • وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم • جملة لعلمهم
بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير
للتحويل او التوجه • وما الله بغافل عما يعملون • وعد ووعيد للفريقين • ولئن اتيت الذين اوتوا
الكتاب بكل اية • برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم • ما تبعوا قبلتك • جواب القسم
المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا
وما انت بتابع قبلتهم • قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي
ننتظره تقريرا لاطماعهم في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق • وما بعضهم

بتابع

بتابع قبلة بعض • فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب
فيما هو فيه • ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم • على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم
مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي • انك اذا لمن الظالمين • واكد تهديده عم وبالغ فيه من سبعة
اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب
عن الانبياء • الذين اتيناهم الكتاب • يعني علماءهم • يعرفونه • الضمير لرسول الله عم وان لم يسبق
ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القران او التحويل • كما يعرفون ابناءهم • يشهد للاول اي يعرفونه
باوصافه كمعرفتهم ابناءهم ولا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله عم
فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت • وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون • تخصيص لمن عاند واستثناء لمن امن • الحق من ربك • كلام مستانف والحق
اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى
ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب اما خبر مبتدا محذوف
اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون • فلا تكونن
من الممترين • الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه
لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة
باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ • ولكل وجهة • ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين
جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة • هو موليها • احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه
او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها
واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها
فاستبقوا الخيرات • من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة
للكعبة • اينما تكونوا يات بكم الله جميعا • اي في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها
يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا
من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانها الى جهة واحدة • ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع • ومن حيث خرجت • ومن اي مكان خرجت للسفر • فول وجهك
شطر المسجد الحرام • اذا صليت • وانه • وان هذا الامر • للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
وقرا ابو عمرو بالياء • ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره • كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته
وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع
حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا
مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها
مرة بعد اخرى • لئلا يكون للناس عليكم حجة • علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة
يدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا
والمشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته • الا الذين ظلموا منهم • استثناء من الناس
اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى

وحبا لبلاده آو بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة
لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استئناف
بحرف التنبيه • فلا تخشوهم • فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم • واخشوني • فلا تخالفوا ما امرتكم به
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون • علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم
آو عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم آو لئلا يكون وفي الحديث تمام
النعمة دخول الجنة وعن علي تمام النعمة الموت على الاسلام • كما ارسلنا فيكم رسولا منكم • متصل بما قبله
اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة آو في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم آو بما بعده آي كما ذكرتكم
بالارسال فاذكروني • يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم • يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد
واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل • ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون • بالفكر
والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر • فاذكروني بالطاعة
اذكركم • بالثواب • واشكروا لي • ما انعمت به عليكم • ولا تكفرون • بجحد النعم وعصيان الامر • يا ايها
الذين آمنوا استعينوا بالصبر • عن المعاصي وحظوظ النفوس • والصلوة • التي هي ام العبادات ومعراج
المؤمنين ومناجاة رب العالمين • ان الله مع الصابرين • بالنصرة واجابة الدعوة • ولا تقولوا لمن يقتل
في سبيل الله اموات • اي هم اموات • بل احياء • بل هم احياء • ولكن لا تشعرون • ما حالهم وهو تنبيه على
ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي
وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما
تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والالم والآية نزلت في شهداء
بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن
تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص
الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة • ولنبلونكم • ولنصيبنكم اصابة
من يختبر احوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء • بشيء من الخوف والجوع • اي بقليل
من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم آو بالنسبة الى ما
يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم • ونقص من الاموال
والانفس والثمرات • عطف على شيء آو الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان
والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام
اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون
نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد • وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون • الخطاب للرسول
او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة
وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر
نعم الله عليه ليرى ان ما ابقى الله عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف
دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة • الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها

للتنبيه

للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة
جبر الله تعالى مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه • واولئك هم المهتدون • للحق
والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى • ان الصفا والمروة • هما علما جبلين بمكة • من شعائر الله
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة • فمن حج البيت او اعتمر • الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين • فلا جناح عليه ان يطوف بهما • كان اساف على الصفا
ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج
المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه
فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح
يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي
انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي • ومن تطوع خيرا • اي فعل طاعة فرضا كان او
نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه
صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة
والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف • فان الله شاكر عليم • مثيب على الطاعة
لا يخفى عليه • ان الذين يكتمون • كاحبار اليهود • ما انزلنا من البينات • كالآيات الشاهدة على امر محمد
والهدى • وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به • من بعد ما بيناه للناس لخصناه • في الكتاب • في التورية
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون • الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين • الا الذين
تابوا • عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه • واصلحوا • ما افسدوا بالتدارك • وبينوا • ما بينه الله في كتابهم
لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم • فاولئك
اتوب عليهم • بالقبول والمغفرة • وانا التواب الرحيم • المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة • ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار • اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات • اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين • استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم
امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب
زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة • خالدين فيها • اي في اللعنة او في النار
واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها • لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون • لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة • والهكم اله واحد
خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها • لا اله الا هو • تقرير
للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة • الرحمن الرحيم • كالحجة عليها
فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره
وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات
باية نعرف بها صدقك فنزلت • ان في خلق السموات والارض • انما جمع السماوات وافرد الارض لانها طبقات
متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين • واختلاف الليل والنهار • تعاقبهما كقوله جعل
الليل والنهار خلفة • والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس • اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الاستدلال بالبحر
واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر

والسحاب لأن منشأهما الهوى في غالب الأمر وتأنيث الفلك لأنه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على
الأصل أو الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين • وما أنزل الله من السماء من ماء • من الأولى للابتداء
والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو • فأحيا به الأرض بعد موتها • بالنبات
وبث فيها من كل دابة • عطف على أنزل كأنه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات
في الأرض أو على أحيا فإن الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق • وتصريف
الرياح • في مهابها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الإفراد • والسحاب المسخر بين السماء والأرض
لا ينزل ولا ينقشع مع أن الطبع يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة
الله تعالى واشتقاقه من السحب لأن بعضه يجر بعضا • لآيات لقوم يعقلون • يتفكرون فيها وينظرون
إليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها واعلم أن دلالة هذه
الآيات على وجود الإله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل أنها أمور ممكنة
وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وأنحاء مختلفة إذ كان من الجائز أن لا تتحرك السماوات أو
بعضها كالأرض وأن تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وأن لا يكون
أوج وحضيض أصلا أو على هذا الوجه لبساطتها وتساوي أجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم
يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر
عليه فإن توافقت إرادتهما فالفعل إن كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وإن كان لأحدهما
لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لإلهيته وإن اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار إليه
بقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث على البحث والنظر فيه
ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا • من الأصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله إذ تبرأ
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى • يحبونهم • يعظمونهم ويطيعونهم
كحب الله • كتعظيمه والميل إلى طاعته أي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب
استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله إرادة طاعته والاعتناء
بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي • والذين آمنوا
أشد حبا لله • لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة الأنداد فإنها لأغراض فاسدة موهومة تزول
بأدنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه
إلى غيره • ولو يرى الذين ظلموا • ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الأنداد • إذ يرون العذاب • إذ
عاينوه يوم القيامة وأجري المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى أصحاب الجنة • أن القوة لله
جميعا • ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف أي لو يعلمون أن القدرة لله جميعا إذ عاينوا العذاب
لندموا أشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا أندادهم
لا تنفع لعلموا أن القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على أنه
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما وابن عامر إذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب إن
بالكسر وكذا • وأن الله شديد العذاب • على الاستئناف أو إضمار القول • إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا • بدل من إذ يرون أي إذ تبرأ المتبوعون من الأتباع وقرئ بالعكس أي تبرأ الأتباع من الرؤساء
ورأوا العذاب • أي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ • وتقطعت بهم الأسباب •

يحتمل

يحتمل العطف على تبرأ أو رأوا أو الحال والأول أظهر والأسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والأغراض الداعية إلى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء
للمفعول • وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا • لو للتمني ولذا أجيب بالفاء أي ليت
لنا كرة إلى الدنيا فنتبرأ منهم • كذلك • مثل ذلك الإراء الفظيع • يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم •
ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب وإلا فحال • وما هم بخارجين من النار • أصله وما
يخرجون فعدل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والإقناط عن الخلاص والرجوع إلى الدنيا
يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا • نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس
وحلالا مفعول كلوا أو صفة مصدر محذوف أو حال مما في الأرض ومن للتبعيض إذ لا يؤكل كل ما في الأرض
طيبا • يستطيبه الشرع أو الشهوة المستقيمة إذ الحلال دل على الأول • ولا تتبعوا خطوات الشيطان •
لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والبزي
بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت
الضمة كأنها على الواو وبفتحتين على أنه جمع خطوة وهي المرة من الخطو • إنه لكم عدو مبين • ظاهر العداوة
عند ذوي البصيرة وإن كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله أولياؤهم الطاغوت
إنما يأمركم بالسوء والفحشاء • بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم
على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع والعطف
لاختلاف الوصفين فإنه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه إياه وقيل السوء يعم القبائح
والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الأول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد •
وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون • كاتخاذ الأنداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن رأسا وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظن مستند إلى مدرك شرعي فوجوبه
قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الأصولية • وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله • الضمير للناس
وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت إلى العقلاء وقال لهم انظروا إلى هؤلاء
الحمقى ماذا يجيبون • قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا • ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين
أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا إلى التقليد وقيل في طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لأنهم كانوا خيرا منا
وأعلم وعلى هذا فيعم ما أنزل الله التوراة لأنها أيضا تدعو إلى الإسلام • أولو كان آباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون • الواو للحال أو للعطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف أي لو كان
آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد
لمن قدر على النظر والاجتهاد وأما اتباع الغير في الدين إذا علم بدليل ما أنه محق كالأنبياء
والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله • ومثل الذين كفروا كمثل
الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء • على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل
الذي ينعق أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى أن الكفرة لانهماكهم في التقليد
لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق
عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه • وقيل هو تمثيلهم في اتباع

آباءهم على ظاهر حالهم جاهلين حقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته أو تمثيلهم في دعائهم
الأصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الإضمار ولكن لا يساعده قوله إلا دعاء
ونداء لأن الأصنام لا تسمع إلا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب • صم بكم عمي • رفع على الذم • فهم لا يعقلون
بالفعل لإخلالهم بالنظر • يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم • لما وسع الأمر على الناس كافة وأباح
لهم ما في الأرض سوى ما حرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال • واشكروا
على ما رزقكم وأحل لكم • إن كنتم إياه تعبدون • فإن عبادته لا تتم إلا بالشكر والمعلق بفعل العبادة هو الأمر
وعن النبي عليه السلام يقول الله تعالى إني والإنس والجن في نبإ عظيم أخلق فيعبد غيري وأرزق ويشكر غيري •
إنما حرم عليكم الميتة • أكلها أو الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث ألحق بها ما أبين من حي والسمك
والجراد أخرجهما العرف عنها أو استثناء الشرع عنها والحرمة المضافة إلى العين تفيد عرفا حرمة التصرف
فيها مطلقا إلا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ • والدم ولحم الخنزير • إنما خص اللحم بالذكر لأنه معظم ما
يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له • وما أهل به لغير الله • أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم و
الإهلال أصله رؤية الهلال يقال أهل الهلال وأهللته لكن لما جرت العادة أن يرفع الصوت بالتكبير إذا رئي
سمي ذلك إهلالا ثم قيل لرفع الصوت وإن كان لغيره • فمن اضطر غير باغ • بالاستئثار على مضطر
آخر • ولا عاد • سد الرمق أو الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح
للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول أحمد رض • فلا إثم عليه • في تناوله • إن الله غفور
لما فعل • رحيم • بالرخصة فيه فإن قيل إنما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر
الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا أو قصر حرمته على حال الاختيار كأنه قيل إنما حرم عليكم هذه الأشياء
ما لم تضطروا إليها • إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا • عوضا حقيرا
أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار • إما في الحال لأنهم أكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه
فكأنهم أكلوا النار كقوله شعر أكلت دما إن لم أرعك بضرة • بعيدة مهوى القرط طيبة النشر •
يعني الدية أو في المآل أي لا يأكلون يوم القيامة إلا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل في بطنه
وأكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا • ولا يكلمهم الله يوم القيامة • عبارة عن غضبه عليهم
وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله • ولا يزكيهم • ولا يثني عليهم • ولهم عذاب أليم
مؤلم • أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى • في الدنيا • والعذاب بالمغفرة • في الآخرة بكتمان
الحق للمطامع والأغراض الدنيوية • فما أصبرهم على النار • تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار
من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر أهر ذا ناب أو استفهامية
وما بعدها الخبر أو موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف • ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق • أي ذلك
العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان • وإن الذين اختلفوا في الكتاب
اللام فيه إما للجنس واختلافهم إيمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض أو للعهد والإشارة إما إلى التوراة
واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها أو خلفوا خلاف ما أنزل الله مكانه أي حرفوا
ما فيها وإما إلى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الأولين • لفي شقاق
بعيد • لفي خلاف بعيد عن الحق • ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب • البر كل فعل مرضي والخطاب
لأهل الكتاب فإنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة أو ليس البر العظيم الذي يحسن أن تذهلوا بشأنه عن غيره

أمرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب • ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين
أي ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن أو ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والأول
أوفق وأحسن والمراد بالكتاب الجنس أو القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر • وآتى المال
على حبه • أي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل أي الصدقة أفضل أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر
وتأمل الغنى وقيل الضمير لله أو للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال • ذوي القربى واليتامى • يريد المحاويج
منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لأن إيتاءهم أفضل كما قال عليه السلام صدقتك
على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة وصلة • والمساكين • جمع مسكين وهو الذي أسكنه
الخلة وأصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر • وابن السبيل • المسافر سمي به لملازمته السبيل
كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لأن السبيل يرعف به • والسائلين • الذين ألجأتهم الحاجة
إلى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وإن جاء على فرسه • وفي الرقاب • وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين
أو فك الأسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها • وأقام الصلاة • المفروضة • وآتى الزكاة • يحتمل أن يكون
المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكاة المفروضة ولكن الغرض من الأول بيان مصارفها وبالثاني
أداؤها والحث عليها ويحتمل أن يكون المراد بالأول نوافل الصدقات أو حقوقا كانت في المال سوى
الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة • والموفون بعهدهم إذا عاهدوا • عطف على من آمن
والصابرين في البأساء والضراء • نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الأعمال
وعن الأزهري البأساء في الأموال كالفقر والضراء في الأنفس كالمرض • وحين البأس • وقت مجاهدة
العدو • أولئك الذين صدقوا • في الدين واتباع الحق وطلب البر • وأولئك هم المتقون • عن الكفر
وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحا أو ضمنا
فإنها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس
وقد أشير إلى الأول بقوله من آمن إلى والنبيين وإلى الثاني بقوله وآتى المال إلى وفي الرقاب وإلى الثالث
بقوله وأقام الصلاة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا إلى إيمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه أشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية
فقد استكمل الإيمان • يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والأنثى بالأنثى • كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما طول على الآخر
فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله صلعم فنزلت
وأمرهم أن يتباوؤا ولا تدل على أن لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام تحاكموا
إلى رسول الله كما لا تدل على عكسه فإن المفهوم إنما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم
وقد بينا ما كان الغرض وإنما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده أو عبد غيره لما روي عن علي أن رجلا
قتل عبده فجلده الرسول عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه أنه قال من السنة أن لا يقتل مسلم بذي عهد
ولا حر بعبد ولأن أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الأطراف ومن
سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله أن النفس بالنفس لأنه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ ما في القرآن
واحتجت الحنفية به على أن مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف إذ الواجب على التخيير يصدق عليه أنه وجب
وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب

وكذا كل فعل في القرآن فمن عفي له من أخيه شيء اي شيء من العفو لأن عفا لازم وفائدته الاشعار بأن
بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا
الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله
عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة أخيه
يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع
بالمعروف وأداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بأن يطالب
الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بأن يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على أن الدية
احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بأدائها على مطلق العفو وللشافعي في المسألة قولان ذلك اي
الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص
وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو وأخذ
الدية فله عذاب أليم في الآخرة وقيل في الدنيا بأن يقتل لا محالة لقوله عم لا اعافي احدا قتل بعد أخذ
الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف
القصاص ونكر الحيوة ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لأن العلم به يردع
القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة
بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص
وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص
يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ
في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي الالباب
ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم
تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا
حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي
ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير
وعن عائشة رض ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين
مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن
بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط
باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بأنه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم
في بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه
نظر لأن آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد
وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين
والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل
فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره
من الاوصياء والشهود بعدما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم

المغير والتبديل الا على مبدله لأنهم الذين خافوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل
بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وابو بكر موص جنفا ميلا بالخطأ في الوصية او اثما تعمدا للحيف فأصلح بينهم
بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لأنه تبديل باطل الى حق
بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل
من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم
من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك
عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون
المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء
او الاخلال بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل
فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما
بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ
به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على أنه مفعول ثان لكتب عليكم
على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى
فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك
لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر
وفيه ايماء بأن من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام
المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ
بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال
ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك
اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لأنهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر
باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يتقلدونه من الطوق
بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه
ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطيقونه وعلى هذه
القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في
الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع
خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم
طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير
او منهما ومن التأخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف
دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك
شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام
على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او

علي انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من ايام معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية
علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عم من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه
بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض
الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة • الذي انزل فيه القران • اي ابتداء فيه انزاله وكان
ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القران وهو
قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية
لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا
او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال
فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم • هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان • حالان من القران
اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل
بما فيه من الحكم والاحكام • فمن شهد منكم الشهر فليصمه • فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه
والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف
وحذف حرف الجر ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه
مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون • ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر •
مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ
قرينه • يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر • اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر
للسفر والمرض • ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون • علل لفعل
محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة
عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر
بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص
والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون
ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير
تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير الفطر وقيل التكبير عند الاهلال
وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هديكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد • واذا سالك
عبادي عني فاني قريب • اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه
على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله عم اقريب ربنا فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزلت • اجيب دعوة الداع اذا دعان • تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة
فليستجيبوا لي • اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم • وليؤمنوا بي • امر بالثبات
والمداومة عليه • لعلهم يرشدون • راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين
وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير
والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على
اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال • احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم •

روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا
ثم ان عمر رض باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا
بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه
لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره
ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث • هن لباس لكم وانتم لباس لهن •
استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة
الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يتعانقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا • او لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه
ويمنعه عن الفجور • علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم • تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص
حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب • فتاب عليكم • لما تبتم مما
اقترفتموه • وعفا عنكم • ومحا عنكم اثره • فالان باشروهن • لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل
على جواز نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع • وابتغوا ما كتب
الله لكم • واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد
فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن
غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم • وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر • شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل
بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته
عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما
روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون
حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز
او اكتفى باجتهادهم في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح
الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا • ثم اتموا الصيام الى الليل • بيان اخر
وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال • ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد •
معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة
كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف
يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في
العبادات يوجب الفساد • تلك حدود الله • اي الاحكام التي ذكرت • فلا تقربوها • نهى عن
ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا عن ان يتخطى كما قال عم ان لكل ملك حمى
وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها
ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه • كذلك يبين الله اياته للناس
لعلهم يتقون • مخالفة الاوامر والنواهي • ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل • اي ولا ياكل بعضكم
مال البعض على الوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال • وتدلوا بها
الى الحكام • عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام

لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من أموال الناس بالإثم بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة
أو ملتبسين بالإثم وأنتم تعلمون أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح روي أن
عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة من أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله عم بأن يحلف
امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله عم إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا فارتدع
عن اليمين وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت وهي دليل على أن حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام
للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما
أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقضي له قطعة من نار يسألونك عن الأهلة سأل
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم
لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج فإنهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال
القمر وتبدل أمره فأمره الله تعالى أن يجيب بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس يوقتون
بها أمورهم ومعالم للعبادات المؤقتة يعرف بها أوقاتها وخصوصا الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء
وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك
من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لأمر وليس البر بأن تأتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كان الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا
من بابه وإنما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم أنه ليس ببر وإنما
البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت
الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج ذكره للاستطراد أو أنهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة
وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على أن اللائق بهم أن
يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أن المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حال من ترك
باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر أن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر
على مثله وأتوا البيوت من أبوابها إذ ليس في العدول بر فباشروا الأمور من وجوهها واتقوا الله
في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله
جاهدوا لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين
كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء أو الكفرة كلهم فإنهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده
ويؤيد الأول ما روي أن المشركين صدوا رسول الله عم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل
فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم أو الشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال المعاهد أو المفاجأة به من غير دعوة
أو المثلة وقتل من نهيتم عن قتله إن الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث وجدتموهم في حل أو حرم وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علما كان أو عملا فهو يتضمن
معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود وأخرجوهم
من حيث أخرجوكم أي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة أشد من القتل أي المحنة
التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه

شركهم في الحرم وصدهم إياكم عنه أشد من قتلكم إياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فإن قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فإنهم
الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم
كقولهم قتلنا بنو أسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فإن انتهوا
عن القتال والكفر فإن الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك
ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين
أي فلا تعتدوا على المنتهين إذ لا يحسن أن يظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم أو سمي جزاء الظلم
باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس
الأمر عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام
الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم
هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه أي كل حرمة وهو
ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم واعلموا أن الله
مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وأنفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك ولا
تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه
فإنه يقوي العدو ويسلطهم على إهلاككم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال
لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو الإمساك
وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الأصل انتهاء الشيء
في الفساد والإلقاء طرح الشيء وعدي بإلى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي
الأنفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم
في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول
وأحسنوا أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج إن الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة
لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة
من قرأ وأقيموا الحج والعمرة لله وما روى جابر أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن
أن تعتمر خير لك فمعارض بما روي أن رجلا قال لعمر إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعا
فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال إنه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله أهللت بهما فجاز أن يكون الوجوب
بسبب إهلاله بهما لأنه رتب الإهلال على الوجدان وذلك يدل على أنه سبب الإهلال دون العكس وقيل
إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل منهما سفرا أو أن تجرده لهما لا تشوبهما بغرض
دنيوي أو أن تكون النفقة حلالا فإن أحصرتم منعتم يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه
ومنعه عن المضي مثل صده وأصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فإذا أمنتم ولنزوله
في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبي حنيفة لما روي
عنه عليه السلام من كسر أو عرج فقد حل فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط الإحلال به لقوله

لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني. فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر
أو فالواجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر، والمعنى إن أحصر المحرم وأراد أن يتحلل تحلل بذبح
هدي تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر لأنه عم ذبح عام الحديبية بها وهي
من الحل، وعند أبي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم أمارة فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله
ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي المبعوث إلى الحرم بلغ محله
أي مكانه الذي يجب أن ينحر فيه، وحمل الأولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان
أو حرما، واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء، وقال أبو حنيفة يجب القضاء، والمحل بالكسر يطلق للمكان
والزمان، والهدي جمع هدية كجدي وجدية، وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية. فمن كان
منكم مريضا مرضا يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه كجراحة وقمل. ففدية فعليه فدية إن حلق
من صيام أو صدقة أو نسك بيان لجنس الفدية، وأما قدرها فقد روي أنه عم قال لكعب بن عجرة لعلك
آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين أو انسك
شاة، والفرق ثلاثة آصع. فإذا أمنتم الإحصار أو كنتم في حال سعة وأمن. فمن تمتع بالعمرة إلى الحج
فمن استمتع وانتفع بالتقرب إلى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في أشهره، وقيل فمن استمتع بعد
التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج. فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره
بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه إذا أحرم بالحج ولا يأكل منه، وقال أبو حنيفة إنه دم نسك
فهو كالأضحية. فمن لم يجد أي الهدي. فصيام ثلاثة أيام في الحج في أيام الاشتغال به بعد الإحرام
وقبل التحلل، وقال أبو حنيفة في أشهره بين الإحرامين، والأحب أن يصوم سابع ذي الحجة وثامنه
وتاسعه، ولا يجوز يوم النحر وأيام التشريق عند الأكثر. وسبعة إذا رجعتم إلى أهليكم وهو أحد قولي
الشافعي، أو نفرتم وفرغتم من أعماله وهو القول الثاني ومذهب أبي حنيفة، وقرئ سبعة بالنصب
عطفا على محل ثلاثة أيام. تلك عشرة فذلكة الحساب، وفائدتها أن لا يتوهم أن الواو بمعنى أو كقولك
جالس الحسن وابن سيرين، وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا، فإن أكثر العرب لم يحسنوا الحساب، وأن المراد
بالسبعة العدد دون الكثرة فإنه يطلق لهما. كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد
أو مبينة كمال العشرة فإنه أول عدد كامل إذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها، أو مقيدة تفيد كمال بدليتها
من الهدي. ذلك إشارة إلى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند أبي حنيفة إذ لا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه جناية. لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان
من الحرم على مسافة القصر عندنا فإن من كان على أقل فهو مقيم الحرم أو في حكمه، ومن مسكنه وراء الميقات
عنده، وأهل الحل عند طاوس، وغير المكي عند مالك. واتقوا الله في المحافظة على أوامره ونواهيه
وخصوصا في الحج. واعلموا أن الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان. الحج
أشهر أي وقته، كقولك البرد شهران. معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع
ذي الحجة بليلة النحر عندنا، والعشر عند أبي حنيفة، وذو الحجة كله عند مالك، وبناء الخلاف أن المراد بوقته
وقت إحرامه أو وقت أعماله ومناسكه أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا، فإن مالكا كره العمرة
في بقية ذي الحجة، وأبو حنيفة وإن صحح الإحرام به قبل شوال فقد استكرهه. وإنما سمي شهرين
وبعض شهر أشهرا إقامة للبعض مقام الكل أو إطلاقا للجمع على ما فوق الواحد. فمن فرض فيهن الحج فمن أوجبه

على نفسه بالإحرام فيهن عندنا أو بالتلبية أو سوق الهدي عند أبي حنيفة، وهو دليل على ما
ذهب إليه الشافعي وأن من أحرم بالحج لزمه الإتمام. فلا رفث فلا جماع أو فلا فحش من الكلام
ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات. ولا جدال
ولا مراء مع الخدام والرفقة. في الحج في أيامه، نفى الثلاثة على قصد النهي للمبالغة وللدلالة
على أنها حقيقة بأن لا تكون، وما كانت منها مستقبحة في أنفسها ففي الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة
والتطريب بقراءة القرآن، لأنه خروج عن مقتضى الطبع والعادة إلى محض العبادة. وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو الأولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق، والثالث بالفتح على معنى الإخبار
بانتفاء الخلاف في الحج، وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع
الخلاف بأن أمروا بأن يقفوا أيضا بعرفة. وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي
عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه. وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى
فإنه خير زاد، وقيل نزلت في أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
فيكونون كلا على الناس فأمروا أن يتزودوا ويتقوا الإبرام في السؤال والتثقيل على الناس.
واتقون يا أولي الألباب فإن قضية اللب خشية الله وتقواه، حثهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون
المقصود بها هو الله فيتبرؤوا عن كل شيء سواه، وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك
خص أولي الألباب بهذا الخطاب. ليس عليكم جناح أن تبتغوا في أن تبتغوا أي تطلبوا. فضلا
من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة، قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في
الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها، فلما جاء الإسلام تأثموا منه فنزلت. فإذا أفضتم
من عرفات دفعتم منها بكثرة، من أفضت الماء إذا صببته بكثرة، وأصله أفضتم أنفسكم فحذف المفعول
كما حذف في دفعت من البصرة، وعرفات جمع سمي به كأذرعات، وإنما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث
لأن تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين، ولذلك يجمع مع اللام، وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف، وهنا ليس كذلك، أو لأن التأنيث إما أن يكون بالتاء المذكورة وهي ليست
تاء التأنيث وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث، أو بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح
تقديرها لأن المذكورة تمنعه من حيث إنها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت، وإنما سمي الموقف
عرفة لأنه نعت لإبراهيم عم فلما أبصره عرفه، أو لأن جبريل كان يدور به في المشاعر فلما أراه قال قد عرفت،
أو لأن آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا، أو لأن الناس يتعارفون فيه، وعرفات للمبالغة في ذلك، وهي من الأسماء
المرتجلة إلا أن يجعل جمع عارف، وفيه دليل وجوب الوقوف بها لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده وهي مأمور
بها بقوله ثم أفيضوا، أو مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر إذ الذكر غير واجب بل مستحب.
فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء، وقيل بصلاة العشاءين. عند المشعر الحرام جبل يقف
عليه الإمام ويسمى قزح، وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر، ويؤيد الأول ما روى جابر أنه عم لما صلى
الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر،
وإنما سمي مشعرا لأنه معلم العبادة، ووصف بالحرام لحرمته، ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه
فإنه أفضل وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر. واذكروه كما هداكم كما علمكم، أو اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة إلى المناسك وغيرها، وما مصدرية أو كافة. وإن كنتم من قبله

اي الذين من الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس
اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون
ذلك ترفعاً عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الى غير الكريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ
الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم
فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها
فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت
العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم
او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكراً على المجاز والمعنى واذكروا الله ذكراً
كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب
بالعطف على آباءكم وذكراً من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه
المعنى تقديره او كونوا اشد ذكراً لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب
بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا
في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور
بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق
الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي الحسنة
في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا
العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية
الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه
وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء
كسباً لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة
او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله
في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام
التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام
التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه
ومن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي
الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر
لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله
حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون
للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم
في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله

في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او يعجبك
قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن
له الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام
شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد
الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ص
ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا
سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم
واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه
القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق
الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك
اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب
وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم
محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها
في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضاة الله طلبا لرضاه وقيل انها
نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم
ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة
والله رؤوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة
والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة
ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم
للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ
منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا
والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب
فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان
بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء
والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة
على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون استفهام
في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره وباسه كقوله او ياتي امر ربك
فجاءهم باسنا او ياتيهم الله بباسه فحذف الماتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل
جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب
فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف
اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة بباسه وقرئ
بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل

لدونه ويتقوه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة • والى الله ترجع الامور • قرأه ابن كثير
ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب
على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول • سل بني اسرائيل • امر للرسول عم او لكل احد
والمراد بهذا السؤال تقريعهم • كم آتيناهم من آية بينة • معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب
على يدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء
على حذف العائد الى المبتدأ وآية مميزها ومن للفصل • ومن يبدل نعمة الله • اي آيات الله فانها سبب
الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزائغ
من بعد ما جاءته • من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك
قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل • فان الله شديد العقاب • فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد
جريمة • زين للذين كفروا الحيوة الدنيا • حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها
واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء
للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين
بالعرض • ويسخرون من الذين آمنوا • يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم و
يستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية مبتدأ
منهم • والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة • لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة
وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين
اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى • والله يرزق من يشاء
في الدارين • بغير حساب • بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى • كان الناس
امة واحدة • متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح بعد الطوفان او متفقين على الجهالة
والكفر في فترة ادريس او نوح • فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين • اي فاختلفوا فبعث
الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة
وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون • وانزل
معهم الكتاب • يريد به الجنس ولا يريد به انه نزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب
يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم • بالحق • حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به • ليحكم بين
الناس • اي الله او النبي المبعوث او كتابه • فيما اختلفوا فيه • في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم
• وما اختلف فيه • في الحق او الكتاب • الا الذين اوتوه • اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر
فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه • من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم • حسدا بينهم و
ظلما لحرصهم على الدنيا • فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه • اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف
• من الحق • بيان لما اختلفوا فيه • باذنه • بامره او بارادته ولطفه • والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
لا يضل سالكه • ام حسبتم ان تدخلوا الجنة • خاطب به النبي عم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم
على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
• ولما ياتكم • ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد • مثل الذين خلوا
من قبلكم • حالهم التي هي مثل في الشدة • مستهم البأساء والضراء • بيان له على الاستيناف • وزلزلوا

وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد • حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله • لتناهي الشدة
واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك
مرض حتى لا يرجونه • متى نصر الله • استبطاء له لتاخره • الا ان نصر الله قريب • استيناف على ارادة القول
اي فقيل لهم ذلك اسعافا الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة
عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات • يسئلونك ماذا ينفقون • عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان شيخا ذا مال عظيم
فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت • قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل • سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة
باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه
قوله ما انفقتم من خير • وما تفعلوا من خير • في معنى الشرط • فان الله به عليم • جوابه اي ان تفعلوا خيرا
فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به • كتب عليكم القتال وهو كره
لكم • شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح
على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته
كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها • وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم • وهو جميع ما كلفوا فان
الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم • وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم • وهو جميع ما نهوا
عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس
الامر عليها • والله يعلم • ما هو خير لكم • وانتم لا تعلمون • وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح
الراجحة وان لم يعرف عينها • يسئلونك عن الشهر الحرام • روي انه عم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته
على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة
معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه
من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس
الى معايشهم فشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى
وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله عم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون
كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية • قتال فيه • بدل الاشتمال عن الشهر وقرئ
عن قتال فيه بتكرير العامل • قل قتال فيه كبير • اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع
دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم • وصد
صرف ومنع • عن سبيل الله • اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات • وكفر به • اي بالله • والمسجد
الحرام • على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي داود اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد
بالليل نارا • ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف
على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة
الجار • واخراج اهله منه • اهل المسجد وهم النبي عم والمؤمنون • اكبر عند الله • مما فعلته السرية
خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل من يستوي

الواحد والجمع والمذكر والمؤنث • والفتنة أكبر من القتل • أي ما يرتكبونه من الإخراج والشرك أفظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي • ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم • إخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى أدخل الجنة • إن استطاعوا • وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه إن ظفرت بي فلا تبق علي وإيذان بأنهم لا يردونهم • ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم • قيد الردة بالموت عليها في إحباط الأعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الأعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه • في الدنيا • لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للإسلام من الفوائد الدنيوية • والآخرة • بسقوط الثواب • وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • كسائر الكفرة • إن الذين آمنوا • نزلت أيضاً في السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر • والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله • كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء • أولئك يرجون رحمة الله • ثواب الله أثبت لهم الرجاء إشعاراً بأن العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم • والله غفور • لما فعلوا خطأ وقلة احتياط • رحيم • بإجزال الثواب والأجر • يسألونك عن الخمر والميسر • روي أنه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً فأخذ المسلمون يشربونها ثم إن عمر ومعاذاً في نفر من الصحابة قالوا أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا وسكروا فأم أحدهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من شربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه فشكا إلى رسول الله عم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا بياناً شافياً في الخمر فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال انتهينا يا رب والخمر في الأصل مصدر خمره إذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر إذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما سمي سكراً لأنه يسكره أي يحجزه وهو حرام مطلقاً وكذا كل ما أسكر عند أكثر العلماء وقال أبو حنيفة نقيع الزبيب والتمر إذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر أيضاً مصدر كالموعد سمي به القمار لأنه أخذ مال الغير بيسر أو سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما • قل فيهما • أي في تعاطيهما • إثم كبير • من حيث إنه يؤدي إلى الانتكاب عن المأمور به وارتكاب المحظور • ومنافع للناس • من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصاً تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة • وإثمهما أكبر من نفعهما • أي المفاسد التي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل إنها المحرمة للخمر فإن المفسدة إذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والأظهر أنه ليس كذلك لما مر من إبطال مذهب المعتزلة • ويسألونك ماذا ينفقون • قيل سائله أيضاً عمرو بن الجموح سأل أولاً عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الإنفاق • قل العفو • العفو نقيض الجهد ومنه يقال للأرض السهلة وهو أن ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي • وروي أن رجلاً أتى النبي عم ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه حتى كرره مراراً فقال هاتها مغضباً فأخذها فحذفها حذفاً لو أصابه لشجه ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى • كذلك يبين الله لكم الآيات • أي مثل ما بين أن العفو أصلح من الجهد أو ما ذكر من الأحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف أي تبييناً مثل هذا التبيين وإنما وحد العلامة والمخاطب جمع على تأويل القبيل والجمع • لعلكم

تتفكرون • في الدلائل والأحكام • في الدنيا والآخرة • في أمور الدارين فتأخذون بالأصلح والأنفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم أو يضركم أكثر مما ينفعكم • ويسألونك عن اليتامى • لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بأمرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله عم فنزلت • قل إصلاح لهم خير • أي مداخلتهم لإصلاحهم أو إصلاح أموالهم خير من مجانبتهم • وإن تخالطوهم فإخوانكم • حث على المخالطة أي أنهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ أن يخالط الأخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة • والله يعلم المفسد من المصلح • وعيد ووعد لمن خالطهم لإفساد وإصلاح أي يعلم أمره فيجازيه عليه • ولو شاء الله لأعنتكم • أي ولو شاء الله إعناتكم لأعنتكم أي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم • إن الله عزيز • غالب يقدر على الإعنات • حكيم • ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة • ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن • أي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم أي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لأن أهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب روي أنه عم بعث مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها أناساً من المسلمين فأتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت ألا نخلو فقال إن الإسلام حال بيننا فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله عم فاستأمره فنزلت • ولأمة مؤمنة خير من مشركة • أي ولامرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة فإن الناس عبيد الله وإماؤه • ولو أعجبتكم • بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى إن وهو كثير • ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا • ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه • ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم • تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين • أولئك • إشارة إلى المذكورين من المشركين والمشركات • يدعون إلى النار • أي الكفر المؤدي إلى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم • والله يدعو • أي أولياء الله يعني المؤمنين حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه تفخيماً لشأنهم • إلى الجنة والمغفرة • أي الاعتقاد والعمل الموصلين إليهما فهم الأحقاء بالمواصلة • بإذنه • بتوفيق الله وتيسيره أو بقضائه وإرادته • ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون • لكي يتذكروا أو ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى • ويسألونك عن المحيض • روي أن أهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك إلى أن سأل أبو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه إنما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثاً ثم بها ثلاثاً لأن السؤالات الأول كانت في أوقات متفرقة والثلاثة الأخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع • قل هو أذى • أي الحيض أذى مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه • فاعتزلوا النساء في المحيض • فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عم إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وهو الاقتصاد بين إفراط اليهود وتفريط النصارى فإنهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وإنما وصفه بأنه أذى ورتب الحكم عليه بالفاء إشعاراً بأنه العلة • ولا تقربوهن حتى يطهرن • تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحاً قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر يطهرن أي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاماً قوله • فإذا تطهرن فأتوهن • فإنه يقتضي تأخر جواز الإتيان عن الغسل

وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل • من حيث امركم الله • اى المأتى الذى امركم
به وحلله لكم • ان الله يحب التوابين • من الذنوب • ويحب المتطهرين • المتنزهين عن الفواحش والاقذار
كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى • نساؤكم حرث لكم • مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما
يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور • فأتوا حرثكم • اى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان
لقوله فأتوهن من حيث امركم الله • انى شئتم • من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع
امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت • وقدموا لانفسكم • ما
يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند الوطء • واتقوا الله • بالاجتناب عن معاصيه • واعلموا
انكم ملاقوه • فتزودوا ما لا تفتضحون به • وبشر المؤمنين • الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم
الدائم امر الرسول ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم • ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس • نزلت فى الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة
او فى عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة
فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشىء وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول
ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة
واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف
بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل
او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف عليه ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة
للنهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ
عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين • والله سميع • لايمانكم • عليم • بنياتكم
لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم • اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد
معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم • والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن
يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو
ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما
تعمدتم الكذب فيها • والله غفور • حيث لم يؤاخذ باللغو • حليم • حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد
تربصا للتوبة • للذين يؤلون من نسائهم • اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف و
تعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن • تربص اربعة اشهر • مبتدأ ما قبله
خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع
اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفىء ولا طلاق ولذلك قال الشافعى لا ايلاء الا فى اكثر
من اربعة اشهر ويؤيده • فان فاؤا • اى رجعوا فى اليمين بالحنث • فان الله غفور رحيم • للمولى اثم حنثه
اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التى كالتوبة • وان عزموا الطلاق • وان صمموا
قصده • فان الله سميع • لطلاقهم • عليم • بعزمهم وقال ابو حنيفة الايلاء فى اربعة اشهر فما دونها وحكمه
ان المولى ان فاء فى المدة بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفىء ولزم الوطء ان قدر والا بانت

بعدها

بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم • والمطلقات
يتربصن • يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر • يتربصن
خبر فى معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب
قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ مما يزيده فضل تأكيد •
بانفسهن • تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعنها ويحملنها
على التربص • ثلاثة قروء • نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو
يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعى الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى
لما ضاع فيها من قروء نسائكا • واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الاية لانه الدال
على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق
المشروع لا يكون فى الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم
ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء
امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان
القياس ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين
مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها • ولا يحل
لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن • من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه
دليل على ان قولها مقبول فى ذلك • ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر • ليس المراد منه تقييد نفى الحل
بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل • وبعولتهن
اى ازواج المطلقات • احق بردهن • الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق
رجعيا للاية التى تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصص
والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة
نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل بعولتهن وافعل هاهنا بمعنى الفاعل • فى ذلك • اى فى
زمان التربص • ان ارادوا اصلاحا • بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح
للرجعة بل التحريض عليه والمنع عن قصد الضرار • ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف • اى ولهن حقوق
على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا فى الجنس • وللرجال عليهن
درجة • زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار
ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن فى غرض الزواج ويخصون
بفضيلة الرعاية والانفاق • والله عزيز • يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام • حكيم • يشرعها لحكم
الطلاق مرتان • اى التطليق الرجعى اثنتان لما روى انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح
باحسان وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع
بين الطلقتين والثلاث بدعة • فامساك بمعروف • بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول
او تسريح باحسان • بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ
وتخيير مطلق عقيب تعليمهم كيفية التطليق • ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا • من الصدقات
روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام
ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم
وجها فنزلت واختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم
الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة
الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة
احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير
بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك حدود
الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع
لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عم
ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عم قال لجميلة اتردين
حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عم اما الزائد فلا والجمهور استكرهوا ولكن نفذوه فان
المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلفوا في انه اذا جرى بغير
لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي
ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض
وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان وتفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة
على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك
الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره
من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلعم
ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله اتريدين
ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل
ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة
مع الكراهة وقد لعن رسول الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما
ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله
ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب
الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم
وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت
الذي ينتهي به قال كل حي مستكمل مدة العمر مود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد
يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن
بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار وخلوهن حتى تنقضي عدتهن

من غير تطويل

من غير تطويل بل هو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة
الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهي عنه
بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل
او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه
تعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم
لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج
ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح
والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عم بالشكر والقيام بحقوقها
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم
واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلاء ان ترجع الى زوجها
الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي
معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون
نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الخطاب
للاولياء وقيل للناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون
به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج
اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه
الشرع ويستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف
وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب
للجميع على تاويل القبيل او كل احد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون
تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه
امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به والمنتفع
ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح
وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه
الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من الام او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار
والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة
الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام
الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على
ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي
يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب
الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه
الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه

لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد
بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب
اي لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل
او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالد
بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع
التخفيف على انه من ضار يضير واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه
حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك
عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب
وهو الصبي اي يمون المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عم واجعله الوارث
منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب
ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة
الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا
عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأي من شرت
العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا
ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع
اولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف
المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع
الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما اتاكم
الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله
مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين
او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون
بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك
لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم
الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر
ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما
تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي
والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع
خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى
الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا

فيما فعلن

فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع
ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم
عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له
حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه
كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت
بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها
انك جميلة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع
توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن
لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن
في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان
تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا
مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة
وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم
مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح
فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم
ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم
يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه
لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي عم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا
فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا
او الفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية
الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة
ولم يسم لها مهرا اذ كانت ممسوسة فلها المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها
نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخريين
ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق
وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي
له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عم لانصاري طلق امرأته المفوضة
قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل
مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها
الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم
متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر
مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى

بالتمتيع وتمامه محسنين قبل الفعل للمبادرة ترغيبا وتحريضا • وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم • لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها أي فلهن
أو فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على أن الجناح المنفي ثم تبعة المهر وأن لا متعة مع
التشطير لأنه قسيمها • إلا أن يعفون أي المطلقات فلا يأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير
والتأنيث والفرق أن الواو في الأول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون
ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه أن ونصب المعطوف عليه • أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح
أي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود إليه بالتشطير فيسوق المهر إليها كاملا وهو مشعر بأن الطلاق
قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه وإليه ذهب بعض أصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي
عقد نكاحهن وذلك إذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي • وأن تعفوا أقرب للتقوى
يؤيد الوجه الأول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر جاء عن الزيادة على الحق
وتسميتها عفوا إما على المشاكلة وإما لأنهم يسوقون المهر إلى النساء عند التزوج فمن طلق قبل
قبل المسيس استحق استرداد النصف فإذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم أنه تزوج
امرأة وطلقها قبل الدخول فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو • ولا تنسوا الفضل
بينكم • ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض • إن الله بما تعملون بصير • لا يضيع تفضلكم و
إحسانكم • حافظوا على الصلوات • بالأداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الأمر بها في تضاعيف
أحكام الأولاد والأزواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها • والصلاة الوسطى • أي
الوسطى بينها أو الفضلى منها خصوصا وهي صلاة العصر لقوله عليه السلام يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة
الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة
وقيل صلاة الظهر لأنها في وسط النهار وكانت أشق الصلاة عليهم فكانت أفضل لقوله عليه السلام
أفضل العبادات أحمزها وقيل الفجر لأنها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك
بينهما ولأنها مشهودة وقيل المغرب لأنها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لأنها
بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة أنه عليه السلام كان يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر
فتكون صلاة من الأربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص
والمدح • وقوموا لله • في الصلاة • قانتين • ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين
وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح • فإن خفتم • من عدو أو غيره • فرجالا أو ركبانا • فصلوا
راجلين أو راكبين ورجال جمع راجل أو رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة
حال المسايفة وإليه ذهب الشافعي وقال أبو حنيفة لا يصلي حال المسايفة والمشي ما لم يمكن الوقوف
فإذا أمنتم • وزال الخوف • فاذكروا الله • صلوا صلاة الأمن أو اشكروه على الأمن • كما علمكم • ذكرا
مثل ما علمكم • من الشرائع وكيفية الصلاة حالتي الخوف والأمن أو شكرا يوازيه وما مصدرية أو موصولة
ما لم تكونوا تعلمون • مفعول علمكم • والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم
قرأها بالنصب أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون
وصية أو ليوصوا وصية أو كتب الله عليهم وصية أو ألزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة
كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعا إلى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين

يتوفون منكم أو وصية الذين يتوفون أهل وصية أو كتب عليهم وصية وقرئ متاع لأزواجهم
متاعا إلى الحول • نصب بيوصون إن أضمرت وإلا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لأنه بمعنى التمتيع •
غير إخراج • بدل منه أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو حال من أزواجهم أي غير مخرجات
والمعنى أنه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يحتضروا لأزواجهم بأن يمتعن بعدهم حولا بالسكنى
وكان ذلك أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وهو وإن كان متقدما في التلاوة
فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع والثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لأبي حنيفة
فإن خرجن • عن منزل الأزواج • فلا جناح عليكم • أيها الأئمة • فيما فعلن في أنفسهن • كالتطيب
وترك الحداد • من معروف • مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على أنه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
الزوج والحداد عليه وإنما كانت مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها • والله
عزيز • ينتقم ممن خالفه منهم • حكيم • يراعي مصالحهم • وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين
أثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما أوجبها لواحدة منهن وأفراد بعض العام بالحكم لا يخصصه إلا إذا
جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك أوجبها ابن جبير لكل مطلقة وأول غيره بما يعم التمتيع
الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز أن يكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد
أو لتكرير القصة • كذلك • إشارة إلى ما سبق من أحكام الطلاق والعدة • يبين الله لكم آياته • وعد
بأنه سيبين لعباده من الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه معاشا ومعادا • لعلكم تعقلون •
لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها • ألم تر • تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب
التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فإنه صار مثلا في التعجب • إلى الذين خرجوا من ديارهم
يريد أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم
ليعتبروا ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله وقدره أو قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد
ففروا حذر الموت فأماتهم ثمانية أيام ثم أحياهم • وهم ألوف • أي ألوف كثيرة قيل عشرة وقيل
ثلاثون وقيل سبعون وقيل متآلفون جمع آلف أو آلف كقاعد وقعود والواو للحال • حذر الموت •
مفعول له • فقال لهم الله موتوا • أي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى أنهم ماتوا ميتة
رجل واحد من غير علة بأمر الله ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وإنما أسند إلى الله تعالى تخويفا وتهويلا •
ثم أحياهم • قيل مر حزقيل على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فتعجب
من ذلك فأوحي إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا إله إلا أنت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل
والاستسلام للقضاء • إن الله لذو فضل على الناس • حيث أحياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم
حالهم لتستبصروا • ولكن أكثر الناس لا يشكرون • لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار • وقاتلوا في سبيل الله • لما بين أن الفرار من الموت غير مخلص وأن المقدر لا محالة واقع
أمرهم بالقتال إذ لو جاء أجلهم ففي سبيل الله وإلا فالنصر والثواب • واعلموا أن الله سميع • لما يقوله
المتخلف والسابق • عليم • بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء • من ذا الذي يقرض الله • من استفهامية
مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا أو بدله وإقراض الله مثل لتقديم العمل الذي
يطلب به ثوابه • قرضا حسنا • إقراضا حسنا مقرونا بالإخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا طيبا

وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة
المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله
في معنى أيقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب
اضعافا كثيرة كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه
على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف
اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر
الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض
من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم
نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او يقاتل بالياء مجزوما
ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين
عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما
عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه من الاخراج عن الاوطان
والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة
واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله
عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان النبي عم
لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون
له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستأهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت
كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت
النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهودا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا
تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو
اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة
البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم
وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق
فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك
من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية
ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس

وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأها بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث
لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب
نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة
او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عم اذا قاتل قدمه فتسكن
نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس
الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا
وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه
من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل
موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او
انفسهما وآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله
بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى
افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت
خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك
لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عم وان يكون ابتداء خطاب من الله
فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما
كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم
نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس
من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا
او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار
النبي عم الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها
كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير
فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل
الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى
فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة آلاف والقليل الف روي ان من اقتصر
على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي
وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين اطاعوه
قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون
انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا
في التخلف وتخذيلا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه
اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا

لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم
الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما
غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل
داود جالوت قيل كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا
يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة
احجار وقالت انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله
الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام
الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
اي ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا
في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت
واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي
لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع
تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى ومحمد
كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد
وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم
درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد فانه خص بالدعوة العامة
والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة
للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم خصصه
بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل
وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله
هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة
لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا
ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق
من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل
بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان
او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا
بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به
ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما
رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو

ويعقوب

ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا
انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله
ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله فويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكاة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف
في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما
يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام القيام والقيم لا تاخذه سنة ولا نوم
السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم
والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس
الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي
للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير
ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج
على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما
فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء
شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه
عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل و
مستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون
بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموه وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي
التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل
كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا
محيط بالسموات السبع لقوله عم ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة
وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل
لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله
ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر
الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه
الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة
واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير
والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع
ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها
واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم
عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عم ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته

فيكون وسيلة الى الفوز من تلك الساعة وقال من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لا يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله • لا اكراه في الدين • اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا
لا يرى فيه خيرا ولكن • قد تبين الرشد من الغي • تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت
الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية
والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه
والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل
المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله
فنزلت • فمن يكفر بالطاغوت • بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله
فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه • ويؤمن بالله • بالتوحيد وتصديق الرسل • فقد استمسك بالعروة
الوثقى • طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح
والراي القويم • لا انفصام لها • لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته • والله سميع • بالاقوال
عليم • بالنيات ولعله تهديد على النفاق • الله ولي الذين امنوا • محبهم او متولي امرهم والمراد بهم
من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن • يخرجهم • بهدايته وتوفيقه • من الظلمات • ظلمات الجهل واتباع
الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر • الى النور • الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة
خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية •
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت • اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما
يخرجونهم من النور الى الظلمات • من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك
في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام
واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق قدرته وارادته تعالى به • اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون • وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم • الم تر الى الذي
حاج ابراهيم في ربه • تعجيب من محاجة نمروذ وحماقته • ان اتاه الله الملك • لان اتاه الله اي ابطره ايتاء
الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا على طريقة العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليه
او وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة • اذ قال ابراهيم
ظرف لحاج او بدل من اتاه على الوجه الثاني • ربي الذي يحيي ويميت • بخلق الحيوة والموت في الاجساد
وقرا حمزة رب بحذف الياء • قال انا احيي واميت • بالعفو عن القتل • قال ابراهيم فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب • اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى
الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال
خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمروذ زعم انه
يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد
الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال من ربك الذي تدعو اليه
وحاجه فيه • فبهت الذي كفر • فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر • والله لا يهدي

القوم

القوم الظالمين • الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج
او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة • او كالذي مر على قرية • تقديره او ارايت مثل الذي
فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف
مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر على قرية وقيل انه
عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا
لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر
بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف
وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع • وهي خاوية على عروشها • خالية ساقطة حيطانها على
سقوفها • قال انى يحيي هذه الله بعد موتها • اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما
لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع النصب على الظرف
بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف • فاماته الله مائة عام • فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث مائة عام
ثم بعثه • بالاحياء • قال كم لبثت • القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث
او شارف الايمان وقيل ملك او نبي • قال لبثت يوما او بعض يوم • كقول الظان وقيل انه مات ضحى
وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم
على الاضراب • قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه • لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه
من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن
من الحماء المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب
كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرا حمزة والكسائي
بغير هاء في الوصل • وانظر الى حمارك • كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته
حفظناه بلا ماء ولا علف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما
بعده • ولنجعلك اية للناس • اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حمار وقال انا عزير
فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع
الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة • وانظر الى العظام
يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم • كيف ننشزها • كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض
ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر • ثم نكسوها لحما
فلما تبين له • فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير • قال اعلم
ان الله على كل شيء قدير • فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه
وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت • واذ
قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى • انما سال ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمروذ انا احيي
واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل
الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى • قال اولم تؤمن • باني قادر
على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب به فيعلم

السامعين عرضه • قال بلى ولكن ليطمئن قلبي • اي بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب
بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال • قال فخذ اربعة من الطير • قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحياة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات
والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما
الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع
لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب • فصرهن اليك • فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف
شانها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء • وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان • قال • ولكن اطراف الرماح
تصورها • اي تميلها • وقال • وفرع يصير الجيد وحف كانه • على الليت قنوان الكروم الدوالح • وقرئ
فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهما جمع ايضا
• ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا • ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل
سبعة وقرأ ابو بكر بضم الزاي حيث وقع • ثم ادعهن • قل لهن تعالين باذن الله • يأتينك سعيا •
ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط
سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم
اقبلن فانضممن الى رؤوسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى
البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل
او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى
اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام • واعلم ان الله عزيز •
لا يعجز عما يريده • حكيم • ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره • مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
كمثل حبة • اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف • انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة • اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله
والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه
وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة • والله يضاعف • تلك المضاعفة • لمن يشاء •
بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب • والله واسع •
لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة • عليم • بنية المنفق وقدر انفاقه • الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا
يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى • نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها
وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي عليه السلام باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه
والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى • لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط
ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا • قول معروف • رد جميل • ومغفرة • وتجاوز عن السائل
للحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده • خير من صدقة يتبعها
اذى • خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة • والله غني • عن انفاق بمن واذى • حليم •
عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة • يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى • لا تحبطوا
اجرها بكل واحد منهما • كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر • كابطال المنافق الذي

يرائي بانفاقه ولا يريد به رضا الله ولا ثواب الاخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب
على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء • فمثله •
فمثل المرائي في انفاقه • كمثل صفوان • كمثل حجر املس • عليه تراب فاصابه وابل • مطر عظيم القطر • فتركه صلدا •
املس نقيا من التراب • لا يقدرون على شيء مما كسبوا • لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون
ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله • وان الذي حانت بفلج دماؤهم •
• والله لا يهدي القوم الكافرين • الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة
الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها • ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم •
وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه
ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه
على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال • كمثل جنة بربوة • اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء
كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح
وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها • اصابها وابل • مطر عظيم القطر • فآتت اكلها • ثمرتها وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف • ضعفين • مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد
بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا • فان لم يصبها
وابل فطل • فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها
وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار
ما ينضم اليها من احوالهم ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة
الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل • والله بما تعملون بصير • تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص
• ايود احدكم • الهمزة فيه للانكار • ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات •
جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات
ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع • واصابه الكبر • اي كبر السن
فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له
جنة واصابه الكبر • وله ذرية ضعفاء • صغار لا قدرة لهم على الكسب • فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت • عطف
على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى
تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيامة
واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره
الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا • كذلك
يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون • اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها • يا ايها الذين آمنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم • من حلاله او جياده • ومما اخرجنا لكم من الارض • اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب
والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره • ولا تيمموا الخبيث منه • ولا تقصدوا الرديء منه اي من المال او مما
اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء • تنفقون • حال مقدرة
من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه • ولستم بآخذيه • اي وحالكم
انكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته • الا ان تغمضوا فيه • الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غمضه

ونزول تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر
وشراره فنهوا عنه • واعلموا ان الله غني • عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم • حميد • بقبوله
واثابته • الشيطان يعدكم الفقر • في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ
الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين • ويامركم بالفحشاء • ويغريكم على البخل والعرب
تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي • والله يعدكم مغفرة منه • اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم
وفضلا • خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة • والله واسع • اي واسع الفضل لمن انفق
عليم • بانفاقه • يؤتي الحكمة • تحقيق العلم واتقان العمل • من يشاء • مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول
الثاني • ومن يؤت الحكمة • بناء للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله • فقد اوتي
خيرا كثيرا • اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين • وما يذكر • وما يتعظ بما قص من الايات او وما
يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة • الا اولوا الالباب •
ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى • وما انفقتم من نفقة • قليلة
او كثيرة سرا وعلانية في حق او باطل • او نذرتم من نذر • بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية • فان الله
يعلمه • فيجازيكم عليه • وما للظالمين • الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات
ولا يوفون بالنذور • من انصار • من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه • ان تبدوا الصدقات فنعما
هي • اي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو
وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء • اي تعطوها مع الاخفاء • فهو خير لكم • فالاخفاء خير لكم وهذا
في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع
تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا •
ويكفر عنكم من سيئاتكم • قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر عنكم او الاخفاء وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية
معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالجزم على محل الفاء وما بعده
وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات • والله بما تعملون خبير • ترغيب في الاسرار
ليس عليك هداهم • لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين • وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن
والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث • ولكن الله يهدي من يشاء • تصريح بان الهداية
من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم • وما تنفقوا من خير • من نفقة معروفة • فلانفسكم
فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث • وما تنفقون الا ابتغاء وجه
الله • حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب
ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل
نفي في معنى النهي • وما تنفقوا من خير يوف اليكم • ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة
او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا
من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوا عليهم
فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر • وانتم لا تظلمون • اي لا تنقصون

ثواب نفقتكم • للفقراء • متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء او صدقاتكم
للفقراء • الذين احصروا في سبيل الله • احصرهم الجهاد • لا يستطيعون • لاشتغالهم به • ضربا في الارض • ذهابا
فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم
بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم • يحسبهم الجاهل • بحالهم • اغنياء • من اجل
تعففهم عن السؤال • تعرفهم بسيماهم • من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد • لا يسألون
الناس الحافا • الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده
والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره •
ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال • وما تنفقوا من خير فان الله به عليم • ترغيب في الانفاق
وخصوصا على هؤلاء • الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية • اي يعمون الاوقات والاحوال
بالخير • نزلت في ابي بكر رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر
وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم
علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها • فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون • خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك
جوز الوقف على وعلانية • الذين ياكلون الربا • اي الاخذون وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان
الربا في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان
يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع • لا يقومون • اذا بعثوا من قبورهم • الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان • الا قياما
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق
كخبط العشواء • من المس • اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن
الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربا او بيقوم او بيتخبط فيكون
نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوا من الربا فاثقلهم
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا • اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد
لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة
كانهم جعلوا الربا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما
ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن
واحل الله البيع وحرم الربا • انكار لتسويتهم وابطال القياس لمعارضة النص • فمن جاءه موعظة من ربه
فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا • فانتهى • فاتعظ وتبع النهي • فله ما سلف • تقدم اخذه
التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية
على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله • وامره الى الله • يجازيه على انتهائه ان كان من قبول الموعظة
وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه • ومن عاد • الى تحليل الربا اذ الكلام فيه • فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون • لانهم كفروا به • يمحق الله الربا • يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه • ويربي الصدقات • يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها
كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكاة من مال قط • والله لا يحب • لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين • كل كفار

مصر على تحليل المحرمات • اثيم • منهمك في ارتكابه • ان الذين امنوا • بالله ورسله وبما جاءهم منه • وعملوا
الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة • عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم • من آت • ولا هم يحزنون • على فائت • يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا • واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا • ان كنتم مؤمنين • بقلوبكم
فان دليله امتثال ما امرتم به • روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا
فنزلت • فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله • اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرأ
حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق
العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي
ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله • وان تبتم • من الارتباء
واعتقاد حله • فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون • باخذ الزيادة • ولا تظلمون • بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا
فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء • وان كان ذو عسرة
اي وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة • فنظرة • فالحكم نظرة او فعليكم
نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب
نظرته على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة • الى ميسرة • يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين
وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا • وان تصدقوا • بالابراء • خير لكم • اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون
لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان
له بكل يوم صدقة • ان كنتم تعلمون • ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل • واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم • ثم توفى
كل نفس ما كسبت • جزاء ما عملت من خير او شر • وهم لا يظلمون • بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس
انها آخر آية نزل بها جبرائيل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله عليه السلام
بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات • يا ايها الذين امنوا
اذا تداينتم بدين • اي اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة
ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى مؤجل وحال وانه الباعث على الكتبة ويكون
مرجع ضمير فاكتبوه • الى اجل مسمى • معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج • فاكتبوه • لانه
اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح
السلم • وليكتب بينكم كاتب بالعدل • من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار
كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع • ولا يأب كاتب • ولا يمتنع احد من الكتاب
ان يكتب كما علمه الله • مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها
كقوله واحسن كما احسن الله اليك • فليكتب • تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا
ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقا ثم الامر بها مقيدا • وليملل
الذي عليه الحق • وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله
ربه • اي المملي او الكاتب • ولا يبخس • ولا ينقص منه شيئا • اي من الحق او مما املى عليه • فان كان الذي عليه الحق

سفيها

سفيها • ناقص العقل مبذرا • او ضعيفا • صبيا او شيخا مختلا • او لا يستطيع ان يمل هو • او غير مستطيع للاملاء
بنفسه لخرس او جهل باللغة • فليملل وليه بالعدل • اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او
مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه
القيم او الوكيل • واستشهدوا شهيدين • واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان • من رجالكم • من رجال
المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار
بعضهم على بعض • فان لم يكونا رجلين • فان لم يكن الشهيدان رجلين • فرجل وامرأتان • فليشهد او فالمستشهد
رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة • ممن ترضون من الشهداء
لعلمكم بعدالتهم • ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى • علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما
ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل
منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى
ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير
وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار • ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا • لاداء الشهادة او التحمل وسموا
شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة • ولا تسأموا ان تكتبوه • ولا تملوا من كثرة مداينتكم
ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول
المؤمن كسلت • صغيرا او كبيرا • صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا • الى اجله
الى وقت حلوله الذي اقر به المديون • ذلكم • اشارة الى ان تكتبوه • اقسط عند الله • اكثر قسطا • واقوم
للشهادة • واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط
بمعنى ذو قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده • وادنى ان لا ترتابوا • واقرب في
ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك • الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها • استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين
او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده
عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا • اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا • ورفعها الباقون على انها
الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة • واشهدوا اذا تبايعتم • هذا التبايع او مطلقا لانه
احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها
ونسخها • ولا يضار كاتب ولا شهيد • يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح
وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل
ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما او لا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان
وان تفعلوا • الضرار وما نهيتم عنه • فانه فسوق بكم • خروج عن الطاعة لاحق بكم • واتقوا الله • في مخالفة
امره ونهيه • ويعلمكم الله • احكامه المتضمنة لمصالحكم • والله بكل شيء عليم • كرر لفظة الله في الجمل
الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه
ادخل في التعظيم من الكناية • وان كنتم على سفر • اي مسافرين • ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة
فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر

في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي على عشرين صاعا من شعير
اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازه
والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى
مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين
واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك
الارتهان به وقرئ الذيتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة
عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه
يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او
للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه
وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السماوات
وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب
المغفرة والعقاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما
ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلها
بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثلها والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء
والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم
في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول
فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين
وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه
عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق
بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد
من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا
على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد
عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا
واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو
اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى
طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف
بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر
بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس
وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا
اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة

بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي
الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا
فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي
الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد
به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه
من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس
وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد
والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة
البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية
الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة
وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولينا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى
ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت
وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء
الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو
يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال
السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها
البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف
عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم
في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك
في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها
على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي
القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك
الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو
في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التوراة والانجيل جملة على موسى وعيسى
واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ
الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربية وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التوراة بالامالة في جميع
القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل
تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما
وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة
ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره
بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز
يفرق به بين الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد

بسبب كفرهم • والله عزيز • غالب لا يمنع من التعذيب • ذو انتقام • لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة
المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة
في اثبات النبوة تعظيماً للامر وزجراً عن الاعراض عنه • ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا
في السماء • اي شيء كائن في العالم كلياً كان او جزئياً ايماناً او كفراً فعبر عنه بالسماء والارض
اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقياً من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف
فيها وهو كالدليل على كونه حياً • وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء • اي من الصور
المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ
تصوّركم اي صوّركم لنفسه وعبادته • لا اله الا هو • اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما
يفعله • العزيز الحكيم • اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى
كان رباً فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية
تقريراً لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم • هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات •
احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال • هن ام الكتاب • اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات
فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة • واخر متشابهات • محتملات لا يتضح
مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم
على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب
القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب
احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتاباً متشابهاً فمعناه
انه يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى
المعرف او عن آخر من • فاما الذين في قلوبهم زيغ • عدول عن الحق كالمبتدعة • فيتبعون ما تشابه منه •
فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل • ابتغاء الفتنة • طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه • وابتغاء تأويله • وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل
ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب
المعاند والثاني يلائم الجاهل • وما يعلم تأويله • الذي يجب ان يحمل عليه • الا الله والراسخون
في العلم • اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء
الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد
ولم يدل على ما هو المراد • يقولون آمنا به • استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته
مبتدأ • كل من عند ربنا • اي كل من المتشابه والمحكم من عنده • وما يذكر الا اولوا الالباب • مدح للراسخين
بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن
غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير
الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب
قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب
ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصوّر • ربنا لا تزغ قلوبنا • من مقال

الراسخين

الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه
قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه
وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا • بعد اذ هديتنا • الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد
نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان • وهب لنا من لدنك رحمة •
تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقاً للثبات على الحق او مغفرة للذنوب • انك انت الوهاب •
لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه
شيء • ربنا انك جامع الناس ليوم • لحساب يوم او لجزائه • لا ريب فيه • في وقوع اليوم وما فيه
من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل
ان الله لا يخلف الميعاد • فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعد لون الخطاب واستدل به
الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم التوبة وفاقاً • ان الذين كفروا • عام في الكفرة
وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب • لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئاً • اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه • واولئك هم وقود النار • حطبها
وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها • كدأب آل فرعون • متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن
عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم
في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن • والذين من قبلهم •
عطف على آل فرعون وقيل استئناف • كذبوا بآياتنا • حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم
او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم • فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب • تهويل للمؤاخذة
وزيادة تخويف للكفرة • قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم • اي قل لمشركي مكة
ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم
ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغماراً لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي
لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه • وبئس المهاد • تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد
جهنم او ما مهدوا لانفسهم • قد كان لكم آية • الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين •
في فئتين التقتا • يوم بدر • فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم • يرى المشركون
المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريباً لفاً او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة
عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في
اعينهم حتى غلبوا مدداً من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا
ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله في قوله وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم
ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا • رأي العين •
رؤية ظاهرة معاينة • والله يؤيد بنصره من يشاء • نصره كما ايد اهل بدر • ان في ذلك • اي التقليل
والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضاً يحتملهما

ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به رسول الله ع م • لعبرة لاولي الابصار • لعظة لذوي الابصار
وقيل لمن ابصرهم • زين للناس حب الشهوات • اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم
انهمكوا في محبتها حتى احبوا اشتهاءها كقوله اني احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال
والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه
من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح
والمحرم • من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلفوا في انه
فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي
العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم • ذلك متاع
الحيوة الدنيا • اشارة الى ما ذكر • والله عنده حسن المآب • اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات
الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية • قل اؤنبئكم بخير من ذلكم • يريد به تقرير ان ثواب الله خير
من مستلذات الدنيا • للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها • استيناف لبيان
ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير • وازواج
مطهرة • مما يستقذر من النساء • ورضوان من الله • قراءة عاصم برواية ابي بكر في جميع القران بضم الراء
وهما لغتان • والله بصير بالعباد • اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك
اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على مراتب نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان
من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها • الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار • صفة
للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في
استحقاق المغفرة او الاستعداد لها • الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار • حصر لمقامات السالكين على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب
والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو
اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل
الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة
على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب
الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون
الى السحر ثم يستغفرون بالاسحار ويدعون • شهد الله انه لا اله الا هو • بين وحدانيته بنصب الدلائل
الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها • والملائكة • بالاقرار • واولو العلم • بالايمان بها والاحتجاج
عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد • قائما بالقسط • مقيما للعدل في قسمه وحكمه
وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على
المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير
وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف • لا اله الا هو • كرر للتاكيد ومزيد الاعتناء
بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله • العزيز الحكيم • فيعلم انه الموصوف بهما

وقدم

وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل
شهد وقد روي في فضلها انه ع م قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي
عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله
ان الدين عند الله الاسلام • جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام
وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد ع م وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل الكل ان فسر
الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع
الفعل على الثاني واعتراض بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما •
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب • من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى
الا من بعد ما جاءهم العلم • اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالايات والحجج • بغيا بينهم •
حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر • ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب •
وعيد لمن كفر منهم • فان حاجوك • في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج • فقل اسلمت وجهي لله •
اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات
والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس • ومن اتبعن •
عطف على التاء في اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه • وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين • الذين لا كتاب لهم
كمشركي العرب • ءاسلمتم • كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون
وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة • فان اسلموا فقد اهتدوا • فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها
من الضلال • وان تولوا فانما عليك البلاغ • اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت • والله
بصير بالعباد • وعد ووعيد • ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون
الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم • هم اهل الكتاب الذين في عصره ع م قتل اولوهم الانبياء
ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي ع م والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله
في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل
ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة • كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه
لا يغير معنى الابتداء بخلافهما لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة • وما لهم من ناصرين •
يدفع عنهم العذاب • الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب • اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير • يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم • الداعي محمد ع م وكتاب الله
القران او التورية لما روي انه ع م دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد
على اي دين انت فقال على ملة ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها
بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما
بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول • ثم يتولى فريق منهم • استبعاد لتوليهم مع
علمهم بان الرجوع اليه واجب • وهم معرضون • وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق
وانما ساغ لتخصصه بالصفة • ذلك • اشارة الى التولي والاعراض • بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما

بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ • وغرهم في دينهم
ما كانوا يفترون • من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او
انه تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم • فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما قلائل وان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم وانه تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم روي
ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد
ثم يأمر بهم الى النار • ووفيت كل نفس ما كسبت • جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط
وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي
بعد الخلاص منها • وهم لا يظلمون • الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان • قل اللهم
الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع
همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته
مالك الملك • تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده
تمنع الوصفية • تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء • تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد
فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم
وتعز من تشاء وتذل من تشاء • في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان
بيدك الخير انك على كل شيء قدير • ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد
شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عم
لما خط الخندق عام الاحزاب قطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة
لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فجاء فاخذ المعول فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال
اضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور
الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي
ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب
قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا
فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير • تولج الليل في النهار وتولج النهار
في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب • عقب ذلك ببيان قدرته
على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة
الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل في النهار ادخال احدهما
في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها
واماتتها وانشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف • لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا
عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة
بهم في الغزو وسائر الامور الدينية • من دون المؤمنين • اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم

مندوحة

مندوحة عن موالاة الكفرة • ومن يفعل ذلك • اي اتخاذهم اولياء • فليس من الله في شيء • من ولاية الله
في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان • قال تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك عنك بعازب • الا ان تتقوا منهم تقاة • الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه
او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم
ظاهرا او باطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عم
كن وسطا وامش جانبا • ويحذركم الله نفسه والى الله المصير • فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه
وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه
عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة • قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله • اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها • ويعلم ما في السموات
وما في الارض • فيعلم سركم وعلانيتكم • والله على كل شيء قدير • فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما
نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي
محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية
الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها • يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه • يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها
من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله • امدا بعيدا • او بمضمر نحو اذكر وتود
حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه
حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة • ويحذركم الله نفسه • كرره للتأكيد والتذكير • والله رؤف
بالعباد • اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة
وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه • قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني • المحبة ميل النفس الى الشيء
لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه
كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك
يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة
لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته • يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم • جواب للامر اي
يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار
قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة • والله غفور رحيم • لمن تحبب اليه بطاعته
واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد
نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عم انهم يحبون الله فامروا ان
يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل • قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا • يحتمل المضي والمضارعة
بمعنى فان تتولوا • فان الله لا يحب الكافرين • لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد
العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين • بالرسالة والخصائص الروحانية
والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة

عقبه لك ببيان مناقبهم تحريضاً عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسماعيل واسحق
واولادهما وقد دخل فيهم الرسول عم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث
ابن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازار بن ابي يوذ بن زربابل بن ساليان
ابن يوحنا بن اوشيا بن امون بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط
ابن ايشو بن راحيم بن سليمان بن داود ابن ايشى بن عوبد بن سلمون بن باعز بن عوبذ بن عمياد
ابن رام بن حضروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة • ذرية
بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها
من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة
من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت • والله سميع عليم • باقوال الناس واعمالهم
فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها • اذ قالت امرأة عمران
رب اني نذرت لك ما في بطني • فينصب به اذ وقيل بإضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا
جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن ان المراد وحنة
زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصراً لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى
وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقراً عجوزاً فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت طائراً يطعم
ولده فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذراً ان رزقتني ولداً ان اتصدق به
على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعاً في عهدهم
في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكراً • محرراً • معتقاً لخدمته لا اشغله بشيء
او مخلصاً للعبادة ونصبه على الحال • فتقبل مني • ما نذرته • انك انت السميع العليم • لقولي
ونيتي • فلما وضعتها انثى • الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى
حالاً عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس
والجبلة وانما قالته تحسراً وتحزناً الى ربها لانها كانت ترجو ان يكون ذكراً ولذلك نذرت تحريره
والله اعلم بما وضعت • اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً
لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية لنفسها
اي ولعل لله فيه سراً او الانثى كان خيراً وقرئ وضعتِ على خطاب الله لها • وليس الذكر
كالانثى • بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما
للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فتكون اللام للجنس
واني سميتها مريم • عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقرباً اليه
وطلباً لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه
دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة • واني اعيذها بك • اجيرها بحفظك
وذريتها من الشيطان الرجيم • المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عم ما من مولود
يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع
في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
فتقبلها ربها • فرضي بها في النذر مكان الذكر • بقبول حسن • بوجه حسن يقبل به النذائر وهو

اقامتها

اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما
ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس
كالحجبة في الكعبة فقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا
القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم
فتكفلها ويجوز ان يكون مصدراً على تقدير مضاف اي بذي قبول وان يكون تقبل بمعنى استقبل
كتقضى وتعجل اي فأخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن • وانبتها نباتاً حسناً • مجاز عن
تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها • وكفلها زكريا • شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا
زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلاً لها وضامناً
بمصالحها وخففها الباقون ومدوا زكرياء مرفوعاً • كلما دخل عليها زكريا المحراب • اي الغرفة التي
بنى لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت في
اشرف موضع من بيت المقدس • وجد عندها رزقاً • جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل
عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف و
بالعكس • قال يا مريم انى لك هذا • من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك
وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة لزكريا يدفعه اشتباه الامر عليه • قالت هو من عند الله
فلا تستبعد • قيل تكلمت صغيرة كعيسى عم ولم ترضع ثدياً قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب • بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلاً به وهو يحتمل ان يكون
من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة اهدت لرسول الله رغيفين وبضعة لحم فرجع بها
اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزاً ولحماً فقال لها انى لك هذا فقالت هو
من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني
اسرائيل ثم جمع علياً والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت
فاطمة على جيرانها • هنالك دعا زكريا ربه • في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث
للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله • قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة • كما وهبتها لحنة
العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل
وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة • انك سميع الدعاء •
مجيبه • فنادته الملائكة • اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده
وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير • وهو قائم يصلي في المحراب • اي قائماً في الصلاة
ويصلي صفة قائم او خبر او حال آخر او حال عن الضمير في قائم • ان الله يبشرك بيحيى • اي بان الله
وقرأ حمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك
ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربياً فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل • مصدقاً بكلمة من الله • اي بعيسى
سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة
كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته • وسيداً • يسود قومه ويفوقهم وكان فائقاً للناس كلهم في انه ما هم
بمعصية • وحصوراً • مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه

إلى اللعب فقال ما للعب خلقت • وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين • ناشياً منهم أو كائناً من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة • قال رب أنى يكون لي غلام • استبعاد من حيث العادة أو استعظاماً وتعجباً أو استفهاماً عن كيفية حدوثه • وقد بلغني الكبر • أدركني كبر السن وأثر فيّ وكان له تسع وتسعون سنة
وامرأتي عاقر • لا تلد من العقر وهو القطع لأنها ذات عقر من الأولاد • قال كذلك الله يفعل ما يشاء أي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو إنشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي الله على هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان • قال رب اجعل لي آية • علامة أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار • قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام • أن لا تقدر على تكلم الناس ثلاثاً وإنما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك أن يحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال • إلا رمزاً • إشارة بنحو يد ورأس وأصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزاً كخدم جمع رامز ورمزاً كرسل جمع رموز على أنه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف • روانف أليتيك وتستطارا • واذكر ربك كثيراً • في أيام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الأمر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار • وسبح بالعشي • من الزوال إلى الغروب وقيل من العصر أو الغروب إلى ذهاب صدر الليل • والإبكار • من طلوع الفجر إلى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار • وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين • كلموها شفاهاً كرامة لها ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك كانت معجزة زكريا عم أو إرهاصاً لنبوة عيسى عم فإن الإجماع على أنه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم وقيل ألهموها والاصطفاء الأول تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها عما قذفته اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين • يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين • أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب أو ليقترن اركعي بالراكعين للإيذان بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً وبالسجود الصلاة كقوله وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والإخبات • ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك • أي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي • وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم • أقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركاً والمراد تقرير كونه وحياً على سبيل التهكم بمنكريه فإن طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي أن يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل • أيهم يكفل مريم • وما كنت لديهم إذ يختصمون • تنافساً في كفالتها • إذ قالت الملائكة • بدل من وإذ قالت الأولى وما بينهما اعتراض أو من إذ يختصمون على أن وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا • يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم • المسيح لقبه وهو من الألقاب

المشرفة

المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب إيشوع واشتقاقهما من المسح لأنه مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو مسحه جبرئيل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الأسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر إفراد المبتدأ فإنه اسم جنس مضاف ويحتمل أن يراد أن الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فإن الاسم علامة المسمى والمميز له عمن سواه ويجوز أن يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وإنما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيهاً على أنه يولد من غير أب إذ الأولاد تنسب إلى آبائها ولا تنسب إلى الأم إلا إذا فقد الأب • وجيهاً في الدنيا والآخرة • حال مقدرة من كلمة وهي وإن كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة • ومن المقربين • من الله وقيل إشارة إلى علو درجته في الجنة أو رفعه إلى السماء وصحبة الملائكة • ويكلم الناس في المهد صبياً وكهلاً • أي يكلمهم حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما تمهد للصبي من مضجعه وقيل إنه رفع شاباً والمراد وكهلاً بعد نزوله وذكر أحواله المختلفة المتنافية إرشاداً إلى أنه بمعزل عن الألوهية • ومن الصالحين • حال ثالث من كلمة أو ضميرها الذي في يكلم • قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر • تعجب أو استبعاد عادي أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره • قال كذلك الله يخلق ما يشاء • القائل جبرئيل أو الله وجبرئيل حكى لها قوله تعالى • إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون • إشارة إلى أنه تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجاً بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك • ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل • كلام مبتدأ ذكر تطييباً لقلبها وإزاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت أنها تلد من غير زوج أو عطف على يبشرك أو وجيهاً أو يخلق والكتاب الكتبة أو جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم يعلمه بالياء • ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم • منصوب بمضمر على إرادة القول تقديره ويقول أرسلت رسولاً بأني قد جئتكم أو بالعطف على الأحوال المتقدمة مضمناً معنى النطق فكأنه قال وناطقاً بأني قد جئتكم وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته إليهم أو للرد على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم • أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير • نصب بدل من أني قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هي أني أخلق لكم والمعنى أقدر لكم وأصور شيئاً مثل صورة الطير وقرأ نافع إني بكسر الهمزة • فأنفخ فيه • الضمير للكاف أي في ذلك المماثل • فيكون طيراً بإذن الله • فيصير حياً طياراً بأمر الله نبه به على أن إحياءه من الله لا منه وقرأ نافع هاهنا وفي المائدة طائراً بالألف والهمزة • وأبرئ الأكمه والأبرص • الأكمه الذي ولد أعمى أو ممسوح العين روي أنه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عم وما يداوي إلا بالدعاء • وأحيي الموتى بإذن الله • كرر بإذن الله دفعاً لوهم الألوهية فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية • وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم • بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها • إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين • موفقين للإيمان فإن غيرهم لا ينتفع بالمعجزات أو مصدقين للحق غير معاندين • ومصدقاً لما بين يدي من التوراة • عطف على رسولاً على الوجهين أو منصوب على إضمار فعل دل عليه قد جئتكم أي وجئتكم مصدقاً • ولأحل لكم • مقدر بإضمار فعل أو مردود على قوله بأني قد جئتكم بآية أو معطوف على معنى مصدقاً كقولهم جئتك معتذراً ولأطيب قلبك

بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عم كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل وكل ذي
ظفر والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عم ولا يخل ذلك بكونه مصدقا
للتوراة كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان
وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم اي وجئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة
الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله
فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي قد جئتكم باية اخرى
مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله
اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعوني فيما ادعوكم اليه
ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية
فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع
بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عم قل امنت بالله ثم استقم فلما احس
عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى
الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين
يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري
الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب
عيسى عم لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود
وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دين الله امنا بالله
واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء
الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عم فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس عيسى
منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على
من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله
الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر
من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى
اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض
من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج
الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى ورافعك
الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه
من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي
مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون

من الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير الحكم وتفصيله وقرا حفص فيوفيهم بالياء والله
لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه
عليك وقوله من الايات حال من الهاء ويجوز ان يكون خبرا ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة
وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع
من تطرق الخلل اليه يريد به القران وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ان شانه
الغريب كشان ادم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق
ادم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق
قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا لقوله ثم انشاناه خلقا اخر او قدر تكوينه
من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك
خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن
من الممترين خطاب للنبي عم على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي
والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم
نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل
يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح
اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين
عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان
ذا رايهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا
الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله عم وقد غدا محتضنا
الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو عم يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال
اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا
فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله عم وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال
عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا
ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته
ان هذا اي ما قص من نبا عيسى عم ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما
ذكر في شان عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت على الفصل لانه اقرب الى
المبتدا من الخبر واصلها ان يدخل المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا
للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة
البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع
المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد
النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله

اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها • ولا نشرك به شيئا • ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة
ولا نراه اهلا لان يعبد • ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله • ولا نقول عزير ابن الله
ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا
بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك
فان تولوا عن التوحيد • فقولوا اشهدوا بانا مسلمون • اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون
دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى
في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور
عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم
دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم
بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء
والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون • يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده •
تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عم وزعم كل فريق منهم انه منهم وترافعوا الى رسول الله عم فنزلت والمعنى
ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى عم وكان ابراهيم قبل موسى
بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما • افلا تعقلون • فتدعون المحال • ها انتم هؤلاء حاججتم
فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم • ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم
مبتداء وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم
جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تحاجون
فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل
ها انتم اصله آانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء • والله يعلم • ما حاججتم فيه
وانتم لا تعلمون • وانتم جاهلون به • ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا • تصريح بمقتضى ما قرر
من البرهان • ولكن كان حنيفا • مائلا عن العقائد الزائغة • مسلما • منقادا لله وليس المراد انه كان
على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام • وما كان من المشركين • تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به
عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم • ان اولى الناس بابراهيم • ان اخصهم
به واقربهم منه من الولي وهو القرب • للذين اتبعوه • من امته • وهذا النبي والذين آمنوا • لموافقتهم
له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على
ابراهيم • والله ولي المؤمنين • ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم • ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم • نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان • وما يضلون
الا انفسهم • وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون
الا امثالهم • وما يشعرون • وزره واختصاص ضرره بهم • يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله
بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عم • وانتم تشهدون • انها آيات الله او بالقرآن
وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق • يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق

بالباطل

بالباطل • بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد
وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عم كلابس ثوبي زور • وتكتمون الحق • نبوة محمد
ونعته • وانتم تعلمون • عالمين بما تكتمونه • وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل
على الذين آمنوا وجه النهار • اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار • واكفروا آخره لعلهم يرجعون
واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا
اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل
اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في
كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية والانجيل لعل اصحابه
يشكون فيه • ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم • ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا
ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم • قل ان الهدى هدى الله • يهدي
من يشاء الى الايمان ويثبته عليه • ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم • متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك
وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين
لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر
ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أان يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه
الاول اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم • او يحاجوكم عند ربكم • عطف على ان يؤتى على
الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه
في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم • قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم • يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم • رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة • ومن اهل
الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك • كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية
ذهبا فاداه اليه • ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك • كفنحاص بن عازوراء استودعه
قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة • الا ما دمت عليه قائما • الا مدة دوامك قائما على رأسه
مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة • ذلك • اشارة الى ترك الاداء المدلول
عليه بقوله لا يؤده • بانهم قالوا • بسبب قولهم • ليس علينا في الاميين سبيل • اي ليس علينا في شان
من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم • ويقولون على الله الكذب • بادعائهم
ذلك • وهم يعلمون • انهم كاذبون في ذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية
حرمة وقيل عامل اليهود رجال من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم
وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر • بلى • اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم
سبيل • من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين • استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير

بالعهود لمن أوفى وعموم المتقين نائب مناب الراجع من الجزاء إلى من وأشعر بأن التقوى ملاك
الأمر وهو يعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي. إن الذين يشترون
يستبدلون. بعهد الله بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول والوفاء بالأمانات. وأيمانهم
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه. ثمنا قليلا متاع الدنيا. أولئك لا خلاق
لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم أو بشيء أصلا وأن الملائكة يسألونهم يوم القيمة
أو لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر إليهم
يوم القيمة فإن من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما
أن من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه. ولا يزكيهم ولا يثني عليهم. ولهم عذاب أليم
على ما فعلوه قيل إنها نزلت في أحبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد عم وحكم الأمانات وغيرهما
وأخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما
لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين أشعث بن قيس ويهودي في بئر أو أرض وتوجه الحلف
على اليهودي. وإن منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي. يلوون ألسنتهم بالكتاب
يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل إلى المحرف أو يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون
على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها. لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء
والضمير أيضا للمسلمين. ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو
من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لأنهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا أي ليس هو نازلا
من عنده وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله. ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه. ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى عم وقيل
إن أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ
الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل
يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد
من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله. ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا
ربانيين. والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل. بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب
كونكم دارسين له فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ
ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون
من أدرس بمعنى درس كأكرم وكرم ويجوز أن يكون القراءة المشهورة أيضا بهذا المعنى على تقدير
وبما تدرسون على الناس. ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا نصبه ابن عامر وعاصم
ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر أي ما كان لبشر
أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا أو غير مزيدة
على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أربابا بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة

ورفعه

ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال. أيأمركم بالكفر إنكار والضمير فيه للبشر وقيل لله.
بعد إذ أنتم مسلمون دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا له. وإذ
أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل إنه على ظاهره وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق
من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل
والمعنى وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم وقيل المراد أولاد النبيين على حذف
المضاف وهم بنو إسرائيل أو سماهم نبيين تهكما لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد
لأنا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر
على أن ما مصدرية أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق أخذ الله الميثاق
لتؤمنن به ولتنصرنه أو موصولة والمعنى أخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ
لما بمعنى حين آتيتكم أو لمن أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالإدغام فحذف إحدى الميمات الثلاث
استثقالا. قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري أي عهدي سمي به لأنه يؤصر أي يشد ويعقد
وقرئ بالضم وهو إما لغة فيه كعبر وعبر أو جمع إصار وهو ما يشد به. قالوا أقررنا قال فاشهدوا
أي فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة. وأنا معكم من الشاهدين وأنا
أيضا على إقراركم وتشاهدكم شاهد وهو تأكيد وتحذير عظيم. فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق
والتوكيد بالإقرار والشهادة. فأولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة. أفغير دين الله
يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للإنكار أو على محذوف تقديره أيتولون
فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لأنه المقصود بالإنكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبي
عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم. وله أسلم
من في السموات والأرض طوعا وكرها أي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف
ومعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل وإدراك الغرق والإشراف على الموت أو مختارين كالملائكة
ومسخرين كالكفرة فإنهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم. وإليه يرجعون وقرأ
حفص بالياء على أن الضمير لمن. قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسمعيل
وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم أمر للرسول عم
بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالإيمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه إليهم
وأيضا المنسوب إلى واحد من الجمع قد ينسب إليهم أو بأن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك إجلالا
له والنزول كما يعدى بإلى لأنه ينتهي إلى الرسل يعدى بعلى لأنه من فوق وإنما قدم المنزل عليه
على المنزل على سائر الرسل لأنه المعرف له والعيار عليه. لا نفرق بين أحد منهم بالتصديق
والتكذيب. ونحن له مسلمون منقادون أو مخلصون في عبادته. ومن يبتغ غير الإسلام
دينا أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله. فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
الواقعين في الخسران والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع وواقع
في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام

اذ لو كان غيره لم يقبل والحق انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين
ايضا للاعمال • كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد
وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل
ونظيره • فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان
خارج عن حقيقة الايمان • والله لا يهدي القوم الظالمين • الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر
ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه • اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين • يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق
انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى آيسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس
المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه • خالدين فيها
في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما • لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون • الا الذين تابوا من بعد ذلك • اي من بعد الارتداد • واصلحوا • ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر
له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح • فان الله غفور • يقبل توبته • رحيم • يتفضل عليه قيل انها نزلت في
الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس
بالآية فرجع الى المدينة فتاب • ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا • كاليهود كفروا بعيسى
والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعدما امنوا به
قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم
ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهار
التوبة • لن تقبل توبتهم • لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه
واولئك هم الضالون • الثابتون على الضلال • ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا • تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة لما كان الموت على
الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه • وذهبا
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف • ولو افتدى به • محمول على المعنى
كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد
كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد • اولئك لهم عذاب اليم • مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل
منه الفداء ربما يعفى تكرما • وما لهم من ناصرين • في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق • لن تنالوا
البر • حتى تنفقوا مما تحبون • اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة
الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي
الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها
في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله فحمل عليه رسول الله اسامة

فقال زيد

فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق
احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما
تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين • وما تنفقوا من شيء • من اي شيء محبوب او غير
محبوب ومن لبيان ما • فان الله به عليم • فيجازيكم بحسبه • كل الطعام • اي المطعومات والمراد اكلها
كان حلا لبني اسرائيل • حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث قال الله تعالى لا هن حل لهم • الا ما حرم اسرائيل • يعقوب • على نفسه • كلحوم الابل والبانها
قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل
فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي عليه السلام ان يجتهد وللمانع ان يقول
ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء • من قبل ان تنزل التوراة • اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم
ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما
نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الآيتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن
في دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها • قل فأتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين • امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم
ما لم يكن محرما روي انه لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته •
فمن افترى على الله الكذب • ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل
ومن قبلهم • من بعد ذلك • من بعد ما لزمهم الحجة • فاولئك هم الظالمون • الذين لا ينصفون من انفسهم
ويكابرون الحق بعدما وضح • قل صدق الله • تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل
وانتم الكاذبون • فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا • اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم
او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض
الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابراهيم ومن تبعه • وما كان من المشركين • فيه اشارة الى ان
اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض
بشرك اليهود • ان اول بيت وضع للناس • اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله
ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل • للذي ببكة • للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط
والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه
او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم
ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم
ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم
امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السماوات
وهذا لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد به اول بالشرف لا بالزمان • مباركا • كثير الخير والنفع لمن
حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف • وهدى للعالمين • لانه قبلتهم

ومتعبدهم ولأن فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار وأن ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وأن كل جبار قصده بسوء قهر كأصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى مقام إبراهيم مبتدأ محذوف خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبين وتخصيصها بهذه الإلانة من بين الصخار وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة ويؤيده أنه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لأنه في معنى أمن من دخله أي ومنها أمن من دخله أو فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لأن فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الأثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند أبي حنيفة من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيرهما فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له ولكن ألجئ إلى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع إليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي أنها بالمال ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن إذا وجد أجرة من ينوب عنه وقال مالك إنها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال أبو حنيفة إنها بمجموع الأمرين والضمير في إليه للبيت أو الحج وكل ما أتى إلى الشيء فهو سبيله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وإبرازه في صورة الاسمية وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم أولا وتخصيصه ثانيا فإنه كإيضاح بعد إبهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث إنه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فإنه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وذكر عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والإشعار بعظم السخط لأنه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وإتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والإقبال على الله روي أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب الملل فخطبهم وقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزلت ومن كفر قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح وأنهم وإن زعموا أنهم يؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم وإشعارا بأن كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الإسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي

والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو أي باغين طالبين لها اعوجاجا بأن تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما أو بأن تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم وأنتم شهداء أنها سبيل الله والصد عنها ضلال وإضلال أو وأنتم عدول عند أهل ملتكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الأولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الإسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين نزلت في نفر من الأوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما خاطبهم الله بنفسه بعد ما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يخاطب أهل الكتاب إظهارا لجلالة قدرهم وإشعارا بأنهم الأحقاء بأن يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله إنكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ إليه في مجامع أموره فقد هدي إلى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الأمر تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب وأصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء ألفا ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون أي ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت فإن النهي عن المقيد بحال أو غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الإسلام أو بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث إن التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا أي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للإسلام المؤدي إلى التآلف وزوال الغل إذ كنتم أعداء في الجاهلية متقاتلين فألف بين قلوبكم بالإسلام فأصبحتم بنعمته إخوانا متحابين مجتمعين على الأخوة في الله وقيل كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالإسلام وألف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار

شفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار
فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه
او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر
وحذفت في المؤنث • كذلك مثل ذلك التبيين • يبين الله لكم آياته دلائله • لعلكم تهتدون
ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه • ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر • من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح
لكل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب
وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب
على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية
او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله • واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال
الفلاح روي انه سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم
للرحم والامر بالمعروف فيكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله
لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه
وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر • ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا • كاليهود
والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت • من بعد ما جاءهم البينات
الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول
دون الفروع لقوله اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ
فله اجر واحد • واولئك لهم عذاب عظيم • وعيد للذين تفرقوا واختلفوا وتهديد على التشبه بهم
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه • نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه
وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه
والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك • فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم • على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله بعد ايمانهم به قبل بعثته
او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في
الدلائل والآيات • فذوقوا العذاب • امر اهانة • بما كنتم تكفرون • بسبب كفركم او جزاء لكفركم
واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله • يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها
على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله لا يدخل
الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المؤمنين وثوابهم • هم فيها خالدون • اخرجه مخرج الاستئناف للتاكيد كانه قيل كيف
يكونون فيها فقال هم فيها خالدون • تلك آيات الله • الواردة في وعده ووعيده • نتلوها عليك بالحق
ملتبسة بالحق لا شبهة فيها • وما الله يريد ظلما للعالمين • اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء

فيظلم بنقصه او يمنع عن شيء فيظلم بتعديه لانه المالك على الاطلاق كما قال • ولله ما في السموات
وما في الارض والى الله ترجع الامور • فيجازي كلا بما وعد له واوعد • كنتم خير امة • دل على
خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله
او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين • اخرجت للناس اظهرت لهم • تامرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر • استئناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم • وتؤمنون بالله • يتضمن الايمان بكل ما
يجب ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم
آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف
ذلك • ولو آمن اهل الكتاب • ايمانا كما ينبغي • لكان خيرا لهم • لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه • منهم
المؤمنون • كعبد الله بن سلام واصحابه • واكثرهم الفاسقون • المتمردون في الكفر وهذه الجملة
والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد • لن يضروكم الا اذى • ضررا يسيرا كطعن وتهديد
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار • ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر • ثم لا ينصرون • ثم لا يكون احد
ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا
الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا
على يولوا على ان ثم للتراخي في الرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي
وافقها الواقع اذ كان كذلك قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر • ضربت عليهم الذلة • هدر
النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية • اينما ثقفوا • وجدوا • الا بحبل من الله وحبل
من الناس • من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه
الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين • وباءوا بغضب من الله
رجعوا به مستوجبين له • وضربت عليهم المسكنة • فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله
واليهود في غالب الامر فقراء مساكين • ذلك • اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق • بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد
بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا • ذلك اي الكفر
والقتل • بما عصوا وكانوا يعتدون • بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر
يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب
الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون
بالفروع ايضا • ليسوا سواء • في المساوي والضمير لاهل الكتاب • من اهل الكتاب امة قائمة
استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم
يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون • يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات
الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب
لا يصلونها لما روي انه اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل
الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم • يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات • صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود

فإنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين في الليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر
بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات ﴿وأولئك من الصالحين﴾ أي الموصوفون
بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه ﴿وما تفعلوا من خير فلن تكفروه﴾ فلن
يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته إلى مفعولين لتضمنه
معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء ﴿والله عليم بالمتقين﴾
بشارة لهم وإشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وأن الفائز عند الله هو أهل التقوى ﴿إن الذين
كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا﴾ من العذاب أو من الغناء فيكون مصدرا
﴿وأولئك أصحاب النار﴾ ملازموها ﴿هم فيها خالدون مثل ما ينفقون﴾ ما ينفق الكفرة قربة أو مفاخرة
أو سمعة أو المنافقون رياء وخوفا ﴿في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر﴾ برد شديد والشائع
إطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الأصل مصدر نعت به أو نعت وصف به البرد للمبالغة
كقولك برد بارد ﴿أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فأهلكته﴾ عقوبة لهم لأن
الإهلاك عن سخط أشد والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم
فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز
أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ أي ما ظلم المنفقين بضياع
نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها أو ما ظلم أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا
أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن أي ولكن أنفسهم يظلمون ولا يجوز أن يقدر
ضمير الشأن لأنه لا يحذف إلا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
بطانة﴾ وليجة وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه
الصلاة والسلام الأنصار شعار والناس دثار ﴿من دونكم﴾ من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف
هو صفة بطانة أي بطانة كائنة من دونكم ﴿لا يألونكم خبالا﴾ لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير
وأصله أن يعدى بالحرف ثم عدي إلى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع أو النقص ﴿ودوا
ما عنتم﴾ تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ أي في كلامهم
لأنهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم ﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾ مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار
﴿قد بينا لكم الآيات﴾ الدالة على وجوب الإخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ﴿إن كنتم تعقلون﴾
ما بين لكم والجمل الأربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز أن تكون الثلاث الأول صفات لبطانة ﴿ها أنتم
أولاء تحبونهم ولا يحبونكم﴾ أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكفار تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئكم
في موالاتهم وهو خبر ثان أو خبر لأولاء والجملة خبر أنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلته أو حال والعامل فيها
معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ بجنس
الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى أنهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا﴾ نفاقا و
تغريرا ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا
﴿قل موتوا بغيظكم﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا
﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي

وقل

وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون خارجا عنه فلا يخفى عليه
ذلك ولا تتعجب من إطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم ﴿إن تمسسكم حسنة
تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير
ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للإصابة ﴿وإن تصبروا وتتقوا﴾
على عداوتهم أو على مشاق التكاليف ﴿لا يضركم كيدهم شيئا﴾ بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين
ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء
للإتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره
﴿إن الله بما يعملون﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما ﴿محيط﴾ أي محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ
بالياء أي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه ﴿وإذ غدوت﴾ أي واذكر إذ غدوت ﴿من أهلك﴾
من حجرة عائشة ﴿تبوئ المؤمنين﴾ تنزلهم أو تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام ﴿مقاعد
للقتال﴾ مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى
﴿في مقعد صدق﴾ وقوله ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ ﴿والله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بنياتكم روي أن المشركين
نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله عليه السلام أصحابه وقد
دعا عبد الله بن أبي ولم يدعه قبل فقال له وأكثر الأنصار أقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج
إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا
فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم إلى الخروج فقال عليه السلام رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي
فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة
فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة
يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم
وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال
لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم
السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله بن
جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ﴿إذ همت﴾ متعلق بقوله سميع
عليم أو بدل من إذ غدوت ﴿طائفتان منكم﴾ بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكانا
جناحي العسكر ﴿أن تفشلا﴾ أن تجبنا وتضعفا روي أنه عليه السلام خرج في زهاء ألف رجل ووعدهم
ووعدهم النصر إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلاثمائة وقال علام نقتل
أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري وقال أنشدكم الله والإسلام في نبيكم وأنفسكم
فقال ابن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله
والظاهر أنها ما كانت عزيمة ﴿والله وليهما﴾ أي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز أن يراد
والله ناصرهما فما لهما تفشلان ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا
على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر
ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به ﴿وأنتم أذلة﴾ حال من الضمير وإنما قال أذلة

ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح • فاتقوا الله
في الثبات لعلكم تشكرون • ما أنعم عليكم بتقواكم من نصره أو لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون
فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سببه • إذ تقول للمؤمنين • ظرف لنصركم وقيل بدل
ثان من إذ غدوت على أن قوله لهم يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول لم تنزل الملائكة • ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف
من الملائكة منزلين • إنكار أن لا يكفيهم ذلك وإنما جيء بلن إشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم
وقلتهم وقوة العدو وكثرته قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف
ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج • بلى • إيجاب لما بعد لن
أي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال • إن تصبروا
وتتقوا ويأتوكم • أي المشركون • من فورهم هذا • من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر فارت القدر
إذا غلت فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى إن يأتوكم في الحال • يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة • في حال إتيانهم بلا تراخ وتأخير • مسومين • معلمين من التسويم الذي هو
إظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام لأصحابه تسوموا فإن الملائكة تسومت أو مرسلين من التسويم بمعنى
الإسامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو • وما جعله الله • وما جعل إمدادكم بالملائكة
إلا بشرى لكم • إلا بشارة لكم بالنصر • ولتطمئن قلوبكم به • ولتسكن إليه من الخوف • وما النصر
إلا من عند الله • لا من العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد وإنما أمدهم ووعد لهم
به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب أكثر وحث على أن لا يبالوا بمن تأخر
عنهم • العزيز • الذي لا يغالب في أقضيته • الحكيم • الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة
والمصالح • ليقطع طرفا من الذين كفروا • متعلق بنصركم أو وما النصر إن كان اللام فيه للعهد والمعنى
لينقص منهم بقتل بعض وأسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم
أو يكبتهم • أو يخزيهم والكبت شدة غيظ أو وهن يقع في القلب وأو للتنويع دون الترديد • فينقلبوا
خائبين • فينهزموا منقطعي الآمال • ليس لك من الأمر شيء • اعتراض • أو يتوب عليهم أو يعذبهم • عطف
على قوله أو يكبتهم والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم
إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم ويحتمل أن يكون معطوفا
على الأمر أو شيء بإضمار أن أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء أو أن تكون
أو بمعنى إلا أن أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتتشفى منهم
روي أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بأن فيهم من يؤمن
فإنهم ظالمون • قد استحقوا التعذيب بظلمهم • ولله ما في السموات وما في الأرض • خلقا وملكا فله الأمر
كله • يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء • صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له • والله
غفور رحيم • لعباده فلا تبادر إلى الدعاء عليهم • يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة
لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع إذ كان الرجل منهم يربي إلى أجل ثم يزيد فيه زيادة
أخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة • واتقوا الله

فيما نهيتم عنه • لعلكم تفلحون • راجين الفلاح • واتقوا النار التي أعدت للكافرين • بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة • وأطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون • أتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى
في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل خبرا له • وسارعوا • وبادروا وأقبلوا على ما يستحق به
المغفرة كالإسلام والتوبة والإخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو • إلى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها السموات والأرض • أي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة
على طريق التمثيل لأنه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها
ببعض • أعدت للمتقين • هيئت لهم وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم • الذين
ينفقون في السراء والضراء • في حالتي الرخاء والشدة أو الأحوال كلها إذ الإنسان لا يخلو عن مسرة
أو مضرة أي لا يخلون في حال ما بإنفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير • والكاظمين الغيظ • الممسكين عليه الكافين عن إمضائه
مع القدرة من كظمت القربة إذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه
ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا • والعافين عن الناس • التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي عليه السلام
إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت • والله يحب المحسنين
يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الإشارة إليهم • والذين إذا فعلوا فاحشة • فعلة
بالغة في القبح كالزنا • أو ظلموا أنفسهم • بأن أذنبوا أي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة
وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك • ذكروا الله • تذكروا وعيده
أو حكمه أو حقه العظيم • فاستغفروا لذنوبهم • بالندم والتوبة • ومن يغفر الذنوب إلا الله • استفهام
بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار
والوعد بقبول التوبة • ولم يصروا على ما فعلوا • ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام
ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة • وهم يعلمون • حال من يصروا أي ولم يصروا على قبيح فعلهم
عالمين به • أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها • خبر للذين
إن ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها إن عطفته على المتقين أو على الذين ينفقون ولا يلزم من إعداد
الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من إعداد النار للكافرين جزاء لهم
أن لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على أن ما لهم أدون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات
المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين أنه فصل آيتهم بأن بين أنهم محسنون مستوجبون
لمحبة الله وذلك لأنهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا إلى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء
بقوله • ونعم أجر العاملين • لأن المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين
المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالأجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات • قد خلت من قبلكم سنن • وقائع سنها الله في الأمم
المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل أمم قال الشاعر
ما عاين الناس من فضل كفضلكم • ولا رأوا مثلكم في سالف السنن • فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم • هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين • إشارة إلى قوله قد خلت
أو مفهوم قوله فانظروا أي أنه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين

او للمخلص من المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن
ولا تهنوا ولا تحزنوا • تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم فيه ولا تحزنوا
على من قتل منكم • وانتم الاعلون • وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة
وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم
اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة • ان كنتم مؤمنين • متعلق بالنهي
اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون • ان يمسسكم قرح فقد مس
القوم قرح مثله • قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما
لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد
فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله
ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عم • وتلك
الايام نداولها بين الناس • نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله • فيوما علينا
ويوما لنا • ويوما نساء ويوما نسر • والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه
والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة
وليعلم الله الذين آمنوا • عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا
بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف
تقديره • وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه
ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم
علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا • ويتخذ منكم شهداء • ويكرم ناسا منكم
بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر
على الشدائد • والله لا يحب الظالمين • الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض
وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين
وليمحص الله الذين آمنوا • ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم • ويمحق الكافرين • ويهلكهم
ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا • ام حسبتم ان تدخلوا الجنة • بل احسبتم ومعناه الانكار
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم • ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين
لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون • ويعلم
الصابرين • نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا
وانتم صابرون • ولقد كنتم تمنون الموت • اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب
للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله عم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة
فالحوا يوم احد على الخروج • من قبل ان تلقوه • من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته • فقد رأيتموه
وانتم تنظرون • اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم
تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار •
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل • فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل • افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم • انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل

قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله عم بحجر فكسر رباعيته
وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي
فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل رسول الله عم يدعو
الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال
بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا
الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت
وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ
اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت • ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا • بارتداده
بل يضر نفسه • وسيجزي الله الشاكرين • على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه • وما كان لنفس
ان تموت الا باذن الله • الا بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت عم في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس
اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام
عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول عم بالحفظ وتأخير الاجل • كتابا • مصدر
مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا • مؤجلا • صفة له اي مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر • ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها • تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم
واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم
من ورائهم فهزموهم • ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها • اي من ثوابها • وسنجزي الشاكرين • الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد • وكأين • اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون
تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة
كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا
كما ابدلت من طائي • من نبي • بيان له • قاتل معه ربيون كثير • ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم
وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ
ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر • فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله •
فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم • وما ضعفوا • عن العدو او في الدين • وما استكانوا •
وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده
والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض
لما اصابهم عند الارجاف بقتله عم • والله يحب الصابرين • فينصرهم ويعظم قدرهم • وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين •
اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب
والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب
التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة
وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث • فآتاهم الله ثواب

وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم بسبب الاستغفار واللجاء الى الله النصر والغنيمة والعز
وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به
عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول
المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا
لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم
فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم
وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما
قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا
ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب
بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة
ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة
القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده
اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل
الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم
باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة
فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون
فقال بعضهم فما موقفنا هاهنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت اميرهم في نفر
دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر
والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون
المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول عم ثم صرفكم
عنهم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم
من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها
سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا
والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف
احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة
في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح
وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول عم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله عم بعصيانكم
لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة
والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل
الضمير في فأثابكم للرسول عم اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه

ولم يثربكم

ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة
والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل
عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط
من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او
هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع
كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم
انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر
اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة
الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله
ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا
تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون
لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع
على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل
من يخفون او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد او زعم ان الامر كله
لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا
لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة
ولم ينج منهم احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم
ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي
او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على لكيلا تحزنوا
وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها
قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين
واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا
ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة ومخالفة النبي عم فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل
استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة
وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد
عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم

انما هم في السفر المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية. او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم. والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد. والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا. ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات. لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا. ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر. فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه. ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة. فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا. ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح. ان ينصركم الله فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه. وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به. وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول عليه السلام على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي

ويعقوب

ويعقوب ان يُغَلّ على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا اي ينسب الى الغلول. ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه. ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود مع المبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى. وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم. أفمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع. هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها. لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه. اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم. يتلو عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي. ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال. ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة. وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول عليه السلام في ضلال ظاهر. أولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر. قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر. ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم. وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه او تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه. وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء. وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ. تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه. قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء. هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخذالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخذالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين. يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير. والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات. الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون

أو نصب على الذم أو الوصف للذين نافقوا أو جر بدلاً من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم كقوله لضن بالماء
حاتم. لإخوانهم أي لأجلهم يريد من قتل يوم أحد من أقاربهم أو جنسهم. وقعدوا حال مقدرة بقد
أي قالوا قاعدين عن القتال. لو أطاعونا في القعود. ما قتلوا كما لم نقتل. قل فادرؤوا عن أنفسكم
الموت إن كنتم صادقين. أي إن كنتم صادقين أنكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم
الموت وأسبابه فإنه أحرى بكم. والمعنى أن القعود غير مغن فإن أسباب الموت كثيرة وكما أن القتال يكون
سبباً للهلاك والقعود سبباً للنجاة قد يكون الأمر بالعكس. ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً
نزلت في شهداء أحد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله عم أو لكل أحد وقرئ بالياء على أن
الضمير لرسول الله أو من يحسب أو الذين قتلوا والمفعول الأول محذوف لأنه في الأصل مبتدأ جائز الحذف
عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين. بل أحياء. بل هم أحياء وقرئ بالنصب
على بل احسبهم أحياء. عند ربهم ذوو زلفى منه. يرزقون من الجنة وهو تأكيد لكونهم أحياء. فرحين
بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والقرب من الله والتمتع بنعيم
الجنة. ويستبشرون يسرون بالبشارة. بالذين لم يلحقوا بهم أي بإخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا
فيلحقوا بهم من خلفهم أي الذين من خلفهم زماناً أو رتبة. ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين
والمعنى أنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم إذا ماتوا أو قتلوا
كانوا أحياء لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على أن الإنسان
غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه إدراكه وتألمه
والتذاذه. ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس أنه قال
أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل
معلقة في ظل العرش ومن أنكر ذلك ولم ير الروح إلا ريحاً وعرضاً قال هم أحياء يوم القيامة
وإنما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه أو أحياء بالذكر أو بالإيمان وفيها حث على الجهاد وترغيب
في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة وإحماد لمن يتمنى لإخوانه مثل ما أنعم عليه وبشرى للمؤمنين
بالفلاح. يستبشرون كرره للتأكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله أن لا خوف ويجوز أن يكون
الأول بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم. بنعمة من الله ثواباً لأعمالهم. وفضل زيادة عليه
كقوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة. وتنكيرهما للتعظيم. وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين
من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك
أجر لهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة وأجوره مضيعة. الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما أصابهم القرح صفة للمؤمنين أو نصب على المدح أو مبتدأ خبره للذين أحسنوا منهم
واتقوا أجر عظيم ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لأن
المستجيبين كلهم محسنون متقون روي أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا
وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله عم فندب أصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا إلا من
حضر يومنا بالأمس فخرج رسول الله عم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال
من المدينة وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت. الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود

الأشجعي

الأشجعي وأطلق عليه الناس لأنه من جنسهم كما يقال فلان يركب الخيل وما له إلا فرس واحد ولأنه انضم إليه
ناس من المدينة وأذاعوا كلامه. إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني أبا سفيان وأصحابه روي
أنه نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال رسول الله عم إن شاء الله
فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فأنزل الله الرعب في قلبه وبدا له أن يرجع
فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم
ابن مسعود وقد قدم معتمراً فسأله ذلك والتزم له عشراً من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا
فقال عم والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون
حسبنا الله. فزادهم إيماناً. الضمير المستكن للمقول أو لمصدر قال أو لفاعله إن أريد به نعيم
وحده والبارز للمقول لهم والمعنى أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله
وازداد إيمانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يزيد
وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر إن جعل الطاعة من جملة الإيمان وكذا
إن لم يجعل فإن اليقين يزداد بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج. وقالوا حسبنا الله محسبنا
وكافينا من أحسبه إذا كفاه ويدل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفاً في قولك
هذا رجل حسبك. ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو. فانقلبوا فرجعوا من بدر. بنعمة من الله عافية
وثبات على الإيمان وزيادة فيه. وفضل وربح في التجارة فإنهم لما أتوا بدراً وافوا بها سوقاً
فاتجروا وربحوا. لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو. واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط
الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم. والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل
ما يسوءهم وإصابة النفع مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة
رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به. إنما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيماً أو أبا سفيان والشيطان
خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته أو صفته وما بعده خبر ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير
مضاف أي إنما ذلكم قول الشيطان يعني إبليس. يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول
أو يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه. فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الأول
وإلى الأولياء على الثاني. وخافون في مخالفة أمري فجاهدوا مع رسولي. إن كنتم مؤمنين
فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله على خوف الناس. ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعاً
حرصاً عليه وهم المنافقون من المتخلفين أو قوم ارتدوا عن الإسلام والمعنى لا يحزنك خوف أن يضروك
ويعينوا عليك لقوله إنهم لن يضروا الله شيئاً أي لن يضروا أولياء الله بمسارعتهم في الكفر
وإنما يضرون بها أنفسهم وشيئاً يحتمل المفعول والمصدر. يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة
نصيباً من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الإرادة
إشعار بأن كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته وأنه مسارعتهم
في الكفر لأنه تعالى لم يرد لهم أن يكون لهم حظ في الآخرة. ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب

ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد
تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم
خطاب للرسول عم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد
لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني
على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا يحسبن حال
الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تنفصل في الخط ولكنها وقعت
متصلة في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل
وان مع ما في حيزه مفعوله وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال
واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى الطول ليرعى كيف شاء انما نملي
لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام
العاقبة وقرئ انما بالفتح ههنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا
ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه
ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون
حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى
يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم
من منافقكم حتى يميز المخلص من المنافق بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها
ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به
على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي
احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء
فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص
او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون
الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت
وعن السدي انه عم قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف
من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم
اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه
ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم
وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول عم او ضمير احد وان جعل الموصول كان المفعول
الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو شر لهم لاستجلاب
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة في عنقه يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض
اي وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه
ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء
خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ
في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي

يقرض الله

يقرض الله قرضا وروي انه عم كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سأل
القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله عم وجحد ما قاله
فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق
اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن
والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ
على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء
وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا
العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك
ساير المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على
المال وغالب حاجات الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال
ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدي
عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب
من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف
ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي
كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي عم فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله
اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان
الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم
فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات
اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم
وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك
فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول عم من تكذيب قومه
واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا كتبته والكتاب في عرف
القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل
الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها
مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا
كان او شرا يوم القيامة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده
قوله عم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عن النار والزحزحة
في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية
وعن النبي عم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي
الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع

الذي يدلس به على المستام ويغره حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة
فهي متاع بلاغ والغرور مصدر أو جمع غار • لتبلون أي والله لتختبرن • في أموالكم بتكليف
الإنفاق وما يصيبها من الآفات • وأنفسكم بالجهاد والقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف
والأمراض والمتاعب • ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا من هجاء
الرسول ع م والطعن في الدين وإغراء الكفرة على المسلمين أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا
أنفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها • وإن تصبروا على ذلك
وتتقوا مخالفة أمر الله فإن ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الأمور من معزومات الأمور التي
يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو
إمضائه • وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب يريد العلماء • لتبيننه للناس ولا تكتمونه
حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لأنهم غيب واللام جواب
القسم الذي ناب عنه قوله أخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب • فنبذوه أي الميثاق •
وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا إليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم
الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه وإلقاؤه بين عينيه • واشتروا به ثمنا قليلا • من حطام الدنيا
وأعراضها • فبئس ما يشترون يختارون لأنفسهم وعن النبي ع م من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار
وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا • لا تحسبن الذين
يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب
للرسول ع م ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الأول الذين يفرحون والثاني
بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان
الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق بمفازة
بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول
وضمها في الثاني على أن الذين فاعل ومفعولا يحسب محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكأنه
قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا أنفسهم بمفازة أو المفعول الأول محذوف وقوله
فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأول • ولهم عذاب أليم بكفرهم وتدليسهم روي
أنه ع م سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيها وأروه أنهم قد صدقوه
وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة
في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فإنهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون إلى المسلمين
بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة • ولله ملك السموات والأرض فهو يملك أمرهم • والله على كل شيء
قدير • فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم إن الله فقير • إن في خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار لآيات لأولي الألباب • لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على
هذه الثلاثة في هذه الآية لأن مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فإنه
إما أن يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج
عنه كتغير الأفلاك بتبدل أوضاعها وعن النبي ع م ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها • الذين يذكرون الله

قياما

قياما وقعودا وعلى جنوبهم • أي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين
ومضطجعين وعنه ع م من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل يصلون على الهيئات
الثلاث حسب طاقتهم لقوله ع م لعمران بن حصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع
فعلى جنب تومئ إيماء فهو حجة للشافعي في أن المريض يصلي مضطجعا على جنبه الأيمن مستقبلا
بمقاديم بدنه • ويتفكرون في خلق السموات والأرض استدلالا واعتبارا وهو أفضل العبادات
كما قال ع م لا عبادة كالتفكر لأنه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه ع م بينما رجل مستلق
على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر
الله إليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الأصول وفضل أهله • ربنا ما خلقت هذا باطلا
على إرادة القول أي يتفكرون قائلين ذلك وهذا إشارة إلى المتفكر فيه أو إلى الخلق على أنه أريد به
المخلوق من السموات والأرض أو إليهما لأنهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة
بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الإنسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك
ويحثه على طاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السرمدية في جوارك • سبحانك تنزيها لك من العبث
وخلق الباطل وهو اعتراض • فقنا عذاب النار • للإخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة
الفاء فيه الدلالة على أن علمهم بما لأجله خلقت السموات والأرض حملهم على الاستعاذة • ربنا إنك
من تدخل النار فقد أخزيته • غاية الإخزاء وهو نظير قوله فمن زحزح عن النار فقد
فاز والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه إشعار بأن العذاب
الروحاني أفظع • وما للظالمين من أنصار • أراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على أن ظلمهم سبب لإدخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة
نفي الشفاعة لأن النصر دفع بقهر • ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان • أوقع الفعل
على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في إيقاعه على نفس المسموع
وفي تنكير المنادي وإطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول وقيل القرآن والنداء
والدعاء ونحوهما يعدى بإلى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص • أن آمنوا بربكم
فآمنا • أي آمنوا أو بأن آمنوا فامتثلنا • ربنا فاغفر لنا ذنوبنا • كبائرنا فإنها ذات تبعة • وكفر
عنا سيئاتنا • صغائرنا فإنها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر • وتوفنا مع الأبرار • مخصوصين
بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على أنهم محبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والأبرار
جمع بر أو بار كأرباب وأصحاب • ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك • ما وعدتنا على تصديق رسلك
من الثواب لما أظهروا امتثاله لما أمر به سألوا ما وعد عليه لا خوفا من إخلاف الوعد بل مخافة أن لا يكونوا
من الموعودين لسوء عاقبة أو قصور في الامتثال أو تعبدا واستكانة ويجوز أن يتعلق على بمحذوف
تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك • ولا تخزنا يوم
القيامة • بأن تعصمنا عما يقتضيه • إنك لا تخلف الميعاد • بإثابة المؤمن وإجابة الداعي وعن ابن عباس
الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو
شأنها وفي الآثار من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف • فاستجاب لهم ربهم إلى طلبتهم
وهو أخص من أجاب ويعدى بنفسه وباللام • أني لا أضيع عمل عامل منكم • أي بأني لا أضيع عمل عامل منكم

بالكسر على إرادة القول. من ذكر أو أنثى بيان عامل. بعضكم من بعض لأن الذكر من الأنثى
من الذكر أو لأنهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال والاتحاد أو للاجتماع والاتفاق في الدين
وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي أن أم سلمة قالت يا رسول الله
إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت. فالذين هاجروا إلى آخره تفصيل
لأعمال العمال وما أعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك أو الأوطان
والعشائر للدين. وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي بسبب إيمانهم بالله ومن أجله. وقاتلوا
الكفار. وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لأن الواو لا توجب ترتيبا والثاني أفضل
أو لأن المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير.
لأكفرن عنهم سيئاتهم لأمحونها. ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله أي أثيبهم
بذلك إثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد. والله عنده حسن الثواب على الطاعة قادر عليه. لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي عم والمراد أمته أو تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين
أو لكل أحد والنهي في المعنى للمخاطب وإنما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر إلى
ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم
روي أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى
من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت. متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي ذلك التقلب
متاع قليل لقصر مدته في جنب ما أعد الله للمؤمنين قال عم ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم
إصبعه في اليم فليتظر بم يرجع. ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد أي ما مهدوا لأنفسهم. لكن الذين اتقوا
ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله. النزل والنزل ما يعد للنازل
من طعام وشراب قال أبو الشعراء الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا. جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل إنه مصدر مؤكد والتقدير أنزلوها نزلا. وما
عند الله لكثرته ودوامه خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله. وإن من أهل الكتاب لمن
يؤمن بالله نزلت في ابن سلام وأصحابه وقيل في أربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا نصارى فأسلموا وقيل في أصحمة النجاشي لما نعاه جبريل إلى رسول الله عم فخرج وصلى عليه
فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وإنما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه
وبين إن بالظرف. وما أنزل إليكم من القرآن. وما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل. خاشعين لله حال من فاعل
يؤمن وجمعه باعتبار المعنى. لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من أحبارهم. أولئك لهم
أجرهم عند ربهم ما خص بهم من الأجر ووعده في قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين. إن الله سريع
الحساب لعلمه بالأعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد أن الأجر
الموعود سريع الوصول فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء. يا أيها الذين آمنوا اصبروا على مشاق
الطاعات وما يصيبكم من الشدائد. وصابروا وغالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب وأعدى
عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقا لشدته. ورابطوا أبدانكم
وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم على الطاعة كما قال عم من الرباط انتظار الصلاة بعد
الصلاة وعنه عم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر

عن صلوة

عن صلوة إلا لحاجة. واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح
أو اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات
ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها
بالشريعة والطريقة والحقيقة وعن النبي عم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر
جهنم وعنه عم من قرأ السورة التي تذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم. اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم. وخلق
منها زوجها عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منها أمكم حواء من ضلع من أضلاعها
أو على محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة
منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثر
وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة
التي من حقها أن تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى
فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث
على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث. واتقوا الله الذي تساءلون به أي يسأل بعضكم بعضا
فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فأدغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
بطرحها. والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أي
اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف
لأنه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أي مما يتقى
ويتساءل به وقد نبه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه وعنه عم الرحم معلقة
بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله. إن الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا
وآتوا اليتامى أموالهم أي إذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة وهو إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب
فقيل يتامى أو على أنه جمع على يتمى كأسرى لأنه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى على أسارى
والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية إما
للبلغ على الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل
أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم صغارا أو لغير البلغ والحكم
مقيد فكأنه قال وآتوهم إذا بلغوا ويؤيد الأول ما روي أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير
لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله
من الحوب الكبير. ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الأمر
الخبيث وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس
مكانها وهذا تبدل وليس بتبديل. ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم
أي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذا حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى

فليأكل بالمعروف. إنه الضمير للأكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حَوبا وهو مصدر حاب
حوبا وحابا كقال قولا وقالا. وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء أي
إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن إذ كان الرجل يجد
يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن
أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء
فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لأن المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج من الذنوب كلها على ما روي
أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن فنزلت
وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامى
فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم. وإنما عبر عنهن بما ذهابا إلى الصفة أو إجراء لهن مجرى غير العقلاء
لنقصان عقلهن ونظيره أو ما ملكت أيمانكم. وقرئ تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة كما في لئلا يعلم
أي إن خفتم أن تجوروا. مثنى وثلاث ورباع معدولة عن أعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا
وأربعا أربعا غير منصرفة للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن كانت أصولها لم تبن لها. وقيل
لتكرير العدل فإنها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها
الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقسموا هذه
البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد دون التوزيع
ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف في العدد. فإن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد أيضا
فواحدة فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على أنه فاعل محذوف أو خبره تقديره
فيكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة. أو ما ملكت أيمانكم سوى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري
لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن. ذلك أي التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسري أدنى ألا تعولوا
أقرب من أن لا تميلوا يقال عال الميزان إذا مال وعال الحاكم إذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام
وفسر بأن لا تكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن
على الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الأزواج وإن
أريد الأولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالإضافة
إلى تزوج الأربع. وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف
وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة. نحلة
عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة
ونحوها نظر إلى مفهوم الآية لا إلى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لأنها في معنى الإيتاء أو الحال
من الواو أو الصدقات أي آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه
عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا إذا دان به على أنه مفعول له أو حال من الصدقات
أي دينا من الله شرعه. والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور موليّاتهم. فإن طبن
لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى أو يجري مجرى اسم الإشارة كقول رؤبة فيها خطوط كأنه
في الجلد توليع البهق أردت كأن ذاك. وقيل للإيتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى
فإن وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي

والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب. فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وأنفقوه حلالا
بلا تبعة. والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا ساغ من غير غصص أقيمتا
مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الإنسان
والمريء ما يحمد عاقبته. روي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئا مما ساق إليها
فنزلت. ولا تؤتوا السفهاء أموالكم نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها
وإنما أضاف الأموال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة
والمتأخرة. وقيل نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم
وإنما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على أنفسهم وهو أوفق لقوله التي جعل
لكم قياما أي تقومون بها وتنتعشون وعلى الأول يؤول بأنها من جنس ما جعل الله لكم قياما وسمى ما به
القيام قياما للمبالغة. وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به
وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها
ما يحتاجون إليه. وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل
بالحسن والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه. وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح
الدين والتهدي إلى ضبط المال وحسن التصرف بأن يكل إليه مقدمات العقد وعند أبي حنيفة بأن يدفع
إليه ما يتصرف فيه. حتى إذا بلغوا النكاح حتى إذا بلغوا حد البلوغ بأن يحتلم أو يستكمل
خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه وأقيمت عليه
الحدود. وثماني عشرة سنة عند أبي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لأنه يصلح للنكاح عنده
فإن آنستم منهم رشدا فإن أبصرتم منهم رشدا وقرئ أحستم بمعنى أحسستم. فادفعوا إليهم أموالهم
من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن الشرطية جواب إذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء
فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد
منهم. وهو دليل على أنه لا يدفع إليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة إذا زادت على سن البلوغ
سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع إليه
المال وإن لم يؤنس الرشد. ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم
أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم. ومن كان غنيا فليستعفف من أكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
بقدر حاجته وأجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال
الصبي. وعنه عليه السلام أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا
ولا واق مالك بماله. وإيراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على أنه نهي للأولياء أن يأخذوا وينفقوا
على أنفسهم أموال اليتامى. فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم بأنهم قبضوها فإنه أنفى للتهمة
وأبعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وهو المختار
عندنا وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة. وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تجاوزوا
ما حد لكم. للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون
يريد بهم المتوارثين بالقرابة. مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بإعادة العامل. نصيبا مفروضا
نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله أو حال إذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا أو على الاختصاص

بعد ما عين نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه
روي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد
وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال
ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت
اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن
نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل
على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب • واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه • فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ
من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة • وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم • وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم • امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل
بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على
اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم
او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم
لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة
فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم
لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه
والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا • امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة
للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة
وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة
الثلث وتضييع الورثة • ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما • ظالمين او على وجه الظلم • انما يأكلون في بطونهم
ملء بطونهم نارا • ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي برزة انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج
افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون
في بطونهم نارا • وسيصلون سعيرا • سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم
بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته
القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها • يوصيكم الله • يامركم ويعهد اليكم
في اولادكم • في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله • للذكر مثل حظ الانثيين • اي يعد كل ذكر بانثيين
حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان
فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر
منهم فحذف للعلم به • فان كن نساء • اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار
الخبر او على تاويل المولودات • فوق اثنتين • خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن

ثلثا ما ترك

ثلثا ما ترك • المتوفى منكم ويدل عليه المعنى • وان كانت واحدة فلها النصف • اي وان كانت المولودة
واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة
لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ
الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم
ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك
ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين
امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك • ولابويه • ولابوي
الميت • لكل واحد منهما • بدل منه بتكرير العامل وفائدة التنصيص على استحقاق كل منهما • السدس • والتفصيل
بعد الاجمال تاكيدا • السدس • مما ترك ان كان له ولد • والولد يقع على الذكر والانثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى
بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة • فان لم يكن له ولد • وورثه ابواه • فحسب
فلامه الثلث • مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب
الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون حظها مع
احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قال ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل
الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع • فان كان له اخوة فلامه
السدس • باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب
وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة
من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون
الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة
التي قبلها • من بعد وصية يوصي بها او دين • متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه
الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على
انهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة
في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ
ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد • اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا •
اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم
به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة
سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منكم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته
ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية • فريضة من الله • مصدر
مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم • ان الله كان عليما • بالمصالح والرتب
حكيما • فيما قضى وقدر • ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن • اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى
منكم او من غيركم • من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان
لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين • فرض للرجل بحق الزواج كما
في النسب ضعف ما للمرأة • وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا

او اعلاه الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحد والعدد منهن في الربع والثمن • وان كان رجل
اي الميت • يورث • اي يورث منه من ورث صفة رجل • كلالة • خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير
فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الولد والوالد ويجوز
ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء
للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث
مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى
الاقي محمدا • فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها وصف بها الموروث والوارث
بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي • او امراة • عطف على رجل • وله • اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم
المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه • اخ او اخت • اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعيد بن مالك
وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد
الام وان ما قدر ههنا فرض الام فناسب ان يكون لاولادها • فلكل واحد منهما السدس فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث • سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة
ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع
من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار • اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة
بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة
والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم
وصية من الله • مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية
بالاضافة اي لا يضار وصيته وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصيته منه بالاولاد
بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب • والله عليم • بالمضار وغيره • حليم • لا يعاجل بعقوبته • تلك اشارة
الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث • حدود الله • شرايعه التي
هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها • ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا
خالدا فيها وله عذاب مهين • توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ
نافع وابن عامر ندخله بالنون • وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به
غدا وكذا خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير
من هما له • واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم • اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها
ورهقها وغشيها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها • فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم • فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين يشهدوا عليهن • فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت • فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن • حتى يتوفاهن
الموت • يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام
فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن
ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني
او يجعل الله لهن سبيلا • كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح والاكت

ياتيانها

واللذان ياتيانها • يعني الزانية والزاني وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين
مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين • فاذوهما • بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتقريع
والجلد • فان تابا واصلحا • فاعرضوا عنهما • فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض
والستر • ان الله كان توابا رحيما • علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة
على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات
وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة • انما التوبة على الله • اي ان قبول التوبة كالمحتوم
على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته • للذين يعملون السوء بجهالة • ملتبسين بها سفها
فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته •
ثم يتوبون من قريب • من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت
وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع
الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض
اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او
يزين السوء • فاولئك يتوب الله عليهم • وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة
على الله • وكان الله عليما • فهو يعلم باخلاصهم في التوبة • حكيما • والحكيم لا يعاقب التائب وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون
وهم كفار • سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في
نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء
سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف
كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار • اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما • تاكيد لعدم قبول
توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم وانه لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو
العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء • يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها • كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء
تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي
بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن
كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم
المشقة وبالفتح ما يكره عليه • ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن • عطف على ان ترثوا
ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة
ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا
منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل
الا ان ياتين بفاحشة مبينة • كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء
من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين
بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا لان ياتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة
بفتح الياء ههنا وفي الاحزاب والطلاق والباقون بكسرها فيهما • وعاشروهن بالمعروف •

بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول • فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل
الله فيه خيراً كثيراً • أي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح ديناً وأكثر خيراً
وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير وعسى في الأصل علة
للجزاء فأقيم مقامه والمعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم
وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج • تطليق امرأة وتزوج أخرى • وآتيتم إحداهن
أي إحدى الزوجات جمع الضمير لأنه أراد بالزوج الجنس • قنطاراً • مالاً كثيراً • فلا تأخذوا
منه شيئاً • أي من القنطار • أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً • استفهام إنكار وتوبيخ أي أتأخذونه
باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبناً لأن الأخذ بسبب بهتانهم
واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم إذا أراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها
إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب
الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم • وكيف
تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض • إنكار لاسترداد المهر والحال أنه وصل إليها بالملامسة
ودخل بها وتقرر المهر • وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً • عهداً وثيقاً وهو حق الصحبة والممازجة
أو ما أوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أو ما أشار إليه النبي ﷺ
أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله • ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم • ولا تنكحوا التي
نكحها آباؤكم وإنما ذكر ما دون من لأنه أريد به الصفة وقيل ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر
من النساء • بيان ما نكح على الوجهين • إلا ما قد سلف • استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل
تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف أو من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم
كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم إلا ما قد سلف
إن أمكنكم أن تنكحوا وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما سلف فإنه لا مؤاخذة عليه لا أنه مقرر
إنه كان فاحشة ومقتاً • علة للنهي أي إن نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لأمة من الأمم
ممقوتاً عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة أبيه المقتي • وساء سبيلاً • سبيل
من يراه • حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت
ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لأنه معظم ما يقصد منهن ولأنه المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل
من قوله حرمت عليكم الميتة ولأن ما قبله وما بعده في النكاح وأمهاتكم تعم من ولدتك أو ولدت من ولدك
وإن علت وبناتكم تتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وإن سفلت وأخواتكم الأخوات من الأوجه
الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكراً ولدك والخالة كل أنثى ولدها
من ولد أنثى ولدتك قريباً أو بعيداً وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القربى والبعدى • وأمهاتكم اللاتي
أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة • نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أماً والمراضعة
أختاً وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب واستثناء أخت ابن الرجل وأم أخيه من الرضاع من هذا الأصل ليس بصحيح
فإن حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب • وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن • ذكر أولاً محرمات النسب ثم الرضاعة لأن لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة

فإن حرمتهن عارض لمصلحة الزواج • والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربه
كما يرب ولده في غالب الأمر فعيل بمعنى مفعول وإنما لحقته التاء لأنه صار اسماً • من نسائكم • متعلق
بربائبكم • واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالإجماع قضية للنظم ولا يجوز
تعليقها بالأمهات أيضاً لأن من إذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وإن علقتها بالأمهات
لم يجز ذلك بل وجب أن يكون بياناً لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الأدباء
اللهم إلا إذا جعلتها للاتصال كقوله فإني لست منك ولست مني على معنى أن أمهات النساء
وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول ﷺ فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن
يدخل بها إنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وإليه ذهب عامة العلماء
غير أنه روي عن علي تقييد التحريم فيهما ولا يجوز أن يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لأن عاملهما
مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى أن الربائب إذا دخلتم بأمهاتهن
وهن في احتضانكم أو بصدده قوي الشبه بينها وبين أولادكم فصارت أحقاء بأن تجروها
مجرى أولادكم لا تقييد الحرمة وإليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي أنه جعله شرطاً والأمهات والربائب
تتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن أي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع
ويؤثر فيما ليس بزنا كوطء بشبهة أو ملك يمين وعند أبي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول
فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم • تصريح بعد إشعار دفعاً للقياس • وحلائل
أبنائكم • زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج • الذين من أصلابكم • احتراز
عن المتبنين لا عن أبناء الولد • وأن تجمعوا بين الأختين • في موضع الرفع عطفاً على المحرمات والظاهر
أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك
اليمين ولذلك قال عثمان وعلي حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم
فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله ﷺ
ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام • إلا ما قد سلف • استثناء عن لازم المعنى أو منقطع معناه
لكن ما سلف مغفور لقوله • إن الله كان غفوراً رحيماً • والمحصنات من النساء • ذوات الأزواج
أحصنهن التزوج أو الأزواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد لأنهن أحصن فروجهن • إلا ما ملكت
أيمانكم • يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع
بالسبي لقول أبي سعيد أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا
النبي ﷺ فنزلت الآية فاستحللناهن وإياه عنى الفرزدق بقوله • وذات حليل أنكحتها رماحنا
والحديث حجة عليه • كتاب الله عليكم • مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً وقرئ
كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل • وأحل لكم •
عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم
على البناء للمفعول عطفاً على حرمت • ما وراء ذلكم • ما سوى المحرمات الثمان المذكورة
وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة
وعمتها وخالتها • أن تبتغوا بأموالكم بالصرف في مهورهن أو أثمانهن في حال كونكم
محصنين غير مسافحين ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن تصرفوا أموالكم

محصنين غير مسافحين او بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لابد وان يكون مالا
ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح
وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم
به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع
فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر
مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي
او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين
فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي به
اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان
عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء
واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر
صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني
الحرائر لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر الآية
حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداقا للحرة ومنع نكاح الكتابية
مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل
قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا
من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة
حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة
ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر
وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل
الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه بعضكم
من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن
باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن
العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن
باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر
للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر
بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات
بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج فان اتين
بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم
لان الرجم لا ينتصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع
في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر

اعظم من مواقعة الاثم بالحنث الشاق وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء
وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح
البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم
ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين
مفعول يريد واللام مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد
اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف
وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من
تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم
الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم
بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتأكيد والمبالغة ويريد
الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما
سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل
اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق
ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى
ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة
الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضائق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان
ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس ثمان آيات
في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث و
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة
ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم
بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض
منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا
كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص
التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز
ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه
الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم
اي الا ان تكون التجارة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند
او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تأول في التيمم لخوف
البرد فلم ينكر عليه النبي عليه السلام او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها
فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس
واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها
استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه
بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان
بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة

الى القتل او ما سبق من المحرمات • عدوانا وظلما • افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه
وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب •
فسوف نصليه نارا • ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه
يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي
وكان ذلك على الله يسيرا • لا عسر فيه ولا صارف عنه • ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس • نكفر عنكم
سيئاتكم • نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة
كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع
وعن النبي عم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة
واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رض
الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد هنا انواع الشرك لقوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة
الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما
وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث
لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر
ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب
نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ عليها •
وندخلكم مدخلا كريما • الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع
هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر • ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض • من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي
للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضاء بما قسم الله له
وانه تشهي لحصول الشيء من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة
لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع
ومحال • للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن • بيان لذلك
اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل
لا بالحسد والتمني كما قال عم ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة
بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة
والنقص كالمكتسب له • واسألوا الله من فضله • اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله
من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله
بما يقربه ويسوقه اليكم • ان الله كان بكل شيء عليما • فهو يعلم ما يستحقه كل انسان
فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا
نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت • ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل
او لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل

والوالدان

والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون
لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان
والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ
وخبر • والذين عقدت ايمانكم • موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف
فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد
رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورثه او الازواج على ان العقد عقد
النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره • فآتوهم نصيبهم • او منصوب بمضمر يفسره
ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة
المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم
ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى
ان الله كان على كل شيء شهيدا • تهديد على منع نصيبهم • الرجال قوامون على النساء • يقومون
عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال • بما فضل الله
بعضهم على بعض • بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد
القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر
والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم
في الميراث والاستبداد بالفراق • وبما انفقوا من اموالهم • في نكاحهن كالمهر والنفقة روي
ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله عم فشكا فقال عم لتقتص منه فنزلت فقال
اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير • فالصالحات قانتات • مطيعات لله
قائمات بحقوق الازواج • حافظات للغيب • لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج
ما يجب حفظه في النفوس والمال وعنه عم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان
امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم
بما حفظ الله • بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن
وقرئ بما حفظ الله على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى
بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال • واللاتي تخافون
نشوزهن • عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز • فعظوهن واهجروهن
في المضاجع • في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع
وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن • واضربوهن • يعني ضربا غير مبرح ولا شائن
والامور الثلاثة مترتبة ينبغي ان يتدرج فيها • فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا •
بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له • ان الله كان عليا كبيرا • فاحذروه فانه اقدر عليكم
منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو

عن أن واحكم آياته يتعالى ويتكبر أن يظلم أحدا أو ينقص حقه • وإن خفتم شقاق بينهما • خلافا
بين المرأة وزوجها أضمرهما وإن لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما وإضافة الشقاق إلى الظرف
إما لإجرائه مجرى المفعول به كقولك يا سارق الليلة أو الفاعل كقولك نهارك صائم • فابعثوا حكما
من أهله وحكما من أهلها • فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الأمر أو إصلاح
ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والإصلاح من أهله وآخر من أهلها فإن الأقارب
أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الأجانب جاز وقيل
الخطاب للأزواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والأظهر أن النصب لإصلاح ذات البين أو
لتبيين الأمر ولا يليان الجمع والتفريق إلا بإذن الزوجين وقال مالك لهما أن يتخالعا إن وجدا الصلاح
فيه • إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما • الضمير الأول للحكمين والثاني للزوجين أي إن قصدا
الإصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين أي إن قصدا الإصلاح
يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين أي إن أرادا الإصلاح و
زوال الشقاق أوقع الله بينهما الألفة والوفاق وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه
إن الله كان عليما خبيرا • بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق •
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا • صنما أو غيره أو شيئا من الإشراك جليا أو خفيا • وبالوالدين إحسانا
وأحسنوا بهما إحسانا • وبذي القربى • وبصاحب القرابة • واليتامى والمساكين والجار ذي
القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرئ بالنصب على الاختصاص
تعظيما لحقه • والجار الجنب • البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار
وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد حق الجوار
وهو المشرك من أهل الكتاب • والصاحب بالجنب • الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة
وسفر فإنه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة • وابن السبيل • المسافر أو الضيف • وما ملكت أيمانكم
العبيد والإماء • إن الله لا يحب من كان مختالا • متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت
إليهم • فخورا • يتفاخر عليهم • الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل • بدل من قوله من كان أو نصب
على الذم أو رفع عليه أي هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به
ويأمرون الناس بالبخل به • وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله • الغنى والعلم فهم أحقاء بكل ملامة • وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع الظاهر فيه موضع المضمر إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله
فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون
للأنصار تنصيحا لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عليه السلام
والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس • عطف على الذين يبخلون أو الكافرين وإنما شاركهم في الذم والوعيد
لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق لا على ما ينبغي من حيث إنهما طرفا إفراط وتفريط سواء
في القبح واستجلاب الذم أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان •
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر • ليتحروا بالإنفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل
المنافقون • ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا • تنبيه على أن الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك

وزينه لهم

وزينه لهم كقوله إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين والمراد إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة
ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار • وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله • أي وما الذي عليهم أو أي تبعة تحيق بهم بسبب الإيمان والإنفاق
في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه
وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد
الجميلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطا فكيف إذا تضمن المنافع
وإنما قدم الإيمان ههنا وأخره في الآية الأخرى لأن القصد بذكره إلى التخصيص ههنا
والتعليل ثمة • وكان الله بهم عليما • وعيد لهم • إن الله لا يظلم مثقال ذرة • لا ينقص من الأجر
ولا يزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء
والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم جزاؤه • وإن تك
حسنة • وإن يك مثقال الذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافة المثقال إلى مؤنث
وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان
التامة • يضاعفها • يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما
بمعنى • ويؤت من لدنه • ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة
العمل • أجرا عظيما • عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لأنه تابع للأجر مزيد عليه • فكيف إذا
جئنا من كل أمة بشهيد • فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة
بشهيد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول
الأمر وتعظيم الشأن • وجئنا بك يا محمد • على هؤلاء شهيدا • تشهد على صدق هؤلاء
الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء إشارة
إلى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل إلى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا • يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الأرض • بيان لحالهم ثمة أي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الأمر أو الكفرة والعصاة
في ذلك الوقت أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى أو لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا
هم والأرض سواء • ولا يكتمون الله حديثا • ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد
عليهم وقيل الواو للحال أي يودون أن تسوى بهم الأرض وحالهم أنهم لا يكتمون الله حديثا
ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روي أنهم إذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم
فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرأ نافع وابن عامر
تسوى على أن أصله تتسوى فأدغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء
الثانية يقال سويته فتسوى • يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون • لا تقوموا إليها وأنتم سكارى من نحو نوم أو خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون
في صلوتكم روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة
فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد
ما تعبدون فنزلت وقيل أراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد به نفي الكرا

عن قربان الصلوة • وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ
سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى او سكرى كحبلى على
صفة الجماعة • ولا جنبا • عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال
والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر
الا عابري سبيل • متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة
جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر
التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن
فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي
وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق • حتى تغتسلوا •
غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل
قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه • وان كنتم مرضى • مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان
الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه بسبب ضعف حركتهم وعجزهم • او على سفر •
لا تجدونه فيه • او جاء احد منكم من الغائط • فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل
الغائط المطمئن من الارض • او لامستم النساء • او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي
على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية
عن الجماع اقل من الملامسة • فلم تجدوا ماء • فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه
هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر
والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات
وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم
جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء • فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم • اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك
قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق
باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من
لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي
انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد بها وايديكم الى المرافق
ان الله كان عفوا غفورا • فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم • الم تر الى الذين اوتوا • من رؤية
البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء • نصيبا من الكتاب • حظا
يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود • يشترون الضلالة • يختارونها على الهدى
او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون
الرشى ويحرفون التوراة • ويريدون ان تضلوا • ايها المؤمنون • السبيل • سبيل الحق • والله اعلم
منكم • باعدائكم • وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم • وكفى بالله
وليا • يلي امركم • وكفى بالله نصيرا • يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل
كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي • من الذين هادوا • بيان للذين اوتوا

نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا
اي ينصركم من الذين هادوا او خبر محذوف صفته • يحرفون الكلم عن مواضعه •
اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته
عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم
بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة • ويقولون سمعنا • قولك • وعصينا •
امرك • واسمع غير مسمع • اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو
اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به
او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا • وراعنا •
انظرنا نكلمك او نفهم كلامك • ليا بالسنتهم • فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب
حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا
وطعنا في الدين • استهزاء به وسخرية • ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا •
ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه • لكان خيرا لهم واقوم • لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه
ولكن لعنهم الله بكفرهم • ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم • فلا يؤمنون
الا قليلا • الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان
يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه • او الا قليلا منهم امنوا او
سيؤمنون • يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس
وجوها فنردها على ادبارها • من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها
يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام
الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل
معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او
نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول
من قال المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار
ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة •
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت • او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم
على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات
او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة
في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا
بعدم ايمانهم وقد امن منهم طائفة • وكان امر الله • بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه
مفعولا • نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا • ان الله لا يغفر ان يشرك به •
لانه بت الحكم على خلود عذابه وان ذنبه لا يمحى عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره •
ويغفر ما دون ذلك • اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا • لمن يشاء • تفضلا عليه واحسانا

وعلق المغفرة بالفعل على معنى ان الله لا يغفر الشرك وهو حرام لم يتب ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وهو من تاب وهذا تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه
ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية
كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق
بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق • الم تر الى الذين
يزكون انفسهم • يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا
الى النبي عم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم
ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه
واثنى عليها • بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم
بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل
التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا • ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق
فتيلا • ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة • انظر
كيف يفترون على الله الكذب • في زعمهم انهم ابناء الله واذكياء عنده • وكفى به • بزعمهم هذا
او بالافتراء • اثما مبينا • لا يخفى كونه اثما من بين آثامهم • الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت • نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى
عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا
الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله عم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم
الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم
فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه
تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره • ويقولون للذين كفروا • لاجلهم وفيهم
هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا • اقوم دينا وارشد طريقا • اولئك الذين لعنهم
الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا • يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها • ام لهم نصيب من الملك
ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك
سيصير اليهم • فاذا لا يؤتون الناس نقيرا • اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا
بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا
نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا
لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب • ام يحسدون
الناس • بل ايحسدون رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة
فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل
وكان بينهما تلازما وتجاذبا • على ما آتاهم الله من فضله • يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز
وجعل النبي الموعود منهم • فقد آتينا آل ابراهيم • الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب

والحكمة • النبوة • وآتيناهم ملكا عظيما • فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم • فمنهم • من اليهود
من آمن به • محمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم • ومنهم من صد عنه • اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن
كفر هؤلاء امرك • وكفى بجهنم سعيرا • نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة
فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم • ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا • كالبيان والتقرير
لذلك • كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها • بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى
كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال
ليذوقوا العذاب • اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس
العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور • ان الله كان عزيزا • لا يمتنع عليه ما يريده
حكيما • يعاقب على وفق حكمته • والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا • قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام
فيهم وذكر المؤمنين بالعرض • لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا • فينانا لا جوب فيه
ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده
كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم • ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها • خطاب
يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة
وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه
وفتح فدخل رسول الله عم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له
السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر عليا بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه
ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا • واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل • اي وان تحكموا
بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة
الولاة قيل الخطاب لهم • ان الله نعما يعظكم به • اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به
فما منصوبة موصوفة بيعظكم او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به
من اداء الامانات والعدل في الحكومات • ان الله كان سميعا بصيرا • باقوالكم واحكامكم وما
تفعلون في الامانات • يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم • يريد
بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس
بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع
لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم • فان تنازعتم
انتم واولو الامر منكم • في شيء • من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع
المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات • فردوه
فراجعوا فيه • الى الله • الى كتابه • والرسول • بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده
واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس
واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك
الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب

وتثبت بالسنة وتثبت بالرد اليهما على وجه القياس • ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فان الايمان يوجب ذلك • ذلك • اي الرد • خير لكم • واحسن تأويلا • عاقبة او احسن تأويلا
من تأويلكم بلا رد • الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك
يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت • عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه
اليهودي الى النبي عم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فحكم لليهودي
فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق أكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج
اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد فقال هكذا اقضي
لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل
فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل
ويؤثر لاجله فسمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم
الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال • وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم
ضلالا بعيدا • وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم • واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول • وقرئ تعالوا
بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير • رأيت المنافقين
يصدون عنك صدودا • هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين
السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موقع الحال • فكيف • يكون حالهم
اذا اصابتهم مصيبة • كقتل عمر المنافق او النقمة من الله • بما قدمت ايديهم • من التحاكم
الى غيرك وعدم الرضا بحكمك • ثم جاؤك • حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل
على يصدون وما بينهما اعتراض • يحلفون بالله • حال • ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء
اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه
وبين خصمه • اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم • من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب
من العقاب • فاعرض عنهم • اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم • وعظهم •
بلسانك وكفهم عما هم عليه • وقل لهم في انفسهم • اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح
في السر انجع • قولا بليغا • يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه
بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم
مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق
مدلوله المقصود به • وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله • بسبب اذنه في طاعته وامره
المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان
كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض
بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل • ولو انهم اذ ظلموا انفسهم •
بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت • جاؤك • تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به •

فاستغفروا

فاستغفروا الله • بالتوبة والاخلاص • واستغفر لهم الرسول • واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم
شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار
التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب • لوجدوا الله توابا رحيما •
لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما
بدلا منه او حالا من الضمير فيه • فلا وربك • اي فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر
لا في قوله • لا يؤمنون • لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد • حتى يحكموك
فيما شجر بينهم • فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه • ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت • ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره • ويسلموا
تسليما • وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم • ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا
في معنى امرنا • او اخرجوا من دياركم • خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا
بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو قوله ولا تنسوا
الفضل وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل • ما فعلوه الا قليل منهم • الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا
حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد
مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا • ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة • لكان خيرا لهم • في عاجلهم وآجلهم • واشد تثبيتا
في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما
نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا
في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب
لان كان ابن عمتك فقال عم اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك
واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما • جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال
واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء • ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا • من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين • بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم
والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل
المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر
في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء
واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق
حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك
ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او
واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون
كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون

والآخرون مرتقون إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين
هم شهداء الله في أرضه وإما أن يكون بأمارات وإقناعات تطمئن إليها نفوسهم وهم
الصالحون. وحسن أولئك رفيقا. في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ولم
يجمع لأنه يقال للواحد والجمع كالصديق أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي
أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله
فقال ما بي وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك
ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن
أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا
فنزلت. ذلك. إشارة إلى ما للمطيعين من الأجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم
أو إلى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم. الفضل من الله. خبره أو الفضل خبره ومن الله
حال والعامل فيه معنى الإشارة. وكفى بالله عليما. بجزاء من أطاع أو بمقادير الفضل
واستحقاق أهله. يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم. تيقظوا واستعدوا للأعداء
والحذر والحذر كالإثر والأثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح. فانفروا. فاخرجوا
إلى الجهاد. ثبات. جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبيتا إذا ذكرت متفرق
محاسنه ويجمع أيضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه. أو انفروا جميعا. مجتمعين كوكبة
واحدة والآية وإن نزلت في الحرب لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات
كلها كيفما أمكن قبل الفوات. وإن منكم لمن ليبطئن. الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ
بمعنى أبطأ وهو لازم أو ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن أبي ناسا يوم أحد من بطأ منقول
من بطؤ كثقل من ثقل واللام الأولى للابتداء دخلت اسم إن للفصل بالخبر والثانية
جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه ما استكن في ليبطئن والتقدير
وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن. فإن أصابتكم مصيبة. كقتل وهزيمة. قال. أي المبطئ
قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا. حاضرا فيصيبني ما أصابهم. ولئن أصابكم
فضل من الله. كفتح وغنيمة. ليقولن. أكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام
إعادة للضمير على معنى من. كأن لم تكن بينكم وبينه مودة. اعتراض بين الفعل ومعموله
وهو. يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما. للتنبيه على ضعف عقيدتهم وأن قولهم هذا
قول من لا مواصلة بينكم وبينه وإنما يريد أن يكون معكم لمجرد المال أو حال عن الضمير
في ليقولن أو داخل في المقول أي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين
تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز
يا ليتني كنت معهم وقيل إنه متصل بالجملة الأولى وهو ضعيف إذ لا يفصل أبعاض الجملة
بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة اسمه ضمير الشأن وهو محذوف
وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى
في يا ليتني محذوف أي يا قوم وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع وفأفوز نصب على جواب

التمني

التمني وقرئ بالرفع على تقدير فأنا أفوز في ذلك الوقت أو العطف على كنت
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة. أي الذين يبيعونها
بها والمعنى إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب
الآخرة أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم
على ترك ما حكي عنهم. ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما.
وعد له الأجر العظيم غلب أو غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد أنعم الله علي
إذ لم أكن معهم شهيدا وإنما قال فيقتل أو يغلب تنبيها على أن المجاهد ينبغي أن يثبت
في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وأن لا يكون قصده
بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء الحق وإعزاز الدين. وما لكم. مبتدأ وخبر. لا تقاتلون
في سبيل الله. حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل. والمستضعفين. عطف على
اسم الله أي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الأسر وصونهم عن العدو أو
على السبيل بحذف المضاف أي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص
فإن سبيل الله يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من أيدي الكفار أعظمها وأخصها
من الرجال والنساء والولدان. بيان للمستضعفين وهم تخليصهم عن الأسر وصونهم
المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وإنما ذكر
الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان وأن
دعوتهم أجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى تشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية
وقيل المراد به العبيد والإماء وهو جمع وليد. الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية
الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا. فاستجاب الله دعاءهم
بأن يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي ونصير ففتح مكة على نبيه عليه السلام
فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها
والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإن اسم الفاعل والمفعول
إذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب عمله. الذين آمنوا
يقاتلون في سبيل الله. فيما يصلون به إلى الله. والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت.
فيما يبلغ بهم إلى الشيطان. فقاتلوا أولياء الشيطان. لما ذكر مقصد الفريقين أمر
أولياءه أن يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله. إن كيد الشيطان كان
ضعيفا. أي إن كيده للمؤمنين بالإضافة إلى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به
فلا تخافوا أولياءه فإن اعتمادهم على أضعف شيء وأوهنه. ألم تر إلى الذين قيل
لهم كفوا أيديكم. أي عن القتال. وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة. واشتغلوا
بما أمرتم به. فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله. يخشون الكفار
أن يقتلوهم كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه وإذا للمفاجأة جواب لما وفريق
مبتدأ ومنهم صفته ويخشون خبره وكخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول وقع موقع
المصدر أو الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه. أو أشد

قال الضحاك وذلك أن قريشا أسروا سبعة نفر من المسلمين وكانوا يعذبونهم فأمر الله بقتال الكفار ليستردوا الأسراء من أيديهم. أبو الليث

عطف عليه إن جعلته حالا وإن جعلته مصدرا فلا لأن أفعل التفضيل إذا نصب ما بعده لم يكن
من جنسه بل هو معطوف على اسم الله أي كخشية الله أو كخشية أشد خشية منه على الفرض إلا
أن يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله
أو خشية أشد خشية من خشية الله • وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل
قريب • استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل أنهم ما تفوهوا به ولكن
قالوه في أنفسهم فحكى الله عنهم • قل متاع الدنيا قليل • سريع التقضي • والآخرة خير
لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا • ولا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه أو من آجالكم
المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة • أينما تكونوا يدرككم الموت
وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها • أو على أنه كلام مبتدأ
وأينما متصل بلا يظلمون • ولو كنتم في بروج مشيدة • في قصور أو حصون مرتفعة والبروج
في الأصل بيوت على أطراف القصر من تبرجت المرأة إذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها
بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه • وإن تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله • وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة
على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية أي إن تصبهم نعمة
كخصب نسبوها إلى الله وإن تصبهم بلية كقحط أضافوها إليك وقالوا إن هي إلا بشؤمك كما قالت
اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها • قل كل من عند الله • يبسط ويقبض
حسب إرادته • فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا • يوعظون به وهو القرآن
فإنهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من الله أو حديثا ما كبهائم لا أفهام لهم أو حادثا
من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا أن الباسط والقابض هو الله • ما أصابك يا إنسان
من نعمة • فمن الله • تفضلا منه فإن كل ما يفعله الإنسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود
فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله قيل ولا أنت قال ولا أنا •
وما أصابك من سيئة • من بلية فمن نفسك • لأنها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله
كل من عند الله فإن الكل منه إيجادا وإيصالا غير أن الحسنة إحسان وامتنان • والسيئة مجازاة
وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما
لنا وللمعتزلة • وأرسلناك للناس رسولا • حال قصد بها التأكيد إن علق الجار بالفعل والتعميم
إن علق بها أي رسولا للناس جميعا كقوله وما أرسلناك إلا كافة للناس ويجوز نصبه
على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام • وكفى بالله شهيدا • على رسالتك بنصب
المعجزات • من يطع الرسول فقد أطاع الله • لأنه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي أنه عليه السلام
قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو
ينهى عنه ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت • ومن تولى • عن طاعته
فما أرسلناك عليهم حفيظا • تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها إنما عليك البلاغ وعلينا
الحساب وهو حال من الكاف • ويقولون • إذا أمرتهم بأمر طاعة • أي أمرنا طاعة أو منا طاعة

وأصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات • فإذا برزوا من عندك • خرجوا
بيت طائفة منهم غير الذي تقول • أي زورت خلاف ما قلت لها أو ما قالت لك من القبول
وضمان الطاعة والتبييت إما من البيتوتة لأن الأمور تدبر بالليل أو من بيت الشعر أو
البيت المبني لأنه يسوى ويدبر وقرأ أبو عمرو وحمزة بيت طائفة بالإدغام لقربهما
في المخرج • والله يكتب ما يبيتون • يثبته في صحائفهم للمجازاة أو في جملة ما يوحي إليك لتطلع على
أسرارهم • فأعرض عنهم • قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم • وتوكل على الله • في الأمور
كلها سيما في شأنهم • وكفى بالله وكيلا • يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم • أفلا يتدبرون
القرآن • يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء
ولو كان من عند غير الله • ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار • لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا • من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه
يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض
وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة
البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام والمصالح
ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح • وإذا جاءهم أمر
من الأمن أو الخوف • مما يوجب الأمن أو الخوف • أذاعوا به • أفشوه كان يفعله قوم من ضعفة
المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله عليه السلام أو أخبرهم الرسول عليه السلام بما أوحي إليه من وعد
بالظفر أو تخويف من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم فكانت إذاعتهم مفسدة والباء
مزيدة أو لتضمن الإذاعة معنى التحدث • ولو ردوه • ولو ردوا ذلك الخبر • إلى الرسول
وإلى أولي الأمر منهم • إلى رأيه ورأي كبار الصحابة البصراء بالأمور أو الأمراء
لعلمه • لعلم على أي وجه يذكر • الذين يستنبطونه منهم • يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم
وقيل كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو
ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك
من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يستخرجون علمه من جهتهم وأصل
الاستنباط إخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر أول ما يحفر • ولولا فضل الله عليكم
ورحمته • بإرسال الرسول وإنزال الكتاب • لاتبعتم الشيطان • بالكفر والضلال •
إلا قليلا • إلا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحق والصواب وعصمه
عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو إلا اتباعا قليلا على الندرة
فقاتل في سبيل الله • إن تثبطوا أو تركوك وحدك • لا تكلف إلا نفسك • إلا فعل نفسك
لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك
لا الجنود روي أنه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت
فخرج وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون
على بناء الفاعل أي لا نكلفك إلا فعل نفسك لا أنا لا نكلف أحدا إلا نفسك لقوله
وحرض المؤمنين • على القتال إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض • عسى الله أن يكف

بأس الذين كفروا • يعني قريشا وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا
والله أشد بأسا • من قريش • وأشد تنكيلا • تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد
لمن لم يتبعه • من يشفع شفاعة حسنة • راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا أو جلب إليه
نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عم من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب
استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك • يكن له نصيب منها • وهو ثواب الشفاعة والتسبب
إلى الخير الواقع بها • ومن يشفع شفاعة سيئة • يريد بها محرما • يكن له كفل منها • نصيب
من وزرها مساو لها في القدر • وكان الله على كل شيء مقيتا • مقتدرا من أقات على الشيء
إذا قدر قال وذي ضغن كففت السوء عنه • وكنت على إساءته مقيتا • أو شهيدا حافظا
واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه • وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها
أو ردوها • الجمهور على أنه في السلام ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه
ورحمة الله فإن قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وإما برد مثله لما روي أن رجلا قال
لرسول الله عم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة
الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال إنك لم تترك لي فضلا فرددت
عليك مثله وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها
ومنه قيل والتردد بين أن يحيي المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي بتمامها وهذا الوجوب
على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام
وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الأصل مصدر حياك الله على الإخبار من الحياة
ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية
العطية وأوجب الثواب أو الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي • إن الله كان على كل شيء
حسيبا • يحاسبكم على التحية وغيرها • الله لا إله إلا هو • مبتدأ وخبر أو الله مبتدأ والخبر
ليجمعنكم إلى يوم القيامة • أي والله ليجمعنكم لتحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيامة أو مفضين
إليه أو في يوم القيامة ولا إله إلا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة
وهي قيام الناس من القبور أو للحساب • لا ريب فيه • في اليوم أو الجمع وهو حال من اليوم
أو صفة للمصدر • ومن أصدق من الله حديثا • إنكار أن يكون أحد أكثر صدقا منه فإنه لا يتطرق
الكذب إلى خبره بوجه لأنه نقص وهو على الله محال • فما لكم في المنافقين • فما لكم تفرقتم
في أمر المنافقين • فئتين • أي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك أن ناسا منهم استأذنوا
رسول الله عم في الخروج إلى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في إسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين
يوم أحد أو في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق إلى الوطن
أو قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما
وفي المنافقين حال من فئتين أي متفرقين فيهم أو من الضمير أي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى
الافتراق مستفاد من فئتين • والله أركسهم بما كسبوا • ردهم إلى حكم الكفرة أو نكسهم

بأن صيرهم للنار وأصل الركس رد الشيء مقلوبا • أتريدون أن تهدوا من أضل الله
أن تجعلوه من المهتدين • ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا • إلى الهدى • ودوا لو تكفرون
كما كفروا • تمنوا أن تكفروا ككفرهم • فتكونون سواء • في الضلال وهو عطف
على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز • فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله • فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا إيمانهم بهجرة هي لله ورسوله
لا لأغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكه • فإن تولوا • عن الإيمان الظاهر بالهجرة
أو عن إظهار الإيمان • فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم • كسائر الكفرة
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا • أي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية
ولا نصرة • إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق • استثناء من قوله
فخذوهم واقتلوهم أي إلا الذين ينتهون إلى قوم عاهدوكم ويفارقون
محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الأسلميون فإنه عم وادع وقت خروجه إلى مكة
هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من لجأ إليه فله من الجوار مثل ما له
وقيل بنو بكر بن زيد مناة • أو جاءوكم • عطف على الصلة أي والذين جاءوكم
كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور بأخذهم وقتلهم من ترك المحاربين
فلحق بالمعاهدين أو أتى الرسول وكف عن قتال الفريقين أو على صفة قوم وكأنه
قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والأول
أظهر لقوله فإن اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على أنه صفة بعد صفة أو بيان ليصلون
أو استئناف • حصرت صدورهم • حال بإضمار قد ويدل عليه أن قرئ حصرة صدورهم
وحصرات أو بيان لجاءوكم وقيل صفة محذوف أي جاءوكم قوما حصرت صدورهم
وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض • أن يقاتلوكم
أو يقاتلوا قومهم • أي عن أن أو لأن أو كراهة أن يقاتلوكم • ولو شاء الله لسلطهم عليكم
بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم • فلقاتلوكم • ولم يكفوا عنكم
فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم • فإن لم يتعرضوا لكم • وألقوا إليكم السلم • الاستسلام
والانقياد • فما جعل الله لكم عليهم سبيلا • فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم • ستجدون
آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم • هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار
أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا • كلما ردوا إلى الفتنة
دعوا إلى الكفر أو إلى قتال المسلمين • أركسوا فيها • عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح
قلب • فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم • وينبذوا إليكم العهد • ويكفوا أيديهم
عن قتالكم • فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم • حيث تمكنتم منهم فإن مجرد الكف
لا يوجب نفي التعرض • وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا • حجة واضحة في التعرض
لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطا
ظاهرا حيث أذن لكم في قتلهم • وما كان لمؤمن • وما صح له وليس من شأنه • أن يقتل
مؤمنا بغير حق • إلا خطأ • فإنه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أي لا يقتله في

من الأحوال إلا حال الخطأ أو لأنه يقتله لعلة إلا للخطأ أو على أنه صفة مصدر محذوف
أي إلا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع أي لكن إن قتله
خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد إلى الفعل أو الشخص أو ما لا يقصد به
زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل
بإسلامه أو يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة
والآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الأم لقي حارث بن زيد في طريق
وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله • ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة • أي فعليه
أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر العتيق والكريم من كل شيء ومنه
حر الوجه لأكرم موضع منه سمي به لأن الكرم في الأحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما
عبر عنها بالرأس • مؤمنة • محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة • ودية مسلمة إلى أهله •
مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب إلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة
فإن لم تكن ففي بيت المال فإن لم يكن ففي ماله • إلا أن يصدقوا • يتصدقوا عليه
بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عليه السلام كل معروف
صدقة وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي تجب الدية عليه أو يسلمها إلى أهله إلا حال تصدقهم
عليه أو زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل أو الأهل أو الظرف • فإن كان
من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة • أي إن كان المقتول المؤمن من قوم كفار
محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لأهله
إذ لا وراثة بينه وبينهم ولأنهم محاربون • وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة • وإن كان من قوم كفرة معاهدين أو أهل
الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما إذا كان المقتول معاهدا
أو كان له وارث مسلم • فمن لم يجد • رقبة بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها
فصيام شهرين متتابعين • فعليه أو فالواجب عليه صيام شهرين • توبة • نصب
على المفعول له أي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو على المصدر
أي وتاب الله عليكم توبة أو حال بحذف المضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة
من الله • صفتها • وكان الله عليما • بحاله • حكيما • فيما أمر في شأنه • ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما
لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله أراد به
التشديد إذ روي عنه خلافه والجمهور على أنه مخصوص بمن لم يتب لقوله وإني لغفار لمن
تاب ونحوه وهو عندنا مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده أنه نزل
في مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا إليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتدا أو
المراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم

عذابهم

عذابهم • يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله • سافرتم وذهبتم للغزو •
فتبينوا • فاطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه • ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم
لمن حياكم بتحية الإسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الألف أي الاستسلام والانقياد
وفسر به السلام أيضا • لست مؤمنا • وإنما فعلت ذلك متعوذا وقرئ
مؤمنا بالفتح أي مبذولا له الأمان • تبتغون عرض الحياة الدنيا •
تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر
بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت • فعند الله مغانم كثيرة • تغنيكم
عن قتل أمثاله لماله • كذلك كنتم من قبل • أي أول ما دخلتم في الإسلام تفوهتم
بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم
ألسنتكم • فمن الله عليكم • بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين •
فتبينوا • وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا إلى قتلهم
ظنا بهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فإن إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم
وتكريره لتعظيم الأمر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم • إن الله كان بما تعملون
خبيرا • عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي أن سرية
لرسول الله عليه السلام غزت أهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة بإسلامه فلما رأى
الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال
لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل
نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فأراد قتله فقال لا إله إلا الله فقتله وقال
ود لو فر بأهله وماله وفيه دليل على صحة إيمان المكره وأن المجتهد قد يخطئ وأن خطأه
مغتفر • لا يستوي القاعدون • عن الحرب • من المؤمنين • في موضع الحال من القاعدين
أو من الضمير الذي فيه • غير أولي الضرر • بالرفع صفة للقاعدون لأنه لم يقصد به
قوم بأعيانهم أو بدل منه وقرأ نافع وابن عامر بالنصب على الحال أو الاستثناء
وقرئ بالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه وعن زيد بن ثابت أنها نزلت ولم يكن
فيها غير أولي الضرر فقال ابن أم مكتوم وكيف وأنا أعمى فغشي رسول الله عليه السلام
في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال
اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر • والمجاهدون
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم • أي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد
من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا
لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته • فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين
درجة • جملة موضحة لما نفي من الاستواء والقاعدون على التقييد السابق ودرجة
نصب بنزع الخافض أي بدرجة أو على المصدر لأنه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع
المرة منه أو الحال بمعنى ذوي درجة • وكلا • من القاعدين والمجاهدين • وعد الله
الحسنى • المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وإنما التفاوت في زيادة

العمل المستدعي لمزيد الثواب • وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني لتضمنه معنى الاعطاء كانه
قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما • درجات منه ومغفرة ورحمة
كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا
واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار
فعليهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا
فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل
لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات
منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم
الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار
والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر • وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم • رحيما بما وعدهم • ان الذين
توفيهم الملائكة • يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع
وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها
ظالمي انفسهم • في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت
في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة • قالوا • اي الملائكة
توبيخا لهم • فيم كنتم • في اي شيء كنتم من امر دينكم • قالوا كنا مستضعفين في الارض
اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة وعن اظهار الدين واعلاء كلمته
قالوا • اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا • الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها • الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة • فاولئك مأويهم جهنم
لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى
الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد والخبر قالوا والعائد محذوف
اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها • وساءت مصيرا
مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه
من اقامة دينه وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض
استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام • الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان • استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول
وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به
الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا
بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم
متى امكنت • لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا • صفة للمستضعفين اذ لا توقيت
فيه او حال منه او من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما
يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل • فاولئك عسى الله

ان يعفو عنهم

ان يعفو عنهم • ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير
حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه • وكان الله
عفوا غفورا • ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا • متحولا
من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم
انوفهم وهو ايضا من الرغام • وسعة • في الرزق واظهار الدين • ومن يخرج
من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت • وقرئ يدركه بالرفع على انه
خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله: سأترك منزلي لبني
تميم • والحق بالحجاز فاستريحا • فقد وقع اجره على الله • وكان الله غفورا رحيما
الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية
نزلت في جندع بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف
على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما
بايع عليه رسولك فمات • واذا ضربتم في الارض • سافرتم • فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة • بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه
دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة اعتمرت مع رسول الله عليه السلام
وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه
ابو حنيفة لقول عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول
عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر
وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء
والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاتمام
فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما
قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطييب انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد
عندنا وعند ابي حنيفة ستة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة
صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا • شرط باعتبار
الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم
الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه
ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة
ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره • واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة
تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول عليه السلام لفضل الجماعة وعامة الفقهاء
على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم
كحضوره • فلتقم طائفة منهم معك • فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون
وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو • وليأخذوا اسلحتهم • اي المصلون حزما
وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليها • فاذا سجدوا

يعني المصلين • فليكونوا • اي غير المصلين • من ورائكم • يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم
ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب • ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا • لاشتغالهم
بالحراسة • فليصلوا معك • ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة
مرة كما فعله عم ببطن نخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين
فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه
العدو وياتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا
صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله عم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رح
يصلي بالامام ركعة ثم ينصرفون ويقف بازاء العدو وياتي الاخرى فيصلي
معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وياتي الاولى فيؤدي الركعة
الثانية بغير قراءة ويتم صلوتها • وليأخذوا حذرهم واسلحتهم • جعل الحذر
آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله
والذين تبوؤا الدار والايمان • ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة • تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم
شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح • ولا جناح عليكم ان كان
بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم • رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم
اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب
وخذوا حذركم • امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو • ان الله
اعد للكافرين عذابا مهينا • وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى
قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا
في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله • فاذا قضيتم الصلوة
اديتم وفرغتم منها • فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم • فداوموا على الذكر
في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة وعند الخوف فصلوها كيفما امكن
قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين • فاذا اطمأننتم
سكنت قلوبكم من الخوف • فاقيموا الصلوة • فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها
واتوا بها تامة • ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا • فرضا محدودا
الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان
المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب
في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب
حتى يطمئن • ولا تهنوا • ولا تضعفوا • في ابتغاء القوم • في طلب الكفار بالقتال
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون • الزام لهم وتقريع
على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله
بسبب اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب
منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمو

ويكون

ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى
وكان الله عليما • باعمالكم وضمائركم • حكيما • فيما يأمر وينهى • انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس • نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة
بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين
اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه
واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة
وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله عم فسألوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله عم
ان يفعل • بما اراك الله • بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى
ثلثة مفاعيل • ولا تكن للخائنين • اي لاجلهم والذب عنهم • خصيما • للبرآء • واستغفر
الله • مما هممت به • ان الله كان غفورا رحيما • لمن يستغفره • ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم • يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعل
ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم يشاركونه في الاثم حين شهدوا
على براءته وخاصموا عنه • ان الله لا يحب من كان خوانا • مبالغا في الخيانة مصرا عليها
اثيما • منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط
الحائط عليه فقتله • يستخفون من الناس • يستترون منهم حياء وخوفا • ولا يستخفون من الله
وهو احق بان يستحيى منه ويخاف منه • وهو معهم • لا يخفى عليه سرهم ولا طريق معه الا
ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه • اذ يبيتون • يدبرون ويزورون • ما لا يرضى من القول
من رمي البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور • وكان الله بما يعملون محيطا • لا يفوت عنه
شيء • ها انتم هؤلاء • مبتدأ وخبر • جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا • جملة مبينة لوقوع
اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا • فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون
عليهم وكيلا • محاميا يحميهم عن عذاب الله • ومن يعمل سوءا • قبيحا يسوء به غيره • او يظلم
نفسه • بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك
وقيل الصغيرة والكبيرة • ثم يستغفر الله • بالتوبة • يجد الله غفورا • لذنوبه • رحيما
متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار • ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه • فلا يتعداه وباله كقوله وان اسأتم فلها • وكان الله عليما
حكيما • فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته • ومن يكسب خطيئة • صغيرة او ما لا عمد فيه • او اثما
كبيرة او ما كان عن عمد • ثم يرم به بريئا • كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او • فقد احتمل
بهتانا واثما مبينا • بسبب رمي البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما
وان كان مقترف احدهما دون مقترف الاخر • ولولا فضل الله عليك ورحمته
باعلام ما هم عليه بالوحي • لهمت طائفة منهم • اي من بني ظفر • ان يضلوك • عن القضاء بالحق
مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك وعاد وباله عليهم • وما يضرونك من شي

عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء
في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك
ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله
عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم
كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على
حذف المضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه
الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هاهنا بالقرض واغاثة
الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح
ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام
على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل
ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه
وقيد الفعل بطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء
وسمعة لم يستحق من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات
من جنبه من اغراض الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين
في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات
ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله
واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله
فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة
الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين
وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال
من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرم ضم اليها غيرها او
لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع
سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام
الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله عم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب
الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي
جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند
الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع
الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى
لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني
على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها
كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال
وما ذكر فان يكبر فانثى شديد الازم ليس له ضرس فانه عني القراد وهو ما كان

صغيرا

صغيرا يسمى قرادا فاذا كبر يسمى حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث
انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون
ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل
ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة
بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وأنثا على انه جمع
انيث كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا
بهما على قلب الواو همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا
لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد
والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد
وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال
على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل
التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية
غاية المنافاة فان الله تعالى ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه
عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال
لا يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه
ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية
العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته
والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم
عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم
فليبتكن آذان الانعام يشققونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل
بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل
او القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل
من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواطة والسحق ونحو ذلك
وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى
فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا
لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان
نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعوه اليه على ما امره
الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع رأس ماله
وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم
الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة
او بلسان اوليائه اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا
من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة لانه اسم مكان وان جعل مصدرا

ولا يعمل نفعا فيما قبله • والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا • أي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالأول
مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز
أن ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لأنه بمعنى
نعدهم إدخالهم وحقا على أنه حال من المصدر • ومن أصدق من الله قيلا • جملة
مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه
بوعد الله الصادق لأوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله
ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب • أي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيكم
أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وإنما ينال بالإيمان والعمل الصالح وقيل
وليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي أن المسلمين
وأهل الكتاب تفاخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا
يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم
أي ليس الأمر بأماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم وإن كان الأمر كما
يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا ولا أماني أهل الكتاب وهو قولهم
لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة
ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به • عاجلا أو آجلا لما روي أنه لما نزل
قال أبو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عم أما تحزن أما تمرض أما
يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك • ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا • ولا يجد لنفسه إذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره
في دفع العذاب عنه • ومن يعمل من الصالحات • بعضها أو شيئا منها فإن كل أحد
لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها • من ذكر أو أنثى • في موضع الحال من المستكن في يعمل
ومن للبيان أو من الصالحات أي كائنة من ذكر أو أنثى ومن للابتداء • وهو
مؤمن • حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على أنه
لا اعتداد به دونه فيه • فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا • بنقص شيء
من الثواب وإذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري أن لا يزاد عقاب العاصي لأن المجازي
أرحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب • ومن أحسن دينا ممن أسلم
وجهه لله • أخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود
وفي هذا الاستفهام تنبيه على أن ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية • وهو محسن
آت بالحسنات تارك للسيئات • واتبع ملة إبراهيم • الموافقة لدين الإسلام المتفق
على صحتها • حنيفا • مائلا عن سائر الأديان وهو حال من المتبع أو الملة أو إبراهيم
واتخذ الله إبراهيم خليلا • اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل
عند خليله وإنما أعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على أنه الممدوح والخلة

من الخلال

من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فإن كل واحد من الخليلين
يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق في الرمل فإنهما يترافقان في الطريقة
أو من الخلة بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب
في اتباع ملته والإيذان بأنه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر وروي أن إبراهيم عم
بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم
يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فاجتاز
غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم ساءه
الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة إلى غرارة منها فأخرجت حوارى واختبزت
فاستيقظ إبراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت من خليلك المصري
فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا • ولله ما في السماوات وما في الأرض
خلقا وملكا يختار منها ما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال الصالحين مقرر لوجوب
طاعته على أهل السماوات والأرض وكمال قدرته على مجازاتهم على الأعمال • وكان
الله بكل شيء محيطا • إحاطة علم وقدرة وكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها
وشرها • ويستفتونك في النساء • في ميراثهن إذ سبب نزوله أن عيينة بن حصن أتى
النبي عم فقال أخبرنا أنك تعطي الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من
يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك أمرت • قل الله يفتيكم فيهن • يبين لكم
حكمه فيهن والإفتاء تبيين المبهم • وما يتلى عليكم في الكتاب • عطف على اسم الله أو ضميره
المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الإفتاء مسندا إلى الله وإلى ما في القرآن
من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره أغناني زيد وعطاؤه أو
استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على أن ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد
به اللوح المحفوظ ويجوز أن ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم أو يخفض على القسم
كأنه قيل وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
ومعنى • في يتامى النساء • صلة يتلى إن عطف الموصول على ما قبله أي يتلى عليكم في
شأنهن وإلا فبدل من فيهن أو صلة أخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب
يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الإضافة بمعنى من لأنها إضافة
الشيء إلى جنسه وقرئ ييامى على أنه أيامى فقلبت همزته ياء • اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن • أي فرض لهن من الميراث • وترغبون أن تنكحوهن • في أن تنكحوهن أو عن
أن تنكحوهن فإن أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن إن كن جميلات ويأكلون مالهن
وإلا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل
على جواز تزويج اليتيمة إذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها
والمستضعفين من الولدان • عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا
يورثون النساء • وأن تقوموا لليتامى بالقسط • أيضا عطف عليه أي ويفتيكم أو ما
يتلى في أن تقوموا هو إذا جعلت في يتامى صلة لأحدهما وإن جعلته بدلا فالوجه

نصبها عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينتصب ان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير
فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امراة خافت من بعلها توقعت منه لما
ظهر لها من المخايل وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقلل مجالستها ومحادثتها فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله
به وقرا الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به
وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما وقرئ يصلحا
من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان يراد
التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت
الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد
العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد
المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها
على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض
ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه
فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب
الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع
ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلعم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه
قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه
فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك
كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلعم من كانت
له امراتان فمال مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم
وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما
عن الاخر ببدل او سلوة من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا
في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس
ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف
على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية بمعنى القول
وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم
ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم
وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم
حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة

على كونه

على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها
من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا
راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك
ان يشا يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب
ويات باخرين ويوجد قوما اخرين مكانكم او خلقا اخرين مكان الانس وكان
الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا
ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى
رسول الله صلعم من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي
انه لما نزل ضرب رسول الله صلعم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان
يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الاخرة
ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد
حرث الاخرة نزد له الاية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي
كلا بحسب قصده يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل
مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان
او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة
بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم
واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا
تمتنعوا عن اقامة الشهادة ولا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني
والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة
الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير
لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة
الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا
عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب
للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا
يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت
امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا
على الايمان بذلك وداوموا عليه او امنوا به بقلوبكم كما امنتم بالسنتكم او امنوا ايمانا
عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القران والثاني
الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك
فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين امنوا

يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده إليهم
ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد أو قوما تكرر منهم الارتداد ثم أصروا
على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا إذ يستبعد
منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن قلوبهم ضريت بالكفر وبصائرهم
عميت عن الحق لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في أمثال
ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بأن لهم
عذابا أليما يدل على أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر
مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين ووضع بشر
مكان أنذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين في محل النصب
أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذين أو هم الذين أيبتغون عندهم العزة أي يتعززون
بموالاتهم فإن العزة لله جميعا لا يتعزز إلا من أعزه وقد كتب العزة لأوليائه فقال ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين فلا يؤبه بعزة غيرهم بالإضافة إليهم وقد نزل عليكم في
الكتاب وقرئ نزل والقائم مقام فاعله أن إذا سمعتم آيات الله وهي المخففة
والمعنى أنه إذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من آيات جيء بهما لتقييد النهي
عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط
بما إذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل
عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة
المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها إنكم إذا مثلهم في الإثم لأنكم قادرون على
الإعراض عنهم والإنكار عليهم أو الكفر إن رضيتم بذلك أو لأن الذين يقاعدون الخائضين
في القرآن من الأحبار كانوا منافقين ويدل عليه إن الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم وإذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر
ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وإفراد مثلهم لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع
وقرئ بالفتح على البناء لإضافته إلى مبني كقوله مثل ما أنكم تنطقون الذين يتربصون
بكم ينتظرون وقوع أمر بكم وهو بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم
مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم
مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم وإن كان للكافرين نصيب من الحرب فإنها سجال
قالوا ألم نستحوذ عليكم أي قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم
والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس أن يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الأصل
ونمنعكم من المؤمنين بأن أخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فأشركونا فيما أصبتم وإنما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فإنه
مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا حينئذ أو في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به أصحابنا على
فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لأنه

لا ينبغي

لا ينبغي أن يكون إلا عادا إلى الإيمان قبل مضي العدة إن المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم سبق الكلام فيه أول سورة البقرة وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى
متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان يراءون
الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة
فإن المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله إلا قليلا
إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه وهو أقل أحواله أو لا يذكرونه باللسان إلا قليلا
بالإضافة إلى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فإنهم لا يذكرون
فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراءون كقوله ولا يذكرون
أي يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب على الذم والمعنى مرددين
بين الإيمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا وأصله الذب بمعنى
الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم
صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى أخذوا تارة في دبة وتارة
في دبة وهي الطريقة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء لا منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى
الكافرين أو لا صائرين إلى أحد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
إلى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين فإنه صنيع المنافقين وديدنهم
فلا تتشبهوا بهم أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فإن موالاتهم
دليل على النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه إن المنافقين في الدرك الأسفل
من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة إذ ضموا
إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعا للمسلمين وأما قوله ثلاث من كن فيه
فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا
ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وإنما سميت طبقاتها السبع دركات لأنها
متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر
والسطر والتحريك أوجه لأنه جمع على أدراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه
إلا الذين تابوا عن النفاق وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال
النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه وأخلصوا دينهم لله لا يريدون
بطاعتهم إلا وجه الله فأولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف
يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم
وآمنتم أيتشفى به غيظا أو يدفع به ضرا أو يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن
النفع والضر وإنما يعاقب المصر بكفره لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض فإذا زال
بالإيمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وإنما قدم الشكر لأن الناظر
يدرك النعمة أولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان
الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وإيمانكم لا يحب الله

الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم • إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي
أن رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا أي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه • وكان الله سميعا عليما
بالظالم • إن تبدوا خيرا • طاعة وبرا • أو تخفوه • أو تفعلوه سرا • أو تعفوا عن سوء
لكم المؤاخذة وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيبا له ولذلك رتب عليه قوله • فإن
الله كان عفوا قديرا • أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى
بذلك • وهو حث المظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الأخلاق
إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله • بأن يؤمنوا بالله ويكفروا
برسله • ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض • نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم • ويريدون
أن يتخذوا بين ذلك سبيلا • طريقا وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة إذ الحق لا يختلف
فإن الإيمان بالله إنما يتم بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا أو إجمالا
فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال
أولئك هم الكافرون • هم الكاملون في الكفر لا عبرة بإيمانهم هذا • حقا • مصدر مؤكد
لغيره أو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا أي يقينا محققا • وأعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم • أضدادهم ومقابلوهم
وإنما دخل بين على أحد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي •
أولئك سوف يؤتيهم أجورهم • الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة
على أنه كائن لا محالة وإن تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب
بالياء على تلوين الخطاب • وكان الله غفورا • لما فرط منهم • رحيما • عليهم بتضعيف حسناتهم
يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء • نزلت في أحبار اليهود قالوا إن كنت صادقا
فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على ألواح كما كانت
التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعياننا بأنك رسول الله • فقد سألوا
موسى أكبر من ذلك • جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى
أكبر منه • وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين
لهم والمعنى أن عرقهم راسخ في ذلك وأن ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم •
فقالوا أرنا الله جهرة • عيانا أي أرناه نره جهرة أو مجاهرين معاينين له • فأخذتهم
الصاعقة • نار جاءت من السماء فأهلكتهم • بظلمهم • بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم
لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا • ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات • هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضا أوائلهم والبينات
المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة إذ لم تأتهم بعد • فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا • تسلطا ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم
العجل • ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم • بسبب ميثاقهم ليقبلوه • وقلنا لهم ادخلوا الباب
سجدا • على لسان موسى والطور مظل عليهم • وقلنا لهم لا تعدوا في السبت • على لسان

داود

داود ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فإنه شرع السبت ولكن
كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عم وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على أن
أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال • وأخذنا منهم ميثاقا غليظا • على ذلك
وهو قولهم سمعنا وأطعنا • فبما نقضهم ميثاقهم • أي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم
ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز أن
يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه إلى قوله فبظلم لا بما
دل عليه بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة
وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره • وكفرهم بآيات الله • بالقرآن أو بما
في كتابهم • وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف • أوعية للعلوم أو في أكنة
مما تدعونا إليه • بل طبع الله عليها بكفرهم • فجعلها محجوبة عن العلم أو خذلها ومنعها
التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ • فلا يؤمنون إلا قليلا • منهم كعبد الله
بن سلام أو إيمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه • وبكفرهم • بعيسى وهو معطوف على
بكفرهم لأنه من أسباب الطبع أو على قوله فبما نقضهم ويجوز أن يعطف مجموع هذا
وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرار ذكر الكفر إيذانا بتكرر كفرهم فإنهم
كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عم • وقولهم على مريم بهتانا عظيما • يعني نسبتها
إلى الزنا • وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله • أي بزعمهم ويحتمل أنهم
قالوا استهزاء ونظيره إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وأن يكون استئنافا
من الله بمدحه أو وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح • وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم • روي أن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة
وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء فقال لأصحابه
أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم
فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى
عليه شبهه فأخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان فيه فلم يجده وألقى
الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وصلب وأمثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد
في زمان النبوة وإنما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم
قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه
مسند إلى الجار والمجرور وكأنه قيل وقع لهم التشبه بين عيسى والمقتول أو
في الأمر على قول من قال لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس أو إلى
المقتول لدلالة إنا قتلنا على أن ثم مقتولا • وإن الذين اختلفوا فيه • في شأن عيسى
فإنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود إنه كان كاذبا فقتلناه
حقا وتردد آخرون فقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه أن الله يرفعني إلى السماء إنه
رفع إلى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت • لفي شك منه • لفي تردد

والشك كما يطلق على ما لا يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم
ولذلك أكده بقوله ما لهم به من علم إلا اتباع الظن استثناء منقطع أي لكنهم يتبعون
الظن ويجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه النفس جزما كان
أو غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم إنا قتلنا المسيح
أو متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها. وقد قتلت بعلمي
ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله إليه
رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر
لعيسى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته أي وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به
فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لأحد ويعود إليه الضمير الثاني والأول لعيسى والمعنى ما
من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن بأن عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت ولو حين تزهق
روحه ولا ينفعه إيمانه ويؤيد ذلك أنه قرئ إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لأن أحدا
في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيمان به قبل أن يضطروا إليه
ولا ينفعهم إيمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى أنه إذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا
روي أنه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به
حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور
مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب
وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا أي فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم
طيبات أحلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا ناسا كثيرا أو صدا كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه كان محرما عليهم كما هو محرم
علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم وأكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر
الوجوه المحرمة وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون
في العلم منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه والمؤمنون أي منهم أو من المهاجرين والأنصار
يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلاة نصب على المدح
إن جعل يؤمنون الخبر لأولئك أو عطف على ما أنزل إليك والمراد بهم الأنبياء أي يؤمنون
بالكتب والأنبياء ويؤيده أنه قرئ بالرفع عطفا على الراسخون أو الضمير في يؤمنون أو على أنه مبتدأ
والخبر أولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكاة رفع لأحد الأوجه المذكورة والمؤمنون
بالله واليوم الآخر قدم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لأنه
المقصود بالآية أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما على جمعهم بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح
إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل
عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء وأوحينا إلى
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان
خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم

والباقين

والباقين أشراف الأنبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا
بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه أوحينا إليك كأرسلنا أو
فسرنا قد قصصناهم عليك من قبل أي من قبل هذه السورة أو اليوم ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل
الله محمدا بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب
على المدح أو بإضمار أرسلنا أو على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت
بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا أرسلت إلينا
رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء إلى الناس
ضرورة لقصور الكل عن إدراك جزئيات المصالح والأكثر عن إدراك كلياتها واللام
متعلقة بأرسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس أو على
الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لأنه مصدر وبعد ظرف لها أو صفة وكان
الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من أمر النبوة وخص كل نبي
بنوع من الوحي والإعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكأنه
لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك
قال إنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد أو أنهم أنكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما أنزل
إليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي أنه لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد
لك فنزلت أنزله بعلمه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز
عنه كل بليغ أو بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه أو بعلمه الذي
يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الأولين حال من الفاعل
وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون أيضا
بنبوتك وفيه تنبيه على أنهم يودون أن يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر
والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للإنسان إلى العلم بأمثاله سوى الفكر
والنظر فلو أتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت
الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا أي وكفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن
الاستشهاد بغيره إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لأنهم جمعوا بين
الضلال والإضلال ولأن المضل أعرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه إن الذين
كفروا وظلموا محمدا بإنكار نبوته أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم أو
بأعم من ذلك وعليه يدل على أن الكفار مخاطبون بالفروع إذ المراد بهم الجامعون بين الكفر
والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا
لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال
مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا أيها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ووعيد من أنكرها
خاطب الناس عامة بالدعوة وإلزام الحجة والوعد بالإجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم

أي إيمانا خيرا لكم أو ايتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم عليه وقيل تقديره يكن الإيمان خيرا لكم
ومنعه البصريون لأن كان لا يحذف مع اسمه إلا فيما لا بد منه ولأنه يؤدي إلى حذف
الشرط وجوابه • وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض يعني وإن تكفروا فهو غني
عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بإيمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والأرض
وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه • وكان الله عليما • بأحوالهم • حكيما • فيما دبر لهم •
يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم • الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه
بأنه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه إلها وقيل للنصارى خاصة فإنه أوفق
لقوله ولا تقولوا على الله إلا الحق • يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد • إنما المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم • أوصلها إليها وحصلها فيها • وروح منه
وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له وقيل سمي روحا
لأنه كان يحيي الأموات أو القلوب • فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة • أي الآلهة
ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين
من دون الله أو الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس
ويريدون بالأب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة • انتهوا عن التثليث • خيرا لكم
نصبه كما سبق • إنما الله إله واحد • أي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما • سبحانه أن يكون
له ولد • أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد فإنه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق إليه فناء • له
ما في السموات وما في الأرض • ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا • وكفى بالله
وكيلا • تنبيه على غناه عن الولد فإن الحاجة إليه ليكون وكيلا لأبيه والله سبحانه قائم
بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه أو يعينه • لن يستنكف المسيح • لن يأنف
من نكفت الدمع إذا نحيته بأصبعك كيلا يرى أثره عليك • أن يكون عبدا لله • من أن يكون
عبدا له فإن عبوديته شرف يتباهى به وإنما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي
أن وفد نجران قالوا لرسول الله عم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال
وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى
فنزلت • ولا الملائكة المقربون • عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون
أن يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الأنبياء وقال مساقه لرد النصارى
في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف
عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه أن الآية للرد على عبدة
المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة
باعتبار التكثير دون التكبير كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وإن أراد التكبير
فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش أو من أعلى منهم
رتبة من الملائكة على المسيح من الأنبياء وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر
مطلقا والنزاع فيه • ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر • ويترفع عنها والاستكبار
دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وإنما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر

فانه قد يكون

فإنه قد يكون باستحقاق • فسيحشرهم إليه جميعا • فيجازيهم • فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم
عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا • تفصيل للمجازاة العامة
المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم إليه جميعا يوم القيامة يوم يحشر
العباد للمجازاة أو لمجازاتهم فإن إثابة مقابليهم والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغم
والحسرة • يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا • يعني
بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق
لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين الحق أو رسول الله أو القرآن • فأما الذين آمنوا بالله
واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه • ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لا قضاء
لحق واجب • وفضل • إحسان زائد عليه • ويهديهم إليه • إلى الله وقيل إلى الموعود • صراطا
مستقيما • هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة • يستفتونك • أي في الكلالة
حذف لدلالة الجواب عليه روي أن جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله فقال
إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الأحكام • قل الله يفتيكم في الكلالة
سبق تفسيرها في أول السورة • إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك •
ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك والواو
في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالأخت الأخت من الأبوين أو الأب لأنه جعل أخوها
عصبة وابن الأم لا يكون عصبة والولد على ظاهره فإن الأخت وإن ورثت مع البنت
عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف • وهو يرثها • أي والمرء يرث
أختها إن كان الأمر بالعكس • إن لم يكن لها ولد • ذكرا كان أو أنثى إن أريد بيرثها
جميع مالها وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت لا تحجب الأخ والآية كما لم تدل على سقوط
الإخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم وقد دلت السنة على أنهم لا يرثون مع الأب
وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة إن فسرت بالميت • فإن كانتا اثنتين فلهما
الثلثان مما ترك • الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الإخبار
باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما • وإن كانوا
إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين • أصله وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب
المذكر • يبين الله لكم أن تضلوا • أي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطبعكم
لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا وقيل لئلا تضلوا
فحذف لا وهو قول الكوفيين • والله بكل شيء عليم • فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات
عن النبي عم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا
وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي بسم الله الرحمن الرحيم • مائة وثلث وعشرون آية

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود • الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء
والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم • شدوا

واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود
التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود
الامانات والمعاملة ونحوهما مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك
بين الوجوب والندب • احلت لكم بهيمة الانعام • تفصيل للعقود والبهيمة كل حي
لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل
هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها
الى الانعام لملابسة الشبه • الا ما يتلى عليكم • الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم
الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه • غير محلي الصيد • حال من الضمير في لكم وقيل من واو
اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول • وانتم حرم •
حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم • ان الله يحكم ما يريد • من تحليل وتحريم
يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله • يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر
اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك وقيل
دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده • ولا الشهر
الحرام • بالقتال فيه او بالنسيء • ولا الهدي • ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في
جمع جدية السرج • ولا القلائد • اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص
فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي
ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او لحاء
شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له • ولا آمين البيت الحرام • قاصدين لزيارته
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا • ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن
في آمين وليست صفة لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار
تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا
بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا
لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة
وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين • واذا حللتم فاصطادوا • اذن في الاصطياد بعد
زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة هاهنا من الامر دلالة الامر على الاباحة مطلقا
وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال
حل المحرم واحل • ولا يجرمنكم • لا يحملنكم او لا يكسبنكم • شنآن قوم • شدة بغضهم وعداوتهم
وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر وابو بكر
عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان
في النعت اكثر • ان صدوكم عن المسجد الحرام • لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم • ان تعتدوا • بالانتقام
ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء

منقولا

منقول من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين • وتعاونوا على البر والتقوى • على العفو
والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى • ولا تعاونوا على الاثم والعدوان •
للتشفي والانتقام • واتقوا الله ان الله شديد العقاب • فانتقامه اشد • حرمت عليكم
الميتة • بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية • والدم • اي الدم
المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به • اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى
عند ذبحه • والمنخنقة • التي ماتت بالخنق • والموقوذة • المضروبة بنحو خشب وحجر حتى تموت
من وقذته اذا ضربته • والمتردية • التي تردت من علو او في بئر فماتت • والنطيحة • التي
نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل • وما اكل السبع • اي وما اكل منه السبع فمات
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل • الا ما ذكيتم • الا ما ادركتم
ذكوته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع
بقطع الحلقوم والمريء بمحدد • وما ذبح على النصب • النصب واحد الانصاب وهي احجار
كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام
وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد
نصاب • وان تستقسموا بالازلام • اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم
اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني
ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان
خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم
بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام
زلم كجمل وزلم كصرد • ذلكم فسق • اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم
الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي وجهالة وشرك
ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم • اليوم • لم يرد به يوما بعينه وانما
اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم
الجمعة يوم عرفة حجة الوداع • يئس الذين كفروا من دينكم • اي من ابطاله ورجوعكم عنه
بتحليل هذه الخبائث او غيرها او من ان يغلبوكم عليه • فلا تخشوهم • ان يظهروا عليكم • واخشون •
واخلصوا الخشية لي • اليوم اكملت لكم دينكم • بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص
على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد • واتممت عليكم
نعمتي • بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية
ورضيت لكم الاسلام • اخترته لكم • دينا • من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير
فمن اضطر • متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض لما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها
فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر
الى تناول شيء من هذه المحرمات • في مخمصة • مجاعة • غير متجانف لاثم • غير مائل له ومنحرف
اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد • فان الله غفور رحيم

لا يؤاخذ باكله • يسألونك ماذا أحل لهم • لما تضمن السؤال معنى القول أوقع
على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وإنما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لأن يسألونك
بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شائع في أمثاله والمسؤول ما أحل لهم من المطاعم كأنهم لما
تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما أحل لهم • قل أحل لكم الطيبات • ما لم تستخبثه الطباع
السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب أو ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته
وما علمتم من الجوارح • عطف على الطيبات إن جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم
وجملة شرطية إن جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على أهلها من سباع
ذوات الأربع والطير • مكلبين • معلمين إياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لأن التأديب يكون أكثر فيه وآثر أو لأن كل سبع يسمى كلبا لقوله
عليه الصلوة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم
وفائدتها المبالغة في التعليم • تعلمونهن • حال ثانية أو استئناف • مما علمكم الله من الحيل
وطرق التأديب فإن العلم به إلهام من الله أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه أو مما
علمكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك
عليه الصيد وأن لا يأكل منه • فكلوا مما أمسكن عليكم • وهو ما لم يأكل منه لقوله عليه السلام
لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وإليه ذهب أكثر الفقهاء
وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير إذ تأديبها إلى هذا الحد متعذر وقال
آخرون لا يشترط مطلقا • واذكروا اسم الله عليه • الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند
إرساله أو لما أمسكن بمعنى سموا عليه إذا أدركتم ذكاته • واتقوا الله • في محرماته • إن الله
سريع الحساب • فيؤاخذكم بما جل ودق • اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب
حل لكم • يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى
علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر ولا
يلحق بهم المجوس في ذلك وإن ألحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة أهل
الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم • وطعامكم حل لهم • فلا عليكم أن تطعموهم
وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك • والمحصنات من المؤمنات • أي الحرائر العفائف
وتخصيصهن بعث على ما هو الأولى • والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم • وإن كن
حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات • إذا آتيتموهن أجورهن • مهورهن وتقييد
الحل بإيتائها لتأكيد وجوبها والحث على الأولى وقيل المراد بإيتائها التزامها • محصنين
أعفاء بالنكاح • غير مسافحين • مجاهرين بالزنا • ولا متخذي أخدان • مسرين به
والخدن الصديق يقع على الذكر والأنثى • ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو
في الآخرة من الخاسرين • يريد بالإيمان شرائع الإسلام وبالكفر به إنكاره والامتناع
عنه • يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة • أي إذا أردتم القيام كقوله فإذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها للإيجاز والتنبيه
على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة أو إذا

قصدتم

قصدتم الصلوة لأن التوجه إلى الشيء والقيام إليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء
على كل قائم إلى الصلوة وإن لم يكن محدثا والإجماع على خلافه لما روي أنه عليه السلام صلى الخمس
بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته
فقيل مطلق أريد به التقييد والمعنى إذا قمتم إلى الصلوة محدثين وقيل الأمر فيه للندب وقيل
كان ذلك أول الأمر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا
حرامها • فاغسلوا وجوهكم • أمروا الماء عليها ولا حاجة إلى الدلك خلافا لمالك • وأيديكم
إلى المرافق • الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل إلى بمعنى مع كقوله ويزدكم
قوة إلى قوتكم أو متعلقة بمحذوف تقديره وأيديكم مضافة إلى المرافق ولو كان كذلك لم يبق
معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لأن مطلق اليد يشتمل عليها وقيل إلى تفيد الغاية مطلقا
وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان
الأيدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل إلى من حيث إنها تفيد الغاية تقتضي خروجها
وإلا لم تكن غاية كقوله فنظرة إلى ميسرة وقوله ثم أتموا الصيام إلى الليل لكن لما لم تتميز الغاية
ههنا عن ذي الغاية وجب دخولها احتياطا • وامسحوا برؤوسكم • الباء مزيدة وقيل للتبعيض
فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه أن يقال إنها تدل على تضمين
الفعل معنى الإلصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما
لو قيل وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب
فأوجب الشافعي أقل ما يقع عليه الاسم أخذا باليقين وأبو حنيفة مسح ربع الرأس لأنه عليه السلام
مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله أخذا بالاحتياط • وأرجلكم إلى الكعبين •
نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة
وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة والتحديد إذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار
ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم أليم وحور عين بالجر في قراءة
حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب والنحاة بينوا ذلك وفائدته التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد
في صب الماء عليهما ويغسلا غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين أخواته إيماء على وجوب
الترتيب وقرئ بالرفع على وأرجلكم مغسولة • وإن كنتم جنبا فاطهروا • فاغسلوا
أبدانكم • وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه • سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل
الكلام في بيان أنواع الطهارة • ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج • أي ما يريد الأمر
بالطهارة للصلوة أو الأمر بالتيمم تضييقا عليكم • ولكن يريد ليطهركم • لينظفكم
أو ليطهركم عن الذنوب فإن الوضوء تكفير للذنوب أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهير
بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد
الله أن يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف
لأن أن لا تقدر بعد المزيدة • وليتم نعمته عليكم • ليتم بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة
لذنوبكم نعمته عليكم في الدين أو ليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه • لعلكم تشكرون •

تشكرون والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة • واذكروا نعمة الله عليكم • بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره • وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا • يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان • واتقوا الله • في انساء نعمه ونقض ميثاقه • ان الله عليم بذات الصدور • اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم • يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا • عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم • اعدلوا هو اقرب للتقوى • اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين • واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون • فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ • وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم • انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول • والذين كفروا وكذبوا باياتنا • اولئك اصحاب الجحيم • هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد المؤمنين وتطييب لقلوبهم • يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم • روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه السلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت • اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم • بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه • فكف ايديهم عنكم • منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم • واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون • فانه الكافي لايصال الخير ودفع

الشر

الشر • ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا • شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف • وقال الله اني معكم • بالنصرة • لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم • اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير • واقرضتم الله قرضا حسنا • بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول • لاكفرن عنكم سيئاتكم • جواب القسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط • ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك • الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم • منكم فقد ضل سواء السبيل • ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة • فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم • طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية • وجعلنا قلوبهم قاسية • لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين • يحرفون الكلم عن مواضعه • استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه • ونسوا حظا • وتركوا نصيبا وافيا • مما ذكروا به • من التورية او من اتباع محمد عليه السلام والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية • ولا تزال تطلع على خائنة منهم • خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم • الا قليلا منهم • لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية • فاعف عنهم واصفح • ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف • ان الله يحب المحسنين • تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره • ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم • اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله • فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا • فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به • بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة • بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او

بينهم وبين اليهود • وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون • بالجزاء والعقاب •
يا اهل الكتاب • يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس • قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب • كنعت محمد عم وآية الرجم في التورية
وبشارة عيسى باحمد في الانجيل • ويعفو عن كثير • مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر
اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يواخذ بجرمه • قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين •
يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل
يريد بالنور محمدا عم • يهدي به الله • وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم
من اتبع رضوانه • من اتبع رضاه بالايمان منهم • سبل السلام • طرق السلامة من العذاب
او سبل الله • ويخرجهم من الظلمات الى النور • من انواع الكفر الى الايمان • باذنه • بارادته
او بتوفيقه • ويهديهم الى صراط مستقيم • طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم • هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح
به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون
هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم • وتفضيحا لمعتقدهم • قل فمن يملك
من الله شيئا • فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا • ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن في الارض جميعا • احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور
ومقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية • ولله
ملك السماوات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير • ازاحة
لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل
كما خلق السماوات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه
كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حواء او من انثى وحدها
كعيسى او منهما كسائر الناس • وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه •
اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبيون او مقربون عنده
قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران • قل فلم يعذبكم
اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه
وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما
معدودة • بل انتم بشر ممن خلق • ممن خلقه الله • يغفر لمن يشاء • وهم من آمن به وبرسله
ويعذب من يشاء • وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم
عليه • ولله ملك السماوات والارض وما بينهما • كلها سواء في كونه خلقا وملكا
له • واليه المصير • فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته • يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم • اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز
ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا
مبينا لكم • على فترة من الرسل • متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال
وانقطاع من الوحي او بمبين حال من الضمير فيه • ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير • كراهة

ان تقولوا

ان تقولوا ذلك وتعتذروا به • فقد جاءكم بشير ونذير • متعلق بمحذوف
اي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم • والله على كل شيء قدير • فيقدر على الارسال
تترى كما فعل بين موسى وعيسى عم اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى
الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عم كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع
وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي
وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون
اليه • واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء • فارشدكم
وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء • وجعلكم ملوكا •
اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيكم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى
قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى عم وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم
الله وجعلهم مالكين لانفسهم سماهم ملوكا • وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين • من فلق
البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوهما مما آتاهم الله • وقيل المراد بالعالمين
عالمي زمانهم • يا قوم ادخلوا الارض المقدسة • ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها
كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل الشام • التي كتب الله لكم • قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ
انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعدما عصوا فانها محرمة عليهم
ولا ترتدوا على ادباركم • ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا
حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف
بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله • فتنقلبوا خاسرين •
ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب • قالوا يا موسى
ان فيها قوما جبارين • متغلبين لا يتاتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى
اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريد • وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان
يخرجوا منها فانا داخلون • اذ لا طاقة لنا بهم • قال رجلان • كالب ويوشع • من الذين
يخافون الله • ويتقونه وقيل كانا من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني
اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له
انه قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي
من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد • انعم الله عليهما • بالايمان و
التثبيت وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض • ادخلوا عليهم الباب • باب قريتهم
اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار • فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون
علمهما بذلك من اخبار موسى عم وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة
رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه • وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين • اي مؤمنين به
ومصدقين لوعده • قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا • نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد

ما داموا فيها • بدل من أبدا بدل البعض • فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا
هاهنا قاعدون • قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره
اذهب أنت وربك يعينك • قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي • قاله شكوى بثه وحزنه
إلى الله لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون والرجلان
المذكوران وإن كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز أن يراد بأخي
من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي أو على اسم إن ورفعه
عطفا على الضمير في لا أملك أو على محل إن واسمها وجره عطفا على الضمير في نفسي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين • بأن تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه
أو بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم • قال فإنها • فإن الأرض المقدسة محرمة
عليهم • لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم • أربعين سنة يتيهون في الأرض •
عامل الظرف إما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب
الله لكم ويؤيد ذلك ما روي أن موسى عم سار بعد بمن بقي من بني إسرائيل ففتح أريحا
وأقام بها ما شاء الله ثم قبض وقيل إنه قبض في التيه فلما احتضر أخبرهم بأن يوشع
بعده نبي وأن الله أمره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام
كله لبني إسرائيل وإما يتيهون أي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم
مطلقا وقد قيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها بل هلكوا في التيه
وإنما قاتل الجبابرة أولادهم روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح
إلى المساء فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من الشمس وعمود من نور يطلع
عليهم بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والأكثر
على أن موسى وهرون كانا معهم في التيه إلا أنه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما
وعقوبة لهم وأنهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع أريحا بعد
ثلثة أشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع • فلا تأس على القوم الفاسقين •
خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم • واتل عليهم نبأ
ابني آدم • قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط
منه قابيل لأن توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل
لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وأنهما رجلان من بني إسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني إسرائيل
بالحق • صفة مصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق أو حال من الضمير في اتل أو من نبأ
أي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين • إذ قربا قربانا • ظرف لنبأ أو حال
أو بدل على حذف مضاف أي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم لما يتقرب
به إلى الله من ذبيحة أو غيرها كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى وهو في الأصل مصدر
ولذلك لم يثن وقيل تقديره إذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع
وقرب أرذل ما عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر

لانه سخط

لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده • قال لأقتلنك • توعده
بالقتل لفرط الحسد على تقبل قربانه ولذلك • قال إنما يتقبل الله من المتقين • في جوابه أي إنما
أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى
حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في إزالة حظه فإن ذلك مما
يضره ولا ينفعه فإن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متق • لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا
بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين • قيل كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج
عن قتله واستسلم له خوفا من الله لأن الدفع لم يبح بعد أو تحريا لما هو الأفضل قال عم
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وإنما قال ما أنا بباسط في جواب لئن بسطت
للتبري من هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد
النفي بالباء • إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين •
تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى إنما استسلم لك إرادة أن تحمل إثمي لو بسطت
إليك يدي وإثمك ببسطك يدك إلي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
وقيل معنى بإثمي بإثم قتلي وبإثمك الذي لم يتقبل لأجله قربانك وكلاهما في موضع الحال
أي ترجع ملتبسا بالإثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته بل قصد
بهذا الكلام إلى أن ذلك إن كان لا محالة واقعا فأريد أن يكون لك لا لي فالمراد بالذات
أن لا يكون له لا أن يكون لأخيه ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته وإرادة عقاب العاصي
جائزة • فطوعت له نفسه قتل أخيه • فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع إذا اتسع
وقرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعاها إلى الإقدام عليه
فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله • فقتله فأصبح من الخاسرين •
دينا ودنيا إذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة
عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم • فبعث الله غرابا يبحث في الأرض
ليريه كيف يواري سوأة أخيه • روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع به إذ كان
أول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه
ثم ألقاه في الحفرة والضمير في ليريه لله أو للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة
ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة أخيه جسده الميت فإنه مما يستقبح أن يرى • قال يا ويلتى
كلمة جزع وتحسر والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوانك
والويل والويلة الهلكة • أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي • لا أهتدي
إلى ما اهتدى إليه وقوله فأواري عطف على أكون وليس جواب الاستفهام إذ ليس المعنى
لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فأنا أواري أو على التسكين في موضع النصب تخفيفا •
فأصبح من النادمين • على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحمله على رقبته سنة
أو أكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري أبويه منه إذ روي أنه لما قتله
اسود جسده فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود
جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من أجله •

من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل • بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل
شرا اذا جناه • استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته
ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب
وانشاؤه من اجل ذلك • انه من قتل نفسا بغير نفس • بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص
او فساد في الارض • او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق • فكانما قتل
الناس جميعا • من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث
ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم • ومن احياها
فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ
من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل
النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها • ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون • اي بعد ما كتبنا
عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات
الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض
بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال
في الامر • انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله • يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل
محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة
باللصوصية وان كانت في مصر • ويسعون في الارض فسادا • اي مفسدين ويجوز نصبه
على العلة والمصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا •
ان يقتلوا • اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل • او يصلبوا • اي يصلبوا مع القتل
ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك
او يطعن حتى يموت • او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف • تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم
اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا • او ينفوا من الارض • ينفوا من بلد الى بلد بحيث
لا يتمكنون من القرار ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الآية
على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق
ذلك لهم خزي في الدنيا • ذل وفضيحة • ولهم في الآخرة عذاب عظيم • لعظم ذنوبهم
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم • استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل
عليه قوله • فاعلموا ان الله غفور رحيم • اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة
وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا
تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك
تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها • يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
اليه الوسيلة • اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي
من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة • وجاهدوا في سبيله
بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة • لعلكم تفلحون • بالوصول الى الله والفوز بكرامته

ان الذين

ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض • من صنوف الاموال • جميعا ومثله معه ليفتدوا به
ليجعلوه فدية لانفسهم • من عذاب يوم القيامة • واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه
لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما
لاجرائه مجرى اسم الاشارة في قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى
مع • ما تقبل منهم • جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه
لا سبيل لهم الى الخلاص منه • ولهم عذاب اليم • تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله • يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم • وقرئ يخرجوا من اخرج
وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة • والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما • جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي
حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى
والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا
الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كان من حرز
والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله لا قطع الا في ربع دينار فصاعدا وللعلماء
خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح
والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع
موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم
لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام
اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه • جزاء بما كسبا نكالا من الله • منصوبان على المفعول له او
المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا • والله عزيز حكيم • فمن تاب من السراق • من بعد ظلمه
اي سرقته • واصلح • امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها • فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم • يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط
بها عند الاكثر لان فيه حق المسروق منه • الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد • يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير
قدم التعذيب على المغفرة اتباعا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم
او لان المراد به القطع وهو في الدنيا • يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر • اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة
من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم • اي من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف • ومن الذين هادوا • عطف على من الذين
قالوا • سماعون للكذب • خبر مبتدأ محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين
او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم
سماعون واللام للكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون
لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك
فيها • سماعون لقوم آخرين لم يأتوك • اي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك

عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم
او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني
مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين. يحرفون الكلم من بعد مواضعه. اي يميلونه
عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وصفه واما معنى بحمله
على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة لقوم او صفة لسماعون او
حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او في موضع الرفع خبرا لمحذوف اي
هم يحرفون وكذلك. يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه. اي ان اوتيتم هذا المحرف
فاقبلوه واعملوا به. وان لم تؤتوه. بل افتاكم محمد بخلافه. فاحذروا. اي فاحذروا
قبوله. روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عم عنه وقالوا ان امركم
بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن
صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى
ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا
العذاب فامر رسول الله عم بالزانيين فرجما عند باب المسجد. ومن يرد الله فتنته.
ضلالته وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة. لهم في الدنيا خزي. هوان بالجزية
والخوف من المؤمنين. ولهم في الآخرة عذاب عظيم. وهو الخلود في النار والضمير للذين
هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين. سماعون للكذب. كرره للتاكيد.
اكالون للسحت. اي الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق
وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر. فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم.
تخيير لرسول الله عم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان
الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان
او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست في اهل
الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا. وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا. بان يعادوك
لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس. وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط. بالعدل الذي
امر الله به. ان الله يحب المقسطين. فيحفظهم ويعظم شأنهم. وكيف يحكمونك وعندهم
التوراة فيها حكم الله. تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب
الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا
به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم. وفيها حكم الله. حال من التوراة ان
رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث
في كلامهم لفظا كموماة ودوداة. ثم يتولون من بعد ذلك. ثم يعرضون عن حكمك الموافق
لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب. وما اولئك بالمؤمنين

بكتابهم

بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه. انا انزلنا التوراة فيها
هدى يهدي الى الحق. ونور. يكشف ما استبهم من الاحكام. يحكم بها النبيون. يعني انبياء
بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية
تمسك القائل به. الذين اسلموا. صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن
المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هداهم. للذين
هادوا. متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم
والربانيون والاحبار. زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف
على النبيين. بما استحفظوا من كتاب الله. بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع
والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين. وكانوا عليه شهداء. رقباء لا يتركون
ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا. فلا تخشوا الناس واخشون.
نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير. ولا تشتروا
بآياتي. ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها. ثمنا قليلا. هو الرشوة والجاه. ومن لم يحكم
بما انزل الله. مستهينا به منكرا له. فاولئك هم الكافرون. لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا
بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم بانكاره وظلمهم بالحكم على
خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحد من الصفات الثلاث باعتبار حال
انضمت اليه الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها
بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى. وكتبنا عليهم. وفرضنا
على اليهود. فيها. في التوراة. ان النفس بالنفس. اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين
والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن. رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة
على ان وما في حيزها باعتبار المعنى فكأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن
او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل
مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى. والجروح قصاص. اي ذات
قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال
للحكم بعد التفصيل. فمن تصدق. من المستحقين. به. بالقصاص اي فمن عفا عنه. فهو.
فالتصدق. كفارة له. للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه
وقرئ فهو كفارة له اي التصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء. ومن لم يحكم بما
انزل الله. من القصاص وغيره. فاولئك هم الظالمون. وقفينا على آثارهم. اي واتبعناهم
على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين. بعيسى ابن مريم.
مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء. مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل.
وقرئ بفتح الهمزة. فيه هدى ونور. في موضع النصب بالحال. ومصدقا لما
بين يديه من التوراة. عطف عليه وكذا قوله. وهدى وموعظة للمتقين. ويجوز

نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف • وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه • وقرأ حمزة وليحكم على ان اللام متعلقة بمحذوف وآتيناه ليحكم
وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم • ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون • عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به
والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى
وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية
خلاف الظاهر • وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب • من جنس
الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس • ومهيمنا عليه • ورقيبا على سائر
الكتب المحفوظة عن التغيير يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي
هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر • فاحكم
بينهم بما انزل الله • اي بما انزل اليك • ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق • بالانحراف
عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم
مائلا عما جاءك • لكل جعلنا منكم • ايها الناس • شرعة • شريعة وهي الطريقة الى الماء
شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين • ومنهاجا •
وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع
المتقدمة • ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة • جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار
من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم
على الاسلام لاجبركم عليه • ولكن ليبلوكم فيما آتاكم • من الشرائع المختلفة المناسبة لكل
عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون
عن الحق وتفرطون في العمل • فاستبقوا الخيرات • فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة
لفضل السبق والتقدم • الى الله مرجعكم جميعا • استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد
ووعيد للمبادرين والمقصرين • فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون • بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل
والعامل والمقصر • وان احكم بينهم بما انزل الله • عطف على الكتاب اي وانزلنا اليك الكتاب
والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم
ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك • اي ان يضلوك
ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل اشتمال اي احذر فتنتهم او مفعول له
اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد
لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن
نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت • فان تولوا • عن الحكم المنزل
واردوا غيره • فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم • يعني ذنب التولي
عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود
من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس

وان كثيرا من الناس لفاسقون • لمتمردون في الكفر معتدون فيه • افحكم الجاهلية يبغون
الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة
الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان
يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ
ويبغون خبره واسقط الراجع عنه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله
رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام
الجاهلية يحكم بحسب شهوتهم وقرأ ابن عامر بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية
تبغون • ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون • اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت
لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء
بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء • فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب • بعضهم اولياء بعض
ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين
واجماعهم على مضادتكم • ومن يتولهم منكم فانه منهم • اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم
وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما او لانهم لا يوالونهم الا اذا كانوا
منافقين • ان الله لا يهدي القوم الظالمين • اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او
المؤمنين بموالاة اعدائهم • فترى الذين في قلوبهم مرض • يعني ابن ابي واضرابه • يسارعون
فيهم • اي في موالاتهم ومعاونتهم • يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة • يعتذرون بانهم يخافون
ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روي
عن عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ
الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ
من ولاية موالي فنزلت • فعسى الله ان يأتي بالفتح • لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار
المسلمين • او امر من عنده • يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار
اسرار المنافقين وقتلهم • فيصبحوا • اي هؤلاء المنافقون • على ما اسروا في انفسهم نادمين
على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم
ويقول الذين آمنوا • بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدأ
ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول
فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار
المعنى وكانه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعل بدلا من اسم الله
داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى ان يأتي
بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به • اهؤلاء الذين
اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم • يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين
وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما
حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر

وتنصيبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم
المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا • حبطت
اعمالهم فاصبحوا خاسرين • اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم
وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم • يا ايها الذين امنوا من
يرتد منكم عن دينه • قراه نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام
وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد
رسول الله عم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ
باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله عم من غدها
واخبر الرسول عم في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو
حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله عم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه
ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ
فبعث اليه رسول الله خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه
وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو
سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم
قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر
بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر رضي الله عنه غسان
قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام • فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
قيل هم اهل اليمن لما روي انه عم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا
وقيل الفرس لانه عم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه
وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة
وثلثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم
مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب
في الاخرة ومحبة العباد له تعالى ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه • اذلة على المؤمنين
عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله
مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم
على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة • اعزة على الكافرين • شداد متغلبين عليهم
من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال • يجاهدون في سبيل الله • صفة اخرى
لقوم او حال من الضمير في اعزة • ولا يخافون لومة لائم • عطف على يجاهدون
بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم
يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم كانوا يخرجون في جيش المسلمين خائفين
ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة

من اللوم

من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان • ذلك • اشارة الى ما تقدم من الاوصاف •
فضل الله يؤتيه من يشاء • يمنحه ويوفق له • والله واسع • كثير الفضل • عليم • بمن
هو اهله • انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا • لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه
من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة
ولرسوله وللمؤمنين على التبع • الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة • صفة للذين
امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح • وهم راكعون
متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة
في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي
رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح خاتمه واستدل بها الشيعة
على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما
ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء
بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل
القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة • ومن يتول الله ورسوله
والذين امنوا • ومن يتخذهم اولياء • فان حزب الله هم الغالبون • اي فانهم الغالبون
ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء
فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا
الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون
لامر حزبهم • يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء • نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا
الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذ
دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة
وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب
والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه
على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء كان من ذي دين يتبع
فيه الهوى ويحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين • واتقوا الله • بترك
المناهي • ان كنتم مؤمنين • لان الايمان الحق يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده
ووعيده • واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا • اي اتخذوا الصلوة او
المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة
كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه
ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرره في البيت فاحرقه واهله • ذلك بانهم قوم لا يعقلون •
فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه • قل يا اهل الكتاب هل
تنقمون منا • هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافأه وقرئ
تنقمون بفتح القاف وهو لغة • الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل • الايمان

بالكتب المنزلة كلها • وان اكثركم فاسقون • عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين
وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون
منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي
وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير
هل تنقمون منا الا لان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل يدل عليه هل
تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف
اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية
خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل
الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم
قل هل انبئكم بشر من ذلك • اي من ذلك المنقوم • مثوبة عند الله • جزاء ثابتا عند الله
والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية
بينهم ضرب وجيع • ونصبها على التمييز عن بشر • من لعنه الله • وغضب عليه وجعل منهم
القردة والخنازير • بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله
او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم
الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ
بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى
وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير • وعبد
الطاغوت • عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت
وعبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم
ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد
الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة
ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل
وقيل الكهنة وكل من اطاع في معصية الله • اولئك • اي الملعونون • شر مكانا • جعل
مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا • واضل عن
سواء السبيل • قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد
بصيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال
واذا جاؤكم قالوا آمنا • نزلت في اليهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به • اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر
فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا
وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا
لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك
قال • والله اعلم بما كانوا يكتمون • اي من الكفر وفيه وعيد لهم • وترى كثيرا منهم • اي
من اليهود او المنافقين • يسارعون في الاثم • اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم

والعدوان

والعدوان • الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعدى الى غيرهم • واكلهم السحت • اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة • لبئس ما
كانوا يعملون • لبئس شيئا عملوه • لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت • تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي
افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض • لبئس ما كانوا يصنعون • ابلغ من قوله
لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة
ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل
اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكانت جديرة بابلغ الذم • وقالت اليهود يد الله مغلولة
اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات
يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل
شكرت نداه تلاعه ووهاده • ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل
معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء • غلت ايديهم
ولعنوا • دعاء عليهم بالبخل والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة يغلون
اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
الاصل كقولك سبني سب الله دابره • بل يداه مبسوطتان • ثنى اليد مبالغة في الرد
ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه
وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام • ينفق كيف
يشاء • تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته
ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء
للفصل بينهما بالخبر ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما
لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود
ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا عليه الصلوة والسلام واشرك فيه الآخرون
لانهم رضوا بقوله • وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا • اي
هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد
المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء • والقينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيامة • فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم • كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله • كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع
بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا
حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي
ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا • ويسعون
في الارض فسادا • اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن
وهتك المحارم • والله لا يحب المفسدين • فلا يجازيهم الا شرا • ولو ان اهل الكتاب
آمنوا • بمحمد وبما جاء به • واتقوا • ما عددنا من معاصيهم ونحوه • لكفرنا عنهم

اي التي عملوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم داخلين
فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل
وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل باذاعة
ما فيها والقيام باحكامها وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها
من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماوات والارض او يكثر ثمرة
الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر
ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور
الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وحصل لهم خير الدارين منهم
امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد عم وقيل مقتصدة
متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب
اي ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل غير مراقب احدا ولا خائف مكروه
وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها
لان كتمان بعضها تضييع لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة
ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان
كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك من الناس
عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله
لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صم بعثني الله برسالته فضقت
بها ذرعا فاوحى الله تعالى ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت
وعن انس رضه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه
من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس فظاهر الآية
يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد
بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب
لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التوراة
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان
الكتب الالهية بأسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له
والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة
طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين
مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى
سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التأخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى

حكمهم كذا

حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا
انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون
مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح
كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما
وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف
ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله
كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم
التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع
الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اي من آمن منهم او
النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابيين وهو الظاهر والصابون
بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا
الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف
دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة
على رؤوس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء
وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون
بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشان
وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيله منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان
بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا
عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم
ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى
والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو
علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اي العمي والصم كثير منهم
وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير
بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح
يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم
انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة
يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين

وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع
المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون
تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تعالى تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى
وتقربا اليه وهو معاديهم ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون
بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد
وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون
ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر
او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم
وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا
يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال
الزايغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد
والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه
الله بالايات كما خصهم بها فان احيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى
على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب
وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا
ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل
على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصانهما
وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب
ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم
الايات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين
العجبين اي ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا
يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته
ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة
وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على
انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية
وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم
بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية
او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عم في شريعتهم

وأضلوا

واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل
الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى
العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل
اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم الله على لسان داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا
دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه
او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه
اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم
من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله عم والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة ان سخط
الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله
والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد
نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى
وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم
ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة
قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون
ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض
عن الشهوات محمود وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم
ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تابيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع
موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها
مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه
بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون
ربنا آمنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته
الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع
ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان
مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل

قال لهم اسلمتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي واي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في اثنين وسبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا وحلالا حال من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الامام الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته

فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل هو جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصودان بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف

وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان
الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما
نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي
فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم
به انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم
بعد الخمر وآمنوا بغيره ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة
ثم اتقوا ما حرم عليهم ابتداء من المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها
روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم
يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة
او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين
الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما
قاله عم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى
فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض
المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين
فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا
يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا
بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم
التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت
عندما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة
ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره
او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك فصاده بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم
فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون
النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون
جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد
ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عم خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب
والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه
على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم
بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم
متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد
وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم
الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه
ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين

ويعقوب

ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء
للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها
وانما يكون صفته وقراءة الباقين على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في
قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما
على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاء مثل ما قتل وهذه المماثلة
باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال تقوم الصيد
حيث صيد فان بلغت ثمن هدي خير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما
فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما
وان لم يبلغ خير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل
منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته ووصفته
[illegible] وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة
والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام
هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار
محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى
بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به
حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام
مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام وقرأ نافع
وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي
او كفارة باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا
او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل
مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمال
وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف
اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام
او الثقل الشديد على مخالفة امره واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل
عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد
الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد
كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد
البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عم في البحر هو الطهور ماؤه الحل
ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه
ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم نصب
على الغرض وللسيارة اي تمتيعا لكم تاكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر
اي ما صيد فيه فعلى الاول لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوا او لم يصد لكم ما دمتم
حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون

الكعبة وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح
او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم
ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج
والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل
كالشبع اعل عينه بما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي
والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه
المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة
الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام
لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال
علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد
العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن
اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر
اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة
عند الله سبحانه بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال
المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان
المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب
اي فاتقوا الله في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا
الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان
كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا الرسول
عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان
ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه
قلبت لامه فجعلت لفاءه وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيء كهين او شيء
كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله
عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله
على الناس حج البيت قال سراقة ابن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا
فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او
استئناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم
لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وروي انه عليه السلام كان يخطب ذات
يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال
رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت
قد سألها قوم من قبلكم الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف

الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة
ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا
جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه
اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها
وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم
وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل
عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى قالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع
ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون
على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح
من المحرم او الامر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن
يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد
وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت
عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين
والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي
التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع
المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر
حسب الطاقة كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون
ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على
انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكن ضمت الراء اتباعا
لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر
الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون
وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا
شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها
الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم
الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي
ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيها او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة
ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المؤمنين
وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة
جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض

اي سافرتم فيها • فاصابتكم مصيبة الموت • اي قاربتم الاجل • تحبسونهما • تقفونهما
وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم
اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم
او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما • من بعد الصلوة •
صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار
وقيل اي صلوة كانت • فيقسمان بالله ان ارتبتم • ان ارتاب الوارث منكم • لا نشتري
به ثمنا • مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى
لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لاجل الطمع • ولو كان ذا قربى •
ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري • ولا نكتم شهادة الله •
اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد
على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن
انا اذا لمن الآثمين • اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وادغام النون فيها • فان عثر • فان اطلع • على انهما استحقا اثما • اي فعلا ما اوجب اثما
كتحريف فآخران فشاهدان آخران • يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم • من الذين جني عليهم
وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان • الاوليان • الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر لآخران او مبتدأ خبره آخران
او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه
صفة للذين او بدل منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه
على المدح والآخرون والاولان ايضا • فيقسمان بالله لشهادتنا • احق من شهادتهما • اصدق منها واولى بان تقبل • وما اعتدينا • وما تجاوزنا فيها الحق •
انا اذا لمن الظالمين • الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا
ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه
على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم
ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما
كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين
فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين
الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى
روي ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين
ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في
صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات
ففتشاه واخذا منه اناء من فضة منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب
اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله عم فنزلت يا ايها الذين
آمنوا الآية فحلفهما رسول الله عم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء

في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة
فكرهنا ان نقربه فرفعوهما الى رسول الله عم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص
والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة • ذلك • اي
الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد • ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها • على نحو ما حملوها
من غير تحريف • وخيانة فيها • او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم • ان ترد اليمين على
المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم
يعم الشهود كلهم • واتقوا الله واسمعوا • ما توصون به سمع اجابة • والله لا يهدي القوم
الفاسقين • اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة • يوم يجمع الله الرسل • ظرف له وقيل بدل
من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا
خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر • فيقول • اي للرسل • ماذا اجبتم • اي اجابة
اجبتم على ان ماذا في موضع نصب وباي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ
قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك • قالوا لا علم لنا • اي لا علم
لنا بما كنت تعلمه • انك انت علام الغيوب • فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما
لم نعلمه مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم
وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة
وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك
المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء • اذ قال الله يا عيسى بن مريم
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك • بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب
الجنة والمعنى انه يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر
عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة
او نصب باضمار اذكر • اذ ايدتك • ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك
بروح القدس • بجبريل عم او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية
ويطهر من الآثام ويؤيده قوله • تكلم الناس في المهد وكهلا • اي كائنا في المهد
وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في
الطفولية بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه
رفع قبل التكهل • واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني
واذ تخرج الموتى باذني • سبق تفسيره في آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا
الا فراد وللجمع كالباقر • واذ كففت بني اسرائيل عنك • يعني اليهود حين هموا بقتله •
اذ جئتهم بالبينات • ظرف لكففت • فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين • اي ما
الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عم •
واذ اوحيت الى الحواريين • اي امرتهم على السنة رسلي • ان آمنوا بي وبرسولي • اي بوجود

ان يكون لمن مصلحة وان يكون مفسدة • قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون
اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم • منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على
ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم • هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة
والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يستطيع ربك اي هل يطيعك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله
ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده
اذا اعطاه كأنها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة • قال اتقوا الله من امثال
هذا السؤال • ان كنتم مؤمنين • بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان •
قالوا نريد ان نأكل منها • تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل
منها • وتطمئن قلوبنا • بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته • ونعلم
ان قد صدقتنا • في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا • ونكون عليها من الشاهدين •
اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر • قال عيسى ابن مريم • لما رأى
ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها • اللهم
انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا • اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل
العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر • لاولنا
وآخرنا • بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت
يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا
واخرانا بمعنى الامة والطائفة • وآية • عطف على عيدا • منك • صفة لها اي كائنة
منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي • وارزقنا • المائدة او الشكر عليها •
وانت خير الرازقين • خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض • قال الله
اني منزلها عليكم • اجابة الى سؤالكم • فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا • اي تعذيبا
ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة • لا اعذبه • الضمير للمصدر او العذاب ان اريد به
ما يعذب به على حذف حرف الجر • احدا من العالمين • اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا
فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة
حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عم وقال
اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام
وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا
ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من

آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها
الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون
في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى
الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء
فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثلاثون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة
استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد انه مثل ضربه الله ولم ينزل حقيقة
وعند بعض الصوفية المائدة عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة
غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها
فقال لهم عيسى ان حصل لكم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع
عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل
ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله
ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا • واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله • يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة
لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله
مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده او القصور
فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل
الى عبادة الله تعالى وكأنه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله • قال سبحانك
اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك • ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق • ما ينبغي
لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله • ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك • تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك
وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات • انك انت علام الغيوب • تقرير للجملتين
باعتبار منطوقه ومفهومه • ما قلت لهم الا ما امرتني به • تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم
ما يدل عليه • ان اعبدوا الله ربي وربكم • عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط
البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او
مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول
ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول
لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكأنه قال ما امرتهم الا بما امرتني به ان اعبدوا
وكنت عليهم شهيدا • ما دمت فيهم • اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه
او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان • فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم • المراقب
لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال
الرسل وانزال الآيات • وانت على كل شيء شهيد • مطلع عليه مراقب له • ان تعذبهم فانهم
عبادك • اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما

بكلهم وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك • وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم • فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب
والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم
فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع
فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان • قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا
والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته
الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا
فان النافع ما كان حال التكليف • لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم • بيان للنفع • لله ملك السماوات والارض
وما فيهن وهو على كل شيء قدير • تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح
وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا على انهم في
غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها
على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة
العموم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له
عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية بسم الله الرحمن الرحيم غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

الحمد لله الذي خلق السماوات والارض • اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه
المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون
وجمع السماوات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار
والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها • وجعل الظلمات والنور •
انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل
فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان
بانفسهما كما زعمت الثنوية وافراد النور للقصد الى الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها
والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال
متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور
احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون • عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما
خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها
على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر
او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء
منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة
يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة

بيعدلون

بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به • هو الذي خلقكم
من طين • اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر
خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف • ثم قضى اجلا • اجل الموت • واجل مسمى عنده
اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل
كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن
مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغني عن تقديم
الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل
التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه
ثم انتم تمترون • استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى
آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء
كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد
والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع
وهو الله • الضمير لله والله خبره • في السماوات وفي الارض • متعلق باسم الله
والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
او بقوله • يعلم سركم وجهركم • والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة
الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه
او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم
بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صلته لا تتقدم عليه • ويعلم ما تكسبون
من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال
الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح • وما تأتيهم من آية من آيات ربهم • من الاولى
مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة
او آية من آيات القرآن • الا كانوا عنها معرضين • تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه •
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم • يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم
لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما
اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك
رتب عليه بالفاء • فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون • اي سيظهر لهم ما كانوا به
يستهزئون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع
امره • الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن • اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار
الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في
العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت • مكناهم في الارض • جعلنا لهم مكانا
وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف
فيها • ما لم نمكن لكم • ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم
من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب • وارسلنا السماء عليهم •

أي المطر أو السحاب أو المظلة فإن مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الأنهار
تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب بين الأنهار والثمار فأهلكناهم بذنوبهم
أي لم يغن ذلك عنهم شيئا وأنشأنا وأحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم
والمعنى أنه تعالى كما قدر أن يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر
بهم بلاده قادر أن يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا
في الورق فلمسوه بأيديهم فمسوه وتخصيص اللمس لأن التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم
أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا ولأنه يتقدمه الإبصار حيث لا مانع وتقييده بالأيدي
لدفع التجوز فإنه قد يتجوز به للفحص كقوله وأنا لمسنا السماء لقال الذين كفروا
إن هذا إلا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا أنزل عليه ملك هلا أنزل معه ملك
يكلمنا أنه نبي كقوله لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ولو أنزلنا ملكا لقضي
الأمر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع بما اقترحوه والخلل فيه والمعنى أن الملك
لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق إهلاكهم فإن سنة الله قد جرت بذلك
فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان إن جعل الهاء للمطلوب وإن جعل للرسول
فهو جواب اقتراح ثان فإنهم تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك وتارة يقولون
لو شاء ربنا لأنزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه أو الرسول
ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فإن القوة البشرية لا تقوى
على رؤية الملك في صورته وإنما رآهم كذلك الأفراد من الأنبياء بقوتهم القدسية
وللبسنا جواب محذوف أي ولو جعلناه رجلا للبسنا أي لخلطنا عليهم ما يخلطون
على أنفسهم فيقولون ما هذا إلا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة ولبّسنا
بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عم على
ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون فأحاط بهم الذي
كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا لأجله أو فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الأرض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال
كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الأرض فانظروا أن السير ثمة
لأجل النظر ولا كذلك هاهنا ولذلك قيل معناه إباحة السير للتجارة وغيرها وإيجاب
النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والأرض خلقا وملكا وهو سؤال
تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم أن
يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا وإحسانا والمراد بالرحمة
ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية إلى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الأدلة وإنزال
الكتب والإمهال على الكفر ليجمعنكم إلى يوم القيامة استئناف وقسم للوعيد
على إشراكهم وإغفالهم النظر أي ليجمعنكم في القبور مبعوثين إلى يوم القيامة فيجازيكم
على شرككم أو في يوم القيامة وإلى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فإنه من رحمته

بعباده بإمهاله وإنعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم أو الجمع الذين خسروا أنفسهم بتضييع
رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم أو
رفع على الخبر أي وأنتم الذين أو على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة
على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسرانهم فإن إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك
في التقليد وإغفال النظر أدى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان
وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه أو من السكون أي ما سكن فيهما
وتحرك فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل
معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز أن يكون وعيدا للمشركين على أقوالهم وأفعالهم
قل أغير الله أتخذ وليا إنكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم وأولي
أولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لأنه رد لمن دعا إلى الشرك فاطر السموات والأرض
مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله عنه ما عرفت معنى الفاطر حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر
فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وجره على الصفة لله فإنه بمعنى الماضي ولذلك
قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا
يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة إليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس
الأول على أن الضمير لغير الله والمعنى كيف أشرك بمن هو فاطر السموات والأرض ما هو
نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على أن الثاني من أطعم بمعنى استطعم أو على
يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله يقبض ويبسط قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم
لأن النبي سابق أمته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه
على قل قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة أخرى في قطع أطماعهم
وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول وجوابه
محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ أي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم يصرف على أن الضمير لله وقد قرئ بإظهاره
والمفعول به محذوف أو يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وأنعم عليه وذلك الفوز
المبين أي الظفر والرحمة وإن يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له
فلا قادر على كشفه إلا هو وإن يمسسك بخير بنعمة وغنى فهو على كل شيء قدير
فكان قادرا على حفظه وإدامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله
وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في
في أمره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا أحوالهم قل أي شيء أكبر شهادة نزلت
حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر
ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق
القول فيه في سورة البقرة قل الله شهيد بيني وبينكم أي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز أن يكون
الله شهيد هو الجواب لأنه تعالى إذا كان الشهيد كان أكبر شيء شهادة وأوحي

إلي هذا القرآن لأنذركم به أي بالقرآن واكتفى بذكر الإنذار عن ذكر البشارة
ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود
والأحمر أو من الثقلين أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن بلغه إلى يوم القيامة وهو
دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وأنه لا يؤاخذ
بها من لم يبلغه. أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى تقرير لهم مع إنكار واستبعاد
قل لا أشهد بما تشهدون قل إنما هو إله واحد أي بل أشهد أن لا إله إلا هو
وإنني بريء مما تشركون يعني الأصنام. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه أي
يعرفون رسول الله عليه السلام بحليته المذكورة في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم
بحلاهم. الذين خسروا أنفسهم من أهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون
لتضييعهم ما به يكتسب الإيمان. ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة
وهؤلاء شفعاؤنا عند الله أو كذب بآياته كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات
وسموها سحرا وإنما ذكر أو وهم قد جمعوا بين الأمرين تنبيها على أن كلا منهما وحده
بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس. إنه الضمير للشأن. لا يفلح الظالمون
فضلا عمن لا أحد أظلم منه. ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للأمر ثم نقول
للذين أشركوا أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشرهم
ويقول بالياء. الذين كنتم تزعمون أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من
الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي
علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم
ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا أي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون
أن يتخلصوا بها من فتنت الذهب إذا خلصته وقيل جوابهم وإنما سماه فتنة لأنه كذب
أو لأنهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع
على أنها الاسم ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عنه بالتاء والنصب على أن الاسم أن قالوا
والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمك. والله ربنا ما كنا مشركين
يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا
أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وهو لا ينافي
قوله. انظر كيف كذبوا على أنفسهم أي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا يأباه
تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ
حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء أو المدح. وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء
ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن والمراد أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
وأبو جهل وأضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله عليه السلام يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي
جعلها بيته ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم
وجعلنا على قلوبهم أكنة أغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء أن يفقهوه وفي
آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في أول البقرة. وإن يروا كل آية

لا يؤمنوا بها

لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى إذا جاؤوك يجادلونك
أي بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم جاؤوك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل
لا عمل لها فالجملة إذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين
فإنه جعل أصدق الحديث خرافات الأولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز أن يكون
الجارة فإذا جاؤوك في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له والأساطير الأباطيل
جمع أسطورة أو إسطارة أو أسطار جمع سطر وأصله السطر بمعنى الخط. وهم ينهون عنه أي ينهون
الناس عن القرآن أو الرسول والإيمان به. وينأون عنه بأنفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول
الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي طالب. وإن يهلكون وما يهلكون بذلك إلا
أنفسهم وما يشعرون أن ضرره لا يتعداهم إلى غيرهم. ولو ترى إذ وقفوا على النار جوابه
محذوف أي ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها أو يطلعون عليها أو يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف
عليه وقوفا. فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع إلى الدنيا. ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الإثبات كقولهم دعني ولا أعود أي
أنا لا أعود تركتني أو لم تتركني أو عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني
وقوله وإنهم لكاذبون راجع إلى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص
على الجواب بإضمار أن بعد الواو وإجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الأول على العطف
ونصب الثاني على الجواب. بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم
من التمني والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم أو قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا
لا عزما على أنهم لو ردوا لآمنوا. ولو ردوا أي إلى الدنيا بعد الظهور والوقوف. لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي. وإنهم لكاذبون فيما وعدوا من أنفسهم. وقالوا عطف
على لعادوا أو على إنهم لكاذبون أو على نهوا أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا. إن هي
إلا حياتنا الدنيا الضمير للحياة. وما نحن بمبعوثين ولو ترى إذ وقفوا على ربهم مجاز
عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم أو جزائه أو عرفوه حق التعريف
قال أليس هذا بالحق كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب
والإشارة إلى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب. قالوا بلى وربنا إقرار مؤكد
باليمين لانجلاء الأمر غاية الانجلاء. قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم
أو ببدله. قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله إذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم
ولقاء الله البعث وما يتبعه. حتى إذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لأن
خسرانهم لا غاية له. بغتة فجأة ونصبها على الحال أو المصدر فإنها نوع من المجيء
قالوا يا حسرتنا أي تعالي فهذا أوانك. على ما فرطنا قصرنا. فيها في الحياة الدنيا
أضمرت وإن لم يجر ذكرها للعلم بها أو في الساعة يعني في شأنها والإيمان بها
وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام. ألا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرونه وزرهم. وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو أي وما أعمالها إلا لعب

ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم
إن هي إلا حياتنا الدنيا. وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها
ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر
ولدار الآخرة. أفلا تعقلون أي الأمرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء
على خطاب المخاطبين به أو تغليب الحاضرين على الغائبين. قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله. والهاء في إنه
للشأن وقرئ ليحزنك من أحزن. فإنهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي
لا يكذبونك من أكذبه إذا وجده كاذبا أو نسبه إلى الكذب. ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير
للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم أو جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى
التكذيب روي أن أبا جهل كان يقول ما نكذبك وإنك عندنا لصادق وإنما نكذب
ما جئتنا به فنزلت. ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل
على أن قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا. فصبروا على ما كذبوا وأوذوا
على تكذيبهم وإيذائهم فتأس بهم واصبر. حتى أتاهم نصرنا فيه إيماء بوعد النصر
للصابرين. ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات
ولقد جاءك من نبإ المرسلين أي من قصصهم وما كابدوا من قومهم. وإن كان كبر عليك
عظم وشق إعراضهم عنك وعن الإيمان بما جئت به. فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض
أو سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه إلى جوف الأرض فتطلع لهم آية
أو مصعدا تصعد به إلى السماء فتنزل منها آية وفي الأرض صفة لنفقا وفي
صفة لسلما ويجوز أن يكونا متعلقين بتبتغي أو حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني
محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الأول والمقصود بيان حرصه البالغ على إسلام
قومه وأنه لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم على الإيمان
حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة أولوه بأن لو شاء الله
لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة. فلا تكونن من الجاهلين
بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فإن ذلك من دأب الجهلة. إنما يستجيب الذين
يسمعون إنما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله أو ألقى السمع وهو شهيد وهؤلاء
كالموتى الذين لا يسمعون. والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الإيمان. ثم إليه
يرجعون للجزاء. وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه أي آية مما اقترحوه أو آية أخرى
سوى ما أنزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا. قل إن الله قادر
على أن ينزل آية مما اقترحوه أو آية تضطرهم إلى الإيمان كنتق الجبل أو آية إن جحدوها
هلكوا. ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الله قادر على أن ينزلها وأن إنزالها يستجلب عليهم البلاء
وأن لهم فيما أنزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد. وما من دابة

في الأرض

في الأرض تدب على وجهها. ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز
السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل. إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها
مقدرة أرزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه
وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية وجمع الأمم للحمل على المعنى.
ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق
لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد أو القرآن فإنه قد دون فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلا
أو مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فإن فرط لا يتعدى بنفسه وقد
عدي بفي إلى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف. ثم إلى ربهم يحشرون يعني الأمم كلها فينصف
بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها. والذين كذبوا
بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته
سماعا تتأثر به نفوسهم. وبكم لا ينطقون بالحق. في الظلمات خبر ثالث أي خابطون
في ظلمات الكفر أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز أن يكون حالا من المستكن
في الخبر. من يشإ الله يضلله من يشإ الله إضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة
ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بأن يرشده إلى الهدى ويحمله عليه. قل أرأيتكم استفهام
تعجيب والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيدا
ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل إلى ثلاثة مفاعيل
وللزم في الآية أن يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول محذوف تقديره أرأيتكم
آلهتكم تنفعكم إذ تدعونها. إن أتاكم عذاب الله كما أتى من قبلكم. أو أتتكم الساعة وهولها ويدل
عليه أغير الله تدعون وهو تبكيت لهم. إن كنتم صادقين أن الأصنام آلهة وجوابه محذوف
أي فادعوه. بل إياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول
لإفادة التخصيص. فيكشف ما تدعون إليه أي ما تدعونه إلى كشفه. إن شاء أن يتفضل
عليهم ولا يشاء في الآخرة. وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز
في العقول أنه القادر على كشف العذاب دون غيره أو تنسونه من شدة الأمر وهوله. ولقد
أرسلنا إلى أمم من قبلك أي قبلك ومن زائدة. فأخذناهم أي فكفروا وكذبوا المرسلين
فأخذناهم. بالبأساء بالشدة والفقر. والضراء الضراء والآفات وهما صيغتا تأنيث
لا مذكر لهما. لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم. فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا
معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم. ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان الصارف لهم عن التضرع وأنه لا مانع لهم إلا قساوة
قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان. فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء
ولم يتعظوا به. فتحنا عليهم أبواب كل شيء من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء
والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء إلزاما للحجة وإزاحة للعلة أو مكرا بهم لما روي
أنه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه
يعقوب فيما عدا هذا والذي في الأعراف. حتى إذا فرحوا بما أوتوا من النعم ولم يزيدوا

عن البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه • اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون • متحسرون ايسون • فقطع دابر القوم الذين ظلموا • اي اخرهم بحيث لم يبق
منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه • والحمد لله رب العالمين • على اهلاكهم
فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم
واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها • قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اصمكم واعماكم • وختم على قلوبكم • بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم • من اله
غير الله ياتيكم به • اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات
انظر كيف نصرف الايات • نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب
وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين • ثم هم يصدفون • يعرضون عنها وثم لاستبعاد
الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها • قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة •
من غير مقدمة • او جهرة • بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة
او جهرة • هل يهلك • اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب • الا القوم الظالمون • ولذلك صح
الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء • وما نرسل المرسلين الا مبشرين • المؤمنين
بالجنة • ومنذرين • الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم • فمن امن واصلح •
ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم • فلا خوف عليهم • من العذاب • ولا هم يحزنون • بفوات
الثواب • والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب • جعل العذاب ماسا كانه الطالب للوصول
اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف • بما كانوا يفسقون • بسبب خروجهم عن التصديق
والطاعة • قل لا اقول لكم عندي خزائن الله • مقدوراته او خزائن رزقه • ولا اعلم الغيب
ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول • ولا اقول لكم اني ملك • اي من جنس الملائكة
او اقدر على ما يقدرون عليه • ان اتبع الا ما يوحى الي • تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية
وادعى النبوة التي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه •
قل هل يستوي الاعمى والبصير • مثل للضال والمهتدي والجاهل والعالم او مدعي المحال
كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة • افلا تتفكرون • فتهتدوا
او فتميزوا ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه • وانذر به •
الضمير لما يوحى • الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم • هم المؤمنون المفرطون في العمل
او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم
دون الفارغين الجازمين باستحالته • ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع • في موضع الحال
من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال • لعلهم يتقون • لكي يتقوا • ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي • بعد ما امر بانذار غير المتقين ليتقوا امر باكرام
المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء
الاعبد يعنون فقراء المؤمنين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك
فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم روي ان عمر قال له لو فعلت
حتى ننظر الى ما يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة

والعشي

والعشي للدوام وقيل صلوة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة • يريدون وجهه •
حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك
الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم • ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء • اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله
اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم
اخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا
في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك
من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى
يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه • فتطردهم • فتبعدهم وهو جواب النفي • فتكون من الظالمين •
جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر • وكذلك فتنا بعضهم ببعض •
ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض
في امر الدنيا فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان • ليقولوا
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا • اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما
يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص
هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة
او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا • اليس الله باعلم بالشاكرين • بمن يقع منه الايمان
والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله • واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة • الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان
بالقران واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأهم بالتسليم
او يبلغ سلام الله ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا
بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا
يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاءوا الى النبي
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت • انه من عمل منكم
سوءا • استيناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل
منها • بجهالة • في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد
كمن فعله اثارا اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل
السفه والجهل • ثم تاب من بعده • بعد العمل او السوء • واصلح • بالتدارك والعزم على ان لا يعود
اليه • فانه غفور رحيم • فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله
غفرانه • وكذلك • ومثل ذلك التفصيل الواضح • نفصل الايات • ايات القران في صفة
المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين • ولتستبين سبيل المجرمين • قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل
على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن
كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون
بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل

ليظهر الحق ويستبين • قل إني نهيت • صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل علي
من الآيات في أمر التوحيد • أن أعبد الذين تدعون من دون الله • عن عبادة ما تعبدون
من دون الله أو ما تدعونها آلهة أي تسمونها • قل لا أتبع أهواءكم • تأكيد
لقطع أطماعهم وإشارة إلى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم
وبيان مبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع
الحجة ولا يقلد • قد ضللت إذاً • أي إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت • وما أنا من المهتدين •
أي في شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم وفيه تعريض بأنهم كذلك • قل إني على بينة • تنبيه
على ما يجب اتباعه بعدما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل
وقيل المراد بها القرآن والوحي أو الحجج العقلية أو ما يعمها • من ربي • من معرفته وأنه لا معبود
سواه ويجوز أن يكون صفة لبينة • وكذبتم به • الضمير لربي أي كذبتم به حيث أشركتم به
غيره أو للبينة باعتبار المعنى • ما عندي ما تستعجلون به • يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم • إن الحكم إلا لله • في تعجيل العذاب
وتأخيره • يقضي الحق • أي القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع إذا
صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر وأصل الحكم المنع
فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الأثر أو قص الخبر • وهو
خير الفاصلين • القاضين • قل لو أن عندي • أي في قدرتي ومكنتي • ما تستعجلون به
من العذاب • لقضي الأمر بيني وبينكم • لأهلككم عاجلاً غضباً لربي وانقطع ما بيني وبينكم
والله أعلم بالظالمين • في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الأمر إلى الله وهو أعلم
بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل منهم • وعنده مفاتح الغيب • خزائنه جمع مفتح
بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح
بالكسر وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ مفاتيح والمعنى أنه المتوصل إلى المغيبات المحيط
علمه بها • لا يعلمها إلا هو • فيعلم أوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته
حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها • ويعلم ما في البر والبحر •
عطف للإخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الإخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات • وما
تسقط من ورقة إلا يعلمها • مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات • ولا حبة في ظلمات الأرض
ولا رطب ولا يابس • معطوفات على ورقة وقوله • إلا في كتاب مبين • بدل من الاستثناء الأول بدل
الكل على أن الكتاب المبين علم الله أو بدل الاشتمال إن أريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف
على محل من ورقة أو للابتداء والخبر إلا في كتاب مبين • وهو الذي يتوفاكم بالليل •
ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز
فإن أصله قبض الشيء بتمامه • ويعلم ما جرحتم بالنهار • كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار
بالكسب جرياً على العادة • ثم يبعثكم • يوقظكم أطلق البعث ترشيحاً للتوفي • فيه • في النهار • ليقضى
أجل مسمى • ليبلغ المستيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا • ثم إليه مرجعكم • بالموت • ثم ينبئكم بما
كنتم تعملون • بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى أنكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون

الآثام

الآثام في النهار وأنه تعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به
أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضي الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى
وجزائهم على أعمالهم ثم إليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء • وهو القاهر فوق
عباده • ويرسل عليكم حفظة • ملائكة تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه أن
المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد كان أزجر عن المعاصي وأن العبد
إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه • حتى إذا جاء
أحدكم الموت توفته رسلنا • ملك الموت وأعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة • وهم لا يفرطون •
بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة أو نقصان •
ثم ردوا إلى الله • إلى حكمه وجزائه • مولاهم • الذي يتولى أمرهم • الحق • العدل الذي لا يحكم
إلا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح • ألا له الحكم • يومئذ لا حكم لغيره فيه • وهو أسرع الحاسبين •
يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب • قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر •
من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وإبطال الإبصار فقيل لليوم الشديد
يوم مظلم ويوم ذو كواكب أو من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف
والمعنى واحد • تدعونه تضرعاً وخفية • معلنين ومسرين أو إعلاناً وإسراراً وقرئ خفية
بالكسر • لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين • على إرادة القول أي يقولون لئن أنجيتنا
وقرأ الكوفيون لئن أنجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه إشارة إلى الظلمة • قل الله ينجيكم
منها • شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون • ومن كل كرب • غم سواها • ثم أنتم تشركون • تعودون
إلى الشرك ولا توفون بالعهد وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيهاً على أن من أشرك
في عبادة الله فكأنه لم يعبده رأساً • قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم
كما فعل بقوم نوح ولوط وأصحاب الفيل • أو من تحت أرجلكم • كما أغرق فرعون وخسف
بقارون وقيل من فوقكم أكابركم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم • أو يلبسكم • يخلطكم
شيعاً • فرقاً متحزبين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة
حتى إذا التبست نفضت لها يدي • ويذيق بعضكم بأس بعض • يقاتل بعضكم بعضاً • انظر
كيف نصرف الآيات • بالوعد والوعيد • لعلهم يفقهون • وكذب به قومك • أي بالعذاب
أو بالقرآن • وهو الحق • الواقع لا محالة أو الصدق • قل لست عليكم بوكيل • بحفيظ
وكل إلي أمركم فأمنعكم من التكذيب أو أجازيكم إنما أنا منذر والله الحفيظ • لكل نبأ •
يريد إما العذاب أو الإيعاد به • مستقر • وقت استقرار ووقوع • وسوف تعلمون •
عند وقوعه في الدنيا أو في الآخرة • وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا • بالتكذيب
والاستهزاء بها والطعن فيها • فأعرض عنهم • فلا تجالسهم وقم عنهم • حتى يخوضوا في
حديث غيره • أعاد الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن • وإما ينسينك الشيطان • بأن يشغلك
بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد • فلا تقعد بعد الذكرى •
بعد أن تذكره • مع القوم الظالمين • أي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على أنهم ظلموا
بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام • وما على الذين يتقون

وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم • من حسابهم من شيء • شيء
مما يحاسبون عليه • ولكن ذكرى • ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض
وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن
عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه • ولا على شيء لان من
لا تزاد بعد الاثبات • لعلهم يتقون • يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا ينثلم بمجالستهم
روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد
ونطوف فنزلت • وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا • اي بنوا امر دينهم على التشهي
وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا واجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر
والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به وجعلوا عيدهم
الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم
ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية
السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم • وغرتهم الحياة الدنيا • حتى انكروا
البعث • وذكر به • اي بالقرآن • ان تبسل نفس بما كسبت • مخافة ان تسلم الى الهلاك
وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته
لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام • ليس لها
من دون الله ولي ولا شفيع • يدفع عنها العذاب • وان تعدل كل عدل • وان تفد كل
فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر
لا يؤخذ منها • الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل
فانه المفدى به • اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا • اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة
وعقائدهم الزائغة • لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون • تاكيد وتفصيل
لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم • قل
اندعوا • من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا • ما لا يقدر على نفعنا وضرنا •
ونرد على اعقابنا • ونرجع الى الشرك • بعد اذ هدانا الله • فانقذنا منه ورزقنا الاسلام
كالذي استهوته الشياطين • كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى
يهوي هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال
من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته
في الارض حيران • متحيرا ضالا عن الطريق • له اصحاب • لهذا المستهوى رفقة • يدعونه
الى الهدى • اي يهدونه الى الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول
بالمصدر • ائتنا • يقولون له ائتنا • قل ان هدى الله هو الهدى • وحده وما عداه
ضلال • وامرنا لنسلم لرب العالمين • من جملة المقول عطف على ان هدى الله والكلام
للتعليل اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة • وان اقيموا الصلوة واتقوه
على نسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقع كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلوة

نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان
امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق وتعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذي
كان بينهما • وهو الذي اليه تحشرون • يوم القيامة • وهو الذي خلق السموات والارض
بالحق • قائما بالحق والحكمة • ويوم يقول كن فيكون قوله الحق • جملة اسمية قدم فيها
الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارض
وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات اي وهو الذي خلق
والنفس او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين
يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم
القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها • وله الملك يوم ينفخ في الصور • كقوله لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار • عالم الغيب والشهادة • اي هو عالم الغيب • وهو الحكيم الخبير
كالفذلكة للاية • واذ قال ابراهيم لابيه آزر • عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ
ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف
معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر
او الوزر والاقرب انه اعجمي فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته
او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد
آزر ثم قال • اتتخذ اصناما آلهة • تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ ازرا تتخذ اصناما
بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم
اني اراك وقومك في ضلال • عن الحق • مبين • ظاهر الضلالة • وكذلك نري ابراهيم • ومثل
هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره
دلائل الربوبية • ملكوت السموات والارض • ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها
والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة • وليكون من الموقنين • اي ليستدل وليكون او
وفعلنا ذلك ليكون • فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي • تفصيل وبيان لذلك
وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نريه اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام
والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن
عليه الليل ستره بظلامه • والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع
فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر
والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه • فلما افل • اي غاب • قال
لا احب الافلين • فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضي الامكان
والحدوث وينافي الالوهية • فلما رأى القمر بازغا • مبتدئا في الطلوع • قال هذا ربي
فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين • استعجز نفسه واستعان بربه في درك
الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير
حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال • فلما رأى الشمس بازغة قال
هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث • هذا اكبر كبره

استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم • فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون
من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها ثم لما تبرأ عنها
توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال • اني وجهت وجهي
للذي فطر السماوات والارض حنيفا وما انا من المشركين • وانما احتج بالافول دون البزوغ
مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء
حين حاول الاستدلال • وحاجه قومه • وخاصموه في التوحيد • قال اتحاجوني في الله
في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون • وقد هدان الى التوحيد • ولا اخاف
ما تشركون به • اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع • الا ان يشاء ربي
شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله
وسع ربي كل شيء علما • كانه علة الاستثناء اي احاط به علما كانه علة الاستثناء
اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها • افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز • وكيف اخاف ما اشركتم • ولا يتعلق
به ضر • ولا تخافون انكم اشركتم بالله • وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع
بالصانع وتسوية بين العاجز بالقادر الضار النافع • ما لم ينزل به عليكم سلطانا •
ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا • فاي الفريقين احق بالامن • اي الموحدون
او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكيته نفسه • ان كنتم تعلمون ما يحق
ان يخاف منه • الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون • استئناف منه
او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الآية لما نزلت شق
ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان
لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع
الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية • وتلك • اشارة الى ما احتج به ابراهيم
على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني في الله • حجتنا آتيناها
ابراهيم • ارشدناه اليها وعلمناه اياها • على قومه • متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف
ان جعل بدله اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه • نرفع درجات من نشاء • في العلم والحكمة وقرأ
الكوفيون ويعقوب بالتنوين • ان ربك حكيم • في رفعه وخفضه • عليم • بحال من يرفعه واستعداده
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا • اي كلا منهما • ونوحا هدينا من قبل • اي
من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى
الولد • ومن ذريته • الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا
ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي
بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا • داود وسليمان وايوب • ايوب بن
اموص من اسباط عيص بن اسحق • ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين • اي ونجزي
المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم • وزكريا ويحيى
وعيسى • هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت • والياس قيل

هو ادريس

هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط
هرون اخي موسى • كل من الصالحين • الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي
والتحرز عما لا ينبغي • واسمعيل واليسع • هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي
والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله رأيت
الوليد بن اليزيد مباركا • شديدا باعباء الخلافة كاهله • ويونس • هو يونس بن متى
ولوطا • هو لوط بن هاران ابن اخي ابراهيم • وكلا فضلنا على العالمين • بالنبوة وفيه
دليل فضلهم على من عداهم من الخلق • ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم • عطف على كلا او
نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم
فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا • واجتبيناهم • عطف على فضلنا او هدينا • وهديناهم
الى صراط مستقيم • تكرير لبيان ما هدوا اليه • ذلك هدى الله • اشارة الى ما دانوا به
يهدي به من يشاء من عباده • دليل على انه متفضل بالهداية • ولو اشركوا • اي هؤلاء
اشرك سوى الانبياء مع فضلهم وعلو شأنهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون • لكانوا
كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها • اولئك الذين آتيناهم الكتاب • يريد به الجنس
والحكم • الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق • والنبوة • والرسالة • فان يكفر بها • اي بهذه
الثلاثة • هؤلاء • يعني قريشا • فقد وكلنا بها • اي بمراعاتها • قوما ليسوا بها بكافرين • وهم
الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي او كل من آمن به او الفرس
وقيل الملائكة • اولئك الذين هدى الله • يريد الانبياء المتقدم ذكرهم • فبهداهم اقتده
فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين
دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا
فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف وحذفها في الدرج
ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم لبعض الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها
كناية المصدر • قل لا اسألكم عليه • اي على التبليغ او القرآن • اجرا • جعلا من جهتكم كما لم يسأل
من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه • ان هو • اي التبليغ او القرآن او الغرض
الا ذكرى للعالمين • الا تذكيرا وعظة لهم • وما قدروا الله حق قدره • وما عرفوه حق معرفته في
الرحمة والانعام على العباد • اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء • حين انكروا الوحي وبعثة
الانبياء وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم
حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن
بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله • قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس • وقراءة الجمهور • تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا • بالتاء وانما قرأ
بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة
وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه
روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التوراة
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وحكاهم المشركون

والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا يقولون
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ● وعلمتم ● على لسان محمد ● ما لم تعلموا انتم ولا
اباؤكم ● زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم
ونظيره ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب
لمن آمن من قريش ● قل الله ● اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب
متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ● ثم ذرهم في خوضهم ●
في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة ● يلعبون ● حال من هم الاول والظرف
صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف
متصل بالاول ● وهذا كتاب انزلناه مبارك ● كثير الفائدة والنفع ● مصدق الذي بين يديه ●
يعني التورية او الكتب التي قبله ● ولتنذر ام القرى ● عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولتنذر او علة لمحذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه. وانما سميت مكة بذلك
لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت
من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي ولينذر
الكتاب ● ومن حولها ● اهل الشرق والغرب ● والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به ● وهم على صلوتهم يحافظون ●
فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي
والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان
● ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ● فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق
عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه ● او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ● كعبد الله بن سعد
بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله عم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان
فقال عم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي
كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ● ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ● كالذين قالوا لو نشاء
لقلنا مثل هذا ● ولو ترى اذ الظالمون ● حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين
● في غمرات الموت ● شدائده من غمره الماء اذا غشيه ● والملائكة باسطوا ايديهم ● بقبض ارواحهم
كالمتقاضي المتسلط او بالعذاب ● اخرجوا انفسكم ● اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم
تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا ● اليوم ● يريد
به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له ● تجزون عذاب الهون ● اي الهوان
يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه ● بما كنتم تقولون
على الله غير الحق ● كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا ● وكنتم عن آياته
تستكبرون ● فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ● ولقد جئتمونا للحساب ● فرادى ● منفردين عن
الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى
● كما خلقناكم اول مرة ● بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية على

التعدد فيها

التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او
صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كما خلقناكم ● وتركتم ما خولناكم ● ما تفضلنا به عليكم في
الدنيا فشغلتم به عن الآخرة ● وراء ظهوركم ● ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا ● وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ● اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم ●
لقد تقطع بينكم ● اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل
وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له
قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او
اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به ● وضل عنكم ● بطل وضاع
● ما كنتم تزعمون ● انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ● ان الله فالق الحب والنوى ● بالنبات
والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة ● يخرج الحي من الميت ● يريد به ما ينمو من الحيوان
والنبات ليطابق ما قبله ● من الميت ● مما لا ينمو كالنطف والحب ● ومخرج الميت من الحي ● ومخرج
ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع
موقع البيان له ● ذلكم الله ● اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة ● فانى تؤفكون ●
تصرفون عنه الى غيره ● فالق الاصباح ● شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار
او شاق ظلمة الاصباح وهو الغلس الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح
اذا دخل في الصباح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب
على المدح ● وجاعل الليل سكنا ● يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن
اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لانه
في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق
بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد به جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا
يجوز ان يكون ● والشمس والقمر ● عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن
نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان ● حسبانا ●
اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب
بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ● ذلك ●
اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحسبان المعلوم ● تقدير العزيز ● الذي
قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص ● العليم ● بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة
● هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ● في ظلمات الليل
في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة
وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم ● قد فصلنا الآيات ● بيناها
فصلا فصلا ● لقوم يعلمون ● فانهم المنتفعون به ● وهو الذي انشأكم من نفس واحدة ●
وهو آدم ● فمستقر ومستودع ● اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض و
استيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير و
البصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اي فمنكم قار ومنكم

لاني الاستقرار منا ومن الاستيداع • قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون • ذكر مع ذكر النجوم
يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم
بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر • وهو الذي انزل من السماء ماء
من جانب السماء او السحاب • فاخرجنا به على تلوين الخطاب به بالماء • نبات كل شيء • نبت كل صنف من النبات
والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفتنة بماء واحد كما في قوله تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل • فاخرجنا منه من النبات او الماء • خضرا • شيئا اخضر • نخرج منه من الخضر
حبا متراكبا • وهو السنبل • ومن النخل من طلعها قنوان • اي وخارج من طلع النخل قنوان
او ومن النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة
من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذئبان
وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع • دانية • قريبة من المتناول او ملتفة قريب
بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها • وجنات من اعناب
عطف على نبات كل شيء • وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز
عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل • والزيتون والرمان • ايضا عطف على نبات او نصب
على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم • مشتبها وغير متشابه • حال من الزيتون او من الجميع
اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم • انظروا
الى ثمره • اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة
وخشب او ثمار ككتاب وكتب • اذا اثمر • اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به
وينعه • والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل
مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه
ويانعه • ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون • اي آيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده
فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال
لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا
يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال
وجعلوا لله شركاء الجن • اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا
تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما اطاعوا الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم
او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية
ومفعولا جعل لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ
الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين • وخلقهم • حال بتقدير قد
والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على
الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه
اليه • وخرقوا له • افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا
بنين وبنات • فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة
بنات الله • بغير علم • من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو

او المصدر

او المصدر اي خرقا بغير علم • سبحانه وتعالى عما يصفون • وهو ان له شريكا او ولدا
بديع السموات والارض • من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت
الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر
والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره • انى يكون له ولد • اي من اين او كيف يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة • يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان
وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم • لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول
وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول ان مبدع السماوات والارضين وهي
مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى
عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة
والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه
والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع • ذلكم • اشارة الى
الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ • الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء • اخبار مترادفة
ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا • فاعبدوه • حكم مسبب عن مضمونها فان
من استجمع هذه الصفات استحق العبادة • وهو على كل شيء وكيل • وهو مع تلك الصفات
متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم
عليها • لا تدركه الابصار • لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث
انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق
الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص
فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع • وهو يدرك الابصار
يحيط علمه بها • وهو اللطيف الخبير • فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون
من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون
اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها • قد جاءكم بصائر
من ربكم • البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها
الحق وتبصرها به • فمن ابصر • اي ابصر الحق وآمن به • فلنفسه • ابصر لان نفعه لها • ومن عمي • عن الحق
وضل فعليها وبالها • وما انا عليكم بحفيظ • وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم
ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول • وكذلك نصرف الآيات • ومثل
ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل
الشيء من حال الى حال • وليقولوا درست • صرفنا واللام لام العاقبة عطف على محذوف وهو
والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب
وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم
اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم
وذكروهم لسنهم بالادامة ودرس اي درس محمد ودارسات

أو ذات دروس كقوله عيشة راضية • وليبينه • واللام على أصله لأن التبيين مقصود التصريف
والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وإن لم يذكر لكونه معلوما أو للمصدر • لقوم
يعلمون • فإنهم المنتفعون به • اتبع ما أوحي إليك من ربك • بالتدين به • لا إله إلا هو •
اعتراض أكد به إيجاب الاتباع أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا بالألوهية • وأعرض
عن المشركين • ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت إلى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف
حمل الإعراض على ما يعم الكف عنهم • ولو شاء الله • توحيدهم وعدم إشراكهم • ما أشركوا •
وهو دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر وأن مراده واجب الوقوع • وما جعلناك
عليهم حفيظا • رقيبا • وما أنت عليهم بوكيل • تقوم بأمورهم • ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله • أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح • فيسبوا الله عدوا •
تجاوزا عن الحق إلى الباطل • بغير علم • على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به • وقرأ يعقوب
عُدُوًّا يقال عدا فلان عدوا وعُدُوًّا وعداء وعدوانا روي أنه عليه السلام كان يطعن في
آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها
فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية
راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر • كذلك زينا لكل أمة عملهم • من الخير
والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا أو تخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر
وكل أمة بالكفرة لأن الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم • ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم
بما كانوا يعملون • بالمحاسبة والمجازاة عليه • وأقسموا بالله جهد أيمانهم • مصدر في موضع الحال
والداعي لهم إلى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول في طلب الآيات واستحقار
ما رأوا منها • لئن جاءتهم آية • من مقترحاتهم • ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله • هو
قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي • وما يشعركم • وما يدريكم
استفهام إنكار • أنها • أي الآية المقترحة • إذا جاءت لا يؤمنون • أي لا تدرون أنهم لا يؤمنون
أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على أنه تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت
لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل أن بمعنى لعل إذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
وأبو بكر عن عاصم ويعقوب إنها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم
منهم والخطاب للمؤمنين فإنهم يتمنون مجيء الآية طمعا في إيمانهم فنزلت وقيل للمشركين إذ قرأ
ابن عامر وحمزة لا يؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم فيكون إنكارا لهم على حلفهم
أي وما يشعرهم أن قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون
بها • ونقلب أفئدتهم وأبصارهم • عطف على لا يؤمنون أي وما يشعركم أنا حينئذ نقلب أفئدتهم
عن الحق فلا يفقهونه وأبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها • كما لم يؤمنوا به • أي بما
أنزل من الآيات • أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون • ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين
وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والإسناد إلى الأفئدة • ولو أننا
نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا • كما اقترحوا فقالوا لولا أنزل علينا
الملائكة فأتوا بآبائنا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا • وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أي كفلاء

بما بشروا

بما بشروا به وأنذروا به أو جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة
كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجهين حال من كل وإنما جاز ذلك لعمومه • ما كانوا
ليؤمنوا • لما سبق عليهم القضاء بالكفر • إلا أن يشاء الله • استثناء من أعم الأحوال أي لا يؤمنون
في حال إلا حال مشيئة الله تعالى إيمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة • ولكن أكثرهم
يجهلون • أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك
أسند الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون
فيتمنون نزول الآية طمعا في إيمانهم • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا • أي كما جعلنا لك عدوا
جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء بفعل الله وخلقه
شياطين الإنس والجن • مردة الفريقين وهو بدل من عدوا أو أول مفعولي جعلنا وعدوا
مفعوله الثاني ولكل متعلق به أو حال منه • يوحي بعضهم إلى بعض • يوسوس شياطين الجن
إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض • زخرف القول • الأباطيل
المموهة من زخرفه إذا زينه • غرورا • مفعول له أو مصدر في موضع الحال • ولو شاء ربك • إيمانهم
ما فعلوه • أي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الأنبياء وإيحاء الزخارف ويجوز أن يكون
الضمير للإيحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضا دليل على المعتزلة • فذرهم وما يفترون •
وكفرهم • ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة • عطف على غرورا إن جعل
علة أو متعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا
فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو لام الأمر
وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه • وليرضوه • لأنفسهم • وليقترفوا •
وليكتسبوا • ما هم مقترفون • من الآثام • أفغير الله أبتغي حكما • على إرادة القول أي قل
لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول أبتغي
وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما أبلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل • وهو
الذي أنزل إليكم الكتاب • القرآن المعجز • مفصلا • مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط
والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه وتقرره مغن عن سائر الآيات • والذين آتيناهم
الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك • بالحق • تأييد لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق منزل
من عند الله يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط
علماءهم وإنما وصف جميعهم بالعلم لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى
تأمل وقيل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد •
فلا تكونن من الممترين • في أنهم يعلمون ذلك أو في أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب
التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين أو خطاب الرسول والمراد خطاب الأمة وقيل الخطاب لكل أحد
على معنى أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه • وتمت كلمة ربك •
بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده • صدقا • في الأخبار والمواعيد • وعدلا •
في الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له • لا مبدل لكلماته •
لا أحد يبدل شيئا منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعا ذائعا كما فعل

بالتورية عطف الجملة المراد بها القرآن فتكون ضمنا لما ضمن الله بالحفظ كقوله وإنا له لحافظون أو
لا يبني وإنه كتاب بعده ينسخها ويبدل أحكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أي ما تكلم
به أو القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وإن تطع أكثر من
في الأرض أي أكثر الناس يريد الكفار أو الجهال أو متبعي الهوى وقيل الأرض أرض مكة
يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل إليه فإن الضال في غالب الأمر لا يأمر إلا بما
ضلال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق أو جهالاتهم وآراءهم
الفاسدة فإن الظن يطلق على ما يقابل العلم وإن هم إلا يخرصون يكذبون على الله
فيما ينسبون إليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان وصلة إليه وتحليل الميتة و
تحريم البحائر أو يقدرون أنهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين إن ربك هو أعلم
من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي أعلم بالفريقين ومن موصولة
أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فإن أفعل لا ينصب الظاهر في مثل
ذلك أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر
وقرئ من يضل أي يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر أو مجرورة بإضافة أعلم
إليه أي أعلم المضلين من قوله من يضلل الله أو من أضللته إذا وجدته ضالا والتفضيل
في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات
لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال
ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف
أنفه إن كنتم بآياته مؤمنين فإن الإيمان يقتضي استباحة ما أحله واجتناب ما حرمه
وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن أكله وما يمنعكم عنه
وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم
على البناء للفاعل إلا ما اضطررتم إليه مما حرم عليكم فإنه أيضا حلال حال الضرورة
وإن كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون
بالفتح بأهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم إن ربك هو أعلم
بالمعتدين المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام وذروا ظاهر الإثم وباطنه
ما يعلن وما يسر أو ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان إن
الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه ظاهره تحريم متروك التسمية عمدا أو نسيانا وإليه ذهب داود وعن أحمد
مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله
عليه وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله
وإنه لفسق فإن الفسق ما أهل لغير الله به والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل الذي
دل عليه لا تأكلوا وإن الشياطين ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من الكفار
ليجادلوكم بقولهم تأكلون مما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد

التأويل بالميتة وإن أطعتموهم في استحلال ما حرم إنكم لمشركون فإن من ترك طاعة
الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك وإنما حسن حذف الفاء فيه لأن الشرط بلفظ
الماضي أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله
وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء فيميز بين الحق و
الباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الأصل كمن مثله صفته وهو
مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا
من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك
زين للمؤمنين الإيمان زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وأبي جهل
وقيل في عمر أو عمار وأبي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا
فيها أي كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها
ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني أو في
كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز أن يكون مضافا إليه إن فسر الجعل بالتمكين وأفعل
التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة وكذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص
الأكابر لأنهم أقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن وباله
يحيق بهم وما يشعرون ذلك وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما أوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف
حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا
وحي كما يأتيه فنزلت الله أعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بأن النبوة
ليست بالنسب والمال وإنما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده
لرسالته من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير و
حفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار وحقارة بعد كبرهم عند الله
يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم
أو جزاء على مكرهم فمن يرد الله أن يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان يشرح صدره
للإسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها
مصفاة عما يمنعه وينافيه وإليه أشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن
فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك أمارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع
وأبو بكر عن عاصم حرجا بكسر الراء أي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر
كأنما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فإن صعود
السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود
وقيل معناه كأنما يتصاعد إلى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه وأصل يصعد
يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وأبو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك أي

كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق. كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب
أو الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل. وهذا إشارة إلى البيان
الذي جاء به القرآن أو إلى الإسلام أو إلى ما سبق من التوفيق والخذلان. صراط ربك
الطريق الذي ارتضاه أو عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته. مستقيما لا عوج فيه
أو عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا أو مقيدة والعامل
فيها معنى الإشارة. قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون أن القادر هو الله وأن
كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه وأنه عالم بأحوال العباد حكيم عادل
بما يفعل بهم. لهم دار السلام دار الله أضاف الجنة إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة
من المكاره أو دار تحيتهم فيها سلام. عند ربهم في ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها
غيره. وهو وليهم مواليهم وناصرهم. بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها
فيتولى إيصاله إليهم. ويوم نحشرهم جميعا نصب بإضمار اذكر أو نقول والضمير لمن يحشر
من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء. يا معشر الجن يعني الشياطين
قد استكثرتم من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم
فحشروا معكم كقولهم استكثر الأمير من الجنود. وقال أولياؤهم من الإنس الذين
أطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع الإنس بالجن بأن دلوهم على الشهوات
وما يتوصل به إليها والجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الإنس
بهم أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالإنس اعترافهم
بأنهم يقدرون على إجارتهم. وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا أي البعث وهو اعتراف بما فعلوا
من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم. قال النار مثواكم
منزلكم أو ذات مثواكم. خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم إن جعل مصدرا أو معنى الإضافة
إن جعل مكانا. إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير وقيل
إلا ما شاء قبل الوجود كأنه قيل النار مثواكم أبدا إلا ما أمهلكم. إن ربك حكيم في أفعاله
عليم بأحوال الثقلين وأعمالهم. وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم إلى بعض
أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم أو أولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في
الدنيا. بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي. يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم
الرسل من الإنس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا
بعث إلى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل إليهم لقوله ولوا إلى قومهم
منذرين. يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة. قالوا شهدنا
على أنفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب. وغرتهم
الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ
رأيهم فإنهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان
عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا

للسامعين من مثل حالهم. ذلك إشارة إلى إرسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف أي
الأمر ذلك. أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون تعليل للحكم وأن
مصدرية أو مخففة من الثقيلة أي الأمر ذلك لانتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن
ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه أو ملتبسين بظلم أو ظالما وهم غافلون لم ينبهوا
برسول أو بدل من ذلك. ولكل من المكلفين درجات مراتب. مما عملوا من أعمالهم أو
من جزائها أو من أجلها. وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به من ثواب
أو عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة. وربك الغني عن العباد والعبادة
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على أن ما
سبق ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله إن يشأ
يذهبكم أي ما به إليكم حاجة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة. ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق
كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين أي قرنا بعد قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم. إن ما توعدون
من البعث وأحواله لآت لكائن لا محالة. وما أنتم بمعجزين طالبكم به. قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو على
ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ أبو بكر
عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم إني
عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في
الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي إليه وتسجيل بأن
المهدد لا يأتي منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتقصى عنه. فسوف تعلمون من تكون له
عاقبة الدار إن جعل من استفهامية بمعنى أينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله
لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وإن جعلت خبرية فالنصب بتعلمون
أي فسوف تعرفون الذي له العاقبة وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن الأدب وتنبيه
على وثوق المنذر بأنه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة
غير حقيقي. إنه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة
وجعلوا أي مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو
يصل إلى شركائهم روي أنهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان
والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم إن رأوا ما
عينوه لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم
وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فإنهم أشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على
شيء ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم
الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر أيضا كالود
ساء ما يحكمون حكمهم هذا. وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات زين
لكثير من المشركين قتل أولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن أو من السدنة

وتشوفا على زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر
الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات
الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزاده وقرئ بالبناء للمفعول وجر أولادهم
ورفع شركائهم بإضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء وليلبسوا
عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل أو ما وجب عليهم ليتدينوا به
واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه
ما فعل المشركون ما زين لهم أو الشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون
افتراءهم أو ما يفترونه من الإفك وقالوا هذه إشارة إلى ما جعل لآلهتهم أنعام وحرث
حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى وقرئ
حجر بالضم وحرج بالكسر أي مضيق لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال
دون النساء بزعمهم من غير حجة وأنعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي
وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها وقيل
لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لأن ما قالوا تقول على الله والجار متعلق
بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أو على الحال أو المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه أو بدله وقالوا ما في بطون هذه الأنعام يعنون أجنة
البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا حلال للذكور خاصة دون الإناث
إن ولد حيا لقوله وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والإناث فيه سواء وتأنيث الخالصة
للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولذلك وافق عاصم في رواية أبي بكر ابن عامر في تكن بالتاء
وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم أو التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر أو هو
مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لأنها لا تتقدم على العامل
المعنوي وعلى صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة بالرفع والإضافة
إلى الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لأن المراد
بالميتة ما يعم الذكر والأنثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله
في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب إنه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم
سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير
وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير سفها بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله
رازق أولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال أو المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر
ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
إلى الحق والصواب وهو الذي أنشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها
وغير معروشات ملقيات على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير
معروشات ما نبت في البراري والنخل والزرع مختلفا أكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة
والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه أو للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا

عليه والجميع على تقدير أكله أو كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لأنه لم يكن
كذلك عند الإنشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض أفرادهما
في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم
يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده
يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لأنها فرضت بالمدينة والآية مكية
وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت
الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
حصاده بالكسر وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط إنه لا يحب
المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الأنعام حمولة وفرشا عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام
ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل
الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم
الله كلوا ما أحل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند أنفسكم
إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا
ولا تتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه أو حال بمعنى مختلفة أو متعددة والزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الأول من الضأن اثنين زوجين اثنين
الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس
كالإبل وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه
ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو
جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضأن
وذكر المعز حرم أم الأنثيين أنثييهما ونصب الذكرين والأنثيين بحرم أما اشتملت
عليه أرحام الأنثيين أو ما حملت إناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى نبئوني بعلم بأمر
معلوم يدل على أن الله تعالى حرم شيئا من ذلك إن كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه
ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام
الأنثيين كما سبق والمعنى إنكار أن الله حرم من الأجناس الأربعة ذكرا أو أنثى أو ما تحمل
إناثها ردا عليهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها
كيف كانت تارة زاعمين أن الله حرمها أم كنتم شهداء بل أكنتم شاهدين حاضرين
إذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم إلى معرفة
أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم
والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم إن
الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا أجد في ما أوحي إلي أي في القرآن أو فيما أوحي إلي مطلقا وفيه
تنبيه على أن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون
إلا أن يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر
بالتاء ورفع ميتة على أن كان هي التامة وقوله أو دما مسفوحا عطف على أن مع ما

في خبزه أي إلا وجود ميتة أو دماً مسفوحاً أي مصبوباً كالدم في العروق لا كالكبد
والطحال أو لحم خنزير فإنه رجس فإن الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسات أو خبيث
مخبث أو فسقاً عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل أهل لغير الله به
صفة موضحة وإنما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقاً لتوغله في الفسق ويجوز أن يكون فسقاً
مفعولاً له من أهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع إلى ما رجع إليه المستكن في يكون
فمن اضطر فمن دعته الضرورة إلى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد
قدر الضرورة فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لأنها تدل على أنه لم يجد
فيما أوحي إليه تلك الغاية محرماً غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء بعده فلا
يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الأشياء غيرها إلا مع
الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له إصبع كالإبل والسباع
والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفراً مجازاً ولعل المسبب عن الظلم تعميم
التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والإضافة لزيادة
الربط إلا ما حملت ظهورهما إلا ما علقت بظهورهما أو الحوايا أو ما اشتملت على الأمعاء
جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو
عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو أو ما اختلط بعظم هو شحم الألية لاتصالها بالعصعص
ذلك التحريم أو الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون في الأخبار والوعد
والوعيد فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله
فإنه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل أو ذو رحمة واسعة يمهلكم على
المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فأقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على إنزال
البأس عليهم مع الدلالة على أنه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين أشركوا إخبار
عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على إعجازه لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا
حرمنا من شيء أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم أجمعين
لما فعلنا نحن ولا آباؤنا أرادوا بذلك أنهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا
الاعتذار عن ارتكاب القبيح بإرادة الله إياه منهم حتى ينهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة ويؤيد
ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم أي مثل هذا التكذيب لك في أن الله منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في أشركنا من غير تأكيد
للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر
معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا إن تتبعون إلا الظن
ما تتبعون في ذلك إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على
المنع من اتباع الظن سيما في الأصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع إذ الآية فيه
قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الإثبات أو بلغ
بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه فلو شاء
لهداكم أجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم

شهداءكم

شهداءكم أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع
عند بني تميم وأصله عند البصريين ها لم من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون
في اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو
بعيد لأن هل لا يدخل الأمر ويكون متعدياً كما في الآية ولازماً كقوله هلم إلينا الذين
يشهدون أن الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم
ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم
فإن شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فإن تسليمه موافقة
لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر
موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وأن متبع الحجة لا يكون
إلا مصدقاً بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الأوثان وهم بربهم يعدلون
يجعلون له عديلاً قل تعالوا أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو
لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم أتل ما حرم ربكم منصوب بأتل وما تحتمل
الخبرية والمصدرية ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أتل لأنه
بمعنى أقل أي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم أو أتل ألا تشركوا به أي لا تشركوا
به ليصح عطف الأمر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فإن التحريم باعتبار الأوامر
يرجع إلى أضدادها ومن جعل أن ناصبة فمحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء أو بالبدل
من ما أو من عائده المحذوف على أن لا زائدة أو الجر بتقدير اللام أو الرفع على تقدير
المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا شيئاً يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين
إحساناً أي وأحسنوا بهم إحساناً ووضعه موضع النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة
وللدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا أولادكم
من إملاق من أجل فقر ومن خشية كقوله خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم منع لموجبية
ما كانوا يفعلون لأجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب أو الزنا
ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله إلا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم إشارة إلى ما ذكر مفصلاً وصاكم
به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فإن كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم
إلا بالتي هي أحسن إلا بالفعلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ
أشده حتى يصير بالغاً وهو جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد ككرة وآكر وقيل مفرد
كآنك وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفساً
إلا وسعها إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الأمر معناه أن إيفاء الحق
عسير عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم وإذا قلتم فاعدلوا فيها ولو كان
ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله أوفوا يعني ما عهد
إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
تتعظون به وأن هذا صراطي مستقيماً الإشارة فيه إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات

التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي إن بالكسر على الاستئناف
وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون بها مشددة بتقدير اللام على أنه
علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط
ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الأديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى
فإن مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق
بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع
وصاكم به لعلكم تتقون الضلالة والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على
وصاكم وثم للتراخي في الإخبار أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما
وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن
على من أحسن القيام به ويؤيده أن قرئ على الذين أحسنوا أو على الذي أحسن تبليغه وهو
موسى أو تماما على ما أحسنه أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه إتماما له وقرئ
بالرفع على أنه خبر مبتدأ أي على الذي هو أحسن وعلى الوجه الذي هو أحسن ما يكون
عليه وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على
تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني إسرائيل
بلقاء ربهم يؤمنون أي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن أنزلناه مبارك
كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه أن تقولوا
كراهة أن تقولوا علة لأنزلناه إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى
ولعل الاختصاص في إنما لأن الباقي المشهور من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وإن كنا
عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي أو لا نعرف مثلها أو تقولوا عطف على الأول
لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك
تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والأشعار والخطب على أنا أميون فقد جاءكم بينة
من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن أظلم ممن كذب
بآيات الله بعد أن عرف صحتها أو تمكن من معرفتها وصدف عنها أعرض أو صد عنها فضل
وأضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون
بإعراضهم وصدهم هل ينظرون أي ما ينتظرون يعني أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين
لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين إلا أن تأتيهم الملائكة ملائكة
الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء أو يأتي ربك أي أمره بالعذاب أو كل
آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله أو يأتي بعض آيات ربك يعني أشراط الساعة
وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله فقال ما
تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان
والدابة وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع
الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها كالمحتضر إذا صار الأمر عيانا والإيمان برهاني

تنفع

تنفع بالتاء لإضافة الإيمان إلى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا أو كسبت
في إيمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة
إيمانها أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الإيمان المجرد
عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع
بأحد الأمرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما إيمانها والعطف على لم يكن بمعنى لا ينفع
إيمانها الذي أحدثته حينئذ وإن كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون وعيد
لهم أي انتظروا إتيان أحد الثلاثة فإنا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل
إن الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه السلام
افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وافترقت النصارى
على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين
كلها في الهاوية إلا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا أي باينوا وكانوا
شيعا فرقا كل فرقة تشيع إماما لست منهم في شيء أي من السؤال عنهم وعن
تفرقهم أو عن عقابهم أو أنت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية
السيف إنما أمرهم إلى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أي عشر حسنات أمثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب
عشر بالتنوين أمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة
العقاب قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم بالوحي والإرشاد إلى ما نصب من الحجج دينا
بدل من محل إلى صراط إذ المعنى هداني صراطا مستقيما أو مفعول فعل مضمر دل عليه
الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم
باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على أنه مصدر نعت به
وكان قياسه قوما كعوض فأعل لإعلال فعله كالقيام ملة إبراهيم عطف بيان لدينا
حنيفا حال من إبراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل إن صلاتي ونسكي عبادتي
كلها أو قرباني أو حجي ومحياي ومماتي وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الإيمان
والطاعة أو طاعات الحياة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير أو الحياة
والممات أنفسهما وقرأ نافع محياي بإسكان الياء إجراء للوصل مجرى الوقف
لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا أشرك فيها غيره وبذلك القول أو
الإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته
قل أغير الله أبغي ربا فأشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم
وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للإنكار والدليل له أي وكل ما سواه مربوب مثلي
لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس إلا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه
من ذلك ولا تزر وازرة وزر أخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم

ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز
المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء
الله في الارض تتصرفون فيها على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب
لان ما هو آت قريب او لانه سريع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم
يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة
واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ
فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة
واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى
عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات وهي من قوله واسألهم عن القرية الى واذ نتقنا
وهي مائتان بسم الله الرحمن الرحيم • وخمس او ست آية

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به
السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان
الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه
وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب فكأنه
قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه
اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه
وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير
والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا
من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا
من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا
قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت
مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف
التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب معه صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى
اهلكناها اردنا اهلاكها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا
عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون
عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع
حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي
التعبير بما للغفلة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت
دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم
او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم

بظلمهم

بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة
واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ
الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول
في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون
لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن
اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن
بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم
فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر
عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع
السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص
لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ
خبر المبتدأ الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت
موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع
موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب
بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي جعلنا لكم فيها مكانا
وقرارا او مكناكم من التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع
انه همز تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد
خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره
منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن
من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم
مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع
عن الشيء مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان
الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون
مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف
يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار
وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر
وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص
ليست لغيرهم والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ووصول امثاله الى

الى اللطيف والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب • قال فاهبط منها من السماء او الجنة
فما يكون لك فما يصح • ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر
لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه • فاخرج انك من الصاغرين
ممن اهانه الله لتكبره قال عم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله • قال انظرني
الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي • قال انك من المنظرين يقتضي
الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو
النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم
للثواب بمخالفته • قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق
يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء
متعلق بفعل القسم المحذوف اي باغوائك اقسم فان اللام يصد عنه وقيل الباء للقسم • لاقعدن لهم
ترصدا بهم كما تقعد القطاع للسابلة • صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله
كما عسل الطريق الثعلب • وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن • ثم لآتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم • اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده
اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك
لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم
لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا
وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث
يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم من حيث
يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل
الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي
منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه • ولا تجد اكثرهم شاكرين
مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ
الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة • قال اخرج منها مذؤوما • من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما
كمسول في مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما • مدحورا • مطرودا • لمن تبعك منهم
اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه • لاملأن جهنم منكم اجمعين • وهو ساد مسد جواب الشرط
وقرئ لِمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن
جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب • ويا آدم • اي وقلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة • وقرئ هذي الشجرة
وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء • فتكونا من الظالمين • فتصيرا من الذين ظلموا
انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب • فوسوس لهما الشيطان • اي فعل الوسوسة
لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسواس الحلي وقد سبق في البقرة
كيفية وسوسته • ليبدي لهما • ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته
ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند

من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع • ما ووري عنهما من سوآتهما • ما غطي عنهما
من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو
المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في أويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ
سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وسوتهما بقلبها واوا وادغام الواو الساكنة
فيها • وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا • الا كراهة ان تكونا •
ملكين او تكونا من الخالدين • الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل
الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما
في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا • وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك
وانما اخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين
واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة • فدلاهما • فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما
بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى
اسفل • بغرور • بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين
بغرور • فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما • اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل
منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف
في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا
وطفقا يخصفان • اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة • عليهما من ورق الجنة •
قيل ورق التين وقرئ يُخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويَخصّفان واصله يختصفان
وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين •
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم
قالا ربنا ظلمنا انفسنا • اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة • وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين • دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة
لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين
في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات • قال اهبطوا • الخطاب لآدم وحوا
وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم مفرقا
بعضكم لبعض عدو • في موضع الحال • اي متعادين • ولكم في الارض مستقر • استقرار او موضع
استقرار • ومتاع • وتمتع • الى حين • تنقضي فيه آجالكم • قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها
تخرجون • للجزاء • يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا • اي خلقناه لكم بتدابير سماوية واسباب
نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد • يواري سوآتكم • التي قصد
الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة و
يقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى
يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى
ابويهم • وريشا • ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول

وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب • ولباس التقوى • خشية الله وقيل الايمان
وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتدا وخبره • ذلك خير • او خبر وذلك
صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرا نافع وابن عامر والكسائي ولباس
بالنصب عطفا على لباسا • ذلك • اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته
لعلهم يذكرون • فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح • يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان • لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم • كما اخرج ابويكم من الجنة • كما محن
ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به •
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما • حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع
اليه للتسبب • انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم • تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته
وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نريهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم
لنا • انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون • بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم
عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية
واذا فعلوا فاحشة • فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها • اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء
على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله • قل ان الله لا يامر بالفحشاء
لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على
ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مرتبين كانه قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا والله امرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا • اتقولون على الله ما لا
تعلمون • انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله • قل امر ربي بالقسط • بالعدل وهو الوسط
من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط • واقيموا وجوهكم • وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة • عند كل مسجد • في كل وقت سجود او مكانه وهو
الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم • وادعوه
واعبدوه • مخلصين له الدين • اي الطاعة فان اليه مصيركم • كما بداكم • كما انشاكم ابتداء
تعودون • باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها
والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بداكم حفاة عراة
غرلا تعودون وقيل كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم • فريقا هدى • بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة • بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده
اي وخذل فريقا • انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله • تعليل لخذلانهم او تحقيق
لضلالتهم • ويحسبون انهم مهتدون • يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق
الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر • يا بني آدم خذوا زينتكم • ثيابكم لمواراة عوراتكم
عند كل مسجد • لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل

على وجوب ستر العورة في الصلوة • وكلوا واشربوا • ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام
حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به
فنزلت • ولا تسرفوا • بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه
وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة • وقال علي بن
الحسين قد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا • انه لا يحب المسرفين •
اي لا يرتضي فعلهم • قل من حرم زينة الله • من الثياب وسائر ما يتجمل به • التي اخرج لعباده •
من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع • والطيبات
من الرزق • المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس
وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار • قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا
بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع • خالصة يوم القيمة • لا يشاركهم فيها غيرهم
وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر • كذلك نفصل الآيات لقوم
يعلمون • اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم • قل انما حرم ربي الفواحش
ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج • ما ظهر منها وما بطن • جهرها وسرها • والاثم
والبغي ما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر • والبغي • الظلم او الكبر افرده بالذكر
للمبالغة • بغير الحق • متعلق بالبغي مؤكد له معنى • وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا •
تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان • وان تقولوا على الله ما لا تعلمون •
بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها • ولكل امة اجل • مدة او وقت
لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة • فاذا جاء اجلهم • انقرضت مدتهم او حان
وقتهم • لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون • اي لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت
او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول • يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي • شرط ذكر حرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما
ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم
والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد • فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته • ممن تقول على الله
ما لم يقله او كذب ما قاله • اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب • مما كتب لهم من الارزاق والاعمار
وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه • حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم • اي يتوفون
ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدا بعدها الكلام • قالوا
جواب اذا • اين ما كنتم تدعون من دون الله • اي الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت
باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة • قالوا ضلوا عنا • غابوا عنا •
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين • اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه •
قال ادخلوا • اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة • في امم قد خلت من قبلكم

اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة • من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية
من النوعين في النار متعلق بادخلوا • كلما دخلت امة • اي في النار • لعنت اختها • التي
ضلت بالاقتداء بها • حتى اذا اداركوا فيها جميعا • اي تداركوا وتلاحقوا في النار
قالت اخراهم • دخولا او منزلة وهم الاتباع • لاولاهم • اي لاجل اولاهم اذ الخطاب
مع الله لا معهم • ربنا هؤلاء اضلونا • سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم • فآتهم
عذابا ضعفا من النار • مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا • قال لكل ضعف • اما القادة
فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم • ولكن لا تعلمون • ما لكم او ما لكل
فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال • وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا
من فضل • عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل
لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب • فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون • من قول القادة او من قول الفريقين • ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها • اي عن الايمان بها • لا تفتح لهم ابواب السماء • لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم
كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتأنيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث
غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان
الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله • ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط •
حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة
الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمّل كالقمّل والجمل كالنغر والجمل
كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة
وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم • وكذلك • ومثل
ذلك الجزاء الفظيع • نجزي المجرمين • لهم من جهنم مهاد • فراش • ومن فوقهم غواش • اغطية وال
التنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواشٌ على الغاء
المحذوف • وكذلك نجزي الظالمين • عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا
بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم
مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام • والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف
نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد
بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما في
طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس • ونزعنا ما في صدورهم من غل • اي نخرج من قلوبهم
اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم • تجري من تحتهم الانهار • زيادة في لذتهم وسرورهم • وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا • لما جزاؤه هذا • وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله • لولا هدايته وتوفيقه
واللام لتأكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها
مبينة للاولى • لقد جاءت رسل ربنا بالحق • فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا

بان ما علموه في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة • ونودوا ان تلكم الجنة • اذا رأوها
من بعيد او بعد دخولها والمنادي له بالذات • اورثتموها بما كنتم تعملون • اي اعطيتموها
بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم
وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول •
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا • انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل
ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم
كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة • قالوا نعم • وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان
فأذن مؤذن • قيل هو صاحب الصور • بينهم • بين الفريقين • ان لعنة الله على الظالمين
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة ان لعنة الله • بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة
القول او اجراء اذن مجرى قال • الذين يصدون عن سبيل الله • صفة للظالمين مقررة
او ذم مرفوع او منصوب • ويبغونها عوجا • زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر
في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح
وهم بالآخرة كافرون • وبينهما حجاب • اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او
وبين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الآخر • وعلى الاعراف • وعلى اعراف
الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف
ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من غيره • رجال • طائفة من الموحدين قصروا
في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء
او الشهداء او خيار المؤمنين او علماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال • يعرفون كلا
من اهل الجنة والنار • بسيماهم • بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلاء
من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون
بالالهام او تعليم الملائكة • ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم • اي اذا نظروا اليهم سلموا
عليهم • لم يدخلوها وهم يطمعون • حال من الواو على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجوه
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا • تعوذا بالله • ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين • اي في النار • ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم • من رؤساء
الكفرة • ما اغنى عنكم جمعكم • كثرتكم او جمعكم المال • وما كنتم تستكبرون • عن الحق او على الخلق
وقرئ تستكثرون من الكثرة • اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة • من تتمة قولهم
للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا
ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة • ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون • اي
فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم
ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله
او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا على البناء للمفعول وادخلوا

دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم • ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء
اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار • او مما رزقكم الله • من سائر الاشربة
ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا • قالوا ان الله
حرمهما على الكافرين • منعهما منع المحرم عن المكلف • الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا •
كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب
طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب • وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم • نفعل بهم فعل
الناسين فنتركهم في النار • كما نسوا لقاء يومهم هذا • فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له
• وما كانوا باياتنا يجحدون • وكما كانوا منكرين انها من عند الله • ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه • بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة • على علم • عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من
المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك • هدى ورحمة لقوم
يؤمنون • حال من الهاء • هل ينظرون • هل ينتظرون • الا تأويله • الا ما يؤول اليه امره من تبين
صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد • يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل • تركوه
ترك الناسي • قد جاءت رسل ربنا بالحق • اي قد تبين انهم قد جاءوا بالحق • فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا • اليوم • او نرد • او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان
او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد
الامرين او لامر واحد وهو الرد • فنعمل غير الذي كنا نعمل • جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع
اي فنحن نعمل • قد خسروا انفسهم • بصرف اعمارهم في الكفر • وضل عنهم ما كانوا يفترون • بطل عنهم
فلم ينفعهم • ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام • اي في ستة اوقات كقوله
ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها
ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار
للناظر وحث على التأني في الامور • ثم استوى على العرش • استوى امره او استولى وعن اصحابنا
ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي
عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه
بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك • يغشي الليل النهار • يغطيه ولم يذكر
عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرر
يطلبه حثيثا • يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة
مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا • والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره • بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السماوات ونصب مسخرات
على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر • الا له الخلق والامر • فانه الموجد
والمتصرف • تبارك الله رب العالمين • تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في
الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربو

واحد

واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب
قويم • وتدبير حكيم فأبدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع
سماوات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات
المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله وخلق
الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها
اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة
الله الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك
الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير
الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا
ربكم تضرعا وخفية • اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص • انه لا يحب
المعتدين • المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب
ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب
فيه وعن النبي عليه السلام سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك
الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ
انه لا يحب المعتدين • ولا تفسدوا في الارض • بالكفر والمعاصي • بعد اصلاحها • ببعث الانبياء
وشرع الاحكام • وادعوه خوفا وطمعا • ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم
وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته • ان رحمة الله قريب من المحسنين • ترجيح للطمع
وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف
اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين
القريب من النسب والقريب من غيره • وهو الذي يرسل الرياح • وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح على الوحدة • نشرا • جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع
وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات
او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ
وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى • بين يدي رحمته • قدام
رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى
اذا اقلت • حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله • سحابا ثقالا • بالماء جمعه
لان السحاب بمعنى السحائب • سقناه • اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ • لبلد ميت • لاجل
احيائه او لسقيه وقرئ ميت • فانزلنا به الماء • بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
وكذلك • فاخرجنا به • ويحتمل عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق وفي
الاول وكذا في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية • من كل الثمرات • من كل انواعها • كذلك
نخرج الموتى • الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة

القوة النامية فيها وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث ونحييها
برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس • لعلكم تذكرون •
فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا • والبلد الطيب • الأرض الكريمة التربة • يخرج
نباته بإذن ربه • بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة
والذي خبث • كالحرة والسبخة • لا يخرج إلا نكدا • قليلا عديم النفع ونصبه على الحال
وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكدا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه
مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج أي يخرجه البلد فيكون إلا نكدا مفعولا ونكدا
على المصدر أي ذا نكد ونكدا بالإسكان للتخفيف • كذلك نصرف الآيات • نرددها ونكررها • لقوم
يشكرون • نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن
لم يرفع إليها رأسا ولم يتأثر بها • لقد أرسلنا نوحا إلى قومه • جواب قسم محذوف ولا تكاد
تطلق هذه اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما
صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس أول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين
فقال يا قوم اعبدوا الله • أي اعبدوه وحده لقوله • ما لكم من إله غيره • وقرأ الكسائي
وجره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء • إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم •
إن لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان
قال الملأ من قومه • أي الأشراف فإنهم يملؤون العيون رواء • إنا لنراك في ضلال • زوال
عن الحق • مبين • بين • قال يا قوم ليس بي ضلالة • أي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا
في الإثبات وعرض لهم به • ولكني رسول من رب العالمين • استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه
على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لأني رسول من الله • أبلغكم رسالات ربي
وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون • صفات لرسول أو استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه
رسولا وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها
كالعقائد والمواعظ والأحكام أو لأن المراد بها ما أوحي إليه وإلى الأنبياء قبله كصحف شيث
وإدريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على إمحاض النصح لهم وفي أعلم من الله تقرير لما
أوعدهم به فإن معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها
أو عجبتم • الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم • أن جاءكم ذكر من
ربكم • رسالة أو موعظة • على رجل • على لسان رجل • منكم • من جملتكم أو من جنسكم فإنهم
كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا
الأولين • لينذركم • عاقبة الكفر والمعاصي • ولتتقوا • منهما بسبب الإنذار • ولعلكم ترحمون •
بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل
وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله • فكذبوه فأنجيناه والذين
معه • من آمن به وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث
وستة ممن آمن به • في الفلك • متعلق بمعه أو بأنجيناه أو حال من الموصول أو من الضمير في معه
وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا • بالطوفان • إنهم كانوا قوما عمين • عمي القلوب غير مستبصرين

وأصله عميين فخفف وقرئ عامين والأول أبلغ لدلالته على الثبات • وإلى عاد
أخاهم • عطف على نوحا إلى قومه • هودا • عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم
يا أخا العرب فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح
وقيل هو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم
أفهم لقوله وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه • قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره •
استئناف ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين أرسل وكذلك جوابهم
أفلا تتقون • عذاب الله وكان قومه أقرب من قوم نوح ولذلك قال • قال الملأ
الذين كفروا من قومه • إذ كان من أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد • إنا لنراك في سفاهة •
متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك • وإنا لنظنك من الكاذبين •
قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم
ناصح أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم • سبق تفسيره وفي إجابة
الأنبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والإعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة
وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح أمين تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح • أي في مساكنهم أو في الأرض بأن
جعلكم ملوكا فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى شحر عمان
خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بإنعامه • وزادكم في الخلق بسطة • قامة وقوة • فاذكروا
آلاء الله • تعميم بعد تخصيص • لعلكم تفلحون • لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها المؤدي إلى الفلاح
قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا • استبعدوا اختصاص الله
بالعبادة والإعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما ألفوه ومعنى
المجيء في أجئتنا إما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه أو من السماء على التهكم أو القصد على
المجاز كقولهم ذهب يسبني • فأتنا بما تعدنا • من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون •
إن كنت من الصادقين • فيه • قال قد وقع عليكم • قد وجب وحق عليكم أو نزل عليكم
على أن المتوقع كالواقع • من ربكم رجس • عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب • وغضب
إرادة انتقام • أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان •
أي في أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الإلهية لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل
وأنها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى إما بإنزال آية أو بنصب حجة بين أن منتهى حجتهم
وسندهم أن الأصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى وإسناد الإطلاق
إلى من لا يؤبه بقوله إظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على أن الاسم هو المسمى
وأن اللغات توقيفية إذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والإبطال بأنها أسماء مخترعة
لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر • فانتظروا • لما وضح الحق وأنتم مصرون على
العناد نزول العذاب • إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه • في الدين • برحمة منا
عليهم • وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا • أي استأصلناهم • وما كانوا مؤمنين • تعريض
بمن آمن منهم وتنبيه على أن الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الإيمان روي أنهم كانوا يعبدون

الأصنام فبعث الله إليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فأمسك الله القطر عنهم ثلاث
سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجهوا إلى البيت
الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا إليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من أعيانهم
وكان إذ ذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر
فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا
عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا
له أهمه ذلك واستحيى أن يكلمهم مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين • ألا يا قيل
ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا غماما • فيسقي أرض عاد إن عادا • قد أمسوا لا يبينون
الكلاما • حتى غنتا به فأزعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم
نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع
دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ
الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك و
لقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه
فأتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا • وإلى ثمود • قبيلة أخرى من العرب سموا باسم
أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء
القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي أو باعتبار الأصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام
إلى وادي القرى • أخاهم صالحا • صالح بن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حادر بن ثمود • قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم • معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله •
هذه ناقة الله لكم آية • استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الإشارة ولكم بيان
لمن هي له آية ويجوز أن يكون ناقة الله بدلا أو عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية وإضافة
الناقة إلى الله لتعظيمها لأنها جاءت من عنده بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية
• فذروها تأكل في أرض الله • العشب • ولا تمسوها بسوء • نهي عن المس الذي هو مقدمة الإصابة
بالسوء الجامع لأنواع الأذى مبالغة في الأمر وإزاحة للعذر • فيأخذكم عذاب أليم • جواب
للنهي • واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض • أرض الحجر • تتخذون من سهولها
قصورا • أي تبنون في سهولها أو من سهولة الأرض بما تعملون منها كاللبن والآجر • وتنحتون الجبال
بيوتا • وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالإشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة
أو المفعول على أن التقدير بيوتا من الجبال أو تنحتون بمعنى تتخذون • فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا
في الأرض مفسدين • قال الملأ الذين استكبروا من قومه • أي عن الإيمان • للذين استضعفوا • أي
للذين استضعفوهم واستذلوهم • لمن آمن منهم • بدل من الذين استضعفوا بدل الكل إن كان
الضمير لقومه وبدل البعض إن كان للذين • أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه • قالوه على الاستهزاء
• قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون • عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على أن إرساله
أظهر من أن يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وإنما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال

قال الذين

قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون • على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع أرسل به
ردا لما جعلوه معلوما مسلما • فعقروا الناقة • فنحروها أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة
أو لأنه كان برضاهم • وعتوا عن أمر ربهم • واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح
بقوله فذروها • وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين • فأخذتهم
الرجفة • الزلزلة • فأصبحوا في دارهم جاثمين • خامدين ميتين روي أنهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم و
كثروا وعمروا أعمارا طوالا لا تفي بها الأبنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة
فعتوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم صالحا من أشرافهم فأنذرهم فسألوه
آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا إلى عيدنا فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فمن
استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم ثم أشار سيدهم جندع بن عمرو إلى صخرة منفردة
يقال لها الكاثبة وقال له أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فإن فعلت
صدقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما
وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين
من الإيمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحبا أوثانهم ورباب بن صعر كاهنهم فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها
ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم ويشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي
فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت
عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا
اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب
فلم يقدروا عليه إذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة
وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا
أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا
بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا • فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين • ظاهره أن توليه عنهم
كان بعد أن أبصرهم جاثمين ولعله خاطبهم بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله أهل
قليب بدر وقال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا أو ذكر ذلك
على سبيل التحسر • ولوطا • أي وأرسلنا لوطا • إذ قال لقومه • وقت قوله لهم أو واذكر لوطا
وإذ بدل منه • أتأتون الفاحشة • توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح
• ما سبقكم بها من أحد من العالمين • ما فعلها قبلكم أحد قط والباء للتعدية ومن الأولى لتأكيد
النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للإنكار كأنه وبخهم أولا بإتيان
الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسوأ • إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء •
بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو أبلغ في الإنكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص إنكم
على الإخبار المستأنف وشهوة مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم

بالبهيمة الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد
وبقاء النوع لا قضاء الشهوة • بل أنتم قوم مسرفون • إضراب عن الإنكار إلى الإخبار
عن الحال التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء أو عن الإنكار
عليها إلى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف
وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم • أي ما جاؤوا بما يكون جوابا
عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء
بهم فقالوا • إنهم أناس يتطهرون • أي من الفواحش • فأنجيناه وأهله • أي من آمن به • إلا امرأته
فإنها كانت تسر الكفر • كانت من الغابرين • من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير
لتغليب الذكور • وأمطرنا عليهم مطرا • أي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم
حجارة من سجيل • فانظر كيف كان عاقبة المجرمين • روي أن لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر
مع عمه إبراهيم إلى الشام نزل بالأردن فأرسله الله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله
وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف
بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم • وإلى مدين أخاهم شعيبا • أي وأرسلنا إليهم
وهم أولاد مدين بن إبراهيم شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن
مراجعته قومه • قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم • يريد المعجزة
التي كانت له وليس في القرآن أنها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم
التي دفعها إليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها ووقوع عصا آدم على يده
في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل أن تكون كرامة لموسى أو إرهاصا لنبوته
فأوفوا الكيل • أي آلة الكيل على الإضمار أو إطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش •
لقوله • والميزان • كما قال في سورة هود أوفوا المكيال والميزان ويجوز أن يكون الميزان مصدرا
كالميعاد • ولا تبخسوا الناس أشياءهم • ولا تنقصوهم حقوقهم وإنما قال أشياءهم للتعميم
تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون
شيئا إلا مكسوه • ولا تفسدوا في الأرض • بالكفر والحيف • بعد إصلاحها • بعدما أصلح
أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع أو أصلحوا فيها والإضافة إليها كالإضافة
في بل مكر الليل والنهار • ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين • إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم
عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وجمع المال •
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون • بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق لكنه
يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأوا أحدا يسعى في شيء منها منعوه
وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا إنه كذاب فلا يفتننك عن دينك
ويتوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق • وتصدون عن سبيل الله • يعني الذي
قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون
عنه وتقبيحا لما كانوا عليه • من آمن به • أي بالله أو بكل صراط على الأول ومن
مفعول تصدون على إعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم • وتبغونها عوجا •

بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا • وتبغونها عوجا • وتطلبون لسبيل الله عوجا
بإلقاء الشبه أو وصفها للناس بأنها معوجة • واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم • عددكم أو عُدَدكم
فكثركم بالبركة في النسل والمال • وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين • من الأمم قبلكم واعتبروا
بهم • وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا • فتربصوا
حتى يحكم الله بيننا • أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين • إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه • قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا • أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم
من القرية أو عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا
لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك أجرى الجواب في قوله • قال
أولو كنا كارهين • أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أو أتعيدوننا في حال كراهتنا • قد افترينا
على الله كذبا • قد اختلقنا عليه • إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها • شرط جوابه محذوف
دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل
عليه قد لتقربه من الحال أي قد افترينا الآن إن هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم
أن لله ندا وأنه قد تبين لنا أن ما كنا عليه باطل وما أنتم عليه حق وقيل إنه جواب قسم وتقديره
والله لقد افترينا • وما يكون لنا • وما يصح لنا • أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا •
خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على أن الكفر بمشيئته وقيل أراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق
على ما لا يكون • وسع ربنا كل شيء علما • أي أحاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم • على الله
توكلنا • في أن يثبتنا على الإيمان ويخلصنا من الأشرار • ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق •
احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم
ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل إذا بينه • وأنت خير الفاتحين • على المعنيين • وقال الملأ
الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا • وتركتم دينكم • إنكم إذا لخاسرون • لاستبدالكم ضلالته
بهداكم أو لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام
فأخذتهم الرجفة • الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها • فأصبحوا
في دارهم جاثمين • أي في مدينتهم • الذين كذبوا شعيبا • مبتدأ خبره • كأن لم يغنوا فيها • أي
استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل • الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين • دينا
ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فإنهم الرابحون في الدارين والتنبيه على هذا والمبالغة
فيه كرر الموصول واستأنف الجملتين وأتى بهما اسميتين • فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم • قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه
فكيف آسى على قوم كافرين • ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذارا
عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح
والإشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف إيسى بالإمالة • وما أرسلنا
في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء • بالبؤس والضر • لعلهم يضرعون • كي يتضرعوا
ويتذللوا • ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة • أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة

السراء والسعة ابتلاء لهم بالامرين • حتى عفوا • كثروا عددا وعُددا يقال عفا النبات اذا كثر
ومنه اعفاء اللحى • وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء • كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره
واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه
مثل ما مسنا • فاخذناهم بغتة • فجأة • وهم لا يشعرون • بنزول العذاب • ولو ان اهل القرى
يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها • آمنوا واتقوا
مكان كفرهم وعصيانهم • لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض • لوسعنا عليهم الخير ويسرناه
لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتّحنا بالتشديد • ولكن كذبوا فاخذناهم
بما كانوا يكسبون • من الكفر والمعاصي • أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا • تبييتا
او وقت بيات او مبيتا او مبيَّتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم • وهم نائمون • حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا • أوأمن اهل القرى
وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد • ان يأتيهم بأسنا ضحى • ضحوة النهار
وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت • وهم يلعبون • يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما
لا ينفعهم • أفأمنوا مكر الله • تقرير لقوله أفأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد
واخذه من حيث لا يحتسب • فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون • الذين خسروا بالكفر وترك
النظر والاعتبار • أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها • اي يخلفون من خلا قبلهم
ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين • ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم •
ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون
جعله مفعولا • ونطبع على قلوبهم • عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع
عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقه
نفي الطبع عنهم لانه في سياقه جواب لو • فهم لا يسمعون • سماع تفهم واعتبار • تلك القرى
يعني قرى الامم المار ذكرهم • نقص عليك من انبائها • حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته
بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها
ولها انباء غيرها لا نقصها • ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات • بالمعجزات • فما كانوا ليؤمنوا
عند مجيئهم بها • بما كذبوا من قبل • بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا
ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة
والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم
على الكفر والطبع على قلوبهم • كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين • فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر
وما وجدنا لاكثرهم • لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين • من عهد • من وفاء عهد
فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا
اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين • وان وجدنا
اكثرهم • اي علمنا • لفاسقين • من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة
وذلك لا يسوغ الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي
واللام بمعنى الا • ثم بعثنا من بعدهم موسى • الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم

بآياتنا

بآياتنا • يعني المعجزات • الى فرعون وملائه فظلموا بها • بان كفروا بها مكان الايمان
الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب
لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب
بن الريان • فانظر كيف كان عاقبة المفسدين • وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين • اليك وقوله • حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق • لعله جواب لتكذيبه
اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على
ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لا من الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه واجب على القول
الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان
الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة
ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول • قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل •
فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
في الاعمال • قال ان كنت جئت بآية • من عند من ارسلك • فأت بها • فاحضرها عندي ليثبت
بها صدقك • ان كنت من الصادقين • في الدعوى • فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين •
ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا
اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل
معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا • ونزع يده • من جيبه او من تحت ابطه • فاذا هي بيضاء
للناظرين • اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة او بيضاء للنظار
لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او
تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس • قال الملأ
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم • قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في
امره فحكى عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا • يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون • تشيرون
في ان تفعل • قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين • يأتوك بكل ساحر عليم • كأنه
اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير اي اخّره واصله ارجئه كما
قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهُ على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير
او ارجه من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية
قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة ارجه بسكون الهاء فلتشبيه
المنفصل بالمتصل وجعل جه ككبد في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه
بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء
ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار
فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء • وجاء السحرة فرعون • بعدما ارسل

وحفص

الشرط في طلبهم. قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف كأنه جواب
سائل قال ما قالوا اذ جاءوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر
كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم. قال نعم وانكم لمن المقربين
عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم. قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا
قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل
بالمنفصل فلذلك. قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شأنه
فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه. واسترهبوهم وارهبوهم
ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم. وجاءوا بسحر عظيم في فنه. روي انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا. واوحينا الى موسى
ان الق عصاك فالقاها فصارت حية. فاذا هي تلقف ما يأفكون ما يزورونه من الافك
وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول
روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا
وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذ موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان
هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا. فوقع الحق فثبت لظهور امره. وبطل ما كانوا يعملون من السحر
والمعارضة. فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة
مقهورين والضمير لفرعون وقومه. والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها
على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه
حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته
قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به
فرعون. قال فرعون آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم على الاخبار
قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى
في المصر قبل ان تخرجوا للميعاد. لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله. لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
من كل شق طرفا. ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك
فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب
لفرط رحمته. قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا لمنقلبون
الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيركم
الى ربنا فيحكم بيننا. وما تنقم منا وما تنكر منا. الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا
وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى
فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا ما يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا
ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون. وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام

قيل انه

قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك
ودعوتهم الى مخالفتك. ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو
كقول الحطيئة: الم اك جاركم ويكون بيني. وبينكم المودة والاخاء. على معنى
ايكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر
او استئناف او حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن
وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم
ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي عبادتك
قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه
من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده
وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف. وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت
ايدينا. قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت
في الامر. والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم
ديارهم وتحقيق له. وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد
والجنس. قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد
ما جئتنا باعادته. قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى
عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم
المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام. فينظر
كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد
منكم. ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت
على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات. لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم
فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده. فاذا جاءتهم
الحسنة من الخصب والسعة. قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها. وان تصبهم سيئة
جدب وبلاء. يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم
وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل
العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل ازدادوا عندها
عتوا وانهماكا في الغي. وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق
الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها
الا بالتبع. الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته
او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم
وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع. ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم

من الله تعالى او من شؤم اعمالهم • وقالوا مهما • اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره • تأتنا به • اي اي شيء تحضرنا تأتنا به • من آية • بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا • لتسحرنا بها • اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه باعتبار المعنى • فارسلنا عليهم الطوفان • ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون • والجراد والقمل • قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها • والضفادع والدم • روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء في بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف • آيات • نصب على الحال • مفصلات • مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمة عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل • فاستكبروا • عن الايمان • وكانوا قوما مجرمين • ولما وقع عليهم الرجز • يعني العذاب المفصل او الطاعون الذي ارسله الله عليهم بعد ذلك • قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك • بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله • لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل • اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن • فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه • الى حد من الزمان هم بالغوه فيعذبون فيه او يهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم • اذا هم ينكثون • جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير توقف وتأمل فيه • فانتقمنا منهم • فاردنا الانتقام منهم

فاغرقناهم

فاغرقناهم في اليم • اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته • بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين • اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا • واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون • بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم • مشارق الارض ومغاربها • يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها • التي باركنا فيها • بالخصب وسعة العيش • وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل • ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ وتمت كلمات ربك لتعدد المواعيد • بما صبروا • بسبب صبرهم على الشدائد • ودمرنا • وخربنا • ما كان يصنع فرعون وقومه • من القصور والعمارات • وما كانوا يعرشون • من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم • وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله • وجاوزنا ببني اسرائيل البحر • وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عبر بهم يوم عاشوراء بعدما اهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا • فاتوا على قوم • فمروا عليهم • يعكفون على اصنام لهم • يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر • قالوا يا موسى اجعل لنا الها • مثالا نعبده • كما لهم آلهة • يعبدونها وما كافة للكاف • قال انكم قوم تجهلون • وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعدما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل • ان هؤلاء • اشارة الى القوم • متبر • مكسر مدمر • ما هم فيه • يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا • وباطل • مضمحل • ما كانوا يعملون • من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا • قال اغير الله ابغيكم الها • اطلب لكم معبودا • وهو فضلكم على العالمين • والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته • واذ انجيناكم من آل فرعون • واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم • يسومونكم سوء العذاب • استئناف لبيان ما انجاكم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما • يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم • بدل منه • وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة • وواعدنا موسى ثلاثين ليلة • ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا • واتممناها بعشر • من ذي الحجة • فتم ميقات ربه اربعين ليلة • بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون

فلما أهلك سئل ربه فأمره بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة
كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يزيد عليها عشرا وقيل أمره
أن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها. وقال موسى
لأخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم. وأصلح ما يجب أن يصلح في أمورهم أو
كن مصلحا. ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك
إليه. ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه. واللام للاختصاص أي اختص
مجيئه بميقاتنا. وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة. وفيما روي أن موسى عم
كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام
المحدثين. قال رب أرني أنظر إليك أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر
إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء
محال خصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى أو لن أريك
ولن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه
بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية
ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلها ولا
يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبدا وأن لا يراه
غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة
الرؤية. قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني استدراك
يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل على الجواز ضرورة
أن التعليق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل أردن. فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته
وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له حيوة ورؤية حتى رآه. جعله دكا مدكوكا
مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا
مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء أي قطعا. وخر موسى
صعقا. مغشيا عليه من هول ما رأى. فلما أفاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت
إليك من الجراءة والإقدام على السؤال بغير إذن. وأنا أول المؤمنين مر تفسيره وقيل
معناه أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا. قال يا موسى إني اصطفيتك اخترتك على الناس
أي الموجودين في زمانك وهارون وإن كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا
صاحب شرع. برسالاتي يعني أسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي. وبكلامي
وبتكليمي إياك. فخذ ما آتيتك أعطيتك من الرسالة. وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي
أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التورية يوم النحر. وكتبنا له في الألواح
من كل شيء مما يحتاجون إليه من أمر الدين. موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار
والمجرور أي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام. واختلف في أن الألواح
كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوت أحمر أو صخرة صماء لينها الله

لموسى فقطعها بيده أو شقها بأصابعه وكان فيها التورية أو غيرها. فخذها على إضمار
القول عطفا على كتبنا أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للألواح أو لكل شيء
فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات. بقوة بجد وعزيمة. وأمر قومك يأخذوا
بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار والاقتصاص
على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم أو بواجباتها
فإن الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالإضافة
وهو المأمور به كقولهم الصيف أحر من الشتاء. سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه
بمصر خاوية على عروشها أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا أو دار أهل النار
في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من أوريت الزند وسأورثكم ويؤيده
قوله وأورثنا القوم. سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والأنفس الذين يتكبرون في الأرض بالطبع
على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد
فرعون فعاد عليه بإعلائها أو بإهلاكهم. بغير الحق صلة يتكبرون أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم
الباطل أو حال من فاعله. وإن يروا كل آية منزلة أو معجزة. لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال
عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الأول. وإن يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرَّشَد بفتحتين وقرئ
الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام. وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك
بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم
للآيات ويجوز أن ينتصب ذلك على المصدر أي سأصرف ذلك الصرف بسببهما. والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة أي ولقائهم الدار الآخرة أو ما وعد الله في الآخرة. حبطت أعمالهم
لا ينتفعون بها. هل يجزون إلا ما كانوا يعملون إلا جزاء أعمالهم. واتخذ قوم موسى من بعده
من بعد ذهابه للميقات. من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر وإضافتها
إليهم لأنها كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة
والكسائي بالإتباع كدلي والباقون على الأفراد. عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم أو جسدا من الذهب
خاليا من الروح ونصبه على البدل. له خوار صوت البقر روي أن السامري لما صاغ العجل
ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه
فيصوت وإنما نسب الاتخاذ إليهم وهو فعله إما لأنهم رضوا به أو لأن المراد اتخاذهم إياه إلها
وقرئ جؤار أي صياح. ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم
وإخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد سبيل
كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام والقوى والقدر. اتخذوه تكرير للذم أي اتخذوه إلها.
وكانوا ظالمين واضعين الأشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم. ولما سقط
في أيديهم كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها
وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في أنفسهم
ورأوا وعلموا أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل. قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بإنزال التوبة ويغفر

بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء
ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني
من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة أو قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة
والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي أو من بعد ما رأيتم
مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام كأنه
ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم
بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وألقى الألواح أي طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر
حمية للدين وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة
أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والأحكام وأخذ برأس أخيه
بشعر رأسه يجره إليه توهما بأنه قصر في كفهم وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا و
لينا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل قال ابن أم ذكر الأم ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذفت الياء اكتفاء
بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف إلى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيها
بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى
بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل
بي ما يشمتون بي لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة
التقصير قال رب اغفر لي بما صنعت بأخي ولأخي إن فرط في كفهم ضمه إليه في الاستغفار
ترضية له ودفعا للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين
فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما أمرهم به من قتل
أنفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين
على الله ولا فرية أعظم من فريتهم هذا الحكم والآخر سوى ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا
بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات
وآمنوا واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور رحيم وإن عظم الجريمة كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني إسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به
عن موسى الغضب باعتذار هارون أو بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث إنه
جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ
سكت وأسكت على أن المسكت هو الله أو أخوه أو الذين تابوا أخذ الألواح التي ألقاها
وفي نسختها وفيما نسخ فيها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها من الألواح
المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة إرشاد إلى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون
دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير أو حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير
يرهبون معاصيه لربهم واختار موسى قومه أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل إليه سبعين
رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة روي أنه تعالى أمره أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فاختار

من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد أجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم
الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها
قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر
أو عنى به أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر
وغيرهما فترحمت عليهم بالإنقاذ منها ولو ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم
إحسانك أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك
قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات
التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك
فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين أسمعتهم
كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلالته
بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها إيمانه أنت ولينا
القائم بأمرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وأنت خير الغافرين تغفر السيئة
وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة
إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده إذا أماله
ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى أملنا أنفسنا وأملنا إليك ويجوز أن يكون
المضموم أيضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي أصيب به من أشاء
تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها
فأثبتها في الآخرة أو فأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي
ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق عليهم والذين هم بآياتنا
يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم أو
خبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل من الذين يتقون بدل البعض أو الكل والمراد من آمن منهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وإنما سماه رسولا بالإضافة إلى الله ونبيا بالإضافة إلى العباد الأمي الذي
لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير
أو كالربا والرشوة ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم
ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء
الخاطئة وقرض موضع النجاسة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من
التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أي مع نبوته يعني القرآن وإنما سماه نورا
لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه
متعلقا باتبعوا أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون إشارة إلى اتباع الكتاب

والسنة. أولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الأبدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى كافة
الثقلين وسائر الرسل إلى أقوامهم. جميعا حال من إليكم. الذي له ملك السموات والأرض
صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق بالمضاف الذي أضيف إليه لأنه كالمتقدم عليه أو مدح
منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره لا إله إلا هو وهو على الوجوه الأول بيان لما قبله
فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره. يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية
فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل
من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على
أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية
إلى الإيمان به والاتباع له. واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين
تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة. ومن قوم موسى
يعني بني إسرائيل. أمة يهدون بالحق يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق. وبه وبالحق يعدلون
بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الإيمان القائمون بالحق من أهل زمانه أتبع ذكرهم
ذكر أضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل
لم يخل منه زمان وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله ليلة المعراج
فآمنوا به. وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض. اثنتي عشرة مفعول ثان
لقطع فإنه متضمن معنى صير أو حال وتأنيثه للحمل على الأمة أو القطعة. أسباطا بدل منه
ولذلك جمع أو تمييز له على أن كل واحد من اثنتي عشرة أسباط فكأنه قيل اثنتي عشرة
قبيلة وقرئ بكسر الشين وإسكانها. وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه في التيه أن اضرب
بعصاك الحجر فانبجست أي فضرب فانبجست وحذفه للإيماء على أن موسى لم يتوقف في الامتثال
وأن ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته. منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس
كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا
أي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون سبق تفسيره
في سورة البقرة. وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بإضمار اذكر والقرية بيت المقدس
وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير أن قوله
فكلوا فيها بالفاء أفاد تسبب سكناهم للأكل منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره ثم
أو بدلالة الحال عليه وأما تقديم قوله وقولوا على وادخلوا فلا أثر له في المعنى لأنه لا يوجب الترتيب
وكذلك الواو العاطفة بينهما. نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة
عليه بالإثابة وإنما أخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على أنه تفضل محض ليس في مقابلة
ما أمروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع
والرفع غير ابن عامر فإنه وحد وقرأ أبو عمرو خطاياكم. فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم
فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها. واسألهم للتقرير والتقريع
بقديم كفرهم وعصيانهم والإعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم إلا بتعليم أو وحي ليكون ذلك

معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع بأهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي أيلة
قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية. إذ يعدون في السبت يتجاوزون
حدود الله بالصيد يوم السبت وإذ ظرف لكانت أو حاضرة أو للمضاف المحذوف أو بدل منه
بدل الاشتمال. إذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل وقرئ يعدون وأصله يعتدون
ويعدون من الإعداد أي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة
يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة
وقيل اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام فيه ويؤيد الأول إن قرئ يوم إسباتهم
وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من أسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا
إذا دنا وأشرف. كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله أي لا تأتيهم مثل إتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون
وإذ قالت عطف على إذ يعدون. أمة منهم جماعة من أهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا
في موعظتهم حتى أيسوا من اتعاظهم. لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم. أو معذبهم عذابا
شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينفع فيهم أو سؤالا
عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل
المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم. قالوا معذرة إلى ربكم
جواب للسؤال أي موعظتنا إنهاء عذر إلى الله حتى لا ننسب إلى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص
معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أي اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة. ولعلهم
يتقون إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك. فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به صلحاؤهم أنجينا
الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة أمر الله بعذاب بئيس شديد
فعيل من بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد وقرأ أبو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر
بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على أنه بئس كحذر فخفف عينه بنقل حركتها إلى الفاء ككبد في كبد
ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذئب أو على أنه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ
بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم إدغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس. بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم. فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم. قلنا لهم كونوا
قردة خاسئين كقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي أن الله تعالى
عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا
للأولى روي أن الناهين لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه
باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين فقالوا إن لهم شأنا فدخلوا عليهم فإذا
هم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتي أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور
باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم. وإذ تأذن ربك أي أعلم
تفعل من الإيذان بمعنى الإيذان كالتوعد والإيعاد أو عزم لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله
وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه. ليبعثن عليهم إلى يوم

وفيهم كانوا ثلاث فرق فرقة صادوا وفرقة نهتهم وفرقة لم تصطد ولم تنه

وإليه و إذا وجدت بكل على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالإذلال
وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى
نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر.
إن ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا. وإنه لغفور رحيم لمن تاب وآمن. وقطعناهم في الأرض
أمما. وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لإدبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط وأمما
مفعول ثان أو حال. منهم الصالحون صفة أو بدل وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم
دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك أي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم.
وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه.
فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد
والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم. ورثوا الكتاب التوراة من أسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها. يأخذون
عرض هذا الأدنى حطام هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة، وهو
ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلام والجملة حال من الواو. ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند
إلى الجار والمجرور أو مصدر يأخذون. وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا أي
يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين إلى مثله غير تائبين عنه. ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
أي في الكتاب. أن لا يقولوا على الله إلا الحق عطف بيان للميثاق أو متعلق به أي بأن لا يقولوا
والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله وخروج عن ميثاق
الكتاب. ودرسوا ما فيه عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فإنه تقرير أو على ورثوا وهو اعتراض.
والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء. أفلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا
الأدنى الدني المؤدي إلى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء
على التلوين. والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة عطف على الذين يتقون وقوله أفلا تعقلون
اعتراض أو مبتدأ خبره. إنا لا نضيع أجر المصلحين على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع
المضمر تنبيها على أن الإصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وإفراد
الإقامة لإنافتها على سائر أنواع التمسكات. وإذ نتقنا الجبل فوقهم أي قلعناه ورفعناه
فوقهم وأصل النتق الجذب. كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما أظلك. وظنوا أنه واقع بهم
ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجو ولأنهم كانوا يوعدون به وإنما أطلق الظن لأنه لم يقع
متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم
إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم. خذوا على إضمار القول أي قلنا خذوا أو قائلين
خذوا. ما آتيناكم بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو. واذكروا ما فيه
بالعمل ولا تتركوه كالمنسي. لعلكم تتقون قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق. وإذ أخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن

ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا. أي ونصب لهم دلائل
ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم
قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة
التمثيل ويدل عليه قوله أن تقولوا يوم القيامة أي كراهة أن تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين
لم ننبه بدليل. أو تقولوا عطف على أن تقولوا وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء لأن أول الكلام
على الغيبة. إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن التقليد
عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا. أفتهلكنا بما فعل المبطلون.
يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم
وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام في شرحي لكتاب
المصابيح والمقصود من إيراد الكلام هنا إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم بالميثاق
المخصوص بهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال
كما قال. وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون عن التقليد واتباع الباطل. واتل عليهم
أي على اليهود. نبأ الذي آتيناه آياتنا هو أحد علماء بني إسرائيل أو أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ
الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
حسده وكفر به أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب الله. فانسلخ منها من الآيات
بأن كفر بها وأعرض عنها. فأتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه. فكان من الغاوين فصار
من الضالين. روي أن قومه سألوه أن يدعو على موسى ومن معه فقال كيف أدعو على من معه الملائكة
فألحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه. ولو شئنا لرفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء. بها
بسبب تلك الآيات وملازمتها. ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا أو إلى السفالة. واتبع هواه
في إيثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وإنما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك
عنه بفعل العبد تنبيها على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء
المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقي هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب وسائط معتبرة في حصول
المسبب من حيث إن المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه
أخلد إلى الأرض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة.
فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة. كمثل الكلب كصفته في أخس أحواله وهو إن تحمل عليه
يلهث أو تتركه يلهث أي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له
بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث إدلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية
في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي
الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على
صدره وجعل يلهث كالكلب. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص القصة المذكورة
على اليهود فإنها نحو قصصهم. لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم إلى الاتعاظ. ساء مثلا
القوم أي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم. الذين كذبوا

بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وما كانوا يظلمون إما أن يكون داخلا في الصلة
معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا
بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي
ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون تصريح بأن الهدى والضلال من الله وأن هداية الله تختص ببعض
دون بعض وأنها مستلزمة للاهتداء والإفراد في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ
والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقتهم بخلاف الضالين والاقتصار في الإخبار
عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم
لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم
خلقنا كثيرا من الجن والإنس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها
إذ لا يلقونها إلى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم أعين لا يبصرون بها أي لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر
اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر أولئك كالأنعام في عدم
الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب
التعيش مقصورة عليها بل هم أضل فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار
وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار
أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الأسماء الحسنى لأنها دالة على معان هي أحسن
المعاني والمراد بها الألفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين
يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه إذ ربما يوهم
معنى فاسدا كقولهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمى به نفسه
كقولهم ما نعرف إلا رحمان اليمامة أو وذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام واشتقاق
أسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه وأعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم
كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وممن
خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما بين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق
للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة أمة هادين بالحق عادلين في الأمر واستدل به على صحة الإجماع
لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن
يأتي أمر الله إذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فإنه معلوم والذين كذبوا
بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم إلى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد
أو الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم
فيظنوا أنها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب
وأملي لهم وأمهلهم عطف على سنستدرجهم إن كيدي متين إن أخذي شديد وإنما سماه
كيدا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان أولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلام من جنة
من جنون روي أنه صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم
إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت إن هو إلا نذير مبين موضح إنذاره بحيث
لا يخفى على ناظر أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله

من شيء

من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها
ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي أمورها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه
وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها
فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث
بعده بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه إخبار
عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد إلزام الحجة والإرشاد إلى النظر وقيل متعلق بقوله
عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن وماذا
ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به من
يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم يعمهون بالرفع
على الاستئناف وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به
وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده أحد غيره ويذرهم يعمهون يسألونك عن
الساعة أي عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها
بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها على طولها عند الله كساعة أيان مرساها متى إرساؤها
أي إثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة
واشتقاق أيان من أي لأن معناه أي وقت وهو من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل
قل إنما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها
لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها
واللام للتأقيت كاللام في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السماوات والأرض
عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين هولها وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها لا تأتيكم
إلا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه السلام إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل
يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك
كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء إذا سأل عنه فإن من بالغ في السؤال
عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل
هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشا قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا
متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم
وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه ولا يكون لأنه من الغيب الذي استأثر
الله بعلمه قل إنما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة
ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن علمها عند الله لم يؤته أحدا من خلقه قل لا أملك لنفسي نفعا
ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو إظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيب
إلا ما شاء الله من ذلك فيلهمني إياه ويوفقني له ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسني السوء ولو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب
المضار حتى لا يمسني سوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون فإن أنا إلا عبد مرسل للإنذار

والبشارة • لقوم يؤمنون • فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق
النذير محذوف • هو الذي خلقكم من نفس واحدة • هو آدم • وجعل منها • من جسدها من ضلع
من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا • زوجها • حواء • ليسكن اليها
ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير في ليسكن
ذهابا الى المعنى ليناسب • فلما تغشاها • اي جامعها • حملت حملا خفيفا • خف عليها ولم تلق
منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة • فمرت به • فقامت وقعدت
وقرئ ومرت به بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب وفمرت من المرية
اي فظنت الحمل وارتابت به • فلما اثقلت • صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ
على البناء للمفعول اي اثقلها حملها • دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا • ولدا سويا قد
صلح بدنه • لنكونن من الشاكرين • لك على هذه النعمة المجددة • فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما آتاهما • اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله • فتعالى الله عما يشركون •
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون • يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها
ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهمّا
منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه
تسميه عبد الحرث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سماه عبد الحرث وامثال ذلك
لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج
من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس
وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع
وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام
جيء به على تسميتهم اياها آلهة • ولا يستطيعون لهم نصرا • اي لعبدتهم • ولا انفسهم ينصرون • فيدفعون
عنها ما يعتريها • وان تدعوهم • اي المشركين • الى الهدى • الى الاسلام • لا يتبعوكم • وقرأ نافع
وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم
ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله • سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون • وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة
في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم كانوا يدعونها لحوائجهم
فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم • ان الذين تدعون
من دون الله • اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة • عباد امثالكم • من حيث انها مملوكة مسخرة • فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين • انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي
قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا
يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال • ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها • وقرئ ان الذين تدعون
ان وبنصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي
القصص والدخان • قل ادعوا شركاءكم • واستعينوا بهم في عداوتي • ثم كيدون • فبالغوا

فيما تقدرون

فيما تقدرون عليه من مكروه وهي انتم وشركاؤكم • فلا تنظرون • فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم
لوثوقي على ولاية الله وحفظه • ان وليي الله الذي نزل الكتاب • القرآن • وهو يتولى الصالحين •
اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه • والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون • من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون • يشبهون الناظر
اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه • خذ العفو • اي خذ ما عفا لك من افعال الناس
وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين
او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة • وأمر بالعرف • المعروف المستحسن
من الافعال • واعرض عن الجاهلين • فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية
جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها • واما ينزغنك من الشيطان نزغ •
ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ
والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق
ما يسوقه • فاستعذ بالله انه سميع • يسمع استعاذتك • عليم • يعلم ما فيه صلاح امرك
فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام
ومتابعة الشيطان • ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان • لمة منه وهو اسم فاعل
من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال
يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف
كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره • تذكروا • ما امر الله به ونهى عنه
فاذا هم مبصرون • بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها
ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله • واخوانهم يمدونهم • اي
اخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين • في الغي • بالتزيين والحمل
عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء
يعينونهم بالاتباع والامتثال • ثم لا يقصرون • ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز
ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له • واذا لم تأتهم بآية • من القرآن
او مما اقترحوه • قالوا لولا اجتبيتها • هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا
طلبتها من الله • قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي • لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها •
هذا بصائر من ربكم • هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب • وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون • سبق تفسيره • واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون
نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر
اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج
الصلوة واحتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف • واذكر ربك في نفسك •
عام في الاذكار كلها من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام

كما هو من هذا الشأن فيجيبه. تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا. ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص. بالغدو والآصال بأوقات الغدو والعشيات. وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل إذا دخل في الأصيل مطابق للغدو. ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله. إن الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الأعلى. لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه. وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته. عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار. وعنه عم من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الأنفال مدنية بسم الله الرحمن الرحيم • وهي ست وسبعون آية

يسألونك عن الأنفال أي الغنائم يعني حكمها وإنما سميت الغنيمة نفلا لأنها عطية من الله وفضل كما سمي به ما شرطه الإمام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه. قل الأنفال لله والرسول أي أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الأنصار وقيل شرط رسول الله لمن كان له غناء أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها فنزلت فقسمها رسول الله عم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الإمام أن يفي بما وعد وهو قول الشافعي رح وعن سعد بن أبي وقاص رض قال لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله عم فاستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله عم سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه. وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن فيها ويسألونك الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم. فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة. وأصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله والرسول. وأطيعوا الله ورسوله فيه إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يقتضي ذلك أو إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان بهذه الثلاثة طاعة الأوامر والاتقاء عن المعاصي وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان. إنما المؤمنون أي الكاملون في الإيمان الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت أي خافت. وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه. وعلى ربهم يتوكلون يفوضون إليه أمورهم ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون

اولئك

أولئك هم المؤمنون حقا لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف أو مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا. لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو مرتبة وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم. ومغفرة لما فرط منهم. ورزق كريم أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمده. كما أخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدإ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم إياها كحال إخراجك للحرب في كراهتهم له أو صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول أي الأنفال ثبتت لله والرسول عم مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لأنها مهاجره ومسكنه أو بيته فيها مع كراهتهم. وإن فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله عم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث ليال عاتكة بنت عبد المطلب أن ملكا نزل من السماء وأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة إلا أصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك أبا جهل فقال ما يرضى رجالهم أن يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة ومضى بهم إلى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله عم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد بإحدى الطائفتين إما العير وإما قريش فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنا خرجنا للعير فردد عليهم فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله عم فقام أبو بكر وعمر رض فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال فانظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما أمرك فإنا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله عم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة أنهم برآء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم فتخوف أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله فقال أجل قال إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم

وقيل انه لما فرغ من بدر قال له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح
فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره
بعضهم قوله • يجادلونك في الحق • في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه • بعد ما
تبين • انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول • كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون • اي يكرهون
القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم
اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم
ورعبهم • واذ يعدكم الله احدى الطائفتين • على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد
ابدل منها • انها لكم • بدل الاشتمال • وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم • يعني العير فانه لم يكن
فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعدتهم والشوكة الحدة
مستعارة من واحدة الشوك • ويريد الله ان يحق الحق • ان يثبته ويعليه • بكلماته • الموحى بها في هذه
الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته • ويقطع دابر الكافرين • ويستاصلهم والمعنى
انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما
يحصل لكم فوز الدارين • ليحق الحق ويبطل الباطل • اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة
ونصره عليها • ولو كره المجرمون • ذلك • اذ تستغيثون ربكم • بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله
ليحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب
انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه عم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه
وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك • فاستجاب لكم اني ممدكم • باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو
بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول • بالف من الملائكة مردفين •
متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين
او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي
متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها
واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر
على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه
التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم
واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها • وما جعله
الله • اي الامداد • الا بشرى • الا بشارة لكم بالنصر • ولتطمئن به قلوبكم • فيزول ما بها من الوجل
لقلتكم وذلتكم • وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم • وامداد الملائكة وكثرة العدد
والاهب ونحوهما وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه لفقدها • اذ يغشيكم
النعاس • بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل
او بجعل او باضمار اذكر وقرا نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على

هو الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع • امنة منه • امنا من الله وهو
مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة
فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل
النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم
فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا •
تهابك فهو نفار شرود • وقرئ امنة كرحمة وهي لغة • وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
من الحدث والجنابة • ويذهب عنكم رجز الشيطان • يعني الجنابة لانها من تخييله او وسوسته
وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء
وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف
تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم
رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته
وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام
وزالت الوسوسة • وليربط على قلوبكم • بالوثوق على لطف الله بهم • ويثبت به الاقدام •
اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة • اذ يوحي
ربك • بدل ثالث او متعلق بيثبت • الى الملائكة اني معكم • في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي
وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه • فثبتوا الذين آمنوا • بالبشارة وتكثير
سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله • سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب • كالتفسير لقوله
اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منعه جعل الخطاب في قوله فاضربوا للمؤمنين اما على
تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به
كانه قال قولوا لهم قولي هذا • فاضربوا فوق الاعناق • اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس
واضربوا منهم كل بنان • اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم • ذلك • اشارة الى الضرب
او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين • بانهم شاقوا الله ورسوله • بسبب مشاقتهم لهما
واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وهو الجانب • ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب • تقرير للتعليل او وعيد
بما اعد لهم في الاخرة بعدما حاق بهم في الدنيا • ذلكم • الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات
ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه • فذوقوه • او غيره مثل
باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة • وان للكافرين عذاب النار • عطف على ذلكم او نصب على
المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير
للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف •
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا • كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه
على الحال • فلا تولوهم الادبار • بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة
مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم

متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعاراً بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا. ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكائد الحرب. او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم. ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصابهما على الحال والا لغو لا عمل لها او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز. فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب. فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم. وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين. وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات. ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم. ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود ذلكم او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف. ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين. وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين. وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره عليكم. ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم. وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين

كان ذلك

كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد ذلك. يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة. وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق. ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع. وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون راسا. ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم. الصم عن الحق. البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله. ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم. ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول. وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي عليه السلام احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي. يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل لان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول. لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن. او مما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم. واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين القلب بالموت او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه. وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم. واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه

شذوذ لأن النون لا تدخل النفي في غير القسم أو للنهي على إرادة القول كقوله إذا جن الظلام
واختلط • جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط • وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن
اختلفا في المعنى ويحتمل أن يكون نهيا بعد الأمر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فإن وباله يصيب
الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الأول للتبعيض وعلى الأخيرين للتبيين وفائدته
التنبيه على أن الظلم منكم أقبح من غيركم • واعلموا أن الله شديد العقاب • واذكروا إذ أنتم قليل
مستضعفون في الأرض • أرض مكة تستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة
فإنهم كانوا أذلاء في أيدي فارس والروم • تخافون أن يتخطفكم الناس • كفار قريش أو من
عداهم فإنهم كانوا معادين مضادين لهم • فآواكم إلى المدينة • أو جعل لكم مأوى تتحصنون
به عن أعدائكم • وأيدكم بنصره • على الكفار أو بمظاهرة الأنصار أو بإمداد الملائكة يوم بدر •
ورزقكم من الطيبات • من الغنائم • لعلكم تشكرون • هذه النعم • يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله
والرسول • بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالغلول في الغنائم
روي أنه عليه السلام حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح إخوانهم
بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحاء من الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم
سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله في أيديهم
فبعثه إليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة
فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال
والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه
ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله هو
الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن
أنخلع من مالي فقال عليه السلام يجزئك الثلث أن تتصدق به وأصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام
واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه • وتخونوا أماناتكم • فيما بينكم • وهو مجزوم بالعطف
على الأول أو منصوب على الجواب بالواو • وأنتم تعلمون • أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن
من القبيح • واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة • لأنهم سبب الوقوع في الإثم أو العقاب
أو محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبي لبابة • وأن الله عنده أجر
عظيم • لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه • يا أيها
الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا • هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات
أو نجاة مما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم من قولهم بت أفعل كذا
حتى سطع الفرقان أي الصبح • ويكفر عنكم سيئاتكم • ويسترها • ويغفر لكم • ذنوبكم بالتجاوز
والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها
في أهل بدر وقد غفرهما الله لهم • والله ذو الفضل العظيم • تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى
تفضل منه وإحسان وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده إنعاما
على عمل • وإذ يمكر بك الذين كفروا • تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه

من مكرهم

من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر إذ يمكرون بك • ليثبتوك • بالوثاق والحبس أو الإثخان
بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك
من البيات • أو يقتلوك • بسيوفهم • أو يخرجوك • من مكة • وذلك أنهم لما سمعوا
بإسلام الأنصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل
عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن
تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير
كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم
من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم
فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى
أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإن طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى
فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليه السلام وأخبره وأمره بالهجرة فبيت عليا في مضجعه
وخرج مع أبي بكر إلى الغار • ويمكرون ويمكر الله • برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة
الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا • والله خير
الماكرين • إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره وإسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقها
ابتداء لما فيه من إيهام الذم • وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا
هو قول النضر بن الحارث وإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان قاصهم
أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك
فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا
سوره مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان • إن هذا إلا أساطير
الأولين • ما سطره الأولون من القصص • وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم • هذا أيضا من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود
روي أنه لما قال النضر إن هذا إلا أساطير الأولين قال له النبي عليه السلام ويلك إنه كلام الله فقال ذلك
والمعنى إن كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره أو ائتنا بعذاب
أليم سواه والمراد منه التهكم وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع
على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقا بالوجه
الذي يدعيه النبي عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل
كأساطير الأولين • وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم • وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون •
بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة
على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد
باستغفارهم إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا
لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون • وما لهم أن لا يعذبهم الله
• وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون • وهم يصدون عن المسجد

وما لهم ذلك ومن صدهم عن المسجد الحرام الجاء رسول الله عم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية • وما كانوا اولياءه • مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء • ان اولياؤه الا المتقون • من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله • ولكن اكثرهم لا يعلمون • ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم • وما كان صلاتهم عند البيت • اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها • الا مكاء • صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا • وتصدية • تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي عم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا • فذوقوا العذاب • يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم • بما كنتم تكفرون • اعتقادا وعملا • ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله • نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله • فسينفقونها • بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد • ثم تكون عليهم حسرة • ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة • ثم يغلبون • آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك • والذين كفروا • اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم • الى جهنم يحشرون • يساقون • ليميز الله الخبيث من الطيب • الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله عم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز • ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا • فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه • فيجعله في جهنم • كله • اولئك • اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين • هم الخاسرون • الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم • قل للذين كفروا • يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم • ان ينتهوا • عن معاداة الرسول عم بالدخول في الاسلام • يغفر لهم ما قد سلف • من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى • وان يعودوا • الى قتاله • فقد مضت سنت الاولين • الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك • وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة • لا يوجد فيهم شرك • ويكون الدين كله لله • وتضمحل عنهم الاديان الباطلة

فان انتهوا

١٥٧

فان انتهوا عن الكفر • فان الله بما يعملون بصير • فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب • وان تولوا • ولم ينتهوا • فاعلموا ان الله مولاكم • ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم • نعم المولى • لا يضيع من تولاه • ونعم النصير • لا يغلب من نصره • واعلموا انما غنمتم • اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا • من شيء • مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط • فان لله خمسه • مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين • وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل • فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول عم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعن مالك ان الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عم كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عم وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عم قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة • ان كنتم آمنتم بالله • متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل • وما انزلنا على عبدنا • محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين • يوم الفرقان • يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل • يوم التقى الجمعان • المسلمون والكافرون • والله على كل شيء قدير • فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة • اذ انتم بالعدوة الدنيا • بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب • وهم بالعدوة القصوى • البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا • والركب • اي العير او قوادها •

[illegible]

اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة
حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة
عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين
والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا
كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة
القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم
القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر
عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا
ايمانا وشكرا ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا
حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش
عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر
كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد
بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك
بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل
وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال
الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل
ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهي
ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم
ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة
من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ
يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم
في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا
لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم
في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم
لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان
قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور
ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله
امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه
المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها
الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء
مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي

ان لا يشغله

ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ
البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك
قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها
ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا
بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله
مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين
خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة
وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال
ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا
من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين
ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان
النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا
في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط
فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها
بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية
انه ألقى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم
واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى
الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك
لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه
رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله
المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة
وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم الشيطان بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب
لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن
هشام فقال له الحارث اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر
الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال
والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل
ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون
الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله
شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حتى تعرضوا لما لا يدي

لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ومن يتوكل على الله جواب لهم
فإن الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده
العقل ويعجز عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت فإن لو تجعل المضارع ماضيا عكس إن
إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر وإذ ظرف ترى والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة
أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل
ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني
فيه بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين
وأدبارهم ظهورهم ولعل المراد تعميم الضرب أي يضربون ما أقبل منهم وما أدبر وذوقوا
عذاب الحريق عطف على يضربون بإضمار القول أي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع
الأمر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت أيديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي
وهو خبر لذلك وأن الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة
بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم
فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب
وظلام للتكثير لأجل العبيد كدأب آل فرعون أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو
عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله
تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم كما أخذ هؤلاء إن الله قوي شديد العقاب لا يغلبه
في دفعه شيء ذلك إشارة إلى ما حل بهم بأن الله بسبب أن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم
مبدلا إياها بالنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ كتغيير قريش
حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي
في إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث وليس
السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته
تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين
ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وأن الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب
آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون تكرير
للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما أخذ به آل فرعون
وقيل الأول لتشبيه الكفر والأخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم
وكل من الفرق المكذبة أو من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر
والمعاصي إن شر الدواب عند الله الذين كفروا أصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون
فلا يتوقع منهم إيمان ولعله إخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء
للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم
يهود قريظة عاهدهم رسول الله أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا

نسينا

نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوا عليه يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم
ومن لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة وهم لا يتقون
سبة الغدر ومغبته أو لا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فإما تثقفنهم
فإما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم
والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب
وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فإنه إذا شرد
من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون وإما
تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بأمارات تلوح لك فانبذ إليهم فاطرح
إليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب
فإنه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال
من النابذ على الوجه الأول أي ثابتا على طريق سوي أو منه أو من المنبوذ إليهم أو منهما
على غيره وقوله إن الله لا يحب الخائنين تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال
المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا يحسبن خطاب للنبي وقوله الذين كفروا
سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد
أو من خلفهم أو الذين كفروا والمفعول الأول أنفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير أن
سبقوا وهو ضعيف لأن أن المصدرية كالموصول فلا يحذف أو على إيقاع الفعل على إنهم
لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر ولا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين
والأظهر أنه تعليل للنهي أي لا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا لأنهم لا يفوتون الله أو لا يجدون
طالبهم عاجزا عن إدراكهم وكذا إن كسرت إلا أنه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل
الآية إزاحة لما يحذر به من نبذ العهد وإيقاظ العدو وقيل نزلت فيمن أفلت من فل المشركين
وأعدوا أيها المؤمنون لهم لناقضي العهد أو الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما
يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا
ولعله عليه السلام خصه بالذكر لأنه أقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله
فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا أو
جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء ويكون جمع رباط وعطفها
على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب
بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للإعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين
من دونهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
بأعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم جزاؤه وأنتم
لا تظلمون بتضييع العمل أو نقص الثواب وإن جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى
باللام وإلى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم
وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك
من أنفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من إبطانهم خداعا

قال الله يعصمكم من مكرهم ويحيقه بهم • انه هو السميع • لاقوالهم • العليم • بنياتهم والاية
مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف • وان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبك الله • فان محسبك الله وكافيك قال جرير انى وجدت من المكارم
حسبكم • ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا • هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا • والف بين قلوبهم
مع ما فيهم من العصبية والضغينة فى ادنى شىء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد
يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته عم وبيانه • لو انفقت
ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم • اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق
فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح
ولكن الله الف بينهم • بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء
انه عزيز • تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده • حكيم • يعلم انه كيف
ينبغى ان يفعل ما يريده • وقيل الاية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد
لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى
تصافوا وصاروا انصارا • يا ايها النبى حسبك الله • كافيك • ومن اتبعك من المؤمنين
اما فى محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند • اذا كانت
الهيجاء وانشقت العصا • او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع
عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر
وقيل اسلم مع النبى عم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك
قال ابن عباس نزلت فى اسلامه • يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال • بالغ
فى حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص
من الحرص • ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا
الفا من الذين كفروا • شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا
غلبوا بعون الله وتاييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الايتين ووافقهم
البصريان فى وان تكن منكم مائة • بانهم قوم لا يفقهون • بسبب انهم جهلة بالله واليوم
الاخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون
من الله الا الهوان والخذلان • الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله • لما اوجب
على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد
الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد
بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن
وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم
وحمزة والضم وهو قراءة الباقين • والله مع الصابرين • بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون
ما كان لنبى وقرئ للنبى على العهد • ان يكون له اسرى • وقرأ البصريان بالتاء • حتى
يثخن فى الارض • يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى

اهله

اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة • تريدون عرض
الدنيا • حطامها باخذكم الفداء • والله يريد الاخرة • يريد لكم ثواب الاخرة او سبب نيل الاخرة
من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرء تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا • والله عزيز • يغلب اولياءه على اعدائه • حكيم • يعلم ما يليق بكل حال
ويخصصها بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن
لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عم اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس
وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ
منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله
اغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم
فلم يهو ذلك رسول الله عم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وليشدد
قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعنى فانه منى
ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله عم فاذا هو وابو بكر يبكيان
فقال يا رسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابك على اصحابك فى اخذهم
الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبياء
يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه • لولا كتاب من الله سبق • لولا حكم
من الله سبق اثباته فى اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ فى اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر
او قوما بما لم يصرح لهم بالنهى عنه او ان الفدية التى اخذوها ستحل لهم • لمسكم • لنالكم
فيما اخذتم من الفداء • عذاب عظيم • روى انه عم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر
وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان • فكلوا مما غنمتم • من الفدية فانها
من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره
ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة • حلالا
حال من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع فى نفوسهم
منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا • واتقوا الله
فى مخالفته • ان الله غفور • غفر لكم ذنبكم • رحيم • اباح لكم ما اخذتم • يا ايها النبى قل لمن
فى ايديكم من الاسرى • وقرأ ابو عمرو من الاسارى • ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا • ايمانا واخلاصا
يؤتكم خيرا مما اخذ منكم • من الفداء روى انها نزلت فى العباس كلفه رسول الله عم ان يفدى
نفسه وابنى اخيه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا
ما بقيت فقال فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها
لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم
فقال فما يدريك قال اخبرنى به ربى فقال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله
لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل فقال العباس فابدلنى الله خيرا
من ذلك لى الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب ان لى

بها جميع أموال أهل مكة وأنا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله
غفور رحيم وإن يريدوا يعني الأسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله
بالكفر ونقض ميثاق المأخوذ بالعقل من قبل فأمكن منهم أي فأمكنك منهم كما فعل
يوم بدر فإن أعادوا الخيانة فيمكنك منهم والله عليم حكيم إن الذين آمنوا وهاجروا
هم المهاجرون هاجروا أوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا بأموالهم فصرفوها في الكراع
والسلاح وأنفقوها على المحاويج وأنفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين
آووا ونصروا هم الأنصار آووا المهاجرين إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم أولئك
بعضهم أولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة
دون الأقارب حتى نسخ بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض أو بالنصرة والمظاهرة
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا أي من توليهم في الميراث
وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والإمارة كأنه بتوليه
صاحبه يزاول عملا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر فوجب عليكم أن تنصروهم على
المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فإنه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله
بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض في الميراث أو المؤازرة وهو بمفهومه يدل
على منع التوارث أو المؤازرة بينهم وبين المسلمين إلا تفعلوه إلا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم
وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الأرض
تحصل فتنة فيها عظيمة وهو ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدارين وقرئ كثير
والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا
لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين في الإيمان منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه
من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم
لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار
وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في التوارث من الأجانب في كتاب الله في حكمه أو في اللوح
أو في القرآن واستدل به على توريث ذوي الأرحام إن الله بكل شيء عليم من المواريث
والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة أولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته

سورة براءة مدنية وقيل إلا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزل ولها أسماء

أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة
من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم
وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وإنما تركت
التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان وبسم الله أمان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة أو آية

بين موضعها

بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال وتناسبها
لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت إليها وقيل لما اختلفت في أنهما سورة
واحدة هي سابعة السبع الطول أو سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة
من الله ورسوله أي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة
من الله ورسوله ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم
من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى أن الله ورسوله بريئان من العهد
الذي عاهدتم به المشركين وإنما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين
للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله واتفاق
الرسول فإنهما برئا منها وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا إلا ناسا منهم بني ضمرة
وبني كنانة فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاءوا
فقال فسيحوا في الأرض أربعة أشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لأنها نزلت
في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر
لأن التبليغ كان يوم النحر لما روي أنها لما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا راكب العضباء
ليقرأها على أهل الموسم وكان قد بعث أبا بكر أميرا على الموسم فقيل لو بعثت إلى أبي بكر فقال لا يؤدي
عني إلا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن
مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم
فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد
عهده ولعل قوله لا يؤدي عني إلا رجل مني ليس على العموم فإنه صلى الله عليه وسلم بعث لأن يؤدي عنه كثيرا
لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فإن عادة العرب أن لا يتولى العهد ونقضه على القبائل
إلا رجل منها ويدل عليه أنه في بعض الروايات لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي
واعلموا أنكم غير معجزي الله لا تفوتونه وإن أمهلكم وأن الله مخزي الكافرين بالقتل والأسر
في الدنيا والعذاب في الآخرة وأذان من الله ورسوله إلى الناس أي إعلام فعال بمعنى
الإفعال كالأمان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الأكبر يوم العيد
لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روي أنه عليه الصلاة والسلام
وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وقيل يوم عرفة
لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك
اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق
عيده أعياد أهل الكتاب أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين أن الله أي بأن الله
بريء من المشركين أي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء أو على محل
أن واسمها في قراءة من كسرها إجراء للأذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم
أن أو لأن الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فإن قوله براءة من الله إخبار بثبوت البراءة وهذه

اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم
من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي
عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه
هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم
من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد
الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه
او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا
اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل
وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ
خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها
وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع
فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين
الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير
واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد
كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم
ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى
سبيلهم ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم
ما سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المأمورين بالتعرض لهم
استجارك استأمنك وطلب منك جوارك فاجره فأمنه حتى يسمع كلام الله
ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد
رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك
الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد
من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا يضمروا نكثه مع وغر صدورهم
او لان يفي الله ورسوله [illegible] بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم
للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف
على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون
قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع
اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم
عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين
سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة

وحذف الفعل للعلم به كما في قوله خبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وكثيب
اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا
فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام
وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به
اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية
والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري
بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرائل وجبرئل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله
يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم
مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون
ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال
واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم
ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة
تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر
احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا
وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته
بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما
كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير
لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب
الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما
عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين
او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان
والوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا
ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك
ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين
فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل واظهار الياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان
لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث
عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها
ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرئ لا ايمان لهم بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث
به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى نفي الوثوق او لا يؤمنون
على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا
اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين

ألا تقاتلون قوما تحريض على القتال لأن الهمزة دخلت على النفي للإنكار فأفادت المبالغة
في الفعل نكثوا أيمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بني بكر على خزاعة وهموا بإخراج الرسول حين تشاوروا في أمره بدار الندوة على ما ذكر
في قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة
وهم بدءوكم أول مرة بالمعاداة والمقاتلة لأنه عم بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة
بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته إلى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم
وتصادموهم أتخشونهم أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم فالله أحق أن تخشوه
فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا أمره إن كنتم مؤمنين فإن قضية الإيمان أن لا يخشى إلا منه
قاتلوهم أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله
بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم إن قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم و
إذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا
مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا إلى رسول الله عم فقال أبشروا فإن الفرج
قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله
على من يشاء ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضا وقرئ ويتوب
بالنصب على إضمار أن على أنه من جملة ما أجيب به الأمر فإن القتال كما تسبب لتعذيب قوم
تسبب لتوبة آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم إلا على
وفق الحكمة أم حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وأراد نفي المعلوم للمبالغة فإنه
كالبرهان عليه من حيث أن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا
وداخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم
ويفشون إليهم أسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على أن تبين ذلك متوقع والله خبير
بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين
ما صح لهم أن يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد
وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو
ويعقوب بالتوحيد شاهدين على أنفسهم بالكفر بإظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال
من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي
أنه لما أسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي في القول فقال تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
فنزلت أولئك حبطت أعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون
لأجله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة
أي إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها
بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم
تبن له

تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عم قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها
عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وإنما لم يذكر
الإيمان بالرسول لما علم أن الإيمان بالله قرينه وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله وأقام الصلوة
وآتى الزكوة عليه ولم يخش إلا الله أي في أبواب الدين فإن الخشية عن المحاذير جبلية
لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع
قطعا لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بأنهم
مهتدون فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما
ظنك بأضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلوا عليها أجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من إضمار تقديره أجعلتم
أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الأول قراءة
من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين
وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله
والله لا يهدي القوم الظالمين أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عم
منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب
وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تجتمع
فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون بالثواب
ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها
نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين
والتعريف خالدين فيها أبدا أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل
إن الله عنده أجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله أو نعم الدنيا يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة
قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين
وقيل نزلت نهيا عن الموالاة للذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم أولياء
يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن استحبوا الكفر على الإيمان إن اختاروه
وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل
من العشرة فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر عشيراتكم
وقرئ عشائركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت
نفاقها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري
دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بأمره جواب
ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين

لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر
في أيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع إبدال إذ أعجبتكم
كثرتكم منه أن يعطف على موضع في مواطن فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه
المعطوف حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في المواطن وحنين واد بين مكة والطائف
حارب فيه رسول الله والمسلمون وكانوا اثني عشر ألفا العشرة الذين حضروا مكة والفان
انضموا إليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي
أو أبو بكر أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة إعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا
شديدا فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة
وبقي رسول الله في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه أبو سفيان بن الحارث
وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس
فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا
يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال هذا حين حمي
الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم
أي الكثرة شيئا من الإغناء أو من أمر العدو وضاقت عليكم الأرض بما رحبت برحبها
أي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب أو لا تثبتون فيها
كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والإدبار الذهاب
إلى خلف خلاف الإقبال ثم أنزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا
على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وإعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما
وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وأنزل جنودا لم تروها بأعينكم يعني
الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر على اختلاف الأقوال وعذب
الذين كفروا بالقتل والأسر والسبي وذلك جزاء الكافرين أي ما فعل بهم
جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للإسلام
والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي أن ناسا منهم جاءوا إلى رسول
الله وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبي أهلونا وأولادنا
وأخذت أموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى
فقال اختاروا إما سباياكم وإما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال إن هؤلاء جاءوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري
والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه
ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا
وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا فرفعوا أنهم قد رضوا
يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس لخبث باطنهم أو لأنه يجب أن يجتنب
عنهم كما يجتنب عن الأنجاس أو لأنهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم

ملابسون لها غالبا وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس أن أعيانهم
نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد وأكثر ما جاء تابعا لرجس
فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وإنما نهى عن الاقتراب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم وقيل
المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا وإليه ذهب أبو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد
على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة
براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وإن خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع
ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والأرفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه أو تفضله
بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدرارا ووفق أهل تبالة وجرش فأسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض وقرئ
عائلة على أنها مصدر كالعافية أو حال إن شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال إلى الله ولينبه
على أنه متفضل في ذلك وأن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام إن الله
عليم بأحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
أي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في أول البقرة فإن إيمانهم كلا إيمان ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى أنهم يخالفون
أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان
ومبطلها من الذين أوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم أن
يعطوه مشتق من جزى دينه إذا قضاه عن يد حال من الضمير في يعطوا أي عن يد مواتية بمعنى منقادين
أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك
قيل لا تؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أو من الجزية نقدا مسلمة عن يد
إلى يد أو عن إنعام عليهم فإن إبقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون أذلاء وعن
ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية بأهل
الكتاب ويؤيده أن عمر لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف أنه عليه السلام أخذها
من مجوس هجر وأنه قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب وذلك لأن لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين
وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند أبي حنيفة تؤخذ منهم إلا من مشركي العرب
لما روى الزهري أنه عليه السلام صالح عبدة الأوثان إلا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر
إلا المرتد وأقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال أبو حنيفة على الغني ثمانية وأربعون
درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب وقالت اليهود
عزير ابن الله إنما قاله بعضهم من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة وإنما قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم
بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة
حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا إلا لأنه ابن الله والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية
قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير
بالتنوين على أنه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الأخرى إما لمنع صرفه للعجمة
والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين أو لأن الابن وصف والخبر محذوف مثل

معبودا او صاحبا وهو من تعنتهم لانه يؤدي الى تسليم النسخ وانكار الخبر المتواتر • وقالت
النصارى المسيح ابن الله • هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان
يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها • ذلك قولهم بافواههم
اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل
للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان • يضاهئون قول الذين كفروا
اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه • من قبل • اي من قبلهم
والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او
اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرئ به عاصم ومنه قولهم
امرأة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض • قاتلهم الله • دعاء عليهم بالاهلاك
فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم • انى يؤفكون • كيف يصرفون عن الحق الى الباطل
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله • بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم
او بالسجود لهم • والمسيح ابن مريم • بان جعلوه ابنا لله • وما امروا • اي وما امر المتخذون او المتخذون
اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ • الا ليعبدوا • ليطيعوا • الها واحدا • وهو الله تعالى واما
طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله • لا اله الا هو • صفة ثانية او
استئناف مقرر للتوحيد • سبحانه عما يشركون • تنزيه له عن ان يكون له شريك • يريدون ان يطفئوا
يخمدوا • نور الله • حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عم • بافواههم
بشركهم او تكذيبهم • ويأبى الله • اي لا يرضى • الا ان يتم نوره • باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام
وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد عم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث
في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي
ولو كره الكافرون • محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه • هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله • كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون
غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير
في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها
فيخذلهم • يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها
بالرشى في الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه • ويصدون عن سبيل الله • دينه
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله • يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان
فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه
ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل
كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله عم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم
وقوله عم ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق
فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها
لقوله عم فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها
الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره • فبشرهم بعذاب اليم

يوم يحمى

هو الكي بها • يوم يحمى عليها في نار جهنم • اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها
واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار
والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها
والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها
نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان
الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول وقيل للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة
حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم • فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم • لان
جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية
او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء
الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها
اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه • هذا ما كنزتم • على ارادة
القول • لانفسكم • لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها • فذوقوا ما كنتم تكنزون
اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون • ان عدة الشهور • اي مبلغ
عددها • عند الله • معمول عدة لانها مصدر • اثنا عشر شهرا في كتاب الله • في اللوح المحفوظ
او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله • يوم خلق السموات والارض • متعلق بما فيه
من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق
الله الاجرام والازمنة • منها اربعة حرم • واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم • ذلك الدين القيم • اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما • فلا تظلموا فيهن انفسكم • بهتك حرمتها
وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه
اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم
والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عم حاصر الطائف وغزا هوازن
بحنين في شوال وذي القعدة • وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة • جميعا وهي
مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال • واعلموا ان الله
مع المتقين • بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم • انما النسيء • اي تأخير حرمة الشهر
الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا
خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء
وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلثتها مصادر نساه
اذا اخره • زيادة في الكفر • لانه تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم •
يضل به الذين كفروا • ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول
وعن يعقوب يضل على ان الفاعل هو الله • يحلونه عاما • يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة
ويحرمون مكانه شهرا آخر • ويحرمونه عاما • فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة
بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه

ثم ينادي في القابل ان الله قد حرم عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال
او حال • ليواطئوا عدة ما حرم الله • اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحلونه
او بما دل عليه مجموع الفعلين • فيحلوا ما حرم الله • بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة
الوقت • زين لهم سوء اعمالهم • وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم
حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا • والله لا يهدي القوم الكافرين • هداية موصلة الى الاهتداء
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم • تباطأتم وقرئ
تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ • الى الارض • متعلق به كأنه ضمن
معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف
في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم • ارضيتم بالحياة الدنيا
وغرورها • من الآخرة • بدل الآخرة ونعيمها • فما متاع الحياة الدنيا • فما التمتع بها
في الآخرة • في جنب الآخرة • الا قليل • مستحقر • الا تنفروا • ان لا تنفروا الى ما استنفرتم
اليه • يعذبكم عذابا اليما • بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو • ويستبدل قوما
غيركم • ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس • ولا تضروه شيئا •
اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شي • قدير •
فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال • الا تنصروه فقد نصره الله
اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره • اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين • ولم يكن معه
الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب
له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة
لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له في الخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة
من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال • اذ هما في الغار • بدل
من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل
في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا • اذ يقول • بدل ثان او ظرف لثاني • لصاحبه
وهو ابو بكر • لا تحزن ان الله معنا • بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار
فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار
فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه • فانزل الله سكينته • امنته التي تسكن عندها القلوب • عليه •
على النبي صلى الله عليه وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا • وايده بجنود لم تروها •
يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين
فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله • وجعل كلمة الذين كفروا السفلى • يعني الشرك او دعوة الكفر
وكلمة الله هي العليا • يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول
عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن
او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع
ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا

ولذلك وسط الفصل • والله عزيز حكيم • في امره وتدبيره • انفروا خفافا • لنشاطكم
وثقالا • عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا
من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال
نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج • وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله • بما امكن
لكم منهما كليهما او احدهما • ذلكم خير لكم • من تركه • ان كنتم تعلمون • الخير علمتم انه خير
او ان كنتم تعلمون انه خير اذا اخبر الله به صدقتموه فبادروا اليه • لو كان عرضا قريبا •
اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ • وسفرا قاصدا • متوسطا •
لاتبعوك • لوافقوك • ولكن بعدت عليهم الشقة • المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ
بكسر العين والشين • وسيحلفون بالله • اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين
يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها
لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة • لخرجنا معكم • ساد مسد جوابي القسم والشرط
وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه • يهلكون انفسهم • بايقاعها في العذاب
وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله
والله يعلم انهم لكاذبون • في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج • عفا الله عنك •
كناية عن خطائه فان العفو من روادفه • لم اذنت لهم • بيان لما كنى عنه بالعفو
والمعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب
وهلا توقفت • حتى يتبين لك الذين صدقوا • في الاعتذار • وتعلم الكاذبين • فيه قيل انما
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله تعالى عليهما
لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم • اي ليس
من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا
يتوقفون على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك في التخلف عنه او ان يستأذنوك في
التخلف كراهة ان يجاهدوا • والله عليم بالمتقين • شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه
انما يستأذنك • في التخلف • الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر • تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر
في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدمه الايمان بهما • وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون • يتحيرون • ولو ارادوا الخروج لاعدوا له • للخروج • عدة •
اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واقام الصلاة وعده
بكسر العين باضافة وغيرها • ولكن كره الله انبعاثهم • استدراك عن مفهوم قوله
ولو ارادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم
للخروج • فثبطهم • فحبسهم بالجبن والكسل • وقيل اقعدوا مع القاعدين • تمثيل لالقاء
الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض
او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم
لو خرجوا فيكم ما زادوكم • بخروجهم شيئا • الا خبالا • فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك
ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا لزاد ولان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه

ولذا جعل بعض النحويين الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا •
ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل
من وضع البعير وضعا اذا اسرع • يبغونكم الفتنة • يريدون ان يفتنوكم بايقاع
الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا • وفيكم سماعون لهم
ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم • والله
عليم بالظالمين • فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم • لقد ابتغوا الفتنة • تشتيت امرك وتفريق
اصحابك • من قبل • يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا
مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد • وقلبوا لك
الامور • ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك • حتى جاء
الحق • النصر والتأييد الالهي • وظهر امر الله • وعلا دينه • وهم كارهون • اي على رغم منهم
والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله
وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا
لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه • ومنهم من يقول ائذن لي •
في القعود • ولا تفتني • ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تاذن
لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال
والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس
قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي
فاتركني • الا في الفتنة سقطوا • اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه • وان جهنم لمحيطة بالكافرين • جامعة لهم يوم القيامة
او الآن لاحاطة اسبابها بهم • ان تصبك • في بعض غزواتك • حسنة • ظفر وغنيمة • تسؤهم •
وان تصبك • في بعضها • مصيبة • كسر او شدة كما اصاب يوم احد • يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل • تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في التخلف • ويتولوا • عن مجمع تحدثهم
بذلك او عن الرسول • وهم فرحون • مسرورون • قل لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا • الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا
في اللوح لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو
من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب
لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب • هو مولانا • ناصرنا ومتولي امورنا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون • لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره • قل هل تربصون
بنا • تنتظرون بنا • الا احدى الحسنيين • الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى
العواقب النصرة والشهادة • ونحن نتربص بكم • ايضا احدى السوأيين • ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده • بقارعة من السماء • او بايدينا • او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر
فتربصوا • ما هو عاقبتنا • انا معكم متربصون • ما هو عاقبتكم • قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم • امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته

المبالغة

المبالغة في تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا فينظروا
هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا ياخذ
منهم وان لا يثيبهم عليه • وقوله • انكم كنتم قوما فاسقين • تعليل له على سبيل الاستئناف
وما بعده بيان وتقرير له • وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله •
اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث
النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله • ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى • متثاقلين
ولا ينفقون الا وهم كارهون • لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم • فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال • انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا • بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها
من الشدائد والمصائب • وتزهق انفسهم وهم كافرون • فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع
عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة • ويحلفون
بالله انهم لمنكم • لمن جملة المسلمين • وما هم منكم • لكفر قلوبهم • ولكنهم قوم يفرقون • يخافون منكم
ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية • لو يجدون ملجأ • حصنا
يلجؤون اليه • او مغارات • غيرانا • او مدخلا • نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ
يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا
من تدخل واندخل • لولوا اليه • لاقبلوا نحوه • وهم يجمحون • يسرعون اسراعا لا يردهم
شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة • ومنهم من يلمزك • يعيبك وقرأ
ابن كثير يلامزك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم • في الصدقات • في قسمها • فان اعطوا منها
رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون • قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا
ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن
ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف
قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل
فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية • ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله •
ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعله الرسول
كان بامره • وقالوا حسبنا الله • كفانا فضله • سيؤتينا الله من فضله • صدقة او غنيمة
اخرى • ورسوله • فيؤتينا اكثر مما آتانا • انا الى الله راغبون • في ان يغنينا من فضله والآية
باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا
وتحقيقا لما فعله الرسول فقال • انما الصدقات للفقراء والمساكين • اي الزكوات لهؤلاء
المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللام انهم في قسم الزكوة دون غيرهم
والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له
مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت
لمساكين وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة •
والعاملين عليها • الساعين في تحصيلها وجمعها • والمؤلفة قلوبهم • قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة

في تضالف قلوبهم او لاستراق يرق باعطائهم ورعاياهم اسلام نظرائهم وقد
اعطى رسول الله عليه السلام عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس
لذلك وقيل اشراف يستالف بهم على قتال الكفار فانه عليه السلام كان يعطيهم والاصح انه
كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها
على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما
اعزه الله واكثر اهله سقط • وفي الرقاب وفي فك الرقاب بان يعاون
المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك
واحمد او بان تفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق
للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها • والغارمين والمديونين لانفسهم في غير
معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله
لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله او
لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها • وفي
سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح
وقيل وفي بناء القناطر والمصانع • وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله • فريضة
من الله مصدر لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة وحال من الضمير المستكن
في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة • والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها
وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف
الى كل صنف منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن
عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد
وبه قال الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله
على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم • ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة
كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له
فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما
شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول • قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا
على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله • يؤمن
بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة • ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم
واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان • ورحمة
اي وهو رحمة • للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه
على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة
بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم
رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه • يحلفون بالله لكم على معاذيرهم

فيما قالوا

فيما قالوا او عملوا • ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين • والله ورسوله
احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين
او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول
كذلك • ان كانوا مؤمنين صدقا • الم يعلموا انه اي ان الشأن وقرئ بالتاء • من يحادد
الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة من الحد • فان له نار جهنم خالدا فيها • على حذف الخبر
اي فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا
تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر • ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك
الدائم • يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم • وتهتك عليهم استارهم
ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج
عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول
بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله
قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر • ما تحذرون من انزال السورة فيكم
او ما تحذرون اظهاره من مساويكم • ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي
ان ركب المنافقين مروا على رسول الله في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد
ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم
كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما
يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر • قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون
توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم
الكاذب • لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب • قد كفرتم قد اظهرتم
الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه • بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان • ان نعف
عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء • نعذب طائفة
بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ
عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء
والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة • المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد
وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل
عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله • يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة • ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية
عن الشح • نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته • فنسيهم فتركهم من لطفه
وفضله • ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفساد والفسوق عن دائرة
الخير • وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود
هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها • ولعنهم الله ابعدهم من رحمته
واهانهم • ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق •

كالذين من قبلكم أي أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة
وأكثر أموالا وأولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فإنه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة
من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية
تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم وخضتم كالذي خاضوا كالذين خاضوا أو
كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة
لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين وأولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة ألم
يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح أغرقوا بالطوفان وعاد أهلكوا بالريح وثمود
أهلكوا بالرجفة وقوم إبراهيم أهلك نمرود ببعوضة وأهلكوا أصحابه وأصحاب مدين
وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط
ائتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات
المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر أتتهم رسلهم يعني الكل
بالبينات فما كان الله ليظلمهم أي لم يك من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر
الأمور أولئك سيرحمهم الله لا محالة فإن السين مؤكدة للوقوع إن الله عزيز غالب
على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الأشياء مواضعها وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس
أو يطيب فيها العيش وفي الحديث إنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر
في جنات عدن إقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك ومرجع
العطف فيها يحتمل أن يكون إلى تعدد الموعود لكل واحد أو للجميع على سبيل التوزيع أو
إلى تغاير وصفه وكأنه وصفه أولا بأنه من جنس ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل
إليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب
الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها أماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ثم
وصفه بأنه دار إقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم
بما هو أكبر من ذلك فقال ورضوان من الله أكبر لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي
إلى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلام إن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون
ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك فقالوا
وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا ذلك أي الرضوان
أو جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا أيها النبي

جاهد

جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بإلزام الحجة وإقامة الحدود واغلظ عليهم
في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا
روي أنه عليه السلام أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس
بن سويد لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره
فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسن توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد إسلامهم وأظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول
وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى
الوادي إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة
خلفها يسوقها فبيناهما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة
السلاح فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا أو إخراجهم وإخراج المؤمنين من المدينة
أو بأن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله وما نقموا وما أنكروا وما عابوا أو
ما يورث نقمتهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن أكثر أهل المدينة كانوا
محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله عليه السلام أثروا بالغنائم وقتل للجلاس
مولى فأمر رسول الله عليه السلام بديته اثني عشر ألف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ
عن أعم المفاعيل أو العلل فإن يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير
في يك للتوب وإن يتولوا بالإصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة
بالقتل والنار وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي عليه السلام
وقال ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا
تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه
فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع
عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله عليه السلام فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح
ثعلبة فبعث مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه
الصدقة وأقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية
فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل منك
فجعل التراب على رأسه فقال عليه السلام هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول
الله عليه السلام فجاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن
عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به ومنعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الإعراض عنها فأعقبهم نفاقا في قلوبهم أي فجعل الله عاقبة فعلهم
ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم البخل
نفاقا متمكنا في قلوبهم إلى يوم يلقونه يلقون الله بالموت أو يلقون عمله أي جزاءه
وهو يوم القيامة بما أخلفوا الله ما وعدوه بسبب إخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح
وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فإن خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين

او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد ألم يعلموا أي المنافقون أو من عاهد الله
وقرئ بالتاء على الالتفات أن الله يعلم سرهم ما أسروه في أنفسهم من النفاق أو العزم
على الإخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية
وأن الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع أو منصوب
أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات
روي أنه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال
كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت
إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة
وسق تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله أن ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين
عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين
لا يجدون إلا جهدهم إلا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الأمر إذا بالغ
فيه فيسخرون منهم يستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله
يستهزئ بهم ولهم عذاب أليم على كفرهم استغفر لهم أو لا تستغفر لهم يريد به التساوي
بين الأمرين في عدم الإفادة لهم كما نص عليه بقوله إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله في مرض
أبيه أن يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلام لأزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت
لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لأنه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه
الأصل فجوز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له أن المراد به التكثير دون
التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال
السبعة على جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله
إشارة إلى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك
بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين
في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فإن مغفرة الكافر بالإقلاع عن الكفر والإرشاد
إلى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول
في استغفاره وهو عدم يأسه من إيمانهم ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والممنوع
هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا
أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
بقعودهم عن الغزو خلفه يقال أقام خلاف الحي أي بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة
فيكون انتصابه على العلة أو الحال وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل
الله إيثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضوانه

ببذل

ببذل الأموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر أي قال بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين
تثبيطا قل نار جهنم أشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون أن مآبهم
إليها أو أنها كيف هي ما اختاروها بإيثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة أخرجه على صيغة الأمر
للدلالة على أنه حتم واجب ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد
من القلة العدم فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فإن ردك الله إلى المدينة وفيها طائفة
من المتخلفين يعني منافقيهم فإن كلهم لم يكونوا منافقين أو من بقي منهم وكان المتخلفون اثني
عشر رجلا فاستأذنوك للخروج إلى غزوة أخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي أبدا
ولن تقاتلوا معي عدوا إخبار في معنى النهي للمبالغة إنكم رضيتم بالقعود أول مرة
تعليل له وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأول مرة هي الخرجة إلى
غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين أي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان
وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا روي أن ابن أبي
دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده
ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه
ثم نزلت وإنما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لأن الضنة بالقميص كان
مخلا بالكرم ولأنه كان مكافأة لإلباسه العباس قميصه حين أسر ببدر والمراد من الصلاة
الدعاء للميت والاستغفار وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات أبدا
يعني الموت على الكفر فإن إحياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي ولا تقم على قبره
ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
تعليل للنهي أو لتأبيد الموت ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم
بها في الدنيا والآخرة وتزهق أنفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والأمر حقيق به
فإن الأبصار طامحة إلى الأموال والأولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز أن تكون
هذه في فريق غير الأول وإذا أنزلت سورة من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها أن آمنوا
بالله بأن آمنوا بالله ويجوز أن تكون أن المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك
أولو الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا
لعذر رضوا بأن يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي
لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة
وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم
أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم وأولئك لهم الخيرات
منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن
خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة وأولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب
أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من
الخيرات الأخروية وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم يعني أسد وغطفان استأذنوا

في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا
معك اغارت طي على اهلينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما
ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها
الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا
يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال
على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم
كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان
كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب
او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار
ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا
لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما
قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل
اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة
على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء
فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين
وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب
وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله عم وقالوا
نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال
لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل
ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد
تولوا جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اي دمعا فان من للبيان
وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على
ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل
دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون
في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون
الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم
من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة
وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته
يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا
بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم
اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد

وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال
للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير
للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم
التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير
فهو علة الاعراض وترك المعاتبة وماويهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال
انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او تعليل ثان
والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز
ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا
عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط
وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا
يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضا عنهم والاغترار
بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو
اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم اهل
العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد
من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن
الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة
وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رئاء او تقية
ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق
عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون او الاخبار عن
وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور
وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل
صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني
مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته
لانه عم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق
عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل
ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله
بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة
للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم

والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم • لتقريبه قيل الاولى في اسد
وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه • والسابقون الاولون
من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا
قبل الهجرة • والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية
وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع
عطفا على والسابقون • والذين اتبعوهم باحسان • اللاحقون بالسابقين من القبيلتين
او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة • رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء
اعمالهم • ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية • واعد لهم جنات تجري تحتها
الانهار • وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع • خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
وممن حولكم اي وممن حول بلدكم يعني المدينة • من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة
واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها • ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر
لمحذوف صفته • مردوا على النفاق • ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها
وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمردهم ومهارتهم في النفاق • لا تعلمهم
لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم
الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك • نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم
ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا • سنعذبهم مرتين • بالفضيحة والقتل
او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان • ثم يردون الى عذاب عظيم
الى عذاب النار • وآخرون اعترفوا بذنوبهم • ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة
وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين
فقدم رسول الله عليه السلام فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له
انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم لا احلهم حتى اومر فيهم
فنزلت فاطلقهم • خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا • خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار
الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو
اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط
بالآخر • عسى الله ان يتوب عليهم • ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم
ان الله غفور رحيم • يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه • خذ من اموالهم صدقة • روي انهم
لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت
ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت • تطهرهم • عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ
تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر • وتزكيهم بها • حسناتهم وترفعهم
الى منازل المخلصين • وصل عليهم • واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم • ان صلاتك
سكن لهم • تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالتوحيد • والله سميع • باعترافهم • عليم • بندامتهم • الم يعلموا • الضمير اما للمتوب عليهم

والمراد

والمراد ان يتمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به
التحضيض عليها • ان الله هو يقبل التوبة عن عباده • اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه
معنى التجاوز • ويأخذ الصدقات • يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله • وان الله
هو التواب الرحيم • وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم • وقل اعملوا
ما شئتم • فسيرى الله عملكم • فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا • ورسوله والمؤمنون •
فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم • وستردون الى عالم الغيب والشهادة
بالموت • فينبئكم بما كنتم تعملون • بالمجازاة عليه • وآخرون • من المتخلفين • مرجون
مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي
وحفص مرجون بالواو وهما لغتان • لامر الله • في شأنهم • اما يعذبهم • ان اصروا على النفاق
واما يتوب عليهم • ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا من الامرين بارادة الله
تعالى • والله عليم • باحوالهم • حكيم • فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله عم اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله تعالى
والذين اتخذوا مسجدا • عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن
وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو • ضرارا •
مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سألوا رسول الله عم
ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا
على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله
عليه الصلوة والسلام فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة
المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا
بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة • وكفرا •
وتقوية للكفر الذي يضمرونه • وتفريقا بين المؤمنين • يريد الذين كانوا يجتمعون
للصلوة في مسجد قبا • وارصادا • ترقبا • لمن حارب الله ورسوله من قبل • يعني الراهب
فانه قال لرسول الله عم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل
يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب
بهم رسول الله عم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب
فلما انهزموا خرج الى الشام • ومن قبل • متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا
من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله
عليه الصلوة والسلام ان يأتيه فقال انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه
فلما قفل كرر عليه فنزلت • وليحلفن ان اردنا الا الحسنى • ما اردنا ببنائه الا الخصلة
الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين • والله يشهد انهم
لكاذبون • في حلفهم • لا تقم فيه ابدا • للصلوة • لمسجد اسس على التقوى • يعني مسجد قبا

اسسه رسول الله عم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة
او مسجد رسول الله عم لقول ابي سعيد سالت رسول الله عم عنه فقال هو مسجدكم هذا
مسجد المدينة. من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار
بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر. احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه. فيه رجال
يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا
ينامون عليها. والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل
لما نزلت مشى رسول الله عم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار
جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم لمؤمنون وانا معهم فقال
اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء
قالوا نعم قال عم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل
قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع
الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا. افمن اسس
بنيانه على تقوى من الله ورضوان على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب
مرضاته بالطاعة. خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف
القواعد وارخاها. فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى
السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى
تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في النار
ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله
الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع
في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس
على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس واساس
واساس بالكسر وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا
ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف. والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم.
لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك
قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا
ان بناهم هذا الذي زال بسببكم وتزايد نفاقهم فان غيظهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول
رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم. الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث
لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل
المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرا
يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع
بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء
للفاعل والمفعول. والله عليم بنياتهم. حكيم فيما امر بهدم بنيانهم. ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم على بذل انفسهم واموالهم في سبيله

بما يلون. في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف لبيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون
في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب
الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل. وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه
الشرى فانه في معنى الوعد. في التورية والانجيل والقران مذكور فيهما كما اثبت في القران.
ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا. فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال. وذلك
هو الفوز العظيم. التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا
كقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين. العابدون الذين عبدوا
الله مخلصين له. الحامدون لنعمائه او لما نابهم في السراء والضراء. السائحون
الصائمون لقوله عم سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة
نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب
العلم. الراكعون الساجدون في الصلوة. الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه
في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله
فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها
وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن
ابتداء تعداد اخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية. وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء
الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك
وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة
الافهام وتعبير الكلام. ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه قال لابي
طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عم لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه
فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت
في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته بالاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الايتين. ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار
لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال.
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم اباه بقوله
لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ
اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان. فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر
او اوحي اليه بانه لن يؤمن. تبرأ منه قطع استغفاره. ان ابراهيم لاواه لكثير التأوه وهو
كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه. حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار
له مع شكاسته عليه. وما كان الله ليضل قوما ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم

بعد إذ هداهم للإسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكأنه
بيان عذر الرسول في قوله لعمه أو لمن استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع وقيل إنه في قوم
مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على أن الغافل غير مكلف
إن الله بكل شيء عليم فيعلم أمرهم في الحالين إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى وتضمن
ذلك وجوب التبري عنهم رأسا بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه ولا يتأتى
لهم ولاية ولا نصرة إلا منه ليتوجهوا إليه ويتبرؤوا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون
ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار من إذن المنافقين في التخلف أو
عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة
والمعنى ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبي والمهاجرين والأنصار لقوله وتوبوا
إلى الله جميعا إذ ما من أحد إلا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي إليه توبة من تلك النقيصة
وإظهار لفضلها بأنها مقام الأنبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة
في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد والزاد
حتى قيل إن الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب
فريق منهم عن الثبات على الإيمان أو اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد
عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لأن تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد
ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على أنه تاب عليهم من أجل
ما كابدوا من العسرة أو المراد أنه تاب عليهم لكيدودتهم إنه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة وتاب
على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو أو خلف أمرهم
فإنهم المرجؤون حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي برحبها لإعراض الناس عنهم بالكلية وهو
مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم أنفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها أنس
وسرور وظنوا وعلموا أن لا ملجأ من الله من سخطه إلا إليه إلا إلى استغفاره ثم تاب عليهم
بالتوفيق للتوبة ليتوبوا أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين أو رجع عليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم إن الله هو التواب لمن تاب ولو عاد
في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه
وكونوا مع الصادقين في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ
من الصادقين أي في توبتهم وإنابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم ما كان لأهل
المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للتأكيد
ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ولا يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه
ما يكابده من الأهوال روي أن أبا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله عم في الضح والريح ما هذا بخير فقام
فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله عم طرفه إلى الطريق فإذا براكب

يزهاه

يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله عم واستغفر له
وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك إشارة إلى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن
التخلف أو وجوب المشايعة بأنهم بسبب أنهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا
نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا ولا يدوسون
مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والأسر
والنهب إلا كتب لهم به عمل صالح إلا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة
إن الله لا يضيع أجر المحسنين على إحسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على أن الجهاد إحسان
أما في حق الكفار فلأنه سعي في تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون وأما
في حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون
واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي إذا سال فشاع
بمعنى الأرض إلا كتب لهم أثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك أحسن ما كانوا يعملون
جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاء أعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام
لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم أن يتثبطوا جميعا فإنه يخل بأمر المعاش
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة
جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها
ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم
وإنذارهم وتخصيصه بالذكر لأنه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية
وأنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد
لعلهم يحذرون إرادة أن يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على أن أخبار الآحاد حجة لأن
عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة إلى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا
ويحذروا فلو لم يعتبر الأخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد أشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا
في كتاب المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو أنه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفير
وانقطعوا عن التفقه فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى
لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا
للطوائف أي ولينذر البواقي قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم
يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أمروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله
أولا بإنذار عشيرته الأقربين فإن الأقرب أحق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة
والنضير وخيبر وقيل الروم فإنهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم
غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا أن الله
مع المتقين بالحراسة والإعانة وإذا ما أنزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول إنكارا
واستهزاء أيكم زادته هذه السورة إيمانا وقرئ أيكم بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته

فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام
الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم
وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا
بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه
اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد
مع رسول الله صم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم
لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما
انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها
من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان
لم يرهم احد قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم
تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم
اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم
اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ
منهما وهو الرؤوف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا
عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل
عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم
او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن
ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما
خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم
الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة
من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ
شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا
وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا
واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل
منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد
رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور
العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عم لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبر
الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله
كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس
ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا

عم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به
ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت
النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق
القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرأ
ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول
امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش
يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيء بتحريك اسبابها وتنزيلها
منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير
لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له
ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غيره اذ لا يشاركه
احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر
فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور
لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله
حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه
واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم
على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه
لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي
الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب
والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه
تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء
ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا
فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه
لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا
بما نصب وعد الله وما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر
كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل
القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو
اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق
الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد
اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او القمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره
ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب
حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا
بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل

فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص نفصل بالياء • ان في اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات • لآيات • على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته • لقوم يتقون • العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر •
ان الذين لا يرجون لقاءنا • لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها
ورضوا بالحيوة الدنيا • من الآخرة لغفلتهم عنها • واطمأنوا بها • وسكنوا اليها مقصرين
هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها • والذين هم عن آياتنا
غافلون • لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين
والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث
لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث
ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له
اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون • بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي • ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم • بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي
الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه
في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن
دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف
له • تجري من تحتهم الانهار • استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير
وقوله • في جنات النعيم • خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي •
دعواهم فيها • اي دعاؤهم • سبحانك اللهم • اللهم انا نسبحك تسبيحا • وتحيتهم • ما يحيي به
بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم • فيها سلام • وآخر دعواهم • وآخر دعائهم • ان الحمد لله
رب العالمين • اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله
تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات
والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي
المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد • ولو يعجل الله للناس الشر • ولو يسرعه اليهم • استعجالهم
بالخير • وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم
تعجيل لهم والمراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام
ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله الخير حين استعجلوه استعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف
لدلالة الباقي عليه • لقضي اليهم اجلهم • لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء
للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا • فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون •
عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا
واذا مس الانسان الضر دعانا • لازالته مخلصا فيه • لجنبه • ملقيا لجنبه او مضطجعا • او قاعدا
او قائما • فائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار • فلما كشفنا عنه
ضره مر • اي مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه • كأن لم يدعنا
كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان •

الى ضر

الى ضر مسه • الى كشف ضر • كذلك • مثل ذلك التزيين • زين للمسرفين ما كانوا يعملون •
من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات • ولقد اهلكنا القرون من قبلكم • يا اهل
مكة • لما ظلموا • حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي • وجاءتهم
رسلهم بالبينات • بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على
ظلموا • وما كانوا ليؤمنوا • وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله
لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي • كذلك • مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم
بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم • نجزي القوم المجرمين •
نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه
ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم • استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها
استخلاف من يختبر • لننظر كيف تعملون • اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم
وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان
المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة
ويقبح اخرى • واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا • يعني
المشركين • ائت بقرآن غير هذا • بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث
والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا • او بدله • بان تجعل مكان الآية
المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزمونه • قل ما يكون
لي • ما يصح لي • ان ابدله من تلقاء نفسي • من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما
اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر • ان اتبع
الا ما يوحى الي • تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه ما
وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه
واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا • اني اخاف ان عصيت ربي •
اي بالتبديل • عذاب يوم عظيم • وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح •
قل لو شاء الله • غير ذلك • ما تلوته عليكم ولا ادراكم به • ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير
ولادراكم به بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري
انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا
ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء
بمعنى الدفع واجعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله
لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قررذلك بقوله • فقد لبثت فيكم عمرا • مقدار
اربعين سنة • من قبله • من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن
معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما
ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق
وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص
الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله • افلا تعقلون • اي افلا تستعملون عقولكم

بالتدبر والتفكر فيه ليعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد
مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد
او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته
بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما
يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا
من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه
لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل أتنبئون الله أتخبرونه بما لا يعلم
وهو ان له شريكا وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤه عنده وما لا يعلمه العالم
بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السماوات ولا في الارض حال من العائد المحذوف
مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي واما ارضي ولا شيء من الموجودات
فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم
او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة
او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان
او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة
الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم
او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا
فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي
من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات
المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين
لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا
الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط او مرض اذا لهم مكر في آياتنا
بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون
ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع
مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها
كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما
الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام
وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن
يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه
في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب
الى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة
الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة
بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء

الموج

الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الهلاك من
احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة
وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم
ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه
من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤوا
الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين
ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم
متاع الحياة الدنيا منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه
على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحياة
وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع
الحياة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف
تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي
وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء عليه انما مثل الحياة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب
نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع
والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت تزينت باصناف النبات
واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين
فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها
امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف
في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل
في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة
وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا
انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب
كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار
السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم
ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد
الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك
الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية

الجوائح [illegible]

دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده • للذين
احسنوا الحسنى • المثوبة الحسنى • وزيادة • وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله
ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة
ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة
اللقاء • ولا يرهق وجوههم • لا يغشاها • قتر • غبرة فيها سواد • ولا ذلة • هوان
والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء
حال • اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • دائمون لا زوال فيها ولا انقراض
لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها • والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو
او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء سيئة الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه
على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار
وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع
او بمثلها على زيادة الباء او على تقدير مقدر بمثلها • وترهقهم ذلة • وقرئ
بالياء • ما لهم من الله من عاصم • ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله اي
من عنده كما يكون للمؤمنين • كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما • لفرط سوادها
وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لان العامل في قطعا وهو موصوف
بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل
وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما
صفة له او حالا منه • اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • مما يحتج به الوعيدية
والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا
يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه • ويوم نحشرهم جميعا • يعني
الفريقين جميعا • ثم نقول للذين اشركوا مكانكم • الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل
بكم • انتم • تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله • وشركاؤكم • عطف عليه وقرئ
بالنصب على المفعول معه • فزيلنا بينهم • ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت
بينهم • وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون • مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم
وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل
ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد
بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين • فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
فانه العالم بكنه الحال • ان كنا عن عبادتكم لغافلين • ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة • هنالك • في ذلك المقام • تبلو كل نفس ما اسلفت • تختبر ما
قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما
قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون

وابدال ما

وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها
وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي
العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع
الخافض • وردوا الى الله • الى جزائه اياهم بما اسلفوا • مولاهم الحق • ربهم
ومتولي امورهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح
او المصدر المؤكد • وضل عنهم • وضاع عنهم • ما كانوا يفترون • من ان آلهتهم
تشفع لهم • او ما كانوا يدعون انها آلهة • قل من يرزقكم من السماء والارض
اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل
واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء
والارض • ام من يملك السمع والابصار • ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما
من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء • ومن يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي • ومن يحيي ويميت ومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه
ومن يدبر الامر • ومن يلي تدبير العالم وهو تعميم بعد تخصيص • فسيقولون الله • اذ
لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه • فقل افلا تتقون
انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك • فذلكم الله ربكم الحق
اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشأكم
واحياكم ورزقكم ودبر اموركم • فماذا بعد الحق الا الضلال • استفهام انكار
اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال
فانى تصرفون • عن الحق الى الضلال • كذلك حقت كلمة ربك • اي كما حقت الربوبية
لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه • على الذين
فسقوا • تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح • انهم لا يؤمنون • بدل من الكلمة
او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب • قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق
ثم يعيده • جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا
عليها ولذلك امر الرسول ان ينوب عنهم في الجواب فقال • قل الله يبدأ الخلق
ثم يعيده • لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها • فانى تؤفكون • تصرفون عن قصد
السبيل • قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق • بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة
على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها
ما اسند الى الله • قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدي
الا ان يهدى • ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي
غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ
ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص
بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء

وقرئ ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء، وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال
بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك، وعن نافع مثله، وقرئ الا ان يهدى للمبالغة
فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه • وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا ظنا
مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق
على المخلوق بادنى مشاركة موهومة، والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر
ولا يرضى بالتقليد الصرف • ان الظن لا يغني من الحق • من العلم والاعتقاد الحق شيئا
من الاغناء، ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه، وفيه دليل على ان تحصيل
العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز • ان الله عليم بما يفعلون
وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان • وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون
الله افتراء من الخلق • ولكن تصديق الذي بين يديه • مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود
على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها
ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق
الذي، وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق • وتفصيل الكتاب • وتفصيل ما
حقق واثبت من العقائد والشرائع • لا ريب فيه • منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث
داخل في حكم الاستدراك، ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون
استئنافا • من رب العالمين • خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما، ويجوز ان يكون حالا من الكتاب
او الضمير في فيه، ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان
عليه • ام يقولون • بل ايقولون • افتراه • محمد، ومعنى الهمزة فيه الانكار • قل فأتوا
بسورة مثله • في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي
في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة • وادعوا من استطعتم • ومع ذلك
فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به • من دون الله • سوى الله تعالى فانه وحده قادر
على ذلك • ان كنتم صادقين • انه اختلقه • بل كذبوا • بل سارعوا الى التكذيب • بما لم يحيطوا
بعلمه • بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه، او بما جهلوه
ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم • ولما يأتهم تأويله •
ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه، او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه
من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب، والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ
والمعنى ثم انهم فاجؤوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه، ومعنى التوقع
في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته
فتضاءلت دونها، او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب
تمردا وعنادا • كذلك كذب الذين من قبلهم • انبياءهم • فانظر كيف كان عاقبة الظالمين •
فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم • ومنهم • ومن المكذبين • من يؤمن به • من يصدق
في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند، او من سيؤمن به ويتوب عن كفره • ومنهم من لا يؤمن به •

في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره، او فيما يستقبل بل يموت على الكفر • وربك اعلم
بالمفسدين • بالمعاندين او بالمصرين • وان كذبوك • وان اصروا على تكذيبك بعد الزام
الحجة • فقل لي عملي ولكم عملكم • فتبرأ منهم فقد اعذرت، والمعنى لي جزاء عملي ولكم
جزاء عملكم حقا كان او باطلا • انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون • لا تؤاخذون
بعملي ولا اؤاخذ بعملكم، ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه
منسوخ بآية السيف • ومنهم من يستمعون اليك • اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع
ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا • أفأنت تسمع الصم • تقدر
على اسماعهم • ولو كانوا لا يعقلون • ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم، وفيه تنبيه
على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم
وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره، وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة
الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا
بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق • ومنهم من ينظر اليك •
ويعاين دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون • أفأنت تهدي العمي • تقدر على هدايتهم
• ولو كانوا لا يبصرون • وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار
هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن
لما لا يدركه البصير الاحمق، والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم • ان الله
لا يظلم الناس شيئا • بسلب حواسهم وعقولهم • ولكن الناس انفسهم يظلمون • بافسادها
وتفويت منافعها عليهم، وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار
بالكلية كما زعمت المجبرة، ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة
من العذاب عدل من الله تعالى لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه
• ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار • يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا
او القبور لهول ما يرون، والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين
بمن لم يلبث الا ساعة، او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله
او لمصدر محذوف اي حشرا كأن لم يلبثوا قبله • يتعارفون بينهم • يعرف بعضهم
بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر
عليهم، وهي حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير
يتعارفون يوم نحشرهم • قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله • شهادة على خسرانهم
والتعجب منه، ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول • وما كانوا
مهتدين • لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها
جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم • واما نرينك • نبصرنك • بعض الذي
نعدهم • من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر • او نتوفينك • قبل ان نريك
• فالينا مرجعهم • فنريكه في الآخرة، وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك • ثم الله شهيد على ما يفعلون • مجاز عليه، ذكر الشهادة واراد نتيجتها

ومقتضيًا ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤدٍ شهادته على افعالهم يوم القيمة
ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء هم
رسولهم بالبينات فكذبوه فقضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل
فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة
رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم
بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم
ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين
خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم
فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك
كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز
وعدكم قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال
بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون
اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم
لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا
من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال
او تعرفوا الخطاء ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون
الجملة متعلقة بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم
به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
عليه لانكار التاخير الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب
الان آمنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم
على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك
احق هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله
حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك
وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ
والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك
قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل الضمير للقران الوعد
واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله
ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك
والتعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها
من العذاب من قولهم افداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا
بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اخلصوا

الندامة

الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها
تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني
مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة
والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه
ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو
يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة
القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها
والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما
في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين
حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم
من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله
وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا
فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا
وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل
والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدريهما اي
فبمجيئهما فليفرحوا والفاء للدلالة على معنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا
او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب
للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا
بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو
خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر
تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل
ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب
منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه
ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام
وحرث وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن
لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه
ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب

بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد
عظيم • ان الله لذو فضل على الناس • من حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال
الرسل وانزال الكتب • ولكن اكثرهم لا يشكرون • هذه النعمة • وما تكون في شان • ولا تكون
في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في • وما تتلو منه • له لان تلاوة
القران معظم شان الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو
من قران على ان من للتبعيض او مزيدة لتاكيد النفي او للقران واضمار قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له
او لله • ولا تعملون من عمل • تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص
ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير • الا كنا عليكم شهودا • رقباء مطلعين
عليه • اذ تفيضون فيه • تخوضون فيه وتندفعون • وما يعزب عن ربك • ولا يبعد عنه ولا يغيب
عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي • من مثقال ذرة • موازن نملة صغيرة او هباء • في الارض
ولا في السماء • اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما
ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان
على احاطة علمه بها • ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين • كلام براسه مقرر لما قبله
ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء
والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او
على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ • الا ان اولياء الله
الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة • لا خوف عليهم • من لحوق مكروه • ولا هم يحزنون
بفوات مامول والاية مجمل فسره قوله • الذين امنوا وكانوا يتقون • وقيل الذين امنوا
وكانوا يتقون بيان لتوليهم • لهم البشرى في الحياة الدنيا • وهو ما بشر به المتقين في كتابه
وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة
عند النزع • وفي الاخرة • بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وبيان وجوههم
لهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء
وخبره لهم البشرى • لا تبديل لكلمات الله • لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده • ذلك
اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين • هو الفوز العظيم • هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله • ولا يحزنك قولهم
اي اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرئ ولا يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى •
ان العزة لله جميعا • استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن
بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم •
هو السميع • لاقوالهم • العليم • بعزماتهم فيكافئهم عليها • الا ان لله من في السموات ومن في الارض
من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم
للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله • وما يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء • اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز
ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه • ان يتبعون الا الظن • اي

ما يتبعون

ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة
بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون
غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ
رايهم • وان هم الا يخرصون • يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون
انها شركاء تقديرا باطلا • هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا •
تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة
وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو
سبب • ان في ذلك لايات لقوم يسمعون • سماع تدبر واعتبار • قالوا اتخذ الله ولدا • اي
تبناه • سبحانه • تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء
هو الغني • علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة • له ما في السموات وما في الارض •
تقرير لغناه • ان عندكم من سلطان بهذا • نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة
في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم
كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان • اتقولون على الله ما لا تعلمون • توبيخ وتقريع
على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد
لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ • قل ان الذين يفترون على الله الكذب •
باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه • لا يفلحون • لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة
متاع في الدنيا • خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به
رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع
في الدنيا • ثم الينا مرجعهم • بالموت فيلقون الشقاء المؤبد • ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون • بسبب كفرهم • واتل عليهم نبأ نوح • خبره مع قومه • اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم • عظم عليكم وشق • مقامي • نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان
او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة • وتذكيري • اياكم بايات
الله فعلى الله توكلت • وثقت به • فاجمعوا امركم • فاعزموا عليه • وشركاءكم • اي مع شركائكم
ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه
معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره
وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع
على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم • ثم لا يكن امركم
في قصدي • عليكم غمة • مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن
حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري • ثم اقضوا الي • ذلك
الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى
اذا خرج الى الفضاء • ولا تنظرون • ولا تمهلون • فان توليتم • اعرضتم عن تذكيري • فما سألتكم

من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري
الا على الله ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالفه ولا ارجو غيره فكذبوه
فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم
لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا
ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية
له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه
فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام
لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي
بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب
المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل
على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع
فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة
ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات
القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه
سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم
انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا
لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه
للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم
فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة
ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا
كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا
لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر
او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به
وقال فرعون ائتوني بكل سحار وقرأ حمزة بكل ساحر عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي
جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية
مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب بفعل

يفسر

يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه
ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه
لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته
ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من
قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبابهم وقيل الضمير لفرعون
والذرية طائفة من شبابهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه و
زوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون
وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر
او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف
وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في الارض
لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط
الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه
توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له
وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي
والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد
فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك
اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم
علينا فيفتنوننا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم
وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها
او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى
وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلاة
فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم
وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء
للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت
مساجد والصلاة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة
صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من الملابس
والمراكب ونحوها واموالا في الحياة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك
دعاء عليهم بلفظ الامر لما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس
وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر
استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها
ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم
تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم واشدد على

أي وأقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الأليم جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء
معترض قال قد أجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون لأنه كان يؤمّن فاستقيما
فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتما كائن
ولكن في وقته روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله
وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء
الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضاً وجاوزنا ببني إسرائيل البحر
أي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو من فعّل المرادف
لفاعل كضعّف وضاعف فأتبعهم فأدركهم يقال تبعته حتى أتبعته فرعون
وجنوده بغياً وعدواً باغين وعادين أو للبغي والعدو وقرئ وعُدوّاً
حتى إذا أدركه الغرق لحقه قال آمنت أنه أي بأنه لا إله إلا الذي آمنت به
بنو إسرائيل وأنا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي إنه بالكسر على إضمار القول
أو الاستئناف بدلاً وتفسيراً لآمنت فنكب عن الإيمان أوان القبول وبالغ فيه حين
لا يقبل آلآن أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل
قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الإيمان فاليوم ننجيك
نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً أو نلقيك على نجوة من الأرض
ليراك بنو إسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من أنجى وقرئ ننحيك بالحاء أي نلقيك بناحية
الساحل ببدنك في موضع الحال أي ببدنك عارياً عن الروح أو كاملاً سوياً أو
عرياناً من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بأبدانك
أي بأجزاء البدن كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدروع كأنه كان يظاهر بينها
لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته
ما خيل إليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحاً
على ممرهم من الساحل أو لمن يأتي بعدك من القرون إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك
عبرة ونكالاً عن الطغيان أو حجة تدلهم على أن الإنسان على ما كان عليه من عظم الشأن
وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك أي لخالقك
آية كسائر الآيات فإن إفرادك بالإلقاء إلى الساحل دليل على أنه تعمد منه لكشف تزويرك
وإماطة الشبهة في أمرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وإرادته وهذا الوجه أيضاً
محتمل على المشهور وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
ولقد بوأنا أنزلنا بني إسرائيل مبوأ صدق منزلاً صالحاً مرضياً وهو الشام ومصر
ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلف أمر
دينهم إلا من بعدما قرؤوا التوراة وعلموا أحكامها أو في أمر محمد عليه السلام إلا من بعدما علموا صدقه
بنعوته وتظاهر معجزاته إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل

بالإنجاء

بالإنجاء والإهلاك فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك من القصص على سبيل
الفرض والتقدير فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فإنه محقق عندهم ثابت
في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وأن
القرآن مصدق لما فيه أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إليك أو
تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا إمكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا أشك
ولا أسأل وقيل الخطاب للنبي والمراد أمته أو لكل من يسمع أي إن كنت أيها
السامع في شك مما أنزلنا على لسان نبينا إليك وفيه تنبيه على أن من خالجته شبهة
في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم لقد جاءك
الحق من ربك واضحاً أنه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن
من الممترين بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
فتكون من الخاسرين أيضاً من باب التهييج والتثبيت وقطع الأطماع عنه كقوله فلا تكونن
ظهيراً للكافرين إن الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمت ربك بأنهم يموتون على الكفر أو
يخلدون في العذاب لا يؤمنون إذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم
كل آية فإن السبب الأصلي لإيمانهم وهو تعلق إرادة الله به مفقود حتى يروا العذاب
الأليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية
من القرى التي أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر إليها كما أخر فرعون فنفعها
إيمانها بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها إلا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا
أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروه إلى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ويجوز أن تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلاً
لأن المراد من القرى أهاليها كأنه قيل ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم إيمانهم إلا
قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم إلى حين إلى آجالهم روي أن يونس عليه السلام
بعث إلى نينوى من الموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث وقيل إلى أربعين
فلما دنا الموعد غامت السماء غيماً أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم
فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد
بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها
إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأخلصوا التوبة وأظهروا الإيمان وتضرعوا
إلى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الأرض
بحيث لا يشذ منهم أحد كلهم جميعاً مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه وهو
دليل على القدرية في أنه تعالى لم يشأ إيمانهم أجمعين فإن من شاء إيمانه يؤمن لا محالة والتقييد
بمشيئة الإلجاء خلاف الظاهر أفأنت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين
وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء وإيلاؤها حرف الاستفهام للإنكار وتقديم الضمير على الفعل
للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالإكراه عليه فضلاً عن الحث والتحريض
عليه إذ روي أنه كان حريصاً على إيمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله

العجيج

وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك
في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي
وقرأ ابو بكر ونجعله بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج و
الآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا
تفكروا ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا
ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم
ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا
هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف
دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم
على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء
كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصب بفعله المقدر
وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني
وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني
اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا
صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم
ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل
عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان
يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على
ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها
بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها
والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء
عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن
من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته
فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر
عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو
الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراده ولعله ذكر الارادة
مع الخير والمس مع الضر تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما
مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل
بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به
بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا
من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق

لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما
فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم
وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم
وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن
الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي عليه السلام من قرأ سورة
يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود وهي مكية وآيها مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر مبتدأ خبره او خبر مبتدأ محذوف كتاب احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه
اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة
وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقولة من حكم بالضم اذا
صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد
والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص
ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء
للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب
او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار
ما ظهر منه وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل
الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري من عبادة
الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير
وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا
ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل
استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين
يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم
بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة
الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله
في الدنيا او في الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان
تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد
ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم
في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس والله على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم
اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق
وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عليه السلام او يولون ظهورهم وقرئ
يثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء مبالغة وتثنون واصله تثنونن
من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني
وتثنئن من اثنان كابيأض بالهمزة وتثنوي ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع

رسوله والمؤمنين عليه وقيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا
واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين
وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث في المدينة • الا حين يستغشون ثيابهم الا
حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم • يعلم ما يسرون وما يعلنون • اذ لا تفاوت يستوي
في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه • انه عليم بذات الصدور • بالاسرار
ذات الصدور او بالقلوب واحوالها • وما من دابة في الارض الا على الله رزقها • غذاؤها
ومعاشها لتكفله اياها تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا
على التوكل فيه • ويعلم مستقرها ومستودعها • اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب
والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار
حين كانت بعد بالقوة • كل • كل واحد من الدواب واحوالها • في كتاب مبين • مذكور في اللوح
المحفوظ وكأنه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه
قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد • وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام • اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو
والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون
السفليات • وكان عرشه على الماء • قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا
على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام
هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك • ليبلوكم ايكم احسن عملا •
متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون
فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل
وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى
العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار
الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح
ولذلك قال النبي عم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
والمعنى ايكم اكمل علما وعملا • ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين • اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر
في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل
وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او يكون ان بمعنى عل اي ولئن قلت علكم
مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة
في انكاره • ولئن اخرنا عنهم العذاب • الموعود • الى امة معدودة • الى جماعة من الاوقات
قليلة • ليقولن ما يحبسه • ما يمنعه من الوقوع • الا يوم يأتيهم • كيوم بدر • ليس مصروفا
عنهم • ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل
على جواز تقديم خبرها عليها • وحاق بهم • واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل

عتيقا

تحقيقا ومبالغة في التهديد • ما كانوا به يستهزءون • اي العذاب الذي كانوا به
يستعجلون فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء • ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة • ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها • ثم نزعناها منه • ثم سلبنا تلك
النعمة منه • انه ليئوس • قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به • كفور •
مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة • ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته • كصحة بعد
سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى • ليقولن ذهب السيئات عني •
اي المصائب التي ساءتني • انه لفرح • بطر بالنعم مغتر بها • فخور • على الناس مشغول عن الشكر
والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم
والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق
ادراك الطعم والمس مبتدأ الوصول • الا الذين صبروا • على الضراء ايمانا بالله واستسلاما
لقضائه • وعملوا الصالحات • شكرا لالائه سابقها ولاحقها • اولئك لهم مغفرة • لذنوبهم
واجر كبير • اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام
افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك • تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي
المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه
وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة
في التبليغ ههنا • وضائق به صدرك • وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه
عليهم مخافة • ان يقولوا لولا انزل عليه كنز • ينفقه في الاستتباع كالملوك • او جاء
معه ملك • يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا • انما انت نذير • ليس
عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك
والله على كل شيء وكيل • فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم
وافعالهم • ام يقولون افتراه • ام منقطعة والهاء لما يوحى • قل فأتوا بعشر سور مثله •
في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم
وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد • مفتريات • مختلقات من عند
انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل
ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم
وادعوا من استطعتم من دون الله • الى المعاونة على المعارضة • ان كنتم صادقين •
انه مفترى • فان لم يستجيبوا لكم • باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول
او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب
اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم
وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله • فاعلموا انما انزل بعلم الله • ملتبسا
بما لا يعلمه ولا يقدر عليه سواه • وان لا اله الا هو • واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم
القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام

ايجابا

صدقه بالمعجزة عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله الهتهم فهل انتم
مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز
ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا
لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم
لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون
في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى
الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة
والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف
على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم
مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم
والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم
في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم
الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الاخرة
او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز
تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه
لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه
مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام
وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه
ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا
وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة
كمن يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي عم وقيل مؤمنوا
اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه
شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى
يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة
والشاهد جبريل او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك
يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة
مبتداة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان
على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل القران
التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز
بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به
من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها
لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك

[illegible]

انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا كأن اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم
في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم
وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله
على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم ح لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله
عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا
بالردة وهم بالاخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا
ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا
اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم
له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل
هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع
ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا
انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة
وشفاعتها او خسروا بما بدلوا او ضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة
والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت
وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين
الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد تشبيه الكافر بالاعمى
لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه
وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار
وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب وهذا من باب اللف والطباق
هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا اي تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون
بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرا نافع
وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم
موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين
ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم
مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره
صائم للمبالغة فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية
لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي

ظاهر الرأي من البدو او اول الرأي والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ
ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي
والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا
من الحيوة كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل • وما نرى لكم • لك ولمتبعك
علينا من فضل • يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة • بل نظنكم كاذبين • اياك
في دعوة النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين • قال يا قوم
ارأيتم • اخبروني • ان كنت على بينة من ربي • حجة شاهدة بصحة دعواي • وآتاني رحمة
من عنده • بايتاء البينة او النبوة • فعميت عليكم • فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان
البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد
البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحد منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص
فعميت اي فاخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله • انلزمكموها • انكرهكم على الاهتداء
بها • وانتم لها كارهون • لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما
مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل • ويا قوم لا اسألكم
عليه • على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر • مالا • جعلا • ان اجري الا على الله •
فانه المأمول منه • وما انا بطارد الذين آمنوا • جواب لهم حين سألوا طردهم • ولكني
اراكم قوما تجهلون • بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم
بان تدعوهم اراذل • ويا قوم من ينصرني من الله • بدفع انتقامه • ان طردتهم • وهم بتلك
الصفة والمثابة • افلا تذكرون • لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقف الايمان عليه
ليس بصواب • ولا اقول لكم عندي خزائن الله • رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي • ولا
اعلم الغيب • عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني
يجوز عطفه على اقول • ولا اقول اني ملك • حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا • ولا اقول
للذين تزدري اعينكم • ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم • لن يؤتيهم الله خيرا •
فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا • الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين
ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس
الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية
من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم
قالوا يا نوح قد جادلتنا • خاصمتنا • فاكثرت جدالنا • فاطلته او اتيت بانواعه
فأتنا بما تعدنا • من العذاب • ان كنت من الصادقين • في الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا • قال انما يأتيكم به الله ان شاء • عاجلا او آجلا • وما انتم بمعجزين • بدفع
العذاب او الهرب منه • ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم • شرط ودليل جواب والجملة
دليل جواب قوله • ان كان الله يريد ان يغويكم • وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم
فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت

الدار

مطلب في ان الارادة يصح تعلقها بالاغواء

مطلب في التنور

الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق • وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا
طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل
ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك • هو ربكم • خالقكم والمتصرف
فيكم وفق ارادته • واليه ترجعون • فيجازيكم على اعمالكم • ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي • وباله وقرئ اجرامي على الجمع • وانا بريء مما تجرمون • من اجرامكم في اسناد الافتراء
الي • واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون • اقنطه
من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء • واصنع الفلك باعيننا •
ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ
عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل • ووحينا • اليك كيف تصنعها • ولا تخاطبني
في الذين ظلموا • ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم • انهم مغرقون • محكوم
عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه • ويصنع الفلك • حكاية حال ماضية • وكلما مر عليه
ملأ من قومه سخروا منه • استهزؤوا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء
اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون صرت نجارا بعد ما كنت نبيا • قال ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم كما تسخرون • اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد
بالسخرية الاستجهال • فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه • يعني به اياهم وبالعذاب الغرق •
ويحل عليه • وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه • عذاب مقيم • دائم وهو
عذاب النار • حتى اذا جاء امرنا • غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه
او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام • وفار التنور • نبع الماء فيه وارتفع كالقدر
يفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع
مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف
موضع فيها • قلنا احمل فيها • في السفينة • من كل • من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها
زوجين اثنين • ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل
زوجين من كل صنف ذكر وصنف انثى • واهلك • عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته
وبنوه ونساؤهم • الا من سبق عليه القول • بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة
فانهما كانا كافرين • ومن آمن • والمؤمنين من غيرهم • وما آمن معه الا قليل • قيل كانوا تسعة
وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة حام وسام ويافث ونساؤهم واثنان
وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه اتخذ السفينة في سنتين من الساج
وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة
بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحوش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير
وقال اركبوا فيها • اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض
بسم الله مجريها ومرساها • متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله
او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت
او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما

ويجوز رفعهما ببسم الله على أن المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أي
إجراؤها بسم الله على أن بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهي إما جملة مقتضبة
لا تعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء وروي أنه كان إذا أراد أن تجري
قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يكون الاسم مقحما كقوله
ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح
من جرى وقرئ مرساها من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين
لله إن ربي لغفور رحيم أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته إياكم لما نجاكم وهي تجري
بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج
كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل
في تراكمها وارتفاعها وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة
تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وإن صح
فلعله ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الألف
على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو
خطأ إذ الأنبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة
ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه
مفعل من عزله عنه إذا أبعد يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا
الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فإنه وقف عليها
في لقمان في الموضع الأول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فإنه
فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة واختلف الرواية عنه
في سائر المواضع وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما في
ولا تكن مع الكافرين في الدين والاعتزال قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء أن
يغرقني قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم إلا الراحم وهو الله تعالى أو إلا مكان من رحمهم الله وهم
المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به إلا معتصم
المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل
الاستثناء منقطع أي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه أو بين ابنه
والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي
نوديا بما ينادى به أولو العلم وأمرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء
تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره مهابة من عظمته
وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والإقلاع الإمساك وغيض الماء نقص
وقضي الأمر وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين واستوت واستقرت
السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي أنه ركب السفينة عاشر
رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة وقيل بعدا للقوم
الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا إذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم

ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها
والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال وفي إيراد الأخبار على البناء
للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره إذ لا يذهب
الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى نوح
ربه وأراد ذلك بدليل عطف قوله فقال رب إن ابني من أهلي فإنه النداء وإن وعدك
الحق وإن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه الخلف وقد وعدت أن تنجي أهلي فما حاله
أو فما باله لم ينج ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه وأنت أحكم الحاكمين لأنك
أعلم الحكام وأعدلهم أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع
قال يا نوح إنه ليس من أهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار إليه بقوله
إنه عمل غير صالح فإنه تعليل لنفي كونه من أهله وأصله إنه ذو عمل فاسد فجعل ذاته
ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما
هي إقبال وإدبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء
ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب إنه عمل أي عمل عملا غير
صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم أصواب هو أم ليس كذلك وإنما سمى نداءه
سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة أهله استنجازه في شأن ولده أو استفسار المانع للإنجاز
في حقه وإنما سماه جهلا وزجر عنه بقوله إني أعظك أن تكون من الجاهلين لأن استثناء
من سبق عليه القول من أهله قد دله على الحال وأغناه عن السؤال لكن أشغله حب الولد عنه
حتى اشتبه الأمر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير
أنهما كسرا النون على أن أصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة
للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع إثباتها في الوصل قال رب إني أعوذ بك أن أسألك
فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته وإلا تغفر لي ولم تغفر لي فرط مني من السؤال
وترحمني بالتوبة والتفضل علي أكن من الخاسرين أعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام
منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا أو مسلما عليك وبركات عليك ومباركا
عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد
وهي الخير النامي وعلى أمم ممن معك وعلى أمم هم الذين معك سموا أمما لتحزبهم أو لتشعب
الأمم منهم أو وعلى أمم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وأمم سنمتعهم أي
وممن معك أمم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة والمراد بهم الكفار
من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك
إشارة إلى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من أنباء الغيب أي
بعضها نوحيها إليك خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك أو حال من أنباء
أو هو الخبر ومن أنباء الغيب متعلق به أو حال من الهاء ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا خبر آخر أي مجهولة عندك وعند قومك من قبل إيحائنا إليك أو حال من الهاء
في نوحيها أو الكاف في إليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على أنه لم يتعلمه

اذ هم غالطا عندهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوا فكيف يوحدهم • فاصبر على مشاقة
الرسالة واذية القوم كما صبر نوح • ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز
للمتقين عن الشرك والمعاصي • والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه
وهودا عطف بيان • قال يا قوم اعبدوا الله وحده • ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا
على اللفظ وحده • ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء
يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني • خاطب كل رسول به قومه ازاحة
للتهمة وتمحيصا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع • افلا تعقلون • افلا تستعملون
عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطا • ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري من الغير انما يكون
بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده • يرسل السماء عليكم مدرارا • كثير الدر • ويزدكم
قوة الى قوتكم • ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا
اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم
هود على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل • ولا تتولوا
ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه • مجرمين • مصرين على اجرامكم • قالوا يا هود ما جئتنا ببينة • بحجة
تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات • وما
نحن بتاركي الهتنا • بتاركي عبادتهم • عن قولك • صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي
وما نحن لك بمؤمنين • اقناط له من الاجابة والتصديق • ان نقول الا اعتراك • ما نقول
الا قولنا اعتراك • اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه • بعض الهتنا بسوء • بجنون لسبك
اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان
الاستثناء مفرغ • قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه • فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون • اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من الهتهم
وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا
على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم
الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان الهتهم التي هي جماد لا ينفع ولا يضر لا يتمكن
من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك
العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته
اياه ولذلك عقبه بقوله • اني توكلت على الله ربي وربكم • تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم
غايتكم وسعيكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي
ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله • ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها
اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك
ان ربي على صراط مستقيم • اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته
ظالم • فان تولوا • فان تتولوا • فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم • فقد اديت ما علي
من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به

اليكم

اليكم • ويستخلف ربي قوما غيركم • استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف
قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم
على الموضع كأنه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف • ولا تضرونه • بتوليكم • شيئا
من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه • ان ربي على كل شيء حفيظ • رقيب
فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء
ولما جاء امرنا • عذابنا او امرنا بالعذاب • نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة
منا وكانوا اربعة آلاف • ونجيناهم من عذاب غليظ • تكرير لبيان ما نجاهم عنه
وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم
او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ • وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم • انث
اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم • جحدوا بآيات
ربهم • كفروا بها • وعصوا رسله • لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى
الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول • واتبعوا امر كل جبار عنيد • يعني كبراءهم
الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم
الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم • واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة • اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب
الا ان عادا كفروا ربهم • جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار • الا بعدا
لعاد • دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل
عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار
بحالهم • قوم هود • عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم
والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود • والى ثمود اخاهم صالحا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض • هو كونكم منها
لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب • واستعمركم فيها • عمركم
قيل
فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم
فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة
اعماركم ثم تتركونها لغيركم • فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب • قريب الرحمة
مجيب لداعيه • قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا • لما نرى فيك من مخايل الرشد
والسداد ان يكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا
القول منك انقطع رجاؤنا عنك • اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا • على حكاية الحال الماضية
وانا لفي شك مما تدعونا اليه • من التوحيد والتبري عن الاوثان • مريب • موقع في الريبة
ارأيتم
من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر • قال يا قوم ارأيتم
ان كنت على بينة من ربي • بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين • وآتاني منه رحمة • نبوة
فمن ينصرني من الله • فمن يمنعني من عذابه • ان عصيته • في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك

فما تزيدونني • اذا باستتباعكم اياي غير تخسير • غير ان اخسركم بابطال ما منحني
الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية • انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم
حال منها تقدمت عليها لتنكيرها • فذروها تاكل في ارض الله • ترع نباتها وتشرب
ماءها • ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب • عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بسوء
الا يسيرا وهو ثلاثة ايام • فعقروها فقال تمتعوا في داركم • عيشوا في منازلكم او في دار
الدنيا • ثلاثة ايام • الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون • ذلك وعد غير مكذوب • اي غير مكذوب فيه فاتسع
فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه • سليما وعامرا • او غير مكذوب على
المجاز وكان الواعد قال له اَفي بك فان وفى به صدقه او وعد غير كذب على انه
مصدر كالمجلود والمعقول • فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة
منا ومن خزي يومئذ • اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم
او فضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف
اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ • ان ربك هو القوي العزيز • القادر على كل شي
والغالب عليه • واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين • قد سبق
تفسير ذلك في سورة الاعراف • كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم • وقرا حمزة
وحفص ثمود هنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين ابو بكر
هنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا
لثمود • ذهابا الى الحي او الاب الاكبر • ولقد جاءت رسلنا ابراهيم • يعني الملائكة قيل كانوا
تسعة وقيل ثلثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل • بالبشرى • ببشارة الولد وقيل بهلاك
قوم لوط • قالوا سلاما • سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما
قال سلام • اي امركم سلام او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم
وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به
الصلح • فما لبث ان جاء بعجل حنيذ • فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في المجيء به او فما
تاخر عنه والجار في ان جاء مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر
ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين • فلما راى ايديهم لا تصل
اليه • لا يمدون اليه ايديهم • نكرهم واوجس منهم خيفة • انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به
مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار • قالوا لا تخف • لما احس
اثر الخوف • لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط • انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد
اليه ايدينا لانا لا ناكل • وامراته قائمة • وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة
فضحكت • سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت
تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت
فحاضت قال الشاعر وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة • ولم يعد حقا ثديها ان تحلما • ومنه ضحكت
الشجرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء • فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب •

نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها
من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق
وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرا
الباقون بالرفع على انه مبتدا وخبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء
ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى تفسيره اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب
وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة
كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان
الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد • قالت يا ويلتى • يا عجبا
واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل • االد وانا عجوز • ابنة
تسعين او تسع وتسعين • وهذا بعلي • زوجي واصله القائم بالامر • شيخا • ابن مائة وعشرين
او مائة ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من المبتدا • ان هذا لشيء عجيب • يعني
الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا • اتعجبين من امر الله
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت • منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل
بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان
يستغربه عاقل فضلا عمن نشات وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح
او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة • انه حميد • فاعل ما يستوجب به
الحمد • مجيد • كثير الخير والاحسان • فلما ذهب عن ابراهيم الروع • اي ما اوجس من الخيفة واطمان
قلبه بعرفانهم • وجاءته البشرى • بدل الروع • يجادلنا في قوم لوط • يجادل رسلنا
في قوم لوط ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية
الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترا على
خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا • ان ابراهيم
لحليم • غير عجول على الانتقام من المسيء اليه • اواه • كثير التاوه من الذنوب والتاسف
على الناس • منيب • راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة
قلبه وفرط ترحمه • يا ابراهيم • على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم • اعرض
عن هذا • الجدال • انه قد جاء امر ربك • قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم
وانهم آتيهم عذاب غير مردود • غير مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك • ولما جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم • ساءه مجيئهم لانهم جاؤه في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف
عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم • وضاق بهم ذرعا • وضاق بمكانهم صدره
وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه • وقال هذا يوم
عصيب • شديد من عصبه اذا شده • وجاءه قومه يهرعون اليه • يسرعون اليه كانهم يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه • ومن قبل • ومن قبل ذلك الوقت • كانوا يعملون السيئات • الفواحش
فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين • قال يا قوم هؤلاء بناتي

بني اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم
لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي
خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له
وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف
ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم • هن اطهر لكم • انظف فعلا واقل فحشا
كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على انه حال وهن خبر بناتي كقولك
هذا اخي وهن فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها • فاتقوا الله • بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم • ولا تخزون • ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى
الحياء • في ضيفي • في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه • اليس منكم رجل رشيد •
يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح • قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق • من حاجة • وانك لتعلم
ما نريد • وهو اتيان الذكران • قال لو ان لي بكم قوة • لو قويت بنفسي على دفعكم • او اوي
الى ركن شديد • الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته • عن النبي عليه السلام رحم الله اخي
لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم
قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه
واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك • لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون
عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم
واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة • فاسر باهلك • بالقطع
من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القران من السرى • بقطع من الليل •
بطائفة منه • ولا يلتفت منكم احد • ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ
لاحد وفي المعنى للوط • الا امراتك • استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ
فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه
ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل
من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما
سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها
على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله
ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها
بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف • انه مصيبها
ما اصابهم • ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع • ان موعدهم الصبح • كانه
علة الامر بالاسراء • اليس الصبح بقريب • جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب •
فلما جاء امرنا • عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله
جعلنا عاليها سافلها • فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به
فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل ادخل جناحه

تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم • وامطرنا عليها • على المدن او على شذاذهم • حجارة من سجيل • من طين متحجر
كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى
من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به
وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما • منضود • نضد معدا لعذابهم او نضد
في الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به
مسومة • معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم
من يرمى به • عند ربك • في خزائنه • وما هي من الظالمين ببعيد • فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر
عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم
الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة
يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان • والى مدين
اخاهم شعيبا • اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه • قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان • امرهم بالتوحيد اولا
فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض • اني اراكم
بخير • بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا
حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهي • واني اخاف عليكم
عذاب يوم محيط • لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب
يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله
عليه • ويا قوم اوفوا المكيال والميزان • صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة
وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة
لا يتاتى دونها • بالقسط • بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد
ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا • ولا تبخسوا الناس اشياءهم • تعميم بعد
تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او غيره وكذا قوله • ولا تعثوا في الارض مفسدين •
فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ
العشور في المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج
ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين
امر دينكم ومصالح اخرتكم • بقيت الله • ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم
خير لكم • مما تجمعون بالتطفيف • ان كنتم مؤمنين • بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل
البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه
التي تكف عن المعاصي • وما انا عليكم بحفيظ • احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم
فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم
نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم • قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا

من الأصنام أجابوا به أمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والإشعار
بأن مثله لا يدعو إليه داع عقلي وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب
عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص
على الإفراد والمعنى أصلوتك تأمرك بتكليف أن نترك فحذف المضاف لأن الرجل
لا يؤمر بفعل غيره • أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء • عطف على ما أي وأن نترك فعلنا
ما نشاء في أموالنا وقرئ بالتاء فيهما على أن العطف على أن نترك وهو جواب النهي
والأمر بالإيفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك •
إنك لأنت الحليم الرشيد • تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك أو عللوا إنكار ما سمعوا
منه واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال ذلك • قال
يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي • إشارة إلى ما آتاه الله من العلم والنبوة • ورزقني
منه رزقا حسنا • إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره
فهل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه
وأخالفه في أمره ونهيه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين
الآباء والضمير في منه لله أي من عنده وبإعانته بلا كد مني في تحصيله • وما أريد أن أخالفكم
إلى ما أنهاكم عنه • أي وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبد به ولو كان صوابا لآثرته
ولم أعرض عنه فضلا عن أن أنهى عنه يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول
عنه وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس • إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت •
ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح فلو وجدت
الصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الأجوبة الثلثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه
على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلثة وأعلاها حق الله تعالى
وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي أن آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما
نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الإصلاح أي المقدار
الذي استطعته أو إصلاح ما استطعته فحذف المضاف • وما توفيقي إلا بالله • وما توفيقي لإصابة
الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته • عليه توكلت • فإنه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه
عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه إشارة إلى محض التوحيد
الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ • وإليه أنيب • إشارة إلى معرفة المعاد وهو أيضا
يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لإصابة الحق فيما يأتيه
ويذره من الله والاستعانة به في مجامع أمره والإقبال عليه بشراشره وحسم أطماع الكفار
وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء •
ويا قوم لا يجرمنكم • لا يكسبنكم • شقاقي • معاداتي • أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح •
من الغرق • أو قوم هود • من الريح • أو قوم صالح • من الرجفة • وأن بصلتها ثاني
مفعولي جرم فإنه يتعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو
منقول من المتعدي إلى مفعول واحد والأول أفصح فإن أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء

وقرئ مثل بالفتح لإضافته إلى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن
نطقت حمامة في غصون ذات أوقال • وما قوم لوط منكم ببعيد • زمانا أو مكانا فإن
لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم
ما أصابهم وإفراد البعيد لأن المراد وما إهلاكهم أو وما هم بشيء بعيد ولا يبعد أن يسوى
في أمثاله بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق • واستغفروا
ربكم ثم توبوا إليه • عما أنتم عليه • إن ربي رحيم • عظيم الرحمة للتائبين • ودود • فاعل
بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد
الوعيد على الإصرار • قالوا يا شعيب ما نفقه • ما نفهم • كثيرا مما تقول • كوجوب التوحيد
وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل
قالوا ذلك استهانة بكلامه أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه •
وإنا لنراك فينا ضعيفا • لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءا أو مهينا لا عز لك
وقيل أعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة
استنباء الأعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين • ولولا رهطك • قومك
وعزهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فإن الرهط من الثلثة إلى العشرة
وقيل إلى التسعة • لرجمناك • لقتلناك برمي الأحجار أو بأصعب وجه • وما أنت علينا
بعزيز • فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب
والتهديد وفي إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة
وأن المانع لهم عن إيذائه عزة قومه ولذلك قال • يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا • وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والإهانة
برسوله فلا تبقون على الله وتبقون علي لرهطي وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد
والتكذيب وظهريا منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب • إن ربي بما تعملون
محيط • فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها • ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه • سبق مثله في سورة الأنعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة
للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لأنه جواب سائل
قال فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في التهويل • ومن هو كاذب • عطف على من يأتيه لا لأنه قسيم
له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون
من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم
والثاني إليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم • وارتقبوا
وانتظروا ما أقول لكم • إني معكم رقيب • منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير
أو المرتقب كالرفيع • ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا • إنما
ذكره بالواو كما في قصة عاد إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي
صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله إن موعدهم
الصبح فلذلك جاء بالفاء السببية • وأخذت الذين ظلموا الصيحة • قيل صاح بهم

جاثمين فهلكوا • فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين، وأصل الجثوم اللزوم في المكان • كأن لم يغنوا فيها • كأن لم يقيموا فيها • ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود • شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضاً بالصيحة غير أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم • وقرئ بعدت • بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك، والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور • ولقد أرسلنا موسى بآياتنا • بالتوراة أو المعجزات • وسلطان مبين • هو المعجزات القاهرة أو العصا، وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها، ويجوز أن يراد بهما واحد أي ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطاناً له على نبوته واضحاً في نفسه أو موضحاً إياها فإن أبان جاء لازماً ومتعدياً، والفرق بينهما أن الآية تعم الأمارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء • إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون • فاتبعوا أمره بالكفر بموسى، أو فما اتبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم • وما أمر فرعون برشيد • مرشد أو ذي رشد، وإنما هو غي محض وضلال صريح • يقدم قومه يوم القيامة • إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال، يقال قدم بمعنى تقدم • فأوردهم النار • ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحققه، ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها مورداً ثم قال • وبئس الورد المورود • أي بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش والنار بالضد، والآية كالدليل على قوله • وما أمر فرعون برشيد • فإن من هذا عاقبته لم يكن في أمره رشد، أو تفسير له على أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها • وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة • أي يلعنون في الدنيا والآخرة • بئس الرفد المرفود • بئس العون المعان أو العطاء المعطى، وأصل الرفد ما يضاف إلى غيره ليعمده، والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة في الدارين • ذلك • أي ذلك النبأ • من أنباء القرى • المهلكة • نقصه عليك • مقصوص عليك • منها قائم • من تلك القرى باق كالزرع القائم • وحصيد • ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود، والجملة مستأنفة، وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح إذ لا واو ولا ضمير • وما ظلمناهم • بإهلاكنا إياهم • ولكن ظلموا أنفسهم • بأن عرضوها له بارتكاب ما يوجبه • فما أغنت عنهم • فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم • آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك • حين جاءهم عذابه ونقمته • وما زادوهم غير تتبيب • هلاك أو تخسير • وكذلك • ومثل ذلك الأخذ • أخذ ربك • وقرئ أخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر • إذا أخذ القرى • أي أهلها، وقرئ إذ لأن المعنى على المضي • وهي ظالمة • حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامها أجريت عليها، وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا لظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة • إن أخذه أليم شديد • وجيع غير مرجو الخلاص منه

وهو مبالغة في التهديد والتحذير • إن في ذلك • أي فيما نزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله تعالى من قصصهم • لآية • لعبرة • لمن خاف عذاب الآخرة • يعتبر به عظته لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد الله للمجرمين في الآخرة، أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بأنها من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، فإن من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها • ذلك • إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه • يوم مجموع له الناس • أي يجمع له الناس، والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه من شأنه لا محالة وأن الناس لا ينفكون عنه، فهو أبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع، ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة • وذلك يوم مشهود • أي مشهود فيه أهل السماوات والأرضين فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله: في محفل من نواصي الناس مشهود، أي كثير شاهدوه، ولو جعل اليوم مشهوداً في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فإن سائر الأيام كذلك • وما نؤخره • أي اليوم • إلا لأجل معدود • إلا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وإرادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فإنه غير معدود • يوم يأت • أي الجزاء أو اليوم كقوله أن تأتيهم الساعة على أن يوم بمعنى حين، أو الله عز وجل كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ونحوه، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة • لا تكلم نفس • لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة، وهو الناصب للظرف، ويحتمل نصبه بإضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف • إلا بإذنه • إلا بإذن الله كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن، وهذا في موقف، وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر، أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة • فمنهم شقي • وجبت له النار بمقتضى الوعيد • وسعيد • وجبت له الجنة بمقتضى الوعد، والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر لأنه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس، أو للناس • فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق • الزفير إخراج النفس والشهيق رده، واستعمالهما في أول النهيق وآخره، والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه، أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير، وقرئ شقوا بالضم • خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض • ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فإن النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما، بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل، ولو كان للارتباط لم يلزم أيضاً من زوال السماوات والأرض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه إلا من قبيل المفهوم لأن دوامهما كالملزوم لدوامه، وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق، وقيل المراد سماوات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل، وفيه نظر لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه

التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين
يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم
المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد
من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء
وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم
شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان
ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل
الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك
لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير
وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب
القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف
للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ
ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من
من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى
كقولك علي الف درهم الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي
لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء
غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء
في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرأ حمزة
والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب
على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية في شك بعدما انزل
عليك من مآل امر الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤدية
الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه
يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي
عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون
شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان
التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل
عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخر
العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص من النصيب ليتقيد التوفية فانك تقول
وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك
يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به
عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب موقع في الريبة ولا

وان كلا

وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك
اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما
للادغام فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اوليهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء
اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى
الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت
لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله
بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه
والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع
كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها
وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك
والكفر وامن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في
معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف
بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون
هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان
الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين
بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور
في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة
التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه
او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء
للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو
للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم
وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون
منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر
على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة
وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة
من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح
لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد
الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون
كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها
وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول

ان رجلا اتى النبي عم فقال اني قد اصبت من امراة غير انه لم آتها فنزلت ذلك اشارة
الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر
على الطاعة وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن الضمير ليكون كالبرهان
على المقصود ودليلا على ان الصبر والصلوة احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص
فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولو فضل
وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم
ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب
ويؤيده انه قرئ بقية على وزن لقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم
لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها
واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب
لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكر
مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد
واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي اتبعوا
جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم
فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء
عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء
ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة
وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون
مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا
من رحم ربك الا اناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه
ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة
او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين لا من احدهما وكلا
وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او
بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة
قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب
على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك
من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او في الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق
وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر

انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة
لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه فاعبده
وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد
وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ نافع وحفص وابن عامر
بالتاء هنا وفي آخر النمل عن رسول الله من قرأ سورة هود اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح ولوط وابراهيم وكان يوم القيامة من السعداء

سورة يوسف مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها مائة واحدى عشرة

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك
الآيات آيات السورة الظاهرة امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة
لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء
المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عم فنزلت
انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس
يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة
للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه
او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة
اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا
ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك
احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او مفعول احسن
ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقص والسلب
واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القرآن يعني
السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت
من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو
تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف
بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف
عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه
مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهور يشهد بعجمته لابيه يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم وعنه عم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق
ابن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة
ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف
يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف
وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ
بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم يسكن
كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت

من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياي
احد عشر كوكبا والشمس والقمر • روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله
فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره
بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم فقال جربان والطارق والذيال
وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها
لاسماؤها • رأيتهم لي ساجدين • استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما
اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم • قال يا بني • تصغير ابن صغره للشفقة او
لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء
لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا • فيحتالوا لاهلاكك حيلة
فهم يعقوب من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه
حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بحرفي
التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك
والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها
من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان
المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت
شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير
والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمينه معنى فعل يعدى
به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله • ان الشيطان للانسان عدو مبين •
ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى
يحملهم على الكيد • وكذلك • اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال
نفس • يجتبيك ربك • للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا
حصلته لنفسك • ويعلمك • كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك • من تأويل
الاحاديث • من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس
او الشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات
الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل • ويتم نعمته عليك • بالنبوة او
بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة • وعلى آل يعقوب • يريد به سائر بنيه ولعله استدل
على نبوتهم بضوء الكواكب • كما اتمها على ابويك • بالرسالة وقيل على ابراهيم
بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم • من قبل
من قبلك او من قبل هذا الوقت • ابراهيم واسحق • عطف بيان لابويك • ان ربك عليم •
بمن يستحق الاجتباء • حكيم • يفعل الاشياء على ما ينبغي • لقد كان في يوسف واخوته
اي في قصتهم • آيات • دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك • للسائلين • لمن سأل
عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون

مطلب في بيان اسماء النجوم

مطلب في بيان اسماء اخوة يوسف

ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها
راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ
واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة • اذ قالوا
ليوسف واخوه • بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين
احب الى ابينا منا • وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما
يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف • ونحن عصبة
والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم • ان ابانا لفي ضلال مبين
لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه
من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه
فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له • اقتلوا يوسف • من جملة المحكي بعد قوله
اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوه وقيل قاله شمعون او دان
ورضي به الآخرون • او اطرحوه ارضا • منكورة بعيدة من العمران وهو معنى
تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة • يخل لكم وجه ابيكم • جواب
الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم
ولا ينازعكم في محبته احد • وتكونوا • جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان • من بعده
بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه • قوما صالحين • تائبين الى الله
عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في
امور دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم • قال قائل منهم • يعني يهوذا
وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل • لا تقتلوا يوسف • فان القتل عظيم • والقوه
في غيابة الجب • في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات الجب
على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد • يلتقطه • يأخذه
بعض السيارة • بعض الذين يسيرون في الارض • ان كنتم فاعلين • بمشورتي او
ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه • قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف
لم تخافنا عليه • وانا له لناصحون • ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله
عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن
نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء
ارسله معنا غدا الى الصحراء • يرتع • يتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة
وهي الخصب • ويلعب • بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه
من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء
والكوفيون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين
ويلعب بالرفع على الابتداء • وانا له لحافظون • ان يناله مكروه • قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به • لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه • واخاف ان يأكله الذئب • لان الارض

كانت مذأبة وقيل رأى في المنام أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره عليه وقد همزها
على الأصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وفي رواية اليزيدي أبو عمرو وقفاً وعاصم
وابن عامر وحمزة درجاً واشتقاقه من تذاءبت الريح إذا هبت من كل جهة وأنتم عنه
غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن أكله الذئب
ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه إنا إذاً لخاسرون ضعفاء مغبونون
أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به وأجمعوا
أن يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على إلقائه فيها والبئر بئر بيت المقدس أو بئر بأرض
الأردن أو بين مصر ومدين أو على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به
ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم لما برزوا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتموني أن لا تقتلوه
فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه
بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به فقالوا
ادع الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان
فيها ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبرئيل بالوحي
كما قال وأوحينا إليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقاً أوحي إليه في صغره
كما أوحي إلى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص أن إبراهيم عم حين ألقي في النار
جرد عن ثيابه فأتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحق
وإسحق إلى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبرئيل وألبسه إياه لتنبئنهم
بأمرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وبعده
عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك إشارة إلى ما قال لهم بمصر حين دخلوا
عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول إليه أمره إيناساً له وتطييباً لقلبه
وقيل وهم لا يشعرون متصل بأوحينا أي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك
وجاؤوا أباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشياً وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر
جمع أعشى أي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال
ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو
أو في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف
عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين
لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤوا على قميصه بدم كذب أي ذي كذب
بمعنى مكذوب فيه ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة وقرئ كذباً بالنصب
على الحال من الواو أي جاؤوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة أي كدر أو طري
وقيل أصله البياض الخارج على الأظفار فشبه به الدم اللاصق على القميص
وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف أي فوق قميصه أو على الحال من الدم إن جوز
تقديمها على المجرور روي أنه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن القميص فأخذه وألقاه

على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من ذئب
أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً أي سهلت لكم
وهونت في أعينكم أمراً عظيماً من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل أي فأمري
صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق
والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه
الجريمة كانت قبل استنبائهم إن صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين إلى مصر
فنزلوا قريباً من الجب وكان ذلك بعد ثلث من إلقائه فيه فأرسلوا واردهم الذي يرد
الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فأدلى دلوه فأرسلها في الجب ليملأها
فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه
أو لقومه كأنه قال تعالي فهذا أوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على إخراجه
وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالإضافة وقرئ يا بشري بالإدغام وهو لغة
وبشراي بالسكون على قصد الوقف وأسروه أي الوارد وأصحابه من سائر الرفقة
وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لإخوة
يوسف وذلك أن يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها
فأخبر إخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلام منا أبق منا فاشتروه وسكت يوسف
مخافة أن يقتلوه بضاعة نصب على الحال أي أخفوه متاعاً للتجارة واشتقاقه من البضع
فإنه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه أسرارهم أو صنيع إخوة
يوسف بأبيهم وأخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه
من إخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه أو نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فإنهم
كانوا يزنون ما بلغ الأوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهماً وقيل اثنين
وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في كانوا إن كان
للإخوة فظاهر وإن كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لأنهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وإن كانوا مبتاعين فلأنهم اعتقدوه
آبقاً وفيه متعلق بالزاهدين إن جعل اللام للتعريف وإن جعل بمعنى الذي فهو متعلق
بمحذوف يبينه الزاهدين لأن متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي
اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو إطفير وكان
الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون
موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور
أنه من أولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء روي أنه
اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان
وهو ابن ثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه
غير الأول فقيل عشرون ديناراً وزوجا نعل وثوبان أبيضان وقيل ملؤه فضة
وقيل ذهباً لامرأته راعيل أو زليخا أكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريماً أي

والعزيز احق تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا
او نتخذه ولدا نتبناه. وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس
ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر
وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله
او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف
على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى
ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات
المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه
والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة
يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر
كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته
وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم
آتيناه حكما وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم
تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على
احسانه في عمله واتقائه في عنفوان شبابه وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت
لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام
للتبيين كالتي في سقيا لك وقراه ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح
وكسر الهاء كعيط وهو لغة فيه وقرا هشام كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه ضم
التاء وقرئ هيئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وهيئت لك وعلى هذا فاللام من صلته قال
معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي اي سيدي قطفير احسن
تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله تعالى اي انه
خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن
بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت
مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا
هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري
وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه
عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان
ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم
بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل
راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف
انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر

ذلك

ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين
اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القران
اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل
معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت
قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا
والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما انها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على
يوسف واغراؤه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن
قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له
من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن
عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون
الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قد
قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه
فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة
لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك
ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمتن علي باحسانك امتن عليك باحسانه
السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح
كانهما علمان للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال
انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب
لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف
واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس
مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا
اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين
من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي جمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار
غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن
الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب
الدواب امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان
العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق
شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه
وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال
مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما

سماه

مكراً لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره، أو قلن ذلك لتريهن يوسف أو لأنها استكتمتهن
سرها فأفشينه عليها. أرسلت إليهن تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة فيهن الخمس
وأعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكيناً حتى
يتكئن والسكاكين بأيديهن فإذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع
أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة أو يهاب يوسف من مكرها إذا
خرج وحده على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر وقيل متكأ طعاماً أو مجلس طعام
فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفاً ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا
بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله. وقيل المتكأ طعام يحز حزاً كأن القاطع يتكئ
عليها بالسكين. وقرئ متكاً بحذف الهمزة ومتكاءً بإشباع الفتحة كمنتزاح ومتكاً
وهو الأترج أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكاءً من تكئ يتكأ إذا اتكأ.
وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي عليه السلام
رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه
على الجدران وقيل أكبرن بمعنى حضن من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر
بالحيض والهاء ضمير للمصدر أو ليوسف على حذف اللام أي حضن له من شدة
الشبق كما قال المتنبي: خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت
في الخدور العواتق. وقطعن أيديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة
وقلن حاش لله تنزيهاً له من صفات العجز وتعجباً من قدرته على خلق مثله. وأصله حاشا
كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذفت ألفه الأخيرة تخفيفاً وهو حرف يفيد معنى
التنحية في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك
سقياً لك. وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشاً لله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر. وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله
ضمير يوسف أي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه. ما هذا بشراً لأن هذا الجمال
غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في إعمال ما عمل ليس لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ
بشرٌ بالرفع على لغة تميم وبشرى أي بعبد مشترى لئيم. إن هذا إلا ملك كريم
فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة أو
لأن جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه إلا الملك. قالت فذلكن الذي لمتنني فيه
أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره ولو
تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني أو فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك
موضع هذا رفعاً لمنزلة المشار إليه. ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع
طلباً للعصمة أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على إلانة عريكته. ولئن
لم يفعل ما آمره أي ما آمر به فحذف الجار أو أمري إياه بمعنى موجب أمري فيكون الضمير
ليوسف. ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الأذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر
صغراً وصغاراً والصغير من صغر بالضم صغراً وقرئ ليكونن وهو يخالف خط

المصحف

المصحف لأن النون كتبت فيه بالألف كنسفعاً على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها
بالتنوين. قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر. أحب إلي مما يدعونني إليه أي
آثر عندي من مؤاتاتها زناً نظراً إلى العاقبة وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه
وإسناد الدعوة إليهن جميعاً لأنهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها أو دعونه إلى أنفسهن
وقيل إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا وإنما كان أولى به أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان يسأل الصبر. وإلا تصرف عني وإن لم تصرف عني كيدهن في تحبيب
ذلك إلي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة. أصب إليهن أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن
بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تستطيبها وتميل
إليها. وقرئ أصب من الصبابة وهي الشوق. وأكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب
ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون فإنهم والجهال سواء
فاستجاب له ربه فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف. فصرف عنه كيدهن
فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة
للعصيان. إنه هو السميع لدعاء الملتجئين إليه العليم بأحوالهم وما يصلحهم. ثم بدا
لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة
يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن
وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته
على سجنه زماناً حتى تبصر ما يكون منه أو يحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن سبع سنين
وقرئ بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه وعتى
بلغة هذيل. ودخل معه السجن فتيان أي أدخل يوسف السجن واتفق أن أدخل
آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يسماه. قال أحدهما
يعني الشرابي إني أراني في المنام وهي حكاية حال ماضية. أعصر خمراً أي عنباً وسماه
بما يؤول إليه. وقال الآخر أي الخباز إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير
منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو
من العالمين وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو
من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه. قال لا يأتيكما طعام
ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله أي بتأويل ما قصصتما علي أو بتأويل الطعام يعني بيان
ماهيته وكيفيته فإنه يشبه تفسير المشكل كأنه أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما
إلى الطريق القويم قبل أن يسعف إلى ما سألاه منه كما هو طريقة الأنبياء والنازلين منازلهم
من العلماء في الهداية والإرشاد فقدم ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب ليدلهما على صدقه
في الدعوة والتعبير. قبل أن يأتيكما ذلكما أي ذلك التأويل مما علمني ربي بالإلهام
والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم. إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون تعليل لما قبله أي علمني ذلك لأني تركت ملة أولئك. واتبعت ملة آبائي
إبراهيم وإسحق ويعقوب كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة وإظهار أنه من بيت النبوة

في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه
ويكرر الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله
علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر
المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا
بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها
كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه
على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون شتى متعددة متساوية
الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه
غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة
تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم
ما لم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون
عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه
الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة
والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما
يسمونها الهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا
القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره
ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما
احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد به
الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا
في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان
يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين
اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى
الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه
او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عم رحم الله اخي يوسف لو لم
يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف
الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن
بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى
سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن
من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد

حبها

حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى
غلبن عليها ولعله استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز
دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ
افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال
من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت
الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما
اخر عن معموله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام
كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث
احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا
الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه
اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة
خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية
للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر
وتذكر يوسف بعد امة بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي
النعمة اي بعدما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة
اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن
يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق
وهو المبالغة في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه
افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي
في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل
ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام
فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع
سنين دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار
فعله اي تداوبون دابا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر
داب في العمل وقيل انه امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه
في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما
تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن
ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث
او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار
وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء
المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم

بعضا آخر او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة
بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله
علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده
بعدما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعدما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول
ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تانى في الخروج
وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد
ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها
وعن النبي لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله
ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما
لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي
بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله
عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن
ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش
لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت
امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ
قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا
استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه
الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب
وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف
اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين
لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة
وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ
نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه
من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا
حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها
وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما
رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي
هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه
وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم
يغفر هم النفس ويرحم من شاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه
ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي

اجعله

اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال
انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه
لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم
اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال
ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل و
اماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك
الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم
وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني على امرها والارض ارض مصر اني حفيظ
لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله لما رأى انه يستعمله في امره لا محالة
آثر ما يعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها
والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق الا باستظهاره به وعن مجاهد
ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض في ارض مصر يتبوأ منها
حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب
برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا
وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه
ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد
في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر
والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى
لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم
وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه
للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد
ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي
رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام فلما
جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة
للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ
بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم
لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة
قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا
ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينا وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم
فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم

من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم • فان لم تاتوني به فلا كيل لكم
عندي ولا تقربون اي لا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء • قالوا سنراود
عنه اباه • سنجتهد في طلبه من ابيه • وانا لفاعلون • ذلك لا نتوانى فيه • وقال لفتيته • لغلمانه
الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم • فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي
شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا
من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به • لعلهم يعرفونها
لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها • اذا انقلبوا الى اهلهم • وفتحوا اوعيتهم • لعلهم
يرجعون • لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع • فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل • بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين • فارسل معنا اخانا نكتل • نرفع المانع
من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه • وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي
يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا • وانا له لحافظون • عن ان يناله مكروه • قال هل
آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل • وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون • فالله
خير حافظا • فاتوكل عليه وافوض امري اليه • وهو ارحم الراحمين • فارجو ان يرحمني
بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين • وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي
وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا • وقرئ خير حافظ وخير الحافظين • ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم • وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة
الى الراء نقلها في بيع وقيل • قالوا يا ابانا ما نبغي • ما نطلب هل من مزيد على ذلك
اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ولا نطلب وراء ذلك احسانا
او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه • وقرئ ما تبغي على الخطاب اي
اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا • هذه بضاعتنا
ردت الينا • استئناف موضح لقوله ما نبغي • ونمير اهلنا • معطوف على محذوف اي
ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك • ونحفظ اخانا • عن المخاوف
في ذهابنا وايابنا • ونزداد كيل بعير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا
ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون
الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل
انه كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد • قال لن ارسله معكم
اذ رايت منكم ما رايت • حتى تؤتون موثقا من الله • حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي
عهدا مؤكدا بذكر الله • لتاتنني به • جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به
الا ان يحاط بكم • الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء
مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم
العلل على ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة
بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك • فلما آتوه موثقهم • عهدهم قال

الله على ما نقول • من طلب الموثق واتيانه • وكيل • رقيب مطلع • وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة • لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في
مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله
لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على
بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم
اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة • وما اغني عنكم من
الله من شيء • مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر • ان الحكم الا لله • يصيبكم
لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك • عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون •
جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف
والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم • ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم • اي من ابواب متفرقة في البلد • ما كان يغني عنهم • راي يعقوب واتباعهم له من الله
من شيء • مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله
وتضاعفت المصيبة على يعقوب • الا حاجة في نفس يعقوب • استثناء منقطع اي ولكن
حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا • قضاها • اظهرها ووصى بها • وانه
لذو علم لما علمناه • بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره
ولكن اكثر الناس لا يعلمون • سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر • ولما دخلوا على يوسف
آوى اليه اخاه • ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى
فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم
قال لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل •
قال اني انا اخوك فلا تبتئس • فلا تحزن افتعال من البؤس • بما كانوا يعملون • في حقنا
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية • المشربة • في رحل اخيه • قيل كانت مشربة جعلت صاعا
يكال بها وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ
وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا • ثم اذن مؤذن • نادى مناد
ايتها العير انكم لسارقون • لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبيره للسقاية والنداء عليها
برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون • والعير
القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها
كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل
ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة • قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون •
اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ
تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا • قالوا نفقد صواع الملك • وقرئ صاع
وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصواع من الصياغة • ولمن جاء به حمل بعير •
من الطعام جعلا له • وانا به زعيم • كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة

وضمان للجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة
باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة
أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة
التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد قالوا فما جزاؤه
فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف إن كنتم كاذبين في ادعاء
البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله
واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم وإلزام له أو خبر من
والفاء لتضمنها معنى الشرط أو جواب لها على أنها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على
إقامة الظاهر فيها مقام المضمر كأنه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي
الظالمين بالسرقة فبدأ بأوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لأنهم ردوا إلى مصر
قبل وعاء أخيه نفيا للتهمة ثم استخرجها أي السقاية أو الصواع لأنه
يذكر ويؤنث من وعاء أخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك
الكيد كدنا ليوسف بأن علمناه إياه وأوحينا به إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك
ملك مصر لأن دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد إلا أن
يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من أعم الأحوال ويجوز أن يكون منقطعا أي
لكن أخذه بمشيئة الله وإذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي
علم عليم أرفع درجة منه واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان فوقه من
هو أعلم منه والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق لأن الكلام فيهم ولأن العليم هو الله
ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء
عليم وهو مخصوص قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف
قيل ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب
انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتحصت عنها فوجدت محزومة عليه
فصارت أحق به في حكمهم وقيل كان لأبي أمه صنم فسرقه وكسره وألقاه في الجيف وقيل
في البيت عناق أو دجاجة فأعطاها السائل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها
لهم أكنها ولم يظهرها لهم والضمير للإجابة أو المقالة أو نسبة السرقة إليه وقيل إنها
كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال أنتم شر مكانا فإنه بدل من أسرها وعلى الأول
قال في نفسه أنتم شر مكانا منزلة في السرقة لسرقتكم أخاكم أو في سوء الصنيع مما كنتم
عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة وفيه نظر إذ المفسر بالجملة لا يكون إلا ضمير
الشأن والله أعلم بما تصفون وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون قالوا يا أيها العزيز
إن له أبا شيخا كبيرا في السن أو القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ أحدنا
مكانه بدله فإن أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس به إنا نراك من المحسنين إلينا
فأتمم إحسانك أو من المتعودين بالإحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله أن نأخذ إلا من
وجدنا متاعنا عنده لأن أخذ غيره ظلم على فتواكم فلو أخذنا أحدكم مكانه إنا إذا لظالمين

في مذهبكم هذا أو إن الله أذن في أخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه
عليه فلو أخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف وإجابته إياهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وإنما وحده
لأنه مصدر أو بزنته كما قيل هم صديق وجمعه أنجية كندي وأندية قال كبيرهم
في السن وهو روبيل أو في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ
عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وإنما جعل حلفهم بالله موثقا منه لأنه بإذن منه وتأكيد
من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز
أن يكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف أو على اسم إن وخبره في يوسف أو من قبل أو الرفع بالابتداء والخبر
من قبل وفيه نظر لأن قبل إذا كان خبرا أو صلة لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص وأن يكون
موصولة أي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن أبرح الأرض
فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الرجوع أو يحكم الله لي أو ينقضي لي بالخروج
أو بخلاص أخي منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه روي أنهم كلموا العزيز في إطلاقه فقال
روبيل أيها الملك والله لتتركنا أو لأصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور
جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم إلى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب إذا غضب
أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا إن في هذا البلد لبذرا من بذر
يعقوب وهو خير الحاكمين لأن حكمه لا يكون إلا بالحق ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك
سرق على ما شهدنا من ظاهر الأمر وقرئ سرق أي نسب إلى السرقة وما شهدنا عليه
إلا بما علمنا بأن رأينا أن الصاع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال
حافظين فلا ندري أنه سرق أو سرق ودس الصاع في رحله أو ما كنا للعواقب عالمين
فلم ندر حين أعطيناك الموثق أنه سيسرق أو أنك تصاب به كما أصبت بيوسف واسأل
القرية التي كنا فيها يعني مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى أرسل إلى أهلها
واسألهم عن القصة والعير التي أقبلنا فيها وأصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم
وإنا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت أي فلما رجعوا إلى أبيهم وقالوا له
ما قال لهم أخوهم قال بل سولت زينت وسهلت لكم أنفسكم أمرا أردتموه فقدرتموه
وإلا فما أدري الملك أن السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل أي فأمري صبر جميل أو فصبر
جميل أجمل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين وأخيهما الذي توقف
بمصر إنه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم وأعرض عنهم كراهة
لما صادف منهم وقال يا أسفى على يوسف أي يا أسفا تعال فهذا أوانك والأسف
أشد الحزن والحسرة والألف بدل من ياء المتكلم وإنما تأسف على يوسف دون أخويه
والحادث رزؤه مما كان رزؤه كان قاعدة المصائب وكان غضا آخذا بمجامع قلبه
ولأنه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه
راجعون عند المصيبة إلا أمة محمد ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال

يا اسفا • وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه فان العبرة محقت سوادهما وقيل
ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند
التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد
بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط
الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون • فهو كظيم • مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له
في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او
بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته
اذا ردها في جوفه • قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف • اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا
عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا • لانه لا يلتبس بالاثبات فان
القسم اذا لم يكن معه علامات الاثبات كان على النفي • حتى تكون حرضا • مريضا مشفيا على الهلاك
وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث
ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب • او تكون
من الهالكين • من الميتين • قال انما اشكو بثي وحزني • همي الذي لا اقدر الصبر عليه
من البث بمعنى النشر • الى الله • لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي • واعلم
من الله • من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه • ما لا تعلمون • او
من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام
فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه • فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس
تطلب الاحساس • ولا تيأسوا من روح الله • لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله
اي من رحمته التي يحيي بها العباد • انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون • بالله وصفاته
فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال • فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية • مسنا واهلنا الضر • شدة الجوع • وجئنا ببضاعة مزجاة •
رديئة او قليلة ترد ويدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل
كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط
وسويق المقل • فاوف لنا الكيل • فاتم لنا الكيل • وتصدق علينا • برد اخينا او بالمسامحة
وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة التصدق تعم الانبياء
او تختص بنبينا عليه وعليهم السلام • ان الله يجزي المتصدقين • احسن الجزاء والتصدق التفضل
مطلقا ومنه قوله عليه السلام هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه
اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله • قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه • اي هل علمتم
قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افرادهم اياه عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم
الا بعجز وذلة • اذ انتم جاهلون • قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا
لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا
وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف

واحد

٢٠٨

واحد فقال الجهد لكم وانما ذا فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين •
قالوا ائنك لانت يوسف • استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه
وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه
بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء كان
لسارة ويعقوب مثلها • قال انا يوسف وهذا اخي • من ابوي ذكره تعريفا لنفسه به
وتفخيما لشأنه وادخالا له في قوله • قد من الله علينا • اي بالسلامة والكرامة • انه من يتق
ويصبر • على البليات او على الطاعات وعن المعاصي • فان الله لا يضيع اجر المحسنين • وضع
المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر • قالوا تالله لقد آثرك
الله علينا • اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة • وان كنا لخاطئين • والحال
ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك • قال لا تثريب عليكم • لا تأنيب عليكم تفعيل
من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض
ويذهب ماء الوجه • اليوم • متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى
لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله • يغفر الله لكم • لانه
صفح عن جرمهم حينئذ واعترفوا بها • وهو ارحم الراحمين • فانه يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا
بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا
ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ
ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم
اذهبوا بقميصي هذا • القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ
فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا • اي يرجع بصيرا اي ذا بصر • وأتوني • انتم وابي
باهلكم اجمعين • بنسائكم وذراريكم ومواليكم • ولما فصلت العير • من مصر وخرجت
من عمرانها • قال ابوهم • لمن حضره • اني لاجد ريح يوسف • اوجده الله ريح ما عبق بقميصه
من ريحه حين اقبل به اليه يهودا من ثمانين فرسخا • لولا ان تفندون • تنسبوني الى
الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان
عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب • قالوا • اي
الحاضرون • تالله انك لفي ضلالك القديم • لفي ذهابك عن الصواب قديما بالافراط في محبة
يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه • فلما ان جاء البشير • يهودا روي انه قال كما احزنته
بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه • القاه على وجهه • طرح البشير القميص
على وجه يعقوب او يعقوب نفسه • فارتد بصيرا • عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة •
قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون • من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني
اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف • قالوا
يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين • ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه
ويسأل له المغفرة • قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم • اخره الى السحر او

[illegible]

عبق به الطيب بالكسر اي لزق به عبقا

الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف
او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل
وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل
على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه
رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده
الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة
الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه
ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة
الاب في قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة
تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية
متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين
استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة فان السجود كان عندهم
يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه
واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت
هذا تاويل رؤياي من قبل التي رايتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد
احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو
من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري
ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل
دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء
في وقته على وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه
فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت
الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسئله قال انت ابسط مني اليه فسئله
قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد
آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او
الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما
وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى براسه انت وليي ناصري ومتولي امري
في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعم فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين
من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين
سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى به ودفنه ثمة ثم عاد
وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله
طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان يعملوه في صندوق

مرمر

من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه
ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل
افرايم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر
من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك
خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى
ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على
ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم
الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا
الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسئلهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل
كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من آية وكم
من آية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال
قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم
عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ
خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون
عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم
بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة
التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي
مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
عقوبة تغشيهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك
فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة
واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره
على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها
من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل
معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ
حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى
لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا
المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة
خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها
خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم

افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم
تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم
لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم
انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل
اليهم اي ظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل
اليهم والثاني للرسل فظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط
الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح
فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي
والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم
قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا
فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء
النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا
يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ
فنجى ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم
في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي
العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن
حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج
اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال
ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي عم علموا ارقاءكم
سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة

سورة الرعد مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلث واربعون آية

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك
اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك
من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او
احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة
على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم
من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ
وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد
كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد
او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع
الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية في حقيقة الجرمية واختصاصها
بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات

على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش
بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد
من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة تتم
فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك
يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم
بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال القدرة فتعلموا ان من قدر على خلق هذه
الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا
لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا
الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا
ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات
متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو
والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو
مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم
دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة
وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا
تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في
الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة
متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها
انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات صنوان
نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو
لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها
مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم
ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق
قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب
يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك
كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة
على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته أئذا
كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه
ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك

الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود
بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا
بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها
كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل
من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء
العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم على انه جمع مثلة كركبة وركبات
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه
المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك
خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد
العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي عم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعدم
اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر
مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما
يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم
الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء
هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه
وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد
دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال
الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال الحاضرة
والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداد في الجثة والمدة والعدد
واقصاه لحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي
ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل
نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأة
ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض
جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين
تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء
عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى
خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم
الغيب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء
المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم
من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل

وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف
على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قال سواء منكم
اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله
له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه
اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها
او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ
معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه
من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال
والاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به
وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس
والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة
واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله
محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة
بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال
من البرق او المخاطبين على اضمار ذو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة
وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء
الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد
ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه
على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس
سئل النبي عم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب
والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به
من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال
التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة او للحال فانه روي
ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا رسول الله عم قاصدين لقتله
فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول وقال اللهم
اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية
وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة
والمكايدة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال
الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل
من الحول او الحيلة اعل على غير القياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال

يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم
فساعد الله اشد وموساه احد • له دعوة الحق • الدعاء الحق فانه الذي يحق ان
يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده
ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة
او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين
ان كانت الآية في عامر واربد ان هلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة
رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله
بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم
والذين يدعون • اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون
الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه • لا يستجيبون لهم بشيء
من الطلبات • الا كباسط كفيه • الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه • الى الماء ليبلغ فاه •
يطلب منه ان يبلغه • وما هو ببالغه • لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته
والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها
بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء و
باسط بالتنوين • وما دعاء الكافرين الا في ضلال • في ضياع وخسار وباطل •
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها • يحتمل ان يكون السجود على حقيقته
فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة
كرها حال الشدة والضرورة • وظلالهم • بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده
فيهم شاؤوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا
وكرها بالحال او المفعول له • بالغدو والآصال • ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال
من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما لان الاظلال انما
تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين
العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول
في الاصيل • قل من رب السموات والارض • خالقهما ومتولي امرهما • قل الله • اجب عنهم
بذلك اذ لا جواب لهم سواه لانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به • قل
افاتخذتم من دونه • ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل •
اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا • لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا
عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم
وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم • قل هل يستوي الاعمى والبصير •
المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل
عنكم والمعبود المطلع على احوالكم • ام هل تستوي الظلمات والنور • الشرك والتوحيد
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء • ام جعلوا لله شركاء • بل اجعلوا والهمزة
للانكار وقوله • خلقوا كخلقه • صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار • فتشابه الخلق

عليهم

عليهم • خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه
الخلق عليهم فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم
اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه
الخالق • قل الله خالق كل شيء • لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة
ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله • وهو الواحد • المتوحد بالالوهية
القهار • الغالب على كل شيء • انزل من السماء ماء • من السحاب او من جانب السماء او من السماء
نفسها فان المبادي منها • فسالت اودية • انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل
الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب
بين البقاع • بقدرها • اي بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر
والكبر • فاحتمل السيل زبدا • رفعه والزبد وضر الغليان • رابيا • عاليا • ومما يوقدون
عليه في النار • يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون
بها اظهارا لكبريائه • ابتغاء حلية • اي طلب حلي • او متاع • كالاواني وآلات الحرب
والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها • زبد مثله • اي ومما يوقدون عليه
زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به • كذلك يضرب الله الحق والباطل •
مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء
فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث
في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون
والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة
ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك
بقوله • فاما الزبد فيذهب جفاء • يجفأ به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه
على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد • واما ما ينفع الناس • كالماء وخلاصة الفلز •
فيمكث في الارض • ينتفع به اهلها • كذلك يضرب الله الامثال • لايضاح المشتبهات • للذين
استجابوا • للمؤمنين الذين استجابوا • لربهم الحسنى • الاستجابة الحسنى • والذين لم يستجيبوا له •
وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب
المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة والجنة • والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره • لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به • وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان
مآل غير المستجيبين • اولئك لهم سوء الحساب • وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه
ولا يغفر منه شيء • ومأواهم • مرجعهم • جهنم • وبئس المهاد • المستقر والمخصوص بالذم
محذوف • افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق • فيستجيب • كمن هو اعمى • عمى القلب لا يستبصر
فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل • انما يتذكر
اولوا الالباب • ذوو العقول المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم • الذين يوفون
بعهد الله • ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم

في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم
بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان
بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما
ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا
على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لتقال وسمعة
وعجبا واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم
انفاقه سرا لمن لا يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها
بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى
الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات
ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا
بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة
اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى
انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو
دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم
ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد
بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام
السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر
فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل
نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي
الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم
سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط
لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم
كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون
به نعيم الآخرة واغتروا وانما هو خيال قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات
ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه
قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان
انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل
من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه

او بذكر رحمته

او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته
او بكلامه يعني القران الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن
اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت
ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب
ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون
بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء
رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران الذي
هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو
لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم
ولو ان قرانا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان قرانا زعزعت به الجبال عن مقارها
او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا
او كلم به الموتى فقرأته او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القران لانه الغاية في
الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى
تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او
ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض
قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير
كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو
اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته
لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا
عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا
وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين وهو تفسير وانما
استعمل الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس عنه لا يكون ولذلك علقه
بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم
تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين
آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل
قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون
مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم

قال الزجاج وكثير [illegible] افلم ييأس الذين آمنوا
معناه افلم يعلموا [illegible]
ان [illegible] العلم
لا يكون [illegible]
حسن المجاز [illegible]
الياس [illegible] ارادة العلم

وعلى هذا يجوز أن يكون خطابا للرسول وأن يحل بجيشه قريبا من دارهم عام
الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت أو القيامة أو فتح مكة إن الله لا يخلف الميعاد لامتناع
الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة
وأمن ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي إياهم أفمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه
بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر
محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف أو عطف على الخبر المقدر للمبتدأ
أي أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موقع المضمر
للتنبيه على أنه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها
والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة
بل أتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الأرض بشركاء يستحقون العبادة
لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء أم بظاهر من القول
أم تسمونهم بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج
بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا
أباطيل ثم خالوها أو كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير
ونافع وأبو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أي وصدوا الناس عن الإيمان وقرئ
بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله بخذلانه فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب
في الحياة الدنيا بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة أشق
لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه أو من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي
وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه
أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الأنهار على طريقة قولك صفة
زيد أسمر أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار أو على زيادة المثل
وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة أكلها دائم لا ينقطع ثمرها
وظلها أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك أي الجنة الموصوفة
عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى أمرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين
إطماع للمتقين وإقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك يعني
المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا
أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون
بما يوافق كتبهم ومن الأحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله عم بالعداوة
ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف
شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به جواب للمنكر
أي قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل
لكم إلى إنكاره وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية

في جزئيات

في جزئيات الأحكام وقرئ ولا أشرك بالرفع على الاستئناف إليه أدعو لا إلى غيره
وإليه مآب مرجعي للجزاء لا إلى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء فأما ما عدا ذلك
فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الإنزال
المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها أنزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه
الحكمة عربيا مترجما بلسان عربي ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت
أهواءهم التي يدعونك إليها كتقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعدما حولت عنها بعد ما جاءك
من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم
وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد أرسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم
أزواجا وذرية نساء وأولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه
أن يأتي بآية تقترح وحكم يلتمس منه إلا بإذن الله فإنه المليء بذلك لكل أجل كتاب لكل
وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء نسخه ما يستصوب
ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما
لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين
وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد
وعنده أم الكتاب أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه وإما نرينك
بعض الذي نعدهم أو نتوفينك وكيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله فإنما
عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم
فإنا فاعلون له وهذا طلائعه أولم يروا أنا نأتي الأرض أرض الكفرة ننقصها من أطرافها
بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالإبطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى أنه حكم للإسلام بالإقبال
وعلى الكفر بالإدبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال أي يحكم
نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والإجلاء
في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بأنبيائهم والمؤمنين بهم فلله المكر جميعا إذ لا يؤبه
بمكر دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس
فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيث ما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم
في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة
مع ما في الإضافة إلى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو الكافر على إرادة الجنس
وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله وسيعلم من أعلمه إذا أخبره ويقول الذين
كفروا لست مرسلا قيل المراد رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فإنه أظهر
من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما
ألف عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه أو علم اللوح المحفوظ وهو الله
أي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب
منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الأول مرتفع بالظرف فإنه

معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره. ومن متعين للنائبة وقرئ
ومن عنده علم بالجر، وعلى الحرف والمتاع للمعقول عنه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم
القيمة من الموفين بعهد الله تعالى

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • الر كتاب • اي هو كتاب • انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك
اياهم الى ما تضمنه • من الظلمات • من انواع الضلال • الى النور • الى الهدى • باذن
ربهم • بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج
او حال من فاعله او مفعوله • الى صراط العزيز الحميد • بدل من قوله الى النور بتكرير العامل
او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له
وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله • الله الذي له ما في السموات
وما في الارض • على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي
صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق
• وويل للكافرين من عذاب شديد • وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور
والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة
الثبات • الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة • يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب
من نفسه ان يكون احب اليها من غيره • ويصدون عن سبيل الله • بتعويق الناس عن الايمان وقرئ
ويُصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة
عن تكلف التعدية • ويبغونها عوجا • ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف
الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل صفة للكافرين والنصب على الذم
والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره • اولئك في ضلال بعيد • اي ضلوا عن الحق ووقفوا
عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال
فوصف به لملابسته • وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه • الا بلغة قومه هو منهم وبعث فيهم
ليبين لهم • ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس
اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي عم بانذار عشيرته اولا ولو نزل
على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى
الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها
وما في اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه
كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه
لمحمد عم وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم
وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل لتبيين
للعرب • فيضل الله من يشاء • فيخذله عن الايمان • ويهدي من يشاء • بالتوفيق له • وهو
العزيز • فلا يغلب على مشيئته • الحكيم • الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة • ولقد ارسلنا موسى
باياتنا • يعني اليد والعصا وسائر معجزاته • ان اخرج قومك من الظلمات الى النور • بمعنى اي

اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة
على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة • وذكرهم بايام الله • بوقائعه التي
وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها او بنعمائه وبلائه • ان في ذلك
لآيات لكل صبار شكور • يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله
من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل
المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن • واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون • اي اذكروا نعمته وقت
انجائكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها
~~في سورة البقرة والاعراف~~ العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم • احوال من آل فرعون او من ضمير
المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح
والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم
بالاعمال الشاقة • وفي ذلكم • من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه • بلاء من ربكم عظيم •
ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة • واذ تأذن ربكم •
ايضا من كلام موسى عم وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى
التكلف والمبالغة • لئن شكرتم • يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان
والعمل الصالح • لازيدنكم • نعمة الى نعمة • ولئن كفرتم ان عذابي لشديد • فلعلي اعذبكم
على الكفر عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد
والجملة مقول قول محذوف او مفعول تأذن على انه جار مجرى قال لانه ضرب منه • وقال موسى
ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا • من الثقلين • فان الله لغني • عن شكركم • حميد • مستحق للحمد في ذاته
محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها
مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد • الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود • من كلام موسى عم او كلام مبتدأ من الله • والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله • جملة
وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم
لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون • جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا ايديهم في افواههم • فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا او استهزاء عليه كمن غلب عليه الضحك او اسكاتا للانبياء
وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها
على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل
ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم
وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها
الى حيث جاءت منه • وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به • على زعمكم • وانا لفي شك مما تدعوننا
اليه • من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام • مريب • موقع للريبة او ذي ريبة

وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى شيء. قالت رسلهم أفي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف. يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم اي يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم. ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم. قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل. تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا. قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى. وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات. وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله. وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل. وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت. ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم. وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم المسبب عن ايمانهم. وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد. فاوحى اليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه. ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن. ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي

موقفي

موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم. وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار. واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على ليهلكن. وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع. من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مترصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك. ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى. صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار. يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى. ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس. ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد وتحيط به من جميع الجوانب وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله. وما هو بميت فيستريح. ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار. مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد. اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح. في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة. لا يقدرون يوم القيامة. مما كسبوا من اعمالهم. على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل. ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق. الم تر خطاب للنبي عم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين. ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السماوات والارض. ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه

بخلقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع
عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر أو متعسر فإنه قادر لذاته لا اختصاص له
بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه
وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا أي يبرزون من قبورهم يوم القيمة
لأمر الله ومحاسبته أو لله على ظنهم فإنهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون أنها
تخفى على الله فإذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند أنفسهم وإنما ذكر بلفظ الماضي
لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الأتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وإنما
كتب بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو للذين استكبروا
لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم إنا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والإعراض
عن نصائحهم وهو جمع كخائب وغيب أو مصدر نعت به للمبالغة أو على إضمار مضاف
فهل أنتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الأولى للبيان واقعة
موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب
ويجوز أن تكونا للتبعيض أي بعض شيء هو بعض عذاب الله والإعراب ما سبق ويحتمل
أن تكون الأولى مفعولا والثانية مصدرا أي فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض
الإغناء قالوا أي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الأتباع واعتذارا عما فعلوا
بهم لو هدانا الله للإيمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فأضللناكم
أي اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
وأغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا أجزعنا
أم صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص
وهو العدول على جهة الفرار ويحتمل أن يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز
أن يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي أنهم يقولون تعالوا نجزع
فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء
علينا وقال الشيطان لما قضي الأمر أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل
النار النار خطيبا في الأشقياء من الثقلين إن الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه
أن ينجز أو وعدا أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو
أن لا بعث ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع لكم فأخلفتكم جعل تبين خلف
وعده كالإخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فألجئكم إلى الكفر والمعاصي
إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه
على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم
لي أسرعتم إجابتي فلا تلوموني بوسوستي فإن من صرح العداوة لا يلام بأمثال ذلك
ولوموا أنفسكم حيث أطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة
بأمثال ذلك على استقلال العبد بأفعاله وليس فيها ما يدل عليه إذ يكفي لصحتها أن يكون
لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله أصحابنا ما أنا بمصرخكم بمغيثكم

من العذاب وما أنتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء المشددة على الأصل
في التقاء الساكنين وهو أصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث
كسرات مع أن حركة ياء الإضافة الفتح فإذا لم تكسر وقبلها ألف فبالحري أن لا تكسر
وقبلها ياء أو على لغة من يزيد ياء على ياء الإضافة إجراء لها مجرى الهاء والكاف
في ضربته وأعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة إني كفرت بما أشركتمون من قبل
ما إما مصدرية ومن متعلقة بأشركتموني أي كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا
اليوم أي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم
أو موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت أي
كفرت بالذي أشركتمونيه وهو الله بطاعتكم إياي من قبل هذا اليوم فيما دعوتكم
إليه من عبادة الأصنام وغيرها من قبل إشراككم حين رددت أمره بالسجود لآدم
وأشرك منقول من شركت زيدا للتعدية إلى مفعول ثان إن الظالمين لهم عذاب أليم
تتمة كلامه أو ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين وإيقاظ
لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم بإذن الله وأمره والمدخلون
هم الملائكة وقرئ أدخل على التكلم فيكون قوله بإذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم
فيها سلام أي تحييهم الملائكة بالسلام بإذن ربهم ألم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده
ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز أن تكون كلمة بدلا
من مثلا وكشجرة صفتها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب
مثلا ولكن يكون أول مفعولي ضرب إجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء
أصلها ثابت في الأرض ضارب بعروقه فيها وفرعها وأعلاها في السماء ويجوز أن يريد
وفروعها أي أفنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الإضافة وقرئ
ثابت أصلها والأول على أصله ولذلك قيل إنه أقوى ولعل الثاني أبلغ تؤتي أكلها
تعطي ثمرها كل حين أقته الله لإثمارها بإذن ربها بإرادة خالقها وتكوينه
ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون لأن في ضربها زيادة إفهام وتذكير
فإنه تصوير للمعاني وإدناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة
خبيثة اجتثت استؤصلت وأخذت جثته بالكلية من فوق الأرض لأن عروقها قريبة
منها ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة
التوحيد ودعوة الإسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالإشراك بالله والدعاء إلى الكفر
وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح
والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك
مرفوعا وشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما أيضا ما يعم ذلك
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم
في الحيوة الدنيا فلا يزلون إذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون

والذين فتنهم اصحاب الاخدود. وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيامة وروي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال
ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق
عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت. ويضل الله الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف
الفتن. ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه. الم تر الى الذين
بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم
لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله
واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي
النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين. واحلوا
قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر. جهنم عطف بيان
لها. يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل
مقدر ناصب لجهنم. وبئس القرار اي بئس المقر جهنم. وجعلوا لله اندادا ليضلوا
عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء
وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض
قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي تتمتع بها وفي
بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان
لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به
كالمأمور به من آمر مطاع. قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم
وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل
لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا. يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون
ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له
ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله
محمد تفد نفسك كل نفس. اذا ما خفت من امر تبالا. لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا
اقيموا وانفقوا مقاما مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه
ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا. سرا وعلانية
منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على
الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به. من قبل ان يأتي
يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه. ولا خلال ولا
مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما

بالانفاق

بالانفاق لوجه الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام.
الله الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر. وانزل من السماء ماء فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات
بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينصب بالعلة او بالمصدر
لان اخرج في معنى رزق. وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم
وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم
كيفية اتخاذها. وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح
ما يصلحانه من المكونات. وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم. وآتاكم
من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود
من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج
الناس اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون
المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه
وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موضع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير
سائليه. وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا
من افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان
كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين
قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني
جعله من البلاد الآمنة. واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا
منه في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره
وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول
احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت
لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو
بمنزلته. رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولذلك سألت منك العصمة واستعذت بك
من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا
فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك
غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على
ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره. ربنا اني اسكنت
من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل ومن ولد منه
فان اسكانه متضمن لاسكانهم. بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية
لا تنبت. عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه
الجبابرة او منع من الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا

أو ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤول إليه روي أن هاجر كانت لسارة
فوهبتها من إبراهيم عليه السلام فولدت منه إسماعيل فغارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها
فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله عين زمزم ثم إن جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير إلا
على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا أشركينا في مائك نشركك في ألباننا
ففعلت ربنا ليقيموا الصلاة اللام لام كي وهي متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم
بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير
النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصودة بالذات من إسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء
توفيقهم لها وقيل لام الأمر والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة كأنه طلب منهم الإقامة
وسأل من الله أن يوفقهم لها فاجعل أفئدة من الناس أي أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض
ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى
أو للابتداء كقولك القلب مني سقيم أي أفئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل أن يكون مقلوب
أفئدة كآدر في أدؤر وأن يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة إذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم
وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه فيه إخراجها بين بين ويجوز أن يكون من أفد
تهوي إليهم تسرع إليهم شوقا ووداداً وقرئ تُهوى على البناء للمفعول من أهوى إليه
وتَهوى من هوي يهوى إذا أحب وتعديته بإلى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فأجاب الله دعوته فجعله حرما
آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى إنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا
وأرحم بنا منا بأنفسنا فلا حاجة لنا إلى الطلب لكنا ندعوك إظهاراً لعبوديتك وافتقاراً إلى رحمتك
واستعجالاً لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع إليك والتوكل عليك
وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ إلى الله وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا
في السماء لأنه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته إلى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة
وإظهارا لما فيه من الآية إسماعيل وإسحاق روي أنه ولد له إسماعيل لتسع وتسعين سنة
وإسحاق لمائة وثنتي عشرة سنة إن ربي لسميع الدعاء أي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي
إذا اعتد به وهو من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف إلى مفعوله أو فاعله على إسناد
السماع إلى دعاء الله على المجاز وفيه إشعار بأنه دعا ربه وسأل منه الولد فأجابه ووهب له
سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها رب اجعلني مقيم الصلاة
معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه
بإعلام الله واستقراء عادته في الأمم الماضية أنه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل
دعائي واستجب دعائي أو وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ لأبوي وولدي
[illegible] استغفاره لهما وقيل أرادهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار
من ثبات القائم على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم إليه أهله فحذف المضاف وأسند إليه

قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به
تثبيته على ما كان عليه من أنه مطلع على أحوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بأنه
معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة أو لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بإمهاله
وقيل تسلية للمظلوم وتهديد للظالم إنما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن أبي عمرو
بالنون ليوم تشخص فيه الأبصار أي تشخص فيه أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ما
ترى مهطعين مسرعين إلى الداعي أو مقبلين بأبصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا
وأصل الكلمة هو الإقبال على الشيء مقنعي رءوسهم رافعيها لا يرتد إليهم طرفهم
بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم
وأفئدتهم هواء خلاء أي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للأحمق
والجبان قلبه هواء أي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم
القيامة أو يوم الموت فإنه أول أيام عذابهم وهو مفعول ثان لأنذر فيقول الذين
ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا أخرنا إلى أجل قريب أخر العذاب عنا وردنا إلى الدنيا
وأمهلنا إلى حد من الزمان قريب أو أخر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك
نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للأمر ونظيره لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق
وأكن من الصالحين أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال على إرادة القول
وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى أقسمتم
أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم أقسموا بطرا وغرورا أو دل عليه حالهم
حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وقيل أقسموا أنهم لا ينتقلون إلى دار أخرى وأنهم
إذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة إلى حالة أخرى كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي
كعاد وثمود وأصل سكن أن يعدى بفي كقر وغني وأقام وقد يستعمل بمعنى التبوء
فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدونه في
منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم وضربنا لكم الأمثال من أحوالهم
أي بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي
في الغرابة كالأمثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لإبطال الحق
وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه أو عنده ما
يمكرهم به جزاء لمكرهم وإبطالا له وإن كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال
مسوى لإزالة الجبال معدا لذلك وقيل إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله
ليعذبهم على أن الجبال مثل لأمر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى أنهم مكروا
ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي
بالفتح والرفع على أنها المخففة واللام هي الفارقة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ
بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وإن كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف

مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم
المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف
وعده احدا فكيف يخلف رسله • ان الله عزيز • غالب لا يماكر قادر لا يدافع • ذو انتقام •
لاوليائه من اعدائه • يوم تبدل الارض غير الارض • بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او
مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعدها
والسموات • عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات
كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية
تحتملهما فعن علي رض تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي
الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رض هي تلك
الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عم قال تبدل الارض غير الارض
فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول
ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض
جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار
لفي سجين • وبرزوا • من اجداثهم • لله الواحد القهار • لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين
للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان
لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار • وترى المجرمين يومئذ مقرنين •
قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا
مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم
الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم
• في الاصفاد • متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل
وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد • سرابيلهم • قمصانهم •
من قطران • وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق
الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود اهل النار حتى يكون
طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار
في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا
لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم
والالام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والان المتناهي حره والجملة
حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين • وتغشى وجوههم النار • اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا
بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على
افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم • ليجزي الله كل نفس • اي يفعل بهم ذلك
ليجزي كل نفس مجرمة • ما كسبت • او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون

مطلب تبدل الارض غير الارض

لاجرامهم

لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا • ان الله سريع
الحساب • لانه لا يشغله حساب عن حساب • هذا • اشارة الى القرآن او الى السورة او ما فيه من العظة
والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله • بلاغ للناس • كفاية لهم في الموعظة • ولينذروا به •
عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز
ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه
واستعد له • وليعلموا انما هو اله واحد • بالنظر والتامل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة
على ما يدل عليه • وليذكر اولوا الالباب • فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم
انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس
واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع
بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما عن النبي عم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين • الاشارة الى آيات السورة والكتاب
هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا
يبين الرشد من الغي بيانا غريبا • ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين • حين عاينوا حال
المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف
وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء
التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي
لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة
كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال • ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم
لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة
وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك
والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن • ذرهم • دعهم •
ياكلوا ويتمتعوا • بدنياهم • ويلههم الامل • ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال
عن الاستعداد للمعاد • فسوف يعلمون • سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط
الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل
تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل • وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم • اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية
والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة
الحال ادخل عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف • ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون • اي وما
يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة للحمل على المعنى • وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا
به النبي عم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم • انك لمجنون • ونظيره ذلك قول
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي
ان الله نزل عليك الذكر اي القرآن • لو ما تاتينا • ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع

لوجود غيره والتخصيص بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا
أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبنا لك كما أتت الأمم المكذبة قبل إن كنت
من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالنون المسند إلى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالنون وأبو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل إلا بالحق
إلا تنزيلا ملتبسا بالحق بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في أن تأتيكم بصور
تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فإن منكم ومن ذراريكم
من سبقت كلمتنا له بالإيمان وقيل الحق الوحي أو العذاب وما كانوا إذا منظرين إذا جواب
لهم وجزاء الشرط محذوف تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين إنا نحن نزلنا الذكر
رد لإنكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله وإنا له لحافظون أي من التحريف
والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفي
تطرق الخلل إليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى أن يطعن فيه بأنه المنزل له وقيل الضمير في له
للنبي عم ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة
على طريق ومذهب من شاعه إذا تبعه وأصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى
نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عم وما للحال لا يدخل إلا مضارعا بمعنى الحال أو ماضيا قريبا
منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك إدخال
الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على أنه تعالى
يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فإن الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا
الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له
وهذا الاحتجاج ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجع ولا يتعين أن يكون
الجملة حالا من الضمير لجواز أن تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الأول بل يقويه
وقد خلت سنة الأولين أي سنة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم أو بإهلاك
من كذب بالرسل منهم فيكون وعيدا لأهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون إليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين
لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم
في الحق إنما سكرت أبصارنا سدت عن الإبصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف
أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك
كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على البت بأن ما يرونه
لا حقيقة له بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا
اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها
بالأشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة الله مبدعها وتوحيد
صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس أهلها ويتصرف
في أمرها ويطلع على أحوالها إلا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه

سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال
من أوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس أنهم كانوا لا يحجبون عن السماوات فلما ولد
عيسى منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد محمد منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل
المولد لجواز أن يكون لها أسباب أخر وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن من استرق فأتبعه
ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب
والسنان لما فيهما من البريق والأرض مددناها بسطناها وألقينا فيها رواسي جبالا
ثوابت وأنبتنا فيها في الأرض أو فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار
معين تقتضيه الحكمة أو مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون أو ما يوزن ويقدر أو له
وزن في أبواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم
والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش
أو على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنا
كاذبا فإن الله يرزقهم وإياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الأرض ممدودة
بمقدار وشكل معين مختلفة الأجزاء في الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان
المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز أن لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد
في الألوهية والامتنان على العباد بما أنعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ
في ذلك فقال وإن من شيء إلا عندنا خزائنه أي وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده
وتكوينه أضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره أو شبه مقدوراته بالأشياء المخزونة
التي لا يحوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة إلا بقدر معلوم
حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فإن تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات على بعض
الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وأرسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي
جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم أو ملقحات للشجر والسحاب
ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وأرسلنا الريح على
تأويل الجنس فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما أنتم له بخازنين
قادرين متمكنين من إخراجه نفى عنهم ما أثبته لنفسه أو حافظين في الغدران والعيون
والآبار وذلك أيضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الأوقات من بعض
الجهات على وجه ينتفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد
له من سبب مخصص وإنا لنحن نحيي بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها ونميت
بإزالتها وقد أول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن
الوارثون الباقون إذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج
بعد أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة وتأخر لا يخفى علينا شيء
من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فإن ما يدل على قدرته
دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الأول فازدحموا عليه فنزلت

وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم
لئلا ينظروا اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت. وان ربك هو يحشرهم لا محالة
للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير
الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته
وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة
متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء. ولقد خلقنا الانسان من صلصال
طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل
من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن
من حمإ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبيس ويتصور كالجواهر
المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان
اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه
من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا
ويسمى سنينا. والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر
من الانسان لان تشعب الجنس لما كانت من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس
باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام
البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب
فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار
الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما للدلالة على كمال قدرة الله وبيان
بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو
قبول المواد للجمع والاحياء. واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ
مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي
حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر
ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية
فيسري حاملها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا
واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء. فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر
من وقع يقع. فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع
التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة
وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا. الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل
قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا
على انه جواب سائل قال هلا سجد. قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في
ان لا تكون مع الساجدين لادم. قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي لا يصح
مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال

من حمإ

من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص ادم بحسب
النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف. قال فاخرج منها من السماء
او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر
او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته. وان عليك اللعنة
هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف
ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر
ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه
يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل. قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة
بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم. الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء
ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني. قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى
عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف
الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك
ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه
المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة
والاذلال. قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم
في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار
الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل
للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبيب له بامره اياه بالسجود لادم عم
او باضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط
له على اغواء بني ادم بان الله علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار
امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك
لا يخفى على ذوي الالباب. ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية. الا عبادك
منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير
وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله. قال هذا
صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء
وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول
الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف. ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم
المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم وتكذيب له
فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا

وعلى الأول لا بد في قوله من شرط أن يكون المستثنى أقل من الباقي لأن فضالة الحسنى فقد
الاستثنائيين • وإن جهنم لموعدهم • لموعد الغاوين أو المتبعين • أجمعين تأكيد
للضمير أو حال والعامل فيها الموعد إن جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى
إن جعلته اسم مكان فإنه لا يعمل • لها سبعة أبواب • يدخلون فيها لكثرتهم أو طبقات
ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون إلى المحسوسات
ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أو لأن أهلها سبع فرق • لكل باب منهم من الأتباع
جزء مقسوم • أفرز له فأعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ أبو بكر
جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد حفظه
ثم إجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أو من المستكن في الظرف لا في مقسوم لأن
الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها • إن المتقين • من اتباعه في الكفر والفواحش
فإن غيرها مكفرة • في جنات وعيون • لكل واحد جنة وعين أو لكل عدة منهما كقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام وعيون
والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين • ادخلوها • على إرادة
القول وقرئ ادخلوها بقطع الهمزة وكسر الخاء على أنه ماض ولأنه بكسر التنوين • بسلام • سالمين
أو مسلما عليكم • آمنين • من الآفة والزوال • ونزعنا • في الدنيا بما ألف بين قلوبهم
أو في الجنة بتطييب نفوسهم • ما في صدورهم من غل • من حقد كان في الدنيا وعن علي
رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أي من الحاسد على درجات
الجنة ومراتب القرب • إخوانا • حال من الضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في
آمنين أو الضمير المضاف إليه والعامل فيها معنى الإضافة وكذا قوله • على سرر متقابلين •
ويجوز أن يكونا صفتين لإخوانا أو حالين من ضميره لأنه بمعنى متصافين وأن يكون
متقابلين حالا من المستقر في على سرر • لا يمسهم فيها نصب • استئناف أو حال بعد حال
أو حال من الضمير في متقابلين • وما هم منها بمخرجين • فإن تمام النعمة بالخلود • نبئ عبادي
أني أنا الغفور الرحيم • وأن عذابي هو العذاب الأليم • فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد
وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها الغفران
وصغيرها وفي توصيف ذاته تعالى بالمغفرة والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد و
تأكيده وفي عطف • ونبئهم عن ضيف إبراهيم • على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به •
إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما • أي نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما • قال إنا منكم وجلون •
خائفون وذلك لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت أو لأنهم امتنعوا من الأكل والوجل
اضطراب النفس لتوقع ما تكره • قالوا لا توجل • وقرئ لا تأجل ولا توجل من أوجله ولا
تواجل من واجله بمعنى أوجله • إنا نبشرك • استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فإن

المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر • بغلام • هو إسحق لقوله فبشرناه بإسحق
عليم • إذا بلغ • قال أبشرتموني على أن مسني الكبر • تعجب من أن يولد له مع مس الكبر إياه أو إنكار
لأن يبشر به في مثل هذه الحال وكذا قوله • فبم تبشرون • أي فبأي أعجوبة تبشروني أو فبأي
شيء تبشرون فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن
كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على إدغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها
مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بإبقاء نون الوقاية
على الياء • قالوا بشرناك بالحق • بما يكون لا محالة أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريقة
هي حق وهو قول الله وأمره • فلا تكن من القانطين • من الآيسين من ذلك فإنه تعالى قادر
على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب إبراهيم
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال • ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون •
المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح
الله إلا القوم الكافرون وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما
قنط بالفتح • قال فما خطبكم أيها المرسلون • أي فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى
البشارة ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة لأنهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج
إلى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم أو لأنهم بشروه في تضاعيف
الحال لإزالة الوجل ولو كان تمام المقصود لابتدأوا بها • قالوا إنا أرسلنا إلى قوم
مجرمين • يعني قوم لوط • إلا آل لوط • إن كان استثناء من قوم كان منقطعا إذ القوم
مقيد بالإجرام وإن كان استثناء من الضمير في مجرمين يعني قوم لوط إلا آل لوط كان
متصلا والقوم والإرسال شاملين للمجرمين ولوط المؤمنين به وكان المعنى إنا أرسلنا
إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله تعالى
إنا لمنجوهم أجمعين • أي مما نعذب به القوم وهو استئناف إذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط
جار مجرى خبر لكن إذا انقطع وعلى هذا جاز أن يكون قوله • إلا امرأته • استثناء من آل لوط
أو من ضميرهم وعلى الأول لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوهم
اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا • قدرنا إنها لمن الغابرين • الباقين مع الكفرة
لتهلك معهم وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وإنما علق والتعليق
من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز أن يكون قدرنا أجري مجرى قلنا لأن
التقدير بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار غيره وإسنادهم إياه
إلى أنفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص • فلما جاء آل لوط المرسلون
قال إنكم قوم منكرون • تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر • قالوا بل جئناك بما
كانوا فيه يمترون • أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك
وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه • وأتيناك بالحق • باليقين من عذابهم • وإنا
لصادقون • فيما أخبرناك به • فأسر بأهلك • فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان
بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير • بقطع من الليل • في طائفة من الليل

وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت
منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا
ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا
نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو
الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع
وقضينا اليه اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر
هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم
وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى
منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع
وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل
اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه
واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان
او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم
احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه
بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم
فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين
قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي عم وقيل لوط عم
قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار
الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة
غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم
يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض
فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم
سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين
عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك
لآيات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة
الشيء بسمته وانها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك
لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا
يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة
المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة
ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين

لبطريق

لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به
ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل
فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين
المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات
الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم فاخذتهم الصيحة
مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال
والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق
لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء
وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل
هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك
وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي
خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي
هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا
من المثاني سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال
والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل
يونس او الحواميم وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع
والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او
قصصه ومواعظه او مثني عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله
من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها
فتكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف
عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد
الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك ولا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب
بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى
ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه
عليه الصلوة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا
لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه
القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا انهم المتمتعون به واخفض جناحك
للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان

وبرهان أن عذاب الله نازل بكم لو لم تؤمنوا كما أنزلنا على المقتسمين مثل العذاب
الذي أنزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين
اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول فأهلكهم الله يوم بدر
أو الرهط الذين اقتسموا أي تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عم وقيل هو صفة مصدر محذوف
يدل عليه قوله ولقد آتيناك فإنه بمعنى أنزلنا إليك والمقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين
حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو
قسموه إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا
ببعض على أن القرآن ما يقرءونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله عم وقوله الذين
إلى آخره اعتراض مما بينهما عضين أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة من عضى الشاة إذا
جعلها أعضاء وقيل فعلة من عضهته إذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله عم العاضهة
والمستعضهة وعن عكرمة العضه السحر وإنما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول
بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون
من التقسيم أو النسبة إلى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي
فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا أو فافرق به
بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والراجع
محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع وأعرض عن المشركين فلا تلتفت إلى ما يقولون
إنا كفيناك المستهزئين بقمعهم وإهلاكهم قيل كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد
بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن المطلب يبالغون في إيذاء
النبي عم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله عم أمرت أن أكفيكهم فأومأ
إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا
في عقبه فقطعه فمات وأومأ إلى أخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى ومات وأشار إلى أنف عدي فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود
بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات وإلى عيني الأسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون
عاقبة أمرهم في الدارين ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن
في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع إلى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد
يكفك ويكشف الغم عنك أو فنزهه عما يقولون حامدا له على أن هداك للحق وكن من الساجدين
من المصلين وعنه عم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين أي الموت فإنه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا
تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله عم من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات
بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرسول

من قيام

من قيام الساعة وإهلاك الله إياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون
إن صح ما تقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى أن الأمر الموعود
بمنزلة الآتي المتحقق من حيث إنه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فإنه لا خير لكم
فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن أن يكون له شريك
فيدفع ما أراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون
بالياء على تلون الخطاب أو على أن الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم لما روي أنه لما
نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم أمسكوا عن بعض ما تعملون فلما تأخرت قالوا
ما نرى شيئا فنزلت أتى أمر الله فوثب النبي عم ورفع الناس رءوسهم فنزلت فلا تستعجلوه
ينزل الملائكة بالروح بالوحي أو القرآن فإنه يحيي به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم
في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك إشارة إلى الطريق الذي به علم
الرسول تحقق ما توعدهم به ودنوه وإزاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم
به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل من أنزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل
وقرأ أبو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من أمره بأمره أو من أجله
على من يشاء من عباده أن ينذروا رسله بأن أنذروا أي أعلموا من نذرت
بكذا إذا علمته أنه لا إله إلا أنا فاتقون أن الشأن لا إله إلا أنا فاتقون أو
خوفوا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا فاتقون رجوع إلى مخاطبتهم
بما هو المقصود وأن مفسرة لأن الروح بمعنى الوحي الدال على القول
أو مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح أو النصب بنزع الخافض أو مخففة
من الثقيلة والآية تدل على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وأن حاصله التنبيه
على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والأمر بالتقوى الذي هو
أقصى كمالات القوة العملية وأن النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل
على وحدانيته من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالم وفروعه
على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق
السموات والأرض بالحق أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة
قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه
إليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على أنه تعالى ليس من قبيل الأجرام خلق الإنسان
من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فإذا هو
خصيم مبين منطيق مجادل مبين للحجة أو خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي
العظام وهي رميم روي أن أبي بن خلف أتى النبي عم بعظم رميم وقال يا محمد
أترى الله يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت والأنعام الإبل والبقر والغنم
وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم أو بالعطف على الإنسان وخلقها لكم بيان
ما خلق لأجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع
نسلها ودرها وظهورها وإنما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها

تأكلون أي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والألبان وتقديم الظرف
للمحافظة على رؤوس الآي أو لأن الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش
وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي أو التفكه ولكم فيها
جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشي وحين تسرحون
تخرجونها بالغداة إلى المراعي فإن الأفنية تتزين بها في الوقتين ويجل أهلها في أعين
الناظرين إليها وتقديم الإراحة لأن الجمال فيها أظهر فإنها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع
ثم تأوي إلى الحظائر حاضرة لأهلها وقرئ حينا على أن تريحون وتسرحون وصف له بمعنى
تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل أثقالكم أحمالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إن لم تكن
ولم تخلق فضلا من أن تحملوها على ظهوركم إليه إلا بشق الأنفس إلا بكلفة ومشقة
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه وأصله الصدع
والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب إن ربكم لرؤوف رحيم حيث
رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام
لتركبوها وزينة أي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها
وتغيير النظم لأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولأن المقصود من خلقها
الركوب وأما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل أن يكون
علة لتركبوها أو مصدرا في موضع الحال من أحد الضميرين أي متزينين أو متزينا
بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد
غالبا أن لا يقصد منه غيره أصلا ويدل عليه أن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين
على أن الحمر الأهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي
يحتاج إليها غالبا احتياجا ضروريا أو غير ضروري أجمل غيرها ويجوز أن يكون
إخبارا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به وأن يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر
على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل إلى الحق أو إقامة
السبيل وتعديلها رحمة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل إليه من يسلكه لا محالة يقال
سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه
والمراد من السبيل الجنس ولذلك أضاف إليه القصد وقال ومنها جائر حائد عن
طريق القصد أو عن الله وتغيير الأسلوب لأنه ليس بحق على الله أن يبين طرق الضلالة
أو لأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل إلى القصد والجائر إنما جاء بالعرض
وقرئ ومنكم جائر أي عن القصد ولو شاء لهداكم أجمعين أي ولو شاء هدايتكم
أجمعين لهداكم إلى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي أنزل من السماء
من السحاب أو من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة أنزل أو خبر
شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لأن مياه
العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فأسكناه في الأرض ومنه شجر
ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الأرض شجر

قال

قال تعلفها اللحم إذا عز الشجر والخيل في إطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون
من سامت الماشية وأسامها صاحبها وأصلها السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي
علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ أبو بكر بالنون على التفخيم والزيتون
والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها إذ لم ينبت في الأرض كل ما يمكن
من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لأنه سيصير غذاء حيوانيا هو
أشرف الأغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالأجناس الثلاثة وترتيبها
إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فإن من تأمل أن الحبة تقع
على الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق
أسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والثمار
ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الأشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع
السفلية والتأثيرات الفلكية إلى الكل علم أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار مقدس
عن منازعة الأضداد والأنداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم بأن هيأها لمنافعكم مسخرات بأمره حال من الجميع أي نفعكم
بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره
أو لحكمه وفيه إيذان بالجواب عما عسى أن يقال إن المؤثر في تكوين النبات حركات
الكواكب وأوضاعها فإن ذلك إن سلم فلا ريب أنها أيضا ممكنة الذات والصفات واقعة
على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور
والتسلسل أو مصدر ميمي جمع لاختلاف الأنواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء
والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر أيضا إن في ذلك
لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لأنها تدل أنواعا من الدلالة ظاهرة
لذوي العقول السليمة غير محوجة إلى استيفاء فكر كأحوال النبات وما ذرأ لكم
في الأرض عطف على الليل أي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا ألوانه
أصنافه فإنها تتخالف باللون غالبا إن في ذلك لآية لقوم يذكرون أن اختلافها
في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر
جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما
طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم فيسرع إليه الفساد فيسارع
إلى أكله ولإظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك
والثوري على أن من حلف أن لا يأكل لحما حنث بأكل السمك وأجيب عنه بأن
مبنى الأيمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الإطلاق ألا ترى أن الله سمى الكافر
دابة ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
كاللؤلؤ والمرجان أي تلبسها نساؤكم فأسند إليهم لأنهن من جملتهم ولأنهن
يتزين بها لأجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها
من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه

يركبوها للتجارة لعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه
بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع
وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة
ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة
بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب
للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو
المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا
وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم
او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو
ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه
قراءة النجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي
ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في
مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير
للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك
والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل
المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه
ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام
افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم
منهم او الاصنام واجراها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم
او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي
العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل
للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا
عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده
باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور
ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم
فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم
واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله
اي والآلهة الذين يعبدونهم من دونه وقرا ابو بكر يدعون بالياء وقرا حفص ثلاثتها بالياء
لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج
انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها
ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم

اموات لا يعتريها الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود
والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون
وقت بعثهم احياء او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي
ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف
الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم
بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها
يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى
المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله
والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه اما مصدر او فعل انه لا يحب
المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا
انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين
اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض
اي على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض
اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من
لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا
ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين
من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد
فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت
فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه
فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم
زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرا نافع
بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم
اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم
او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة و
زيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرا
حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول الاوجه الثلاثة

العلماء ... بالجر والنصب والرفع على ... والذم والابتداء

عنهم ولما شاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده
تنبيه على الجواب من الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا
رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر
في هدى من شاء الله هداه ولكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه
انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية
في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء
الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا
في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامرهم بعبادة الله واجتناب الطاغوت
فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم
يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على
تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح
به في الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي
من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين
لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع
العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين
اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت
على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد بلى يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد
لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف
في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما
لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامر فقال ليبين
لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له
من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب
ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره
ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل
فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده
ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلعم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم
الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله
عليه الصلاة والسلام وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل
وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة

قالوا القول بالبعث والحشر والنشر باطل [illegible]
باطلا اما المقدم الاول فلان [illegible]
الا بهذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه
وبطل ذلك المزاج والاعتدال امتنع عوده بعينه ولا
لان الشيء اذا عدم فقد فني فلم يبق له ذات [illegible]
بعينه بعد فنائه وعدمه [illegible]
[illegible] ولا يكون بعينه واما المقدم الثاني
[illegible] القول بالبعث باطل لما
[illegible] القول بالنبوة [illegible]
[illegible] كان داعيا الى القول الباطل [illegible]
كذلك لم يكن رسولا صادقا

ظالمي انفسهم بان عرضوا للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا
الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون
تفسير السلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي فيجيبهم الملائكة
بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر
الاية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من جوز
الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا
واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف
بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا
وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال
على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر
النبي عم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا
ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة
خير اي ولثوابهم في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز
ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار
المتقين دار الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف
ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون
من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده
الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول
الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة
ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم
لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وهو التوفي
وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم
الملائكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيامة او العذاب
المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما
اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم
الموجبة له فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية
الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل
الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين
بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم
من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدوره

أو تبوئة حسنة ولأجر الآخرة أكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر أنه كان إذا أعطى رجلا
من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة
أفضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير
الدنيا والآخرة لوافقوهم أو للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزادوا
في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كأذى الكفرة ومفارقة الوطن
ومحله النصب أو الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين إلى الله مفوضين إليه
الأمر كله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم رد لقول قريش الله أعظم من أن يكون
رسوله بشرا أي جرت السنة الإلهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحي إليه على
ألسنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الأنعام فإن شككتم فيه فاسألوا
أهل الذكر أهل الكتاب أو علماء الأخبار ليعلموكم إن كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل
على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة وأما قوله جاعل الملائكة رسلا
معناه رسلا إلى الملائكة أو إلى الأنبياء وقيل لم يبعثوا إلى الأنبياء إلا متمثلين بصورة
الرجال ورد بما روي أنه عليه السلام رأى جبرائيل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين و
على وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر أي أرسلناهم بالبينات
والزبر أي المعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بم أرسلوا ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا
زيدا بالسوط أو صفة لهم أي رجالا ملتبسين بالبينات أو بيوحى على المفعولية أو
الحال من القائم مقام فاعله وهو إليهم على أن قوله فاسألوا اعتراض أو بلا تعلمون على
أن الشرط للتبكيت والإلزام وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن وإنما سمي ذكرا لأنه
موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل إليهم في الذكر بتوسط إنزاله إليك مما أمروا به ونهوا
عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود أو يرشد إلى ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق أفأمن الذين
مكروا السيئات أي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الأنبياء أو الذين مكروا
رسول الله وراموا صد أصحابه عن الإيمان أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون أو
يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط أو يأخذهم
في تقلبهم أي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف على مخافة
بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على أن ينقصهم شيئا بعد شيء في
أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب
ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف
عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء استفهام إنكار أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع

فما بالهم

فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها
يتفيأ ظلاله أي أولم ينظروا إلى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي
تروا بالتاء وأبو عمرو تتفيؤ بالتاء عن اليمين والشمائل عن أيمانها وشمائلها
أي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الإنسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع
الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله
وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام
سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير
إذا طأطأ رأسه ليركب أو سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع
الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله
من جانب إلى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الأرض ملتصقة بها
على هيئة الساجد والأجرام في أنفسها أيضا داخرة أي صاغرة منقادة لأفعال الله
فيها وجمع داخرون بالواو لأن من جملتها من يعقل أو لأن الدخور من أوصاف العقلاء
وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب تظهر
منه آخذة في الارتفاع والطلوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فإن الظلال
في أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض وعند الزوال تبتدئ
من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض أي
ينقاد انقيادا يعم الانقياد لإرادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وأمره طوعا
ليصح إسناده إلى عامة أهل السماوات والأرض من دابة بيان لهما لأن الدبيب هو
الحركة الجسمانية سواء كان في أرض أو سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل
على الملائكة للتعظيم أو عطف المجرد على الجسمانيات وبه احتج من قال إن الملائكة أرواح
مجردة أو بيان لما في الأرض والملائكة تكرير لما في السماوات وتعيين له إجلالا وتعظيما
والمراد به ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله
حيث اجتمع القبيلان أولى من إطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم يخافون أن يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر
لقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير
لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه
دليل أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا إلهين
اثنين ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه أو إيماء
بأن الاثنينية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد في قوله هو إله واحد للدلالة على أن
المقصود إثبات الوحدانية دون الإلهية أو التنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية فإياي
فارهبون نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كأنه قال فأنا
ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير وله ما في السماوات والأرض خلقا وملكا
وله الدين أي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من أنه الإله وحده والحقيق بأن يرهب منه

وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء
دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر • افغير الله تتقون • ولا ضار سواه
كما لا نافع غيره كما قال • وما بكم من نعمة فمن الله • اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو
من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول
فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه • ثم اذا مسكم
الضر فاليه تجأرون • فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون • وهم كفاركم • ليكفروا • بعبادة
غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق
وهم انتم ويجوز ان تكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد • بما آتيناهم • من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار
كونها من الله • فتمتعوا • امر تهديد • فسوف تعلمون • اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا
للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد
والفاء للجواب • ويجعلون لما لا يعلمون • اي لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون
الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على
ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به • نصيبا
مما رزقناهم • من الزرع والانعام • تالله لتسألن عما كنتم تفترون • من انها آلهة حقيقة
بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه • ويجعلون لله البنات • كانت خزاعة وكنانة يقولون
ان الملائكة بنات الله • سبحانه • تنزيه له من قولهم او تعجب منه • ولهم ما يشتهون • يعني البنين
ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى
الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد
تجويزه في المعطوف • واذا بشر احدهم بالانثى • اخبر بولادتها • ظل وجهه • صار او دام
النهار كله • مسودا • من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام و
التشوير • وهو كظيم • مملو غيظا من المراة لانها ولدتها • يتوارى من القوم • يستخفي
منهم • من سوء ما بشر به • من سوء المبشر به عرفا • ايمسكه • محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه
على هون • ذل • ام يدسه في التراب • ام يخفيه ويئده • وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ
بالتانيث فيهما • الا ساء ما يحكمون • حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء • صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت
واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق • ولله المثل
الاعلى • وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين
وهو العزيز الحكيم • المنفرد بكمال القدرة والحكمة • ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم • بكفرهم
ومعاصيهم • ما ترك عليها • على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة
من دابة • قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة
ظالمة وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء • ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى • سماه لاعمارهم

اولعذابهم

او لعذابهم كي يتوالدوا • فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا
كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم
ويجعلون لله ما يكرهون • اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف
بالرسل واراذل الاموال • وتصف السنتهم الكذب • مع ذلك وهو • ان لهم الحسنى • اي عند الله
كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
لا جرم ان لهم النار • رد لكلامهم واثبات لضده • وانهم مفرطون • مقدمون الى النار
من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي
وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء اذا قدمته وعن قراءة نافع ومكسورا
من التفريط في الطاعات • تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين • فهو وليهم اليوم • اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها
او هو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز
ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم
يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا
للناصر لهم على ابلغ الوجوه • ولهم عذاب اليم • في القيامة • وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه • من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال • وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون • معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين
والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها • انبت فيها انواع النبات بعد
يبسها • ان في ذلك لآية لقوم يسمعون • سماع تدبر وانصاف • وان لكم في الانعام لعبرة
دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم • نسقيكم مما في بطونه • استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير
ووحده هاهنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده
سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير
للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس
وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح • من بين فرث ودم لبنا • فانه يخلق
من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء الماكولة
المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف
في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه
يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد
يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها
ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة
من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها
فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها
على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل

ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع كشاف

فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية
البيض فيصير لبنا ومن تدبر بدائع صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها
ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى
الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية
ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدا منه الاسقاء
وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة. خالصا
صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق
مخرجه. سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف. ومن ثمرات
النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما
وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا
او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير
على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى
الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر. ورزقا حسنا. كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت
سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ
وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع
من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه. ان في ذلك لاية لقوم يعقلون. يستعملون عقولهم
بالنظر والتامل في الايات. واوحى ربك الى النحل. الهمها وقذف في قلوبها وقرئ
الى النحل بفتحتين. ان اتخذي. بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء
معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر. من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا
في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة
وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء
ثم كلي من كل الثمرات. من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها. فاسلكي. ما اكلت. سبل ربك في مسالكه
التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل
او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس. ذللا. جمع ذلول وهي حال
من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت
به. يخرج من بطونها. عدول به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود
من خلق النحل والهامه لاجلهم. شراب. يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل
تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن
زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار
وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون
بالافواه. مختلف الوانه. ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل

فيه شفاء

فيه شفاء للناس. اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما
يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم
وعن النبي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران
او لما بين الله من احوال النحل. ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون. فان من تدبر اختصاص النحل
بتلك العلوم والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من خالق قادر حكيم يلهمها
ذلك ويحملها عليه. والله خلقكم ثم يتوفاكم. باجال مختلفة. ومنكم من يرد الى ارذل
العمر. اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو
خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون. لكي لا يعلم بعد علم شيئا. ليصير الى حالة شبيهة
بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم. ان الله عليم. بمقادير اعماركم. قدير. يميت الشاب
النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم
ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت
الى هذا المبلغ. والله فضل بعضكم على بعض في الرزق. فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال
يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك على خلاف ذلك. فما الذين فضلوا برادي رزقهم
بمعطي رزقهم. على ما ملكت ايمانهم. على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذي جعله في ايديهم
فهم فيه سواء. فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة
لها ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية
ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه. افبنعمة الله يجحدون.
حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه
من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين
الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم. والله
جعل لكم من انفسكم ازواجا. من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق
حواء من ادم. وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة. واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو
المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين. ورزقكم
من الطيبات. من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج
منها. افبالباطل يؤمنون. وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر
والسوائب. وبنعمة الله هم يكفرون. حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل
الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة
او للمحافظة على الفواصل. ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض
شيئا. من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه وان جعلته

ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد
في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد • فلا تضربوا لله الامثال • فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه
عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال • ان الله يعلم • فساد ما تعولون عليه من القياس على
ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون • وانتم لا تعلمون
ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه
فدعوا رايكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا
هل يستوون • مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي
رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية
بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي
اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول
والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة
للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك
والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوي
الاحرار والعبيد • الحمد لله • كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولي النعم كلها •
بل اكثرهم لا يعلمون • فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها • وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم • ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم • لا يقدر على شيء • من الصنائع والتدابير لنقصان عقله
وهو كل على مولاه • عيال وثقل على من يلي امره • اينما يوجهه • حيثما يرسله مولاه
في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول وتوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا •
وتوجه بلفظ الماضي • لا يات بخير • بنجح وكفاية مهم • هل يستوي هو ومن يامر بالعدل • ومن هو
منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل • وهو
على صراط مستقيم • وهو في نفسه على صراط مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي
وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه
وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر • ولله غيب السموات والارض •
يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس
وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السماوات والارض • وما امر الساعة • وما امر
قيام القيامة في سرعته وسهولته • الا كلمح البصر • الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى
اسفلها • او هو اقرب • او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن
الذي تبتدئ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو
للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي
تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه • ان الله على كل شيء قدير • فيقدر

ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله
اخرجكم من بطون امهاتكم • وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها
وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق • لا تعلمون شيئا • جهالا
مستصحبين جهل الجمادية • وجعل لكم السمع والابصار والافئدة • ادوات تتعلمون بها
فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات
بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم
الكسبية بالنظر فيها • لعلكم تشكرون • كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه
الم يروا الى الطير • قرأه ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة
مسخرات • مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له • في جو السماء
في الهواء المتباعد من الارض • ما يمسكهن • فيه • الا الله • فان ثقل جسدها يقتضي
سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها • ان في ذلك • تسخير الطير للطيران
بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها
في الهواء على خلاف طباعها • لآيات لقوم يؤمنون • لانهم هم المنتفعون بها • والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا • موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر
والمدر فعل بمعنى مفعول • وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا • هي القباب المتخذة من الادم و
يجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها
يصدق عليها انها من جلودها • تستخفونها • تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها
يوم ظعنكم • وقت ترحالكم • ويوم اقامتكم • وضعها او ضربها وقت الحضر والنزول
وقرأ الحجازيان والبصري يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة • ومن اصوافها واوبارها واشعارها
الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها
اثاثا • ما يلبس ويفرش • ومتاعا • ما يتجر به • الى حين • الى مدة من الزمان فانها لصلابتها
تبقى مدة مديدة او الى مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم • والله جعل لكم مما خلق
من الشجر والجبل والابنية وغيرها • ظلالا • تتقون به حر الشمس • وجعل لكم من الجبال
اكنانا • مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن • وجعل لكم سرابيل
ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها • تقيكم الحر • خصه بالذكر اكتفاء باحد
الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم • وسرابيل تقيكم باسكم • يعني الدروع
والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس • كذلك • كاتمام هذه النعم التي تقدمت • يتم نعمته
عليكم لعلكم تسلمون • اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون
بفتح التاء من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع • فان تولوا • اعرضوا ولم يقبلوا
منك • فانما عليك البلاغ • فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة
السبب مقام المسبب • يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها • بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم
انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد

آتيته على ذكره الامر مواتاة
اذا وافقته وطاوعته
والعامة تقول
واتيته

عرفوها بالمعجزات ثم ينكرونها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة وأكثرهم
الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل
او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل
كما في قوله تعالى بل أكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد
لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل
في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط
الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى
وهو الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا
قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اى العذاب ولا هم ينظرون
يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين
الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك
نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان يشطر عذابهم
فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم
حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله
الاصنام به ح في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام
لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من
ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب
المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم يعنى نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء
على امتك ونزلنا عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء
من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع
وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل والاحسان
بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب
المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة
والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو
بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو
تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية
كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية
والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى
القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر

بتوسط

بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع اية في القران
للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القران غير هذه الاية لصدق
عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله
ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم
تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله على الاسلام لقوله تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم
وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان
بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله وعقد التغليب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم
شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون
في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى
المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا
طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه
بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم
فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا
او في الجار الواقع موقع الخبر اى ولا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي
ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون
امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم اذا رأوا شوكة في
اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون
امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله
وبيعة رسول الله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل
الضمير للربو وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا
جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على
الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن
عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي
عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهى فتزل قدم اى عن محجة الاسلام بعد ثبوتها
عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام
كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء
او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم
في الاخرة ولا تشتروا بآيات الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا
عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد
ان ما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي

وينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق وهو دليل على ان
نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق
التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون عائد بما يرجح فعله من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين
دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع
عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر
وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة
بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات
ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت
القرآن اذا اردت قرائته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب
وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا
وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا
القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرئيل عن القلم واللوح المحفوظ
انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء
الله المؤمنين والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما
يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين
هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية
الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة
في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة ثم يصير مصلحة آخر فينبته
مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على
الله تأمر بشيء ثم تنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ
الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون
حكمة الاحكام ولا يميزون الخطاء من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبرئيل
واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس
بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مندرجا على حسب المصالح بما يقتضي التبدل
من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا
الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم
وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا
وهداية وبشارة وفيه تعريض لحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل

جبرا

جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول يمر عليهما
ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل
سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء لسان عجمي غير بين
وهذا وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان
لابطال طعنهم وتقريره يحتمل الوجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو
ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما
هب انه يعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي
وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة
التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة
فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية
لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على
غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله
الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم
بالقرآن بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم واولئك اشارة الى الذين
كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب
لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب
لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر
بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون
او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان يكون
من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر
لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وفيه دليل
على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه وروي ان قريشا اكرهوا عمارا
وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئت بحربة في قبلها
وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم
عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله
يمسح عينيه فقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر
عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي
ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في قال
انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم

فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله
واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له • ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد
بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة • بسبب انهم اثروها عليها • وان الله لا يهدي القوم
الكافرين اى الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ • اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم • فابت عن ادراك الحق والتامل فيه • واولئك
هم الغافلون اى الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب
لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى
العذاب المخلد • ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا • اى عذبوا كعمار بالولاية
والنصر وثم لتباعد هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ما عذبوا
المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا • ثم جاهدوا وصبروا
على الجهاد وما اصابهم من المشاق • ان ربك من بعدها • من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور
لما فعلوا قبل • رحيم • ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد • يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم
او باذكر • تجادل عن نفسها • تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول
نفسي نفسي • وتوفى كل نفس ما عملت • جزاء ما عملت • وهم لا يظلمون • لا ينقصون اجورهم •
وضرب الله مثلا قرية • اى جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة
فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة • كانت آمنة مطمئنة • لا يزعج اهلها خوف • يأتيها
رزقها • اقواتها • رغدا • واسعا • من كل مكان • من نواحيها • فكفرت بانعم الله • بنعمه جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس • فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف • استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع
والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير • غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال • فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء
لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار
كقوله • ينازعني ردائي عبد عمرو • رويدك يا اخا عمرو بن بكر • لي الشطر الذي ملكت يميني
ودونك فاعتجر منه بشطر • استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار •
بما كانوا يصنعون • بصنيعهم • ولقد جاءهم رسول منهم • يعني محمدا والضمير لاهل مكة
عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم • فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون • اى حال
التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر • فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا • امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم
بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة
واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون • تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الآلهة عبادته • انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير
باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم • لما امرهم بتناول ما احل الله لهم عدد عليهم محرماته
ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال

ولا تقولوا

ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام • كما قالوا ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة
بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية
وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف
على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا
حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به
السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن
حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح
الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها يصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب
جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب • لتفتروا على الله
الكذب • تعليل لا يتضمن الغرض • ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون • لما كان المفتري
يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله • متاع قليل • اى ما يفترون
لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب • ولهم عذاب اليم • في الآخرة • وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك • اى في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر • من قبل • متعلق بقصصنا او بحرمنا • وما ظلمناهم • بالتحريم • ولكن كانوا انفسهم
يظلمون • حيث فعلوا ما عوقبوا عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم
وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة • ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة • بسببها او ملتبسين
بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء
على الله وغيره • ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها • من بعد التوبة • لغفور • لذلك
السوء • رحيم • يثيب على الانابة • ان ابراهيم كان امة • لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد
توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو
رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج
الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما
احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة
والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون
بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما • قانتا • مطيعا لله قائما باوامره • حنيفا • مائلا
عن الباطل • ولم يك من المشركين • كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم
شاكرا لانعمه • ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة • اجتباه
للنبوة • وهداه الى صراط مستقيم • في الدعوة الى الله • وآتيناه في الدنيا حسنة • بان حببه
الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا
في السعة والطاعة • وانه في الآخرة لمن الصالحين • لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني
بالصالحين • ثم اوحينا اليك • يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم

ملة ولتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق
وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد بحسب فهمه وما كان من المشركين
بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين
اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا
وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت
وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا
فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد
المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او مجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت
اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح
للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة
فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين
لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما
عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك
بل الله يعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل
مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك
الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عم لما
راى حمزة فقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر
عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا
بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير
للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه
بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن
عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر
من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق
تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية
والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي عم
من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له
من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح
الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال

قد قلت

قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره
وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب
على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل
اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عم قال بينا
انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق
او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى
لما روي انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته
وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به
قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان
قال لقد صدق فقالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي
الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها
واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر
مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه
او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات
حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة
بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا
وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن
في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على الممكنات فيقدر ان يخلق
مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد
الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين
والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار
لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل
الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات
والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله فيكرمه ويقربه
على حسب ذلك وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا اي على ان لا تتخذوا
كقولك كتبت اليه ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء على لئلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا
تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء
ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا
فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه
خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم
في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه اي نوحا كان عبدا شكورا

بحمد الله على مجامع حالاته وتنبيها على ان نجاة من معه كان ببركة شكره وحث
للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام • وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا
اليهم وحيا مقضيا مبتوتا • في الكتاب • في التوراة • لتفسدن في الارض • جواب قسم محذوف
او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم • مرتين • افسادتين اولاهما مخالفة احكام
التوراة وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى • ولتعلن علوا
كبيرا • ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس • فاذا جاء وعد اولاهما • وعد عقاب
اولاهما • بعثنا عليكم عبادا لنا • بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل
جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى • اولي بأس شديد • ذوي قوة وبطش
في الحرب شديد • فجاسوا • ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان • خلال الديار •
وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا
المساجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع
• وكان وعدا مفعولا • وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل • ثم رددنا لكم الكرة • اي
الدولة والغلبة • عليهم • على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن
بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسب بن لهراسف شفقة عليهم فرد اساراهم
الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان
سلط داود على جالوت فقتله • وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر
نفيرا • مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب
الى العدو • ان احسنتم احسنتم لانفسكم • لان ثوابها لها • وان اسأتم فلها • فان
وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا • فاذا جاء وعد الآخرة • وعد عقوبة المرة
الآخرة • ليسوؤا وجوهكم • اي بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة
فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء وجوهكم
على التوحيد والضمير فيه للوعد او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون
والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه
جواب اذا واللام في قوله • وليدخلوا المسجد • متعلق بمحذوف وهو بعثناهم • كما دخلوه
اول مرة وليتبروا • وليهلكوا • ما علوا • ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم • تتبيرا •
وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف
اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي
فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ
الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم
ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله
قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ • عسى ربكم ان يرحمكم • بعد المرة الآخرة • وان عدتم • نوبة
اخرى • عدنا • مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد وقصد قتله فعاد الله
بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا في الدنيا

وجعلنا

وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا • محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل
بساطا كما يبسط الحصير • ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم • للحالة او الطريقة التي هي
اقوم الحالات او الطرق • ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا •
وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف • وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم
عذابا اليما • عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم
وعقاب عدوهم او على يبشر باضمار يخبر • ويدع الانسان بالشر • ويدعو الله
عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر • دعاءه
بالخير • مثل دعائه بالخير • وكان الانسان عجولا • يسارع الى كل ما يخطر بباله
لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض
فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت
كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر
فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء
استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر • وجعلنا الليل والنهار
آيتين • تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره • فمحونا آية
الليل • اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد
الى المعدود • وجعلنا آية النهار مبصرة • مضيئة او مبصرة للناس من ابصره
فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان
القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل
والنهار ذوي آيتين ومحونا آية الليل التي هي القمر جعلناها مظلمة في نفسها مطموسة
النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعلنا آية النهار التي هي الشمس مبصرة
جعلناها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها • لتبتغوا فضلا من ربكم • لتطلبوا في
بياض النهار اسباب معاشكم وتتوسلوا به الى استبانة اعمالكم • ولتعلموا • باختلافهما
او بحركتهما • عدد السنين والحساب • وجنس الحساب • وكل شيء • تفتقرون اليه في امر الدين
والدنيا • فصلناه تفصيلا • بيناه بيانا غير ملتبس • وكل انسان الزمناه طائره •
عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون
بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد
في عنقه • لزوم الطوق في عنقه • ونخرج له يوم القيامة كتابا • هي صحيفة عمله او نفسه
المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد
تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر
ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اي الله • يلقاه منشورا •
لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ
ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا • اقرأ كتابك • على ارادة القول كفى بنفسك اليوم

عليك حسيبا • اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب
كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي
فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما
يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها • لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه • ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها • وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا • يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع • واذا
اردنا ان نهلك قرية • واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا
وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة • امرنا مترفيها • متنعميها
بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج
عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم
بالفسق لقوله • ففسقوا فيها • كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على
ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق
ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال
امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مأمورة
اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن
ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امُر بالضم امارة اى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان
غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور • فحق عليها القول • يعني كلمة العذاب السابق
بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي • فدمرناها تدميرا • اهلكناها باهلاك اهلها
وتخريب ديارها • وكم اهلكنا • وكثيرا اهلكنا • من القرون • بيان لكم وتمييز له • من بعد نوح •
كعاد وثمود • وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا • يدرك ظواهرها وبواطنها فيعاقب
عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه • من كان يريد العاجلة • مقصورا عليها همه • عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد • قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه •
ولا كل احد ما يهواه • وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضلة • ولمن نريد بدل من له بدل البعض
وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهور وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد
الله به ذلك • وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن
غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها • ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا •
مطرودا من رحمة الله • ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها • حقها من السعي وهو الاتيان
بما امر به والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية
والاخلاص • وهو مؤمن • ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة • فاولئك •
الجامعون للشرائط الثلاثة • كان سعيهم مشكورا • من الله اى مقبولا عنده مثابا
عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة • كلا • كل واحد من الفريقين والتنوين
بدل من المضاف اليه • نمد • بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه

هؤلاء

هؤلاء وهؤلاء • بدل من كلا • من عطاء ربك • من معطاه متعلق بنمد • وما كان
عطاء ربك محظورا • ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا • انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض • في الرزق • وانتصاب كيف بفضلنا على الحال • وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا • اى التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها
والنار ودركاتها • لا تجعل مع الله الها آخر • الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد
فتقعد • فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء
اذا عجز عنه • مذموما مخذولا • جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان
من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا • وقضى ربك • وامر امرا مقطوعا به • الا
تعبدوا الا اياه • لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام
وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية • وبالوالدين احسانا
وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا
يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه • اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما • اما ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة للفعل
واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين
وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى
عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك • فلا تقل لهما اف • فلا تضجر مما يستقذر منهما وتستثقل
من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر • وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني
على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن
عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير
منون والنهي عن ذلك على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل
عرفا كقولك فلان لا يملك النقير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في
صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما • ولا تنهرهما • ولا تزجرهما
عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات • وقل لهما • بدل التأفيف والنهر
قولا كريما • جميلا لا شراسة فيه • واخفض لهما جناح الذل • تذلل لهما وتواضع
فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة • اذا اصبحت
بيد الشمال زمامها • للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه كقوله
واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود
والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر للذال وهو الانقياد والنعت
منه ذلول • من الرحمة • من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما
وقل رب ارحمهما • وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية •
وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما • كما ربياني صغيرا • رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما
وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين • روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان

النقير النقرة في ظهر النواة صحاح

ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تستقذر ذلك وانت ترجو موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم
من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر
لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين
للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جنايته اذا رجع
او نيا لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم
وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى
اقارب الرسول ص والمساكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي
وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي ص انه قال لسعد وهو يتوضا
ما هذا السرف قال افي الوضوء سرف قال نعم ولو كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم
لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات
وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم
وان اعرضت عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض
عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله
ترجو ان ياتيك فتعطيه او منتظرا له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح
لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة لسبر رحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور
من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل
اغناكم الله رزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم
فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما
او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله اذ اتاه
صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت
قل له تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا
واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك
من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من
ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر واما
العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا
تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط ولا يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن

لهم ارزاقهم

ان امي

لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه
من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطا الاثم يقال خطئ خطا كاثم اثما وقرا
وقرا ابن عامر خطا وهو اسم من اخطا يضاد الصواب وقيل لغة فيه
كمثل ومثل وحذر وحذر وقرا ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطا
وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطا في قوله تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع
الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا
ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالقصد واتيان المقدمات فضلا ان تباشروه انه كان
فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب
على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا
ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو
الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل
فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطا لا يسمى ظلما فلا يسرف
ذلك القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك
او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرا حمزة والكسائي
فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستئناف والضمير
اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان
الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا
بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا
فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف
الذي يدل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله عليه من تكاليفه او ما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤولا عنه
يسال الناكث ويعاقب عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب
قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا
تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك
في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف
والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن
تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف
من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما
بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد
من سند سواء كان قطعيا او ظنيا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد
وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله ص من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة
الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا

الدنيا م

ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى
العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان
غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله
والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحد منها
مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف
او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى
يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل
على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ الفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة
ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ
مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق
لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال
وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك
اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر وعن
ابن عباس انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورة
مأمورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير
كل وذكر اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او
صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال
من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما
يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة
الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل
مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله
ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو
عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك
مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قال الملائكة بنات
الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة
اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما
باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم
عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد
صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز
ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا
المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة
والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة
طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء في

وفيما بعد

وفيما بعد على الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر
ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثالثة مما
نزه به نفسه عن مقالتهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء
للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع
بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا
متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود
والبقاء لذاته واتخاذ الولد والشريك من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه
تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو
من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر
الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة
لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ
على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما
حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرأ عليهم
مستورا ذا ستر كقوله وعدا مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او
بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعدما نفى
عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين
على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك
الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه
ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك
اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع
الحال واصله يحد وحده او بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع
التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به
بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى
اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى
يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا
مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على
تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اى الا
رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر
والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه

فيها فتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد • وقالوا ائذا كنا
عظاما ورفاتا • حطاما • ائنا لمبعوثون خلقا جديدا • على الانكار والاستبعاد
لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة. والعامل في اذا ما دل عليه
مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال • قل جوابا لهم
كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم • او مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة
لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا يقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول
الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل
لما عهد فيه مما لم يعهد • فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة • وكنتم ترابا وما هو
ابعد منه من الحيوة • فسينغضون اليك رؤسهم • فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء • ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا • فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون
في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر • يوم يدعوكم فتستجيبون اي
يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما
وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء • بحمده • حال منهم اي حامدين لله على كمال
قدرته كما قال انهم ينفضون عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين عليه • وتظنون ان لبثتم الا قليلا • وتستقصرون مدة لبثكم
في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول • وقل لعبادي
يعني المؤمنين • يقولوا التي هي احسن • الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم • يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم يفضي الى العناد
وازدياد الفساد • ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا • ظاهر العداوة
ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم • تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض
اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر
مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله • وما ارسلناك عليهم وكيلا • موكولا اليك
امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالاحتمال منهم وروي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله بالعفو • وربك اعلم بمن في السموات والارض • باحوالهم
فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب
نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه • ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض • بالفضائل
النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود
فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقوله • وآتينا داود زبورا • تنبيه على تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم
المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا
وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر
كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس وعباس والفضل وفضل او

لان المراد

او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم • قل
ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه • كالملائكة والمسيح وعزير • فلا يملكون
كشف الضر عنكم • كالمرض والفقر والقحط • ولا تحويلا • ولا تحويله الى غيركم
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة • هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة
ايهم اقرب • بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب
ويرجون رحمته ويخافون عذابه • كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة • ان عذاب ربك
كان محذورا • حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة • وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيمة • بالموت والاستئصال • او معذبوها عذابا شديدا • بالقتل وانواع
البلية • كان ذلك في الكتاب • في اللوح المحفوظ • مسطورا • مكتوبا • وما منعنا ان نرسل
بالآيات • وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش • الا ان كذب بها الاولون •
الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها
تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم
لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال
وآتينا ثمود الناقة • بسؤالهم • مبصرة • بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر
وقرئ بالفتح • فظلموا بها • فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها • وما نرسل بالآيات
اي بالآيات المقترحة • الا تخويفا • من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير
المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى
يوم القيمة والباء مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف • واذ قلنا لك • واذكر
اذ اوحينا اليك • ان ربك احاط بالناس • فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم
من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه • وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك • ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه
في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية
الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك
قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكأني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان
فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه
نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله
الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم • والشجرة الملعونة في القرآن • عطف على الرؤيا وهي شجرة
الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها
الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى
الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها
في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم
فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا
او قد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف

السمندر دويبة في بلاد الترك يتخذ من وبره مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا يعمل فيه النار ح

أي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بأنواع التخويف فما يزيدهم إلا
طغيانا كبيرا إلا عتوا متجاوز الحد. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس
قال أأسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالا
من الراجع إلى الموصول أي خلقته وهو طين أو منه أي أأسجد له وأصله طين وفيه
على الوجوه إيماء بعلة الإنكار. قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب
لا محل له من الإعراب وهذا مفعول أول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة
صلته عليه والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي.
لئن أخرتن إلى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن ذريته
إلا قليلا أي لأستأصلنهم بالإغواء إلا قليلا لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم
من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا مأخوذ من الحنك وإنما علم أن ذلك
يتسهل له إما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير أو تفرسا
من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب. قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه
وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا
من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر بإضمار فعله أو بما في جزاؤكم
من معنى تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا. واستفزز واستخف من استطعت منهم
أن تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك إلى الفساد. وأجلب عليهم وصح عليهم
من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك بأعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة
ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز
أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من أماكنهم وأجلب
عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كحذر وحذر
وندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك. وشاركهم في الأموال بحملهم على كسبها
وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والأولاد بالحث على التوصل إلى الولد
بالسبب المحرم والإشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحرف
الذميمة والأفعال القبيحة. وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة
الآباء وتأخير التوبة لطول الأمل. وما يعدهم الشيطان إلا غرورا اعتراض لبيان مواعيده
والغرور تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب. إن عبادي يعني المخلصين وتعظيم الإضافة
والتقييد في قوله إلا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان أي على إغوائهم
قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة. ربكم الذي يزجي
هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وأنواع الأمتعة التي لا تكون
عندكم إنه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما يعسر من أسبابه.
وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه
في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه إلا إياه أو ضل

كل من تعبدونه

كل من تعبدونه من الأصنام إلا الله فلما نجاكم من الغرق إلى البر أعرضتم عن التوحيد
وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي
فأعرض في المكارم واستطالا. وكان الإنسان كفورا كالتعليل للإعراض
أفأمنتم الهمزة فيه للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم
فحملكم ذلك على الإعراض فإن من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق قادر أن يهلككم في البر
بالخسف وغيره أن يخسف بكم جانب البر أن يقلبه الله وأنتم عليه أو يقلبه بسببكم فبكم
حال أو صلة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيه وفي الأربعة التي بعده وفي
ذكر الجانب تنبيه على أنهم لما وصلوا الساحل كفروا وأعرضوا وأن الجوانب والجهات
في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك أو يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب
أي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فإنه لا راد لفعله. أم أمنتم
أن يعيدكم فيه في البحر تارة أخرى بخلق دواع تلجئكم إلى أن ترجعوا فتركبوه
فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء إلا قصفته أي كسرته فيغرقكم وعن
يعقوب بالتاء على إسناده إلى ضمير الريح بما كفرتم بسبب إشراككم أو كفرانكم نعمة الإنجاء
ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف. ولقد كرمنا بني آدم
بحسن الصورة والمزاج الأعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والإفهام
بالنطق والإشارة والخط والتهدي إلى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض
والتمكن من الصناعات وانسياق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية إلى
ما يعود عليهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس
وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده. وحملناهم
في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما
حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يغرقهم الماء. ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما
يحصل بفعلهم وبغير فعلهم. وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء
أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس
عدم تفضيل بعض أفراده والمسألة موضع نظر وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف.
يوم ندعو نصب بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى
ويدعو على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو في أفعى أو على أن الواو علامة الجمع كما في قوله
وأسروا النجوى الذين ظلموا أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة
بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل أناس بإمامهم بمن
ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال
يا صاحب كتاب كذا أي تنقطع علقة الأنساب وتبقى نسبة الأعمال وقيل بالقوى
الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم وقيل بأمهاتهم جمع أم كخف وخفاف والحكمة في ذلك
إجلال عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا. فمن أوتي
من المدعوين كتابه بيمينه أي كتاب عمله فأولئك يقرءون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون

ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير
لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي
كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك
لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك
فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده
كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان
الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة
وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب
فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت
فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء
في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف
قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر
ولا نجبى في صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا
باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت فقل ان الله
امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك
وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان
يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا
غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون
اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون
فضلا ان تركن اليهم وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل
على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل
هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا
ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت
كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب
الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان
كادوا اي وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة
ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعدك الا قليلا
الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت
في اليهود حسدوا مقام رسول الله بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت
نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم

قريظة واجلى بني النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة
قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها
على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه
قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا
رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه
ولا تجد لسنتنا تحويلا تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه
قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها
واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها
واللام للتاقيت مثلها في لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء
وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به
على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر
بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن
الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة
بالضياء والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده
الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها
ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل
بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل
فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة
لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة
والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة قال هو المقام الذي اشفع فيه
لامتي ولاشعاره ان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى يبعثك ذا مقام
وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث
مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل
ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما
يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل
دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني
على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون
ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل
وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير

عن ابن مسعود رضي الله عنه انه دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره • وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين • ما هو في تقويم دينهم واصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا • لتكذيبهم وكفرهم به • واذا انعمنا على الانسان • بالصحة والسعة اعرض • عن ذكر الله • ونأى بجانبه • لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض • واذا مسه الشر • من مرض او فقر • كان يؤسا • شديد اليأس من روح الله • قل كل يعمل على شاكلته • قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه • فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا • اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين • ويسألونك عن الروح • الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره • قل الروح من امر ربي • من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبرئيل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه • وما اوتيتم من العلم الا قليلا • تستفيدونه بطريق حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير • ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك • اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور • ثم لا تجد لك به علينا وكيلا • من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا • الا رحمة من ربك • فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز

ان يكون

ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله • ان فضله كان عليك كبيرا • كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه • قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن • في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى • لا يأتون بمثله • وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لا غائب مالي ولا حرم • ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا • ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا • ولقد صرفنا • كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان • للناس في هذا القرآن من كل مثل • من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس • فأبى اكثر الناس الا كفورا • الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي • وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا • تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر • او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا • او يكون لك بستان يشتمل على ذلك • او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا • يعنون قوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن • او تأتي بالله والملائكة قبيلا • كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة • او يكون لك بيت من زخرف • من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة • او ترقى في السماء • في معارجها • ولن نؤمن لرقيك • وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه • وكان فيه تصديقك • قل سبحان ربي • تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة • هل كنت الا بشرا • كسائر الناس • رسولا • كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا • وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى • اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق • الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا • الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل

الله بشرا • قل جوابا لشبهتهم لو كان في الأرض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم
مطمئنين • ساكنين • لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • لتمكنهم من الاجتماع به
والتلقي منه وأما الإنس فعامتهم عماة عن إدراك الملك والتلقف منه فإن ذلك مشروط
بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به
وكذلك بشرا والأول أوفق • قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على أني رسول إليكم
بإظهار المعجزة على وفق دعواي أو على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم عاندتم
وشهيدا نصب على الحال أو التمييز • إنه كان بعباده خبيرا بصيرا • يعلم أحوالهم الباطنة
والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار • ومن يهد الله
فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه • ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم • يسحبون عليها أو يمشون بها روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم
على وجوههم • عميا وبكما وصما • لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لأنهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا
عن استماع الحق وأبوا أن ينطقوا بالحق ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف
إلى النار مؤفي القوى والحواس • مأواهم جهنم كلما خبت • سكن لهبها بأن أكلت
جلودهم ولحومهم • زدناهم سعيرا • توقدا بأن نبدل جلودهم ولحومهم فتعود
ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بأن لا يزالوا
على الإعادة والإفناء وإليه أشار بقوله • ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا
أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا • لأن الإشارة إلى ما تقدم
من عذابهم • أولم يروا • أولم يعلموا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق
مثلهم • فإنهم ليسوا أشد خلقا منهن ولا الإعادة أصعب عليه من الإبداء • وجعل
لهم أجلا لا ريب فيه • هو الموت أو القيامة • فأبى الظالمون • مع وضوح الحق • إلا
كفورا • إلا جحودا • قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي • خزائن رزقه وسائر نعمه
وأنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني • وفائدة هذا
الحذف والتفسير المبالغة والدلالة على الاختصاص • إذا لأمسكتم خشية الإنفاق •
لبخلتم مخافة النفاد بالإنفاق إذ لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره
بشيء فإنما يؤثره لعوض يفوقه فهو إذا بخيل بالإضافة إلى جود الله وكرمه هذا
وإن البخلاء أغلب فيهم • وكان الإنسان قتورا • بخيلا لأن بناء أمره على الحاجة
والضنة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذله • ولقد آتينا موسى تسع
آيات بينات • هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار
الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني إسرائيل وقيل الطوفان والسنون
ونقص الثمرات مكان الثلاثة الأخيرة وعن صفوان أن يهوديا سأل النبي عم عنها
فقال أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله

إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا
تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبل
اليهودي يديه ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الأحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع
سميت بذلك لأنها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله
وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام
فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم • فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك أو سلهم عن حال دينهم ويؤيده
قراءة رسول الله عم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش وإذ متعلق بقلنا أو سال
على هذه القراءة أو فاسأل يا محمد بني إسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون إذ جاءهم أو عن الآيات
ليظهر للمشركين صدقك أو لتتسلى نفسك أو لتعلم أنه تعالى لو أتى بما اقترحوا لأصروا على العناد
والمكابرة كمن قبلهم أو ليزداد يقينك لأن تظاهر الأدلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب
وعلى هذا كان إذ نصبا بآتينا أو بإضمار يخبروك على أنه جواب الأمر أو بإضمار اذكر على الاستئناف
فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا • سحرت فتخبط عقلك • قال لقد علمت • يا فرعون
وقرأ الكسائي بالضم على إخباره عن نفسه • ما أنزل هؤلاء • يعني الآيات • إلا رب السماوات
والأرض بصائر • بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال • وإني لأظنك
يا فرعون مثبورا • مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما صرفك
أو هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فإن ظن فرعون كذب بحت وظن موسى
يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته وقرئ وإن إخالك يا فرعون لمثبورا على أن المخففة
واللام هي الفارقة • فأراد • فرعون • أن يستفزهم • أن يستخف موسى وقومه وينفيهم
من أرض مصر أو الأرض مطلقا بالقتل والاستئصال • فأغرقناه ومن معه جميعا • فعكسنا عليه
مكره فاستفززناه وقومه بالإغراق • وقلنا من بعده • من بعد فرعون أو إغراقه لبني إسرائيل
اسكنوا الأرض • التي أراد أن يستفزكم منها • فإذا جاء وعد الآخرة • الكرة أو الحياة أو الساعة
أو الدار الآخرة يعني قيام القيامة • جئنا بكم لفيفا • مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم و
نميز سعداءكم من أشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى • وبالحق أنزلناه وبالحق نزل •
أي وما أنزلنا القرآن إلا ملتبسا بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل
عليه وقيل وما أنزلناه من السماء إلا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا
محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله أراد به نفي اعتراء البطلان له أول الأمر وآخره
وما أرسلناك إلا مبشرا • للمطيع بالثواب • ونذيرا • للعاصي من العقاب فلا عليك إلا
التبشير والإنذار • وقرآنا فرقناه • نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل
فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فإنه نزل في تضاعيف
عشرين سنة • لتقرأه على الناس على مكث • على مهل وتؤدة فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه • ونزلناه تنزيلا • على حسب الحوادث • قل آمنوا به أو لا تؤمنوا •
فإن إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا • وقوله إن الذين أوتوا
العلم من قبله • تعليل له أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين

قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل
اورأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه
قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن
يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب
ببعثة محمد على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد
ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون
كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر
فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض
من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا
كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر
وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
بانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات
الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو
اجود لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى
الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه
وما صلة لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان
اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة
على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك
بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك حملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها
حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا
فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول انا اناجي ربي وقد
علم حاجتي وعمر كان يجهر فيقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها
وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها
بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه
ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد
بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله
وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة
والتمجيد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام
من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة بني
اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة

٢٤٧

سورة الكهف مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة واحدى عشرة آية

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على
انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد و
الداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج
باختلال في اللفظ وتناف في المعنى وانحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو بالكسر
في المعاني كالعوج بالفتح في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا
تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على
الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير
في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان
المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ
قيما لينذر بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول
اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده و
قرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر
النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم
ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل
مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به
فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا
نسبة الاتخاذ اليه ولا لابائهم الذين تقولوا بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت
مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد
يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول
ادل على المقصود تخرج من افواههم صفة لها يفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم
والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان
كبر بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك
قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن
فارقته اعزته وهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك
على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او
متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز
اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان
والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو
من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيدا فيه والجرز الارض التي قطع نباتها كصعيد املس
لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مدة

اشارة الى كون النبي صلى الله عليه وسلم كاملا في ذاته وقوله قيما الى كونه مكملا لغيره لان التفصيص عبارة عن العالم بمصالح الغير

فان قيل اي زينة في الحيات والعقارب والشياطين قلنا فيها زينة على معنى انها يدل على وحدانية الصانع وقال في بعض زاد به الرجال خاصة هم زينة الارض وقيل اراد به العلماء والصلحاء وقيل الزينة بالنبات والاشجار والانهار معالم التنزيل

كانوا من آياتنا عجبا • وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع
الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم
ردها إليها ليست بعجيبة مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال أمية بن أبي الصلت وليس بها
إلا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هجد أو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم
وجعلت على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم فأخذ
بهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة
لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل
في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت ثم
مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع إلي بعد حين شيخا ضعيفا
لا أعرفه وقال إن لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها إليه جميعا اللهم إن كنت
فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في
فضل وأصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون
نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت
وسلمت إلي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت أخاف الله فقلت لها
خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم إن فعلته لوجهك
فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي أبوان همان وكانت لي غنم وكنت
أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم أبرح حتى أمسيت فأتيت أهلي
فأخذت محلبي وحلبت فيه ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فتوقفت
جالسا ومحلبي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن فعلته لوجهك فافرج عنا
ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير • إذ أوى الفتية إلى الكهف • يعني فتية من أشراف
الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف • فقالوا ربنا آتنا من لدنك
رحمة • توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو • وهيئ لنا من أمرنا • من الأمر الذي نحن
عليه من مفارقة الكفار • رشدا • نصير بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا كله رشدا
كقولك رأيت منك أسدا وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء • فضربنا على آذانهم • أي
ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع بمعنى أنمناهم إنامة لا تنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول
كما حذف في قولهم بنى على امرأته • في الكهف سنين • ظرفان لضربنا • عددا • أي ذوات عدد
ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده تعالى • ثم بعثناهم
أيقظناهم • لنعلم • ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا • أي الحزبين
المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم • أحصى لما لبثوا أمدا • ضبط أمدا لزمان لبثهم وما
في أي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ وأحصى خبره وهو فعل ماض وأمدا
مفعوله ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل إنه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدا
تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وأفلس

من ابن المذلق

من ابن المذلق • وأمدا نصب بفعل دل عليه كقوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا
نحن نقص عليك نبأهم بالحق • بالصدق • إنهم فتية • شبان جمع فتى كصبية وصبي • آمنوا
بربهم وزدناهم هدى • بالتثبيت • وربطنا على قلوبهم • وقويناها بالصبر على هجر الوطن
والأهل والمال والجراءة على إظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار • إذ قاموا بين يديه
فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا •
والله لقد قلنا قولا ذا شطط أي بعد عن الحق مفرط في الظلم • هؤلاء • مبتدأ • قومنا •
عطف بيان • اتخذوا من دونه آلهة • خبره وهو إخبار في معنى الإنكار • لولا يأتون
عليهم • على عبادتهم • بسلطان بين • ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ
إلا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود وأن التقليد فيه غير جائز
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا • بنسبة الشريك إليه • وإذ اعتزلتموهم • خطاب بعضهم
لبعض • وما يعبدون إلا الله • عطف على الضمير المنصوب أي وإذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم
إلا الله فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كسائر المشركين ويجوز أن تكون
ما مصدرية على تقدير وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله وأن تكون نافية
على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترضا بين إذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم
فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم • يبسط لكم ويوسع عليكم • من رحمته • في الدارين • ويهيئ
لكم من أمركم مرفقا • ما ترتفقون به أي تنتفعون به وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة
وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء
شاذا كالمرجع والمحيض فإن قياسه الفتح • وترى الشمس • لو رأيتهم والخطاب للرسول
أو لكل أحد • إذا طلعت تزاور عن كهفهم • تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم
لأن الكهف كان جنوبيا أو لأن الله تعالى زورها عنهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي
وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلاهما من الزور
بمعنى الميل • ذات اليمين • جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين • وإذا غربت تقرضهم
تقطعهم وتصرم عنهم • ذات الشمال • يعني يمين الكهف وشماله • وهم في فجوة منه • أي وهم
في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر
الشمس وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاة
مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة
لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه
ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسامهم ويبلي ثيابهم • ذلك
من آيات الله • أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف كذلك وإخبارك قصتهم أو ازورار الشمس
وقرضها طالعة وغاربة من آياته • من يهد الله • بالتوفيق • فهو المهتد • الذي أصاب الفلاح
والمراد به إما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه
الله للتأمل فيها والاستبصار بها • ومن يضلل • ومن يخذله • فلن تجد له وليا مرشدا •
من يليه ويرشده • وتحسبهم أيقاظا • لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم • وهم رقود •

ونقلبهم في رقودهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها
من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر
منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم
فطردوه فانطقه الله فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع
مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم
باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف
وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ بضم الواو
لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال
ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك بما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم و
انفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال
لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله تعالى
من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا
فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر
والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم اية على
كمال قدرتنا كذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث ويشكروا
ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم
لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز
ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة
وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى
طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه
اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة
كانت او غيرها وقرأ ابو بكر وحمزة وابو عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل
وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما [illegible] لالتقاء
الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس
فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف
وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا
ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا
بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم
اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا
ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد
بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود
الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان

لا ريب في امكانها

لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت
ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها اليها
اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان
بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف وليتبين
انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال اخرون
ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال
وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم
اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض
اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من
المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم
فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم
دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه
القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء
فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك
في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل
اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا سيقولون اي الخائضون
في قصتهم في عهد الرسول من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم
ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى
نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم
وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم على علمه واتيانا
به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبرائيل وايماء الله
اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب
وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فان عدم
ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما
قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبانه ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها
لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه
بها امر ثابت وعن علي انهم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان
يشاورهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس
وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تجادل
في شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم

والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد
فإن فيما أوحي إليك لمندوحة عن غيره مع أنه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح
المسؤول عنه وتزييف ما عنده فإنه مخل بمكارم الأخلاق ولا تقولن لشيء إني فاعل
ذلك غدا إلا أن يشاء الله نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف
وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما
حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي أي لا تقولن لأجل شيء تعزم عليه
إني فاعله فيما يستقبل إلا بأن يشاء الله أي إلا ملتبسا بمشيئته قائلا إن شاء الله أو إلا وقت
أن يشاء الله أن تقوله بمعنى أن يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لأن استثناء
اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر
ربك مشيئة ربك وقل إن شاء الله كما روي أنه لما نزل قال عليه السلام إن شاء الله إذا نسيت
إذا فرط منك نسيان لذلك ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك
جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لم يتقرر إقرار
ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر أن الاستثناء المتدارك
به من القول السابق بل هو مقدر مدلول به عليه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك
بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه
إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك
المنسي وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا لأقرب رشدا وأظهر دلالة
على أني نبي من نبأ أصحاب الكهف وقد هداه لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعدة
عنه أيامهم والإخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة
أو لأقرب رشدا وأدنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا
تسعا يعني لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما أجمل قبله وقيل إنه
حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال
بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلاثمائة سنين
بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ها هنا أن علامة الجمع فيها جبر لما حذف
من الواحد وأن الأصل في العدد إضافته إلى الجمع ومن لم يضفه أبدل سنين من ثلاث قل الله
أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض له ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلهما فلا خلق
يخفى عليه علما أبصر به وأسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج
عما عليه إدراك السامعين والمبصرين إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف
وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود إلى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة
عند سيبويه وكان أصله أبصر أي صار ذا بصر ثم نقل إلى صيغة الأمر بمعنى الإنشاء
فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له أو لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية
عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية
ومعدية إن كانت للصيرورة ما لهم الضمير لأهل السماوات والأرض من دونه من ولي

فالواو

من ولي

من ولي يتولى أمورهم ولا يشرك في حكمه أحدا في قضائه ولا يجعل له فيه
مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل أحد عن الإشراك ثم لما
دل اشتمال القرآن على قصة أهل الكهف من حيث إنها من المغيبات بالإضافة إلى الرسول على
أنه وحي معجز أمره بأن يداوم درسه ويلازم أصحابه فقال واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك
من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله لا مبدل لكلماته لا أحد يقدر على
تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملجأ تعدل إليه إن هممت به واصبر
نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع أوقاتهم
أو في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن غدوة علم في الأكثر فيكون اللام
فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم
أي ولا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وعلا وقرئ ولا
تعد عينيك ولا تعد عينيك من أعداه وعداه والمراد نهي الرسول أن يزدري بفقراء المؤمنين
وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى طراوة زي الأغنياء تريد زينة الحياة الدنيا حال
من الكاف في المشهور ومن المستكن في تعد في غيرها ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا
من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك
لصناديد قريش وفيه تنبيه على أن الداعي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات
وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وأنه لو أطاعه
كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم إسناد الإغفال إلى الله تعالى قالوا إنه مثل
أجبنته إذا وجدته كذلك أو نسبته إليه أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة أي لم نسمه
بالذكر ككلوب الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان واحتجوا على أن المراد ظاهره ما ذكروا
بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ أغفلنا بإسناد الفعل إلى القلب على معنى
حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا إيانا بالمؤاخذة وكان أمره فرطا تقدما على الحق ونبذا له
وراء ظهره يقال فرس فرط أي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون
من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا أبالي بإيمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال
العبد بفعله فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته إنا أعتدنا هيأنا للظالمين نارا
أحاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي
تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وإن يستغيثوا من العطش
يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم
يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء أو حال من المهل أو
الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ وأصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا خبر إن الأولى هي الثانية
بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من أحسن عملا منهم أو مستغنى عنه بعموم من أحسن عملا كما هو مستغنى

نزل حين قال القوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون الكشاف

أو كره غضبتم بأن تقتل عامر يوم النسار فأعتبوا بالصيلم جعل الداهية مكان العتاب جرى بين الأحبة

في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن
اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم
الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها
من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة اساور وتنكيره
لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا
خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج
وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها
وحسنت الارائك مرتفقا متكا واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال
رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه
يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا
وصرفها المؤمن في وجوه الخيرات وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان
من بني مخزوم كافر وهو الاسود ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله ابن عبد الاسد المخزومي
صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة
بتمامها بيان للتمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة
بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين
حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا
ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق
كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى
اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار
يتم في عام وينقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل و
يزيد ويزينهما وهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى
الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار
اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم
الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة
لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ
له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحد من جنتيه بالاخرى او لان الدخول
يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان
تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته
وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا
منها من جنته وقرا الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها
فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله
واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي

خلقك

خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة
ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره
بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على
خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي
ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او حذفها وتلاقت النونان
فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة
او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو
بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدل وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا
اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء
الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا
بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة
الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته
واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله
لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا
للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله
وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا
او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا
من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير
بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها
لاستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر
وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك
امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط
عليه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا
عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق
فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم
فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر
موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل
ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء
لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره الولاية لله الحق بدفع الاهلاك او رد المهلك او
الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته
عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده

اوليا المومنين

ولا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه اي ينصر فيها اوليا المومنين
على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المومن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير
عقبا اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي بالكسر ومعناه السلطان والملك اي هنالك
السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا
الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار
وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرا حمزة والكسائي الحق بالرفع صفة
للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ
عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحيوة
الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون
مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى
روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين
موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا
تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية
المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره
الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا
قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه
عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج
فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدا وخير
املا لان صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يامل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال
واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند
ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سيرت وترى الارض بارزة
بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول
وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر
او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون
الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا
تركه ومنه الغدير لترك الماء والغدر لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا
على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا
مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا
في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا
فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز

الوعد

الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى
ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية
عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون
يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا من شانه
لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها
ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه
ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصودة بيانها في تلك المحال وههنا
لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور
بالدنيا والمعرض عنها وكان سببه اغترارهما حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم
اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من
انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا
مذهب كل تكرير في القران كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه
قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود
والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا
في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه
تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني
فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا
من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق انفسهم نفى
احضار ابليس وذريته خلق السماوات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على
نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي
اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة
من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك
وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم
طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من
قرا على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا
بالاتباع وعضدا جمع عاضد كخدم من خادم من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار
وقرا حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي اي شفعاؤكم ليمنعوكم
من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس
وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم
بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها
هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق

يوبق ويبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا
يوم القيامة • ورأى المجرمون النار فظنوا • فايقنوا • انهم مواقعوها • مخالطوها
واقعون فيها • ولم يجدوا عنها مصرفا • انصرافا او مكانا ينصرفون اليه • ولقد صرفنا
اي بينا في هذا القرآن للناس من كل مثل • من كل جنس يحتاجون اليه • وكان الانسان
اكثر شيء • يتأتى منه الجدل • جدلا • خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز • وما منع
الناس ان يؤمنوا • من الايمان • اذ جاءهم الهدى • وهو الرسول الداعي والقرآن
ويستغفروا ربهم • ومن الاستغفار عن الذنوب • الا ان تأتيهم سنة الاولين • الا طلب
او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه • او يأتيهم العذاب • عذاب الآخرة • قبلا • عيانا وقرأ الكوفيون
قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا
لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او
العذاب • وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين • للمؤمنين والكافرين • ويجادل الذين
كفروا بالباطل • باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف
ونحوها تعنتا • ليدحضوا به • ليزيلوا بالجدال الحق • عن مقره • ويبطلوه من ادحض القدم
وهو ازلقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوها
واتخذوا آياتي • يعني القرآن • وما انذروا • وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب
هزوا • استهزاء • وقرئ هزأ بالسكون وهو ما يستهزأ به • ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه
بالقرآن • فاعرض عنها • فلم يتدبرها ولم يتذكر بها • ونسي ما قدمت يداه • من الكفر
والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها • انا جعلنا على قلوبهم اكنة • تعليل لاعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم • ان يفقهوه • كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده
للمعنى • وفي آذانهم وقرا • يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه • وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
اذا ابدا • تحقيقا ولا تعليلا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء
وجواب للرسول على تقدير قوله مالي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه
وربك الغفور • البليغ المغفرة • ذو الرحمة • الموصوف بالرحمة • لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب • استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله • بل لهم
موعد • وهو يوم بدر او يوم القيامة • لن يجدوا من دونه موئلا • منجا يقال وأل اذا
نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه • وتلك القرى • يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ
خبره • اهلكناهم • او مفعول مضمر مفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في اهلها
ليكون مرجع الضمائر • لما ظلموا • كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي • وجعلنا
لمهلكهم موعدا • لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا
بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم
وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض • واذ قال موسى
مقدر باذكر • لفتاه • يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليهم السلام فانه كان يخدمه ويتبعه

ولذلك

ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده • لا ابرح • لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو
السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون
اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه
من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم
مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما السلام فان موسى
كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من
يفعل كالمشرق والمطلع • او امضي حقبا • او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ
المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل
ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى عم خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر
خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا
الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر
وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا
ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك
اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى
فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على
الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان • فلما بلغا مجمع بينهما • اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف
اليه على الاتساع او بمعنى الوصل • نسيا حوتهما • نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله
ويوشع ان يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب
الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء
عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالطلبة
فاتخذ سبيله في البحر سربا • فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل
امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال
منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ • فلما جاوزا • قال لفتاه آتنا غداءنا • ما نتغدى به
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا • قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة
والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره و
يؤيده التقييد باسم الاشارة • قال ارأيت اذ اوينا • ارأيت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة
يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل الصخرة التي دون نهر الزيت • فاني نسيت الحوت
فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه • وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره • اي وما انساني ذكره الا
الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل
الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها
عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار والانجذاب

سرا شرى الى جانب البحر بعد ما عاين من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان
هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد
من نقصان ● واتخذ سبيله في البحر عجبا ● سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب واتخاذ عجبا
المفعول الثاني وهو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى
في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا
قال ذلك اي امر الحوت ● ما كنا نبغ ● نطلب لانه امارة المطلوب ● فارتدا على آثارهما
فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه ● قصصا ● يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما
اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة ● فوجدا عبدا من عبادنا ● الجمهور على انه الخضر واسمه
بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس ● آتيناه رحمة من عندنا ● هو الوحي والنبوة ●
وعلمناه من لدنا علما ● مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب ● قال له
موسى هل اتبعك على ان تعلمن ● على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف
مما علمت رشدا ● علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصري بفتحتين وهما لغتان
كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما
منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا
باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في
ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه
لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن
ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم ما انعم الله عليه ● قال انك
لن تستطيع معي صبرا ● نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كانها مما
لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله ● وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ●
اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط به خبرك
وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره ● قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك
غير منكر عليك ● ولا اعصي لك امرا ● عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او
على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة
الفساد والصبر على خلافه في غاية الشدة وفيه دليل على ان افعال
العباد واقعة بمشيئة الله تعالى ● قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء ● فلا تفاتحني بالسؤال
عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته ● حتى احدث لك منه ذكرا ● حتى ابتدئ لك ببيانه
وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة ● فانطلقا ● على الساحل يطلبان
السفينة ● حتى اذا ركبا في السفينة خرقها ● اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين
من الواحها ● قال اخرقتها لتغرق اهلها ● فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق
اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل
لقد جئت شيئا امرا ● اتيت امرا عظيما ● من امر الامر اذا عظم ● قال الم اقل انك لن تستطيع معي
صبرا ● تذكير لما ذكره قبل ● قال لا تؤاخذني بما نسيت ● بالذي نسيته او بشيء نسيته

يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض
النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت
من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ● ولا ترهقني من امري
عسرا ● ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك
وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه ● وقرئ عسرا بضمتين
فانطلقا ● اي بعدما خرجا من السفينة ● حتى اذا لقيا غلاما فقتله ● قيل فتل عنقه وقيل
ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير تردد
واستكشاف حال ولذلك قال ● اقتلت نفسا زكية بغير نفس ● اي طاهرة من الذنوب وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي
لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت
صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها
نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل
خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء
لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله
بقوله لقد جئت شيئا نكرا ● وقرأ نافع في رواية قالون وابن عامر ويعقوب وابو بكر
نكرا بالتثقيل ● قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ● زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض
الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير
اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة ● قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني
وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك ● قد بلغت من لدني عذرا
قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني
بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي ●
وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد ● فانطلقا
حتى اذا اتيا اهل قرية ● قرية انطاكية وقيل ايلة بصرة وقيل باجروان ارمينية
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما ● وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا
نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض
اذا مال ● فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض ● يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة
للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء
بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل
من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض كاحمر
وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا ● فاقامه
بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه ● قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا ● تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لومه بنفي

كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيهما لم يتمالك نفسه • واتخذ افتعل
من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت
اي لأخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون • قال هذا فراق بيني وبينك
الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا
الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى
الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل • سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا
بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر • اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر • لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل
سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة
يعملون في البحر • فاردت ان اعيبها • اجعلها ذات عيب • وكان وراءهم ملك • قدامهم او خلفهم
وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر وقيل منواذ بن جلندي الازدي • يأخذ كل
سفينة غصبا • من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان
وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان
مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر
على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها • واما الغلام فكان
ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما • ان يغشيهما • طغيانا وكفرا • لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما
شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما
بعلته فيرتدا باضلاله او بممالأته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله
اعلمه وعن ابن عباس رض ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عم عن قتل
الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف
ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه • اي يرزقهما بدله ولدا خيرا منه • زكوة • طهارة
من الذنوب والاخلاق الذميمة • واقرب رحما • رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما
جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو
يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم
التفضيل وكذلك زكوة • واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة • قيل اسمهما
اصرم وصريم واسم المقتول حيسون • وكان تحته كنز لهما • من ذهب وفضة روي ذلك
مرفوعا والذم على كنزهما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي
زكوتهما وما يتعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله • وكان ابوهما صالحا
تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه

سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح • واراد ربك ان يبلغا اشدهما • اي الحلم
وكمال الرأي • ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك • مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة
او مصدرا لأراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت
رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله
والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه
لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج
او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط • وما فعلته • وما فعلت ما رأيته
عن امري • وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب
تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة
ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا • اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه
القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه
وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على
جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه • ويسئلونك عن ذي القرنين •
يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين
او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل انقرض في ايامه قرنان من الناس
وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك
كما يقال للكبش للشجاع كأنه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه
وصلاحه وكان السائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركو مكة • قل سأتلو عليكم
منه ذكرا • خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله • انا مكنا له في الارض
اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول • وآتيناه من كل شيء سببا
اراده وتوجه اليه • سببا • وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة • فاتبع سببا
اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة
التاء • حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة • ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت
ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون
العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط
فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب
وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار
كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية • ووجد عندها • عند تلك العين
قوما • قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم
او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله • قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب • اي بالقتل على كفرهم
واما ان تتخذ فيهم حسنا • بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه
احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله • قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه
فيعذبه عذابا نكرا • اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره

واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فسنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة
عذابا منكرا لم يعهد مثله • وأما من آمن وعمل صالحا • وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء
الحسنى • فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب جزاء منونا منصوبا على الحال اي
فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزي بها جزاء او التمييز
وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه
المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك
معهم اما التعذيب واما الاحسان فالأول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله
اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي • وسنقول له من امرنا • مما
نأمر به يسرا • سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين • ثم اتبع سببا •
ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء
وكذا لكلها بعده • حتى اذا بلغ مطلع الشمس • يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه من معمور
الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا • من اللباس او البناء فان ارضهم
لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية • كذلك • اي امر ذي القرنين
كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير
والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي
على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم • وقد احطنا بما لديه
من الجنود والآلات والعدد والاسباب • خبرا • علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة
ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير • ثم اتبع سببا • يعني طريقا ثالثا
معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال • حتى اذا بلغ بين السدين
بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال
في منقطع ارض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح
لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا
مفعول به وهو من الظروف المتصرفة • وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا • لغرابة
لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يُفقهون اي لا يُفهمون السامع كلامهم ولا
يبينونه لتلعثمهم فيه • قالوا يا ذا القرنين • اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين
من دونهم • ان يأجوج ومأجوج • قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك
ومأجوج من الجيل وهما اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أج الظليم اذا اسرع
واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث • مفسدون في الارض •
اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع ولا يتركون
اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس • فهل نجعل لك خرجا • جعلا
نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض

والذمة

والذمة والخرج المصدر • على ان تجعل بيننا وبينهم سدا • يحجز خروجهم علينا
وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي • قال ما مكني فيه ربي خير • ما جعلني فيه مكينا
من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني
على الاصل • فأعينوني بقوة • اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات • اجعل بينكم
وبينهم ردما • حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع
آتوني زبر الحديد • قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج
والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني
بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك
الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل • حتى اذا ساوى
بين الصدفين • بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين
وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف
وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل • قال انفخوا • اي قال للعملة
انفخوا في الاكوار والحديد • حتى اذا جعله • جعل المنفوخ فيه • نارا • كالنار بالاحماء
قال آتوني افرغ عليه قطرا • اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين اولى
نحو [illegible] واحدا اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا عن الالباس وقرأ
حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف • فما اسطاعوا • بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين
وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا • ان يظهروه
ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه • وما استطاعوا له نقبا • لثخنه وصلابته وقيل
حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى
ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط
والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض
بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها • قال هذا • السد او الاقدار على تسويته • رحمة
من ربي • على عبادي • فاذا جاء وعد ربي • وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام
الساعة بان شارف يوم القيامة • جعله دكا • مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر
بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية
وكان وعد ربي حقا • كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين • وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض • وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموج في بعض
مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى
ويؤيده • ونفخ في الصور • لقيام الساعة • فجمعناهم جمعا • للحساب والجزاء • وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين • وابرزناها واظهرناها لهم • الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري • عن آياتي التي
ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم • وكانوا لا يستطيعون سمعا • استماعا لذكري وكلامي
لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصمت

ساميهم بالكلية • افحسب الذين كفروا • افظنوا والاستفهام للانكار • ان يتخذوا
عبادي • اتخاذهم الملائكة والمسيح • من دوني اولياء • معبودين نافعهم او لا
اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه
وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل
حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له • انا اعتدنا جهنم للكافرين
نزلا • ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقرونه • قل
هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا • نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا • ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم
خسروا دنياهم واخرتهم ومحله الرفع على خبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل
او النصب على الذم • وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا • لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق
اولئك الذين كفروا بايات ربهم • بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة
ولقائه • بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه • فحبطت اعمالهم • بكفرهم فلا يثابون
عليها • فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا • فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا
او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها • ذلك • الامر ذلك وقوله جزاؤهم
جهنم • جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم
به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر • بما كفروا
واتخذوا اياتي ورسلي هزوا • اي بسبب ذلك • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم
جنات الفردوس نزلا • فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله
البستان الذي يجمع الكرم والنخل • خالدين فيها • حال مقدرة • لا يبغون عنها حولا • تحولا
اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم • ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود • قل لو كان
البحر مدادا • ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج • لكلمات
ربي • لكلمات علمه وحكمته • لنفد البحر • لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه • قبل ان تنفد
كلمات ربي • فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه • ولو جئنا بمثله مددا • بمثل البحر الموجود مددا
زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام
لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير
المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب
ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم
تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا • قل انما انا بشر مثلكم • لا ادعي الاحاطة على كلماته
يوحى الي انما الهكم اله واحد • وانما تميزت عنكم بذلك • فمن كان يرجو لقاء ربه • يؤمل حسن
لقائه • فليعمل عملا صالحا • يرتضيه الله • ولا يشرك بعبادة ربه احدا • بان يرائيه او
يطلب منه اجرا روي جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد
سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا
وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الى اخره كان له
نورا في مضجعه يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى
يستيقظ وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا
من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء صدق رسول الله

سورة مريم مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثمان او تسع وتسعون اية

كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي ياءات وابن عامر وحمزة الياء والكسائي
وابو بكر كليهما • ذكر رحمة ربك • خبر ما قبله ان اول بالسورة او القران فانه مشتمل عليه
او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدا حذف خبره اي فيما يتلى عليكم ذكرها
وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي وذكر على الامر • عبده • مفعول الرحمة او الذكر على ان
الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد • زكريا • بدل منه او عطف بيان
اذ نادى ربه نداء خفيا • لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا
واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر والشيخوخة او لئلا يطلع
عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل
ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون • قال رب اني وهن العظم
مني • تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه
ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ
وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلث • واشتعل الراس شيبا • شبه الشيب
في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج
الاستعارة واسند الاشتعال الى الراس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا
للمقصود واكتفى باللام من الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن
التقييد • ولم اكن بدعائك رب شقيا • بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف
معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه
تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه • واني خفت الموالي
يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا
عليهم دينهم • من ورائي • بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو يتعلق
بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون الامر
من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او
خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت • وكانت امراتي عاقرا
لا تلد • فهب لي من لدنك • فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامراتي
لا نصلح للولادة • وليا • من صلبي • يرثني ويرث من ال يعقوب • صفتان له وجزمهما
ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء
لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من ال يعقوب الملك وهو
يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل

سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين او يرثه بالتصغير
لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه
جرد عن المذكور اولا مع انه المراد. واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا.
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا
له. لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة
تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم
والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم
امه او لان دين الله حيي بدعوته. قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت
من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين
والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة
والكسائي وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان
المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله تعالى او الملك
المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال
في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ
وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت وهو
علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم
ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك. قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها
وقوع ما بشرتني به. قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا سوي الخلق ما بك خرس
ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس
والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ولياليهن. فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى
اليهم فاومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا
ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان
يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة. يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب
التوراة بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التوراة
وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه. وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة
وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم. وزكاة وطهارة من الذنوب او صدقة
اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس. وكان تقيا مطيعا
متجنبا عن المعاصي. وبرا بوالديه وبارا بهما. ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصيا
ربه. وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت
من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيامة. واذكر في الكتاب في القرآن
مريم يعني قصتها. اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان
مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما

واحد

واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني
اي لان لم تكرمني فيكون بدلا بدل الاشتمال لا محالة. من اهلها مكانا شرقيا في بيت المقدس
او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول به لان انتبذت
متضمنة معنى اتت. فاتخذت من دونهم حجابا سترا. فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها
بشرا سويا. قيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول
من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود الى المسجد اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبريل
متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر
نطفتها الى رحمها. قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها. ان كنت تقيا تتقي الله
وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ
بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني
اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك. قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب
لك غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده
قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء. زكيا طاهرا من الذنوب او
ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح. قالت انى يكون لي غلام ولم
يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما
يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله. ولم اك بغيا عليه وهو فعول
من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء
او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق. قال كذلك قال
ربك هو علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله
آية وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات. آية للناس علامة لهم وبرهانا
على كمال قدرتنا. ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده. وكان امرا مقضيا تعلق
به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل
لكونه آية ورحمة. فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكان مدة
حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل
ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت
حيضتين. فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم و
الترائبا والجار والمجرور في موضع الحال. مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل
وقيل اقصى الدار. فاجاءها المخاض فالجأها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء
لكنه خص به في الاستعمال كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة
اذا تحرك الولد في بطنها للخروج. الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند
الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة
وكان الوقت وقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها
وكانت كالمتعالم عند الناس ولعل الله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياته ما تسكن روعتها

وتطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها • قالت يا ليتني مت قبل
هذا • استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو بكر
مُتُّ من مات يموت • وكنت نسيا • ما من شأنه أن ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح
لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه كالوِتر والوَتر
أو مصدر سمي به وقرئ به وبالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته
منسيا • منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الإتباع • فناداها من
تحتها • عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها أسفل من مكانها وقرأ
نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من بالكسر والجر على أن في نادى ضمير أحدهما
وقيل الضمير في تحتها للنخلة • ألا تحزني • أي بأن لا تحزني • قد جعل ربك تحتك سريا
جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى • وهزي إليك بجذع
النخلة • وأميليه إليك والباء مزيدة للتأكيد أو افعلي الهز والإمالة به أو هزي
الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع • تساقط عليك • تتساقط فأدغمت التاء
الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت
بمعنى أسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع •
رطبا جنيا • تمييز أو مفعول روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان
الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات
الدالة على براءة ساحتها فإن مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها
عليه على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن يحبلها من غير فحل وأنه ليس
ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الأمرين فقال • فكلي واشربي • أي
من الرطب وعصيره • وقري عينا • وطيبي نفسك وارفضي عنك ما أحزنك وقرئ وقِري
بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه
من النظر إلى غيره أو من القر فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال
قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه • فإما ترين من البشر أحدا • فإن ترى آدميا وقرئ
ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين • فقولي إني نذرت للرحمن
صوما • صمتا وقرئ به أو صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم • فلن أكلم اليوم إنسيا •
بعد أن أخبرتكم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي وقيل أخبرتهم بنذرها بالإشارة
وأمرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فإنه قاطع في قطع الطاعن •
فأتت به • مع ولدها • قومها • راجعة إليهم بعدما طهرت من النفاس • تحمله • حاملة إياه •
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا • بديعا منكرا من فري الجلد إذا قطعه • يا أخت هارون •
يعنون هارون النبي ع م وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة وقيل كانت من نسله
وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح أو طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما أو
لما رأوا من صلاحها أو شتموها به • ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا • تقرير
لأن ما جاءت به فري وتنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش • فأشارت إليه

الى عيسى

إلى عيسى ع م أي كلموه ليجيبكم • قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا • ولم نعهد
صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من
المستكن فيه أو تامة أو دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما أو بمعنى صار • قال إني
عبد الله • أنطقه الله به أولا لأنه أول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته • آتاني
الكتاب • الإنجيل • وجعلني نبيا وجعلني مباركا • نفاعا معلم الخير والتعبير
بلفظ الماضي إما باعتبار ما سبق في قضائه أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل
أكمل الله عقله واستنبأه طفلا • أينما • حيث • كنت • وأوصاني وأمرني
بالصلاة والزكاة • زكاة المال إن ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل • ما دمت
حيا • وبرا بوالدتي • وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على أنه مصدر
وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني أي وكلفني برا ويؤيده القراءة
بالكسر والجر عطفا على الصلاة • ولم يجعلني جبارا شقيا • عند الله من فرط تكبره
والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا • كما هو على يحيى
والتعريف للعهد والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإنه لما جعل
جنس السلام على نفسه عرض بأن ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع
الهدى فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى • ذلك عيسى ابن مريم • أي
الذي تقدم نعته عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه
على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصفونه
ثم عكس الحكم • قول الحق • خبر محذوف أو مبتدأ أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه
والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو
بدله أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب بالنصب
على أنه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق بمعنى القول • الذي فيه يمترون • في أمره يشكون
أو يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء
على الخطاب • ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه • تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى
عما بهتوه • إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون • تبكيت لهم بأن من إذا أراد شيئا
أوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد بإحبال الإناث
وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب • وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم • سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان أن
بالفتح على ولأن وقيل إنه معطوف على الصلاة • فاختلف الأحزاب من بينهم •
اليهود والنصارى أو فرق النصارى نسطورية قالوا إنه ابن الله ويعقوبية قالوا
هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه •
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم • من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه
وهو يوم القيامة أو من وقت الشهود أو من مكانه فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم
وهو أن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأرجلهم بالكفر والفسوق

أو من وقت الشهادة أو من مكانها وهو ما شهدوا به في عيسى وأمه أسمع
بهم وأبصر تعجب معناه أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا يوم القيامة جدير
بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما عميا في الدنيا أو التهديد بما سيسمعون وسيبصرون
يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار
والمجرور على الأول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين أوقع الظالمين موقع الضمير إشعارا بأنهم ظلموا أنفسهم
حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على إغفالهم بأنه ضلال بين
وأنذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه
إذ قضي الأمر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وإذ بدل
من اليوم أو ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله
في ضلال مبين وما بينهما اعتراض أو بأنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين
فيكون حالا متضمنة للتعليل إنا نحن نرث الأرض ومن عليها لا يبقى لأحد
غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك
توفي الوارث لإرثه وإلينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب إبراهيم إنه
كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدقه من غيوب الله وآياته
وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله إذ قال بدل من إبراهيم وما بينهما اعتراض أو
متعلق بكان أو بصديقا نبيا لأبيه يا أبت التاء معوضة من ياء الإضافة
ولذلك لا يقال يا أبتي ويقال يا أبتا وإنما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم
تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني
عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه إلى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه
أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه
إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون إليه فضلا عن عبادته التي هي
غاية التعظيم ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام وهو الخالق والرازق
المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعله لغرض صحيح والشيء
لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل
القويم عن عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد
للقدرة الواجبة فكيف إذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه
إلى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي
فقال يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ولم يسم أباه
بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق
ثم ثبطه عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فإنه في الحقيقة عبادة
الشيطان من حيث إنه الآمر به فقال يا أبت لا تعبد الشيطان واستهجن ذلك وبرزه في أقبح صورة
بأن الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله إن الشيطان كان للرحمن عصيا

ومعلوم

ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم
ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر إليه فقال يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك أو ثابتا في
موالاته فإنه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب
إما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته
لارتقاء همته في الربانية أو لأنه ملاكها أو لأنه من حيث إنه نتيجة معاداته
لآدم وذريته منبه عليها قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم قابل استعطافه ولطفه
في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني
وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب
كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها أو الرغبة
عنها لأرجمنك بلساني يعني الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد عني واهجرني
عطف على ما دل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة
أو مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة
أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي
لعله يوفقك للتوبة والإيمان فإن حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق
لما يوجب مغفرته وقد تقدم تقريره في سورة التوبة إنه كان بي حفيا بليغا في البر
والإلطاف وأعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وأدعو ربي
أعبده وحده عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم
في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على
أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجب وأن ملاك الأمر خاتمته وهو غيب فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة إلى الشام وهبنا له إسحق ويعقوب بدل
من فارقهم من الكفرة وقيل إنه لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج سارة
وولدت له إسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء
أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا
منهما أو منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والأموال والأولاد وجعلنا لهم
لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل
لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم وإضافته
إلى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم
لا تخفى على تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب
موسى إنه كان مخلصا موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم
وجهه لله أو أخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه
وكان رسولا نبيا أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا
مع أنه أخص وأعلى وناديناه من جانب الطور الأيمن من ناحيته اليمنى من

وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة
وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد
الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات
حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا
اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه
كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل هارون عطف بيان له نبيا حال
منه واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه كان مشهورا به
والموصوف باشياء من هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح
فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول
لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته وكان يامر اهله
بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو
اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك
بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء اباء الامم
وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس وهو
سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده
منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه
اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم
النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة
والزلفى عند الله وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين
في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية
والدنياوية من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار
ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية
وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم
كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم
اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه
دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق
واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر
لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله
واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى
وعن النبي عم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في
جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التانيث غير حقيقي وقرا حمزة والكسائي بكيا
بكسر الباء فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق
بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا

صاحب شريعة

ونيل الجنة

الشهوات

الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي
واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا
شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء
غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ
منه اوديتها الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل على ان الاية في الكفرة فاولئك
يدخلون الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل
ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينصب شيئا على المصدر
وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل
من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه
خبر مبتدا محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة
كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي
وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب
انه كان وعده الذي هو الجنة ماتيا ياتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل
هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما
ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم
بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون
لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او
على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما
فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين
الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث
من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه
والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا
استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي
كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل عم حين استبطاه رسول الله لما سئل
عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه
فيه فابطا خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه
ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق
بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا
بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا
وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان
ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا تاركا لك
اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه

كي نقلوا في قبته وسمي وامس فيين
لم يعم فيه علما اعلاما لساع القبة
والسوء والا سمي بالعدل
له كما ادركه على كافي

اياك كما زعمت الكفرة وما كان لحكمته ان ينساك وقيل اول الاية حكاية قول المتقين
حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور
كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما
كان ربك نسيا تقرير من الله لهم وما كان نسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب
عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو
خبر مبتدأ محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول
مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل
على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي
باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك
للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى
الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته
وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا
صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته
والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول
فيما بينهم وان لم يقله كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم
المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم
محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت
وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة و
انتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي
ههنا مخلصة للتاكيد مجردة عن الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض
فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة
على الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف
مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه
انما نشأ منه فانه لو تذكر وتامل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا
لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر
وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه تعالى مضافا الى نبيه
تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول والشياطين عطف او مفعول معه لما روي
ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه
في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا
جميعا معهم وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم
حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال
الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم

الى دار الثواب

الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او
لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف
جاثون لقوله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة في مواقف التقاول وان كان المراد
بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم
عن القيام لما عراهم من الشدة على ان جثيا حال مقدرة وقرأ حمزة والكسائي وحفص
جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن
عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى
يعفو عن كثير من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم
فاعتاهم فيطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق به وايهم
مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل
وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب
المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي
وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم
اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل
واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة
لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى
بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم
مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بالكسر وان منكم
وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها
وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله عنه انه سئل
عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد
النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون
فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان
على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد
وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرأ
الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها
جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او
ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم
او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا
وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا

والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها
أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها
على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من
الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضاً مع التهديد نقضاً بقوله • وكم أهلكنا قبلهم من قرن
هم أحسن أثاثاً ورئياً • وكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيانه وإنما سمي أهل كل عصر
قرناً لأنه يتقدم من بعدهم وهم أحسن صفة لكم وأثاثاً تمييز عن النسبة وهو متاع
البيت وقيل هو الجديد والخرثي ما رث ورئياً المنظر فعل من الرؤية لما رؤي كالطحن
والخبز فعل من الرؤية وقرأ قالون وابن ذكوان رياً على قلب الهمزة ياء وادغامها أو
على أنه من الري الذي هو النعمة وأبو بكر ورئياً على القلب ورياً بحذف الهمزة وزياً
من الزي وهو الجمع فإنه محاسن مجموعة ثم بين أن تمتيعهم استدراج وليس بإكرام
وإنما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله • قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مداً • فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وإنما أخرجه على لفظ
الأمر إيذاناً بأن إمهاله مما ينبغي أن يفعله استدراجاً وقطعاً لمعاذيره كقوله
إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً وكقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر • حتى إذا رأوا
ما يوعدون • غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين
خير أي قالوا حتى إذا رأوا ما يوعدون • إما العذاب وإما الساعة • تفصيل للموعود
فإنه إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً
وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال • فسيعلمون من هو شر مكاناً من الفريقين
بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلاناً ووبالاً عليهم وهو
جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى • وأضعف جنداً • أي فئة وأنصاراً قابل به
أحسن ندياً من حيث إن حسن النادي باجتماع وجوه القوم وأعيانهم وظهور شوكتهم
واستظهارهم • ويزيد الله الذين اهتدوا هدى • عطف على الشرطية المحكية بعد
القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحظوظ الدنيا ليس لفضله أراد أن
يبين أن قصور حظ المؤمنين منها ليس لنقصه بل لأن الله عز وجل أراد به ما هو خير
وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر كأنه قيل من كان في الضلالة
يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية • والباقيات الصالحات • الطاعات
التي تبقى عائدتها أبد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر • خير عند ربك ثواباً • عائدة مما متع به الكفرة
من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة
والعذاب الدائم كما أشار إليه بقوله • وخير مرداً • والخير ههنا إما لمجرد الزيادة أو على
طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره منه في برده • أفرأيت الذي كفر
بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً • نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال
فتقاضاه فقال له لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً

ولا حين

ولا حين تبعث قال فإني مبعوث قال نعم قال فإذا بعثت جئتني فيكون لي ثمة مال وولد
فأعطيك ولما كانت الرؤية أقوى سند إلى الإخبار استعمل أرأيت بمعنى الإخبار
والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك وقرأ
حمزة والكسائي وُلداً وهو جمع ولد كأُسد في أَسد أو لغة فيه كالعرب والعُرب وقرئ
ولداً بالكسر • أطلع الغيب • أقد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب
الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً وتألى
عليه • أم اتخذ عند الرحمن عهداً • أو اتخذ من عالم الغيب عهداً بذلك فإنه
لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة
والعمل الصالح فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه • كلا • ردع وتنبيه
على أنه مخطئ فيما يصوره لنفسه • سنكتب ما يقول • سنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة
قوله إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • أي تبين أني لم تلدني لئيمة أو سننتقم من
كتب جريمة العدو وحفظها عليه فإن نفس الكتبة لا يتأخر عن القول لقوله تعالى
ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد • ونمد له من العذاب مداً • ونطول له من العذاب
ما يستأهله أو نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله تعالى
ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه • ونرثه بموته • ما يقول • يعني المال
والولد • ويأتينا يوم القيامة • فرداً • لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا
فضلاً أن يؤتى ثمة زائداً وقيل فرداً رافضاً لهذا القول منفرداً عنه • واتخذوا
من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً • ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة إلى الله تعالى
ويشفعاء عنده • كلا • ردع وإنكار لتعززهم بها • سيكفرون بعبادتهم • سيجحد
الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا أو سينكر
الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين • ويكونون عليهم ضداً • يؤيد الأول إذا فسر الضد بضد
العز أي ويكونون عليهم ذلاً أو بضدهم على معنى أنها تكون معونة في عذابهم بأن
توقد بها نيرانهم أو جعل الواو للكفرة أي يكونون كافرين بعد أن كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فإنهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره
قوله عم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الألف نوناً في الوقف
قلب ألف الإطلاق في قوله أقلي اللوم عاذل والعتابن • أو على معنى كل هذا
الرأي كلا وكلا على إضمار فعل يفسره ما بعده أي سيجحدون كلا سيكفرون
بعبادتهم • ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين • بأن سلطناهم عليهم أو
قيضنا لهم قرناء • تؤزهم أزاً • تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات و
تحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله عم من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي
وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة • فلا
تعجل عليهم • بأن يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الأرض

فسادهم • انما نعد لهم • ايام اجالهم • عدا • والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه
لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة • يوم نحشر المتقين • نجمعهم
الى الرحمن • الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة
شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين
لها والكافرين بها • وفدا • وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين
لكرامتهم وانعامهم • ونسوق المجرمين • كما تساق البهائم • الى جهنم وردا
عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء • لا يملكون
الشفاعة • الضمير فيها للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم • الا
من اتخذ عند الرحمن عهدا • الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة
من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع
على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء
وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
يستعد به ان يشفع له بالاسلام • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • الضمير يحتمل الوجهين
لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم • لقد جئتم شيئا ادا • على الالتفات
للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والاد بالفتح والكسر
العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر واده اثقلني وعظم علي • تكاد السموات
وقرا نافع والكسائي بالياء • يتفطرن منه • يتشققن مرة بعد اخرى وقرا
ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل
مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف • وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا • تهد هدا اي مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو
تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة
لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله
بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها • ان دعوا للرحمن ولدا
يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر
باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره
الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو
من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي
له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه
وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا • ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب
مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة
ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدا النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف
يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله • ان كل من في السموات والارض • اي ما منهم

الا اتي

الا اتي الرحمن عبدا • الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ
آت الرحمن على الاصل • لقد احصاهم • حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة
علمه وقبضة قدرته • وعدهم عدا • عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل
شيء عنده بمقدار • وكلهم آتيه يوم القيامة فردا • منفردا من الاتباع والانصار
فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به • ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا • سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها
وعن النبي عم اذا احب الله عبدا يقول لجبرائيل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي
في اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين
حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض
حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل • فانما يسرناه بلسانك
بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اي انزلناه
بلغتك • لتبشر به المتقين • الصائرين الى التقوى • وتنذر به قوما لدا • اشداء الخصومة
آخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر • وكم اهلكنا قبلهم
من قرن • تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم • هل تحس منهم من احد • هل تشعر
باحد منهم وتراه • او تسمع لهم ركزا • وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي
واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا
وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا

سورة طه مكية وهي بسم الله الرحمن الرحيم • مائة واربع وثلثون آية

طه • فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو
وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل
على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد
بقوله ان السفاهة طه في خلائقكم • لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف
لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول عم بان يطأ
الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء
او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت
وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طا ما والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض
لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين
وعبر عنهما باسمهما • ما انزلنا عليك القران لتشقى • خبر طه ان جعلته مبتدا على انه مؤول بالسورة
او القران والقران فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له
ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا او طائفة من الحروف
محكية والمعنى ما انزلنا عليك القران لتتعب بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان
تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب

عك

وهذا اشقى من رايض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه
ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك
ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به • الا تذكرة • لكن تذكيرا وانتصابها
على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين
ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في
موقع الحال من الكاف او القران او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة
القران اي ما انزلنا عليك القران المنزل لتتعب اي باحتمال متاعب مقاولة العتاة
من اعداء الاسلام وغير ذلك بتبليغه • لمن يخشى • لمن في قلبه خشية ورقة يتاثر
بالانذار او لمن علم الله منه ان يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به • تنزيلا • نصب
باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له
لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه • ممن خلق الارض والسموات
العلى • مع ما بعده الى قوله الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل
بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات
التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى
وهو جمع العليا تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها
بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير
حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال • الرحمن على العرش استوى له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى • ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت
القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات
الامور وخفياتها على سواء فقال • وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى • اي
وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو
ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله تعالى
بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيرها وهضمها بالتضرع
والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد
بمقتضاها فقال • الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى • ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا
او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين
اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام
والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز
ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالنصب
على المدح وقرئ بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا
ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى
الطبقة الترابية من الارض وهي اخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء
الله على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها •

وهل اتيك

وهل اتيك حديث موسى • قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة
وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل
ما نزل • اذ راى نارا • ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استاذن
شعيبا في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له
ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته
اذ راى من جانب الطور نارا • فقال لاهله امكثوا • اقيموا مكانكم وقرا حمزة لاهله
امكثوا هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها • اني انست نارا •
ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به • لعلي اتيكم منها بقبس •
بشعلة من النار وقيل جمرة • او اجد على النار هدى • هاديا يدلني على الطريق او يهديني
ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما
مترقبا بني الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه
لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها
او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان قريب منه
فلما اتاها • اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء • نودي يا موسى اني انا ربك •
فتح ابن كثير وابو عمرو اني باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه
وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس
اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع
الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم
تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة
فاخلع نعليك • امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل
لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل
والمال • انك بالواد المقدس • تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس المطهر او المبارك
طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى
من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين • وانا اخترتك •
اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك • فاستمع لما يوحى • اي للذي يوحى اليك
او للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين • انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني •
بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة
التي هي كمال العمل • واقم الصلوة لذكري • خصصها بالذكر وافردها بالامر للعلة
التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري
لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي
بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي
لما روي انه قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول
واقم الصلوة لذكري • ان الساعة اتية • كائنة لا محالة • اكاد اخفيها • اريد

اخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ولولا ما في الإخبار بإتيانها
من اللطف وقطع الأعذار لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من أخفاه إذا سلب خفاءه
ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه إذا أظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية
أو بأخفيها على المعنى الأخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة أو عن الصلاة
من لا يؤمن بها نهى الكافر أن يصد موسى عنها والمراد نهيه عن أن ينصد عنها كقوله لا
أرينك ههنا تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها
وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع
هواه ميله إلى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك
بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب
بيمينك حال من معنى الإشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستئناس
والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل أتوكأ عليها أعتمد
عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وأهش بها على غنمي وأخبط الورق
على رؤوس غنمي وقرئ وأهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته
وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أي أنحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب
أخرى حاجات أخر مثل أنه كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته وعرض
الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به وإذا قصر الرشاء وصله بها وإذا
تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه عليه السلام فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها
وما يرى من منافعها حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص
خارقة للعادة مثل أن تشعب شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء
وتطول بطول البئر وتحاربه إذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر
إذا اشتهى ثمرة فركزها علم أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله تعالى فيها
لأجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى أنها من جنس
العصا تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال ألقها يا موسى
فألقاها فإذا هي حية تسعى قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت
وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا إلى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية
أخرى باسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك
ولذلك قال كأنها جان قال خذها ولا تخف فإنه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر
والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الأولى هيئتها وحالتها المتقدمة
وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على أن أعاد
منقول من عاده بمعنى عاد إليه أو على الظرف أي سنعيدها في طريقتها أو بفعل يقدر لها
أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الأولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل
لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها واضمم يدك
إلى جناحك إلى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة

ينضب

من جناحي الطائر سميا بذلك لأنه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كأنها
شمعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة
لأن الطباع تعافه وتنفر عنه آية أخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء
أو من ضميرها أو مفعول بإضمار خذ أو دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا
المضمر أو بما دل عليه آية أو القصة أي دللنا بها أو فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة
آياتنا أو مفعول لنريك ومن آياتنا حال منها اذهب إلى فرعون بهاتين الآيتين
وادعه إلى العبادة إنه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري
لما أمره الله بخطب عظيم وأمر جسيم سأله أن يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل أعبائه
والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الأمر له بإحداث الأسباب ورفع
الموانع وفائدة لي إبهام المشروح والميسر أولا ثم رفعه بذكر الصدر والأمر
تأكيدا ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فإنما يحسن التبليغ من البليغ
وكان في لسانه رتة من جمرة أدخلها فاه وذلك أن فرعون حمله يوما فأخذ لحيته ونتفها
فغضب فأمر بقتله فقالت آسية إنه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فأحضرا بين
يديه فأخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت
يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال إلى أي رب تدعوني
قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن
قال به تمسك بقوله قد أوتيت سؤلك يا موسى ومن لم يقل احتج بقوله هو أفصح
مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وأجاب عنهما بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا
بل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الأمر ومن لساني يحتمل
أن يكون صفة عقدة وأن يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من أهلي هارون
أخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير إما من الوزر لأنه يحمل الثقل
عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لأن الأمير يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره
ومنه الموازرة وقيل أصله أزير من الأزر بمعنى القوة فعيل بمعنى الفاعل كالعشير
والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازرة ومفعولا اجعل وزيرا وهارون
قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة أو حال أو لي وزيرا مفعولاه وهارون عطف
بيان للوزير أو وزيرا من أهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا أحد وأخي
على الوجوه بدل من هارون أو مبتدأ خبره اشدد به أزري وأشركه في أمري
على لفظ الأمر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على أنهما جواب الأمر كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا فإن التعاون يهيج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايده
إنك كنت بنا بصيرا عالما بأحوالنا وأن التعاون مما يصلحنا وأن هارون
نعم المعين لي فيما أمرتني به والشاد لعضدي بأنه أكبر مني سنا وأفصح لسانا
قال قد أوتيت سؤلك يا موسى أي مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز
والأكل بمعنى المخبوز والمأكول ولقد مننا عليك مرة أخرى أنعمنا عليك في

في وقت آخر • اذ اوحينا الى امك • بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك
لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم • ما يوحى • ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى
ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به • ان اقذفيه في التابوت • بان اقذفيه
او اي لان الوحي بمعنى القول • فاقذفيه في اليم • والقذف يقال للالقاء
وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رمى الله
بالحجر يافعا اي حصل الحجر فيه ووضعه • فليلقه اليم بالساحل • لما كان القاء
البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز
مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى
مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات
فموسى بالعرض • يأخذه عدو لي وعدو له • جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة
او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت
قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون
نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على راسها مع آسية بنت
مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا
كما قال • والقيت عليك محبة مني • اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث
لا يكاد يصبر عنك من راك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي
احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو
شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهر
ثم ادى النهر الى حيث البركة • ولتصنع على عيني • ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك
وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل
معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وقرئ
ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري
اذ تمشي اختك • ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت
متسع • فتقول هل ادلكم على من يكفله • وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت
اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم
فجاءت بامه فقبل ثديها • فرجعناك الى امك • وفاء بقولنا انا رادوه اليك •
كي تقر عينها • بلقائك • ولا تحزن • هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها
وقتلت نفسا • نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي • فنجيناك من الغم • غم قتله
خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين • وفتناك
فتونا • وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال
لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد
واجر نفسه الى غير ذلك ولما سبق ذكره • فلبثت سنين في اهل مدين • لبثت فيهم

ليتعطف

عشر سنين

عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثمان مراحل من مصر • ثم جئت على قدر
قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستاخر او على مقدار
من السن الذي يوحى فيه الى الانبياء • يا موسى • كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه
على ذلك • واصطنعتك لنفسي • واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة
بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه • اذهب انت واخوك باياتي • بمعجزاتي • ولا تنيا
ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء للاتباع • في ذكري • لا تنسياني
حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي وقيل الذكر يطلق على تبليغ الرسالة
فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة فان الذكر من اجلها واعظمها
فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر • اذهبا الى فرعون انه طغى • امر به اولا
موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحي الى هارون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله
فاستقبله • فقولا له قولا لينا • مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى
فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما واحتراما
لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد
وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع الا بالموت وان تبقى له
لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته • لعله يتذكر او يخشى • متعلق باذهبا
او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي
مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه
بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات
والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر
فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى • قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا • ان يعجل علينا
بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط
الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته
اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي
او جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية • او ان يطغى • يزداد
طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب
قال لا تخافا انني معكما • بالحفظ والنصرة • اسمع وارى • ما يجري بينكما وبينه
من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر
شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ
فأتياه • فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل • اطلقهم • ولا تعذبهم • بالتكاليف
الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل
ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك يدل على ان تخليص
المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدرج في الدعوة
قد جئناك باية من ربك • جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة

[illegible]

وقال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقال [illegible]
وعكرمة كنياه فقولا يا ابا العباس وقيل يا ابا
الوليد وقالت [illegible] بالقول اللين [illegible]
الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وقيل
ارهبا بالطافه في القول لما له من حق التربية
وقال [illegible] القول اللين ان موسى اتاه ووعده
على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع
منه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والشرب
والنكاح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فاعجبه
ذلك وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان
غائبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى
وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت
اراك ان لك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون
مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فغلبه على رايه
وكان هارون بمصر فامر الله تعالى ان ياتي
موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بالوحي [illegible]
تعلق

وانا وحدانية وكان بعد ابتيان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وجود
الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فات باية اولو جئتك بشيء مبين والسلام
على من اتبع الهدى يريد سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين والتوبيخ في الدارين
لهم. انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى. ان عذاب المشركين على المكذبين
للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اوائل الامر اهم
وانجع وبالواقع اليق. قال فمن ربكما يا موسى. اي بعدما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله
حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله وانما خاطب الاثنين
وخص موسى بالنداء لانه الاصل في النبوة وهما وزيره وتابعه او لانه عرف
ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي
هو مهين ولا يكاد يبين. قال ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع. خلقه. صورته
وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به
فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق
والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او للمضاف على شذوذ
فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه. ثم هدى. ثم عرفه كيف
يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية
البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان
الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه
منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل
عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه. قال فما بال القرون الاولى. فما حالهم بعد موتهم
من السعادة والشقاوة. قال علمها عند ربي. اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا
عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به. في كتاب. مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون
تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده. لا يضل ربي ولا ينسى
والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث
لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة
قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة
بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيلها وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي
مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب
ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى. الذي جعل لكم
الارض مهدا. مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ
الكوفيون هنا وفي الزخرف مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي
به والباقون مهادا. وسلك لكم فيها سبلا. وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال و
الاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها. وانزل
من السماء ماء. مطرا. فاخرجنا به. عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة المتكلم على

كلام الله

لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا
بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض
وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة. ازواجا. اصنافا سميت
بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض. من نبات. بيان او صفة لازواجا
وكذلك. شتى. صفة للازواج ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث
انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى
اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم
فلذلك قال. كلوا وارعوا انعامكم. وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول
اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل
والعلف اذنين فيه. ان في ذلك لآيات لاولي النهى. لذوي العقول الناهية
عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية. منها خلقناكم. فان التراب اصل
خلقة اول ابائكم واول مواد ابدانكم. وفيها نعيدكم. بالموت وتفكيك الاجزاء
ومنها نخرجكم تارة اخرى. بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور
السابقة ورد الارواح اليها. ولقد اريناه آياتنا. بصرناه اياها او عرفناه
صحتها. كلها. تاكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات
معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعدد عليه ما
اوتي غيره من المعجزات. فكذب. موسى من فرط عناده. وابى. الايمان والطاعة
لعتوه. قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا. اي ارض مصر. بسحرك يا موسى. هذا تعلل
وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر
ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر. فلنأتينك بسحر مثله
مثل سحرك. فاجعل بيننا وبينك موعدا. وعدا لقوله. لا نخلفه نحن ولا انت.
فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب. مكانا سوى. بفعل دل عليه المصدر
لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون
طباق الجواب في قوله. قال موعدكم يوم الزينة. من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل
على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم
مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ بالنصب وهو
ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا تستوي مسافته الينا واليك
وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب
بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل
عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار
وان يحشر الناس ضحى. عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء
على خطاب فرعون او على ان الخطاب للقوم. فتولى فرعون فجمع كيده. ما يكاد به

السحرة وآلاتهم ثم أتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بأن
تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي
وحفص ويعقوب برواية رويس بالضم من الإسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة
الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فإنه افترى واحتال ليبقى الملك عليه
فلم ينفعه فتنازعوا أمرهم بينهم أي تنازعت السحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه
فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة وأسروا النجوى بأن موسى إن غلبنا
اتبعناه أو تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر
وقيل الضمير لفرعون وقومه قالوا إن هذان لساحران تفسير لأسروا النجوى
كأنهم تشاوروا في تلفيقه حذرا أن يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم إن على لغة
بلحارث بن كعب فإنهم جعلوا الألف للتثنية وأعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن
المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما
أن اللام لا يدخل خبر المبتدأ وقيل أصله إنه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه
أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ أبو عمرو إن هذين وهو ظاهر وابن كثير
وحفص إن هذان على أنها هي المخففة واللام هي الفارقة أو النافية واللام بمعنى
إلا يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما لقوله
إني أخاف أن يبدل دينكم وقيل أرادوا أهل طريقتكم وهم بنو إسرائيل فإنهم كانوا
أرباب علم فيما بينهم لقول موسى أرسل معنا بني إسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
وأشرافهم من حيث إنهم قدوة لغيرهم فأجمعوا كيدكم فأزمعوه واجعلوه مجمعا عليه
لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ أبو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا
إن كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لأنه أهيب في صدور
الرائين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة
وعن أبي عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى لأن الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين
وقد أفلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى إما أن
تلقي وإما أن نكون أول من ألقى أي بعد ما أتوا مراعاة للأدب وأن بما بعده منصوب
بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف أي اختر إلقاءك أولا أو إلقاءنا أو
الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا قال بل ألقوا مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم
وإسعافا إلى ما أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول في شقهم وتغيير النظم إلى
وجه أبلغ ولأن يبرزوا ما معهم ويستنفدوا أقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى
أي فألقوا فإذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق أنها أيضا ظرفية تستدعي متعلقا
ينصبها وجملة تضاف إليها لكنها خصت بأن يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة
ابتدائية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سحر حبالهم وعصيهم من سحرهم

وقرئ

وقرئ عُصيّهم بالضم وهو الأصل والكسر إتباع ونحوه لُجيّ وحُجيّ وقِسيّ وقُسيّ
وحُكي أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل إليه أنها تتحرك وقرأ
ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على إسناده إلى ضمير الحبال
والعصي وإبدال أنها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ نخيل على إسناده إلى الله تعالى
وتخيل بمعنى تتخيل فأوجس في نفسه خيفة موسى فأضمر فيها
خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية أو من أن يخالج الناس شك
فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت إنك أنت الأعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته
مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال
على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل وألق ما في يمينك أبهمه ولم يقل عصاك
تحقيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التي في يدك أو تعظيما
لها أي لا تحتفل بكثرة هذه الأجرام وعظمها فإن في يمينك ما هو أعظم منها أثرا
فألقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى وأصله تتلقف فحذفت إحدى
التائين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على إسناد الفعل إلى السبب
وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال أو الاستئناف وحفص بالجزم
والتخفيف على أنه من لقفته بمعنى تلقفته إنما صنعوا إن الذي زوروا وافتعلوا
كيد ساحر بالرفع والنصب بتلقف على أن ما موصولة وقرئ بالنصب على أنها
كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر أو بتسمية
الساحر سحرا على المبالغة أو بإضافة الكيد إلى السحر للبيان كقولهم علم فقه وإنما
وحد الساحر لأن المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر أي هذا
الجنس وتنكير الأول لتنكير المضاف كقوله يوم ترى النفوس ما أعدت
في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة
المراد تنكير الأمر كأنه قيل إن ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وأمر أخروي
حيث أتى حيث كان وأين أقبل فألقي السحرة سجدا أي فألقى فتلقف فتحقق
عند السحرة أنه ليس بسحر وإنما هو من آيات الله ومعجزاته فألقاهم ذلك على وجوههم
سجدا لله توبة عما صنعوا وإعتابا وتعظيما لما رأوا قالوا آمنا برب هارون وموسى
قدم هارون على موسى لكبر سنه أو لروي الآية أو لأن فرعون ربى موسى في صغره
فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره فربما توهم أن المراد بالرب فرعون وذكر هارون
على الاستتباع روي أنهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له
أي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم له
على الخبر والباقون على الاستفهام قبل أن آذن لكم في الإيمان له إنه
لكبيركم لعظيمكم في فنكم وأعلمكم به أو لأستاذكم الذي علمكم السحر وأنتم
تواطأتم على ما فعلتم فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف اليد اليمنى
والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو

وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات وقرئ
لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف • ولأصلبنكم في جذوع النخل • شبه تمكن المصلوب
بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو أول من صلب • ولتعلمن أينا • يريد به
نفسه ونفس موسى لقوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله
أراد به توضيع موسى والهزء به فإنه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى
الذي آمنوا به • أشد عذابا وأبقى • وأدوم عقابا • قالوا لن نؤثرك
لن نختارك • على ما جاءنا • موسى به ويجوز أن يكون الضمير فيه لما • من البينات
المعجزات الواضحات • والذي فطرنا • عطف على ما جاءنا أو قسم • فاقض ما
أنت قاض • ما أنت قاضيه أي صانعه أو حاكم به • إنما تقضي هذه الحياة الدنيا •
إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وأبقى وهو
كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا كقولك
صيم يوم الجمعة • إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا • من الكفر والمعاصي •
وما أكرهتنا عليه من السحر • من معارضة المعجزة روي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى
نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره
فأبى إلا أن يعارضوه • والله خير وأبقى • جزاء أو خير ثوابا وأبقى عقابا • إنه
إن الأمر • من يأت ربه مجرما • بأن يموت على كفره وعصيانه • فإن له جهنم لا يموت
فيها • فيستريح • ولا يحيى • حياة مهنأة • ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
في الدنيا • فأولئك لهم الدرجات العلى • المنازل الرفيعة • جنات عدن • بدل من الدرجات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها • حال والعامل فيها معنى الإشارة أو الاستقرار
وذلك جزاء من تزكى • تطهر من أدناس الكفر والمعاصي والآيات الثلاث يحتمل أن
تكون من كلام السحرة وأن تكون ابتداء كلام من الله • ولقد أوحينا إلى موسى أن
أسر بعبادي • أي من مصر • فاضرب لهم طريقا في البحر • فاجعل لهم من قولهم ضرب له
في ماله سهما أو فاتخذ من ضرب اللبن إذا عمله • يبسا • يابسا مصدر وصف به
يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة
يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو إما مخفف منه أو وصف على فعل كصعب
أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كأن قتود رحلي حين ضمت
حوالب غرزا ومعا جياعا • أو لتعدده معنى فإنه جعل لكل سبط منهم طريقا
لا تخاف دركا • حال من المأمور أي آمنا من أن يدرككم العدو أو صفة ثانية والعائد
محذوف وقرأ حمزة لا تخف على أنه جواب الأمر • ولا تخشى • استئناف أي وأنت لا تخشى
أو عطف عليه والألف فيه للإطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا • أو حال بالواو
والمعنى ولا تخشى الغرق • فأتبعهم فرعون بجنوده • وذلك أن موسى خرج بهم أول
الليل فأخبر فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده
فحذف المفعول الثاني وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء

للتعدية

والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده وأذاقهم خلفهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم • الضمير لجنوده أو له ولهم وفيه مبالغة ووجازة أي
غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه إلا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم أي غطاهم
ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورطهم للهلاك
وأضل فرعون قومه وما هدى • أي أضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به
في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أو أضلهم في البحر وما نجا • يا بني إسرائيل
خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون على إضمار قلنا أو للذين منهم في
عهد النبي عليه السلام بما فعل بآبائهم • قد أنجيناكم من عدوكم • فرعون وقومه • وواعدناكم
جانب الطور الأيمن • لمناجاة موسى وإنزال التوراة عليه وإنما عدى المواعدة
إليهم وهي لموسى أو له وللسبعين المختارين للملابسة • ونزلنا عليكم المن والسلوى •
يعني في التيه • كلوا من طيبات ما رزقناكم • لذائذه أو حلاله وقرأ حمزة والكسائي
أنجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والأيمن
بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب • ولا تطغوا فيه • فيما رزقناكم بالإخلال بشكره
والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق • فيحل عليكم
غضبي • فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين إذا وجب أداؤه • ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى • فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل
بالضم من حل يحل إذا نزل • وإني لغفار لمن تاب • عن الشرك • وآمن • بما يجب
الإيمان به • وعمل صالحا ثم اهتدى • ثم استقام على الهدى المذكور وهو
وما أعجلك عن قومك يا موسى • سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث
إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظم عليهم
فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم • قال هم أولاء
على أثري • ما تقدمتهم إلا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم إلا
قربة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا • وعجلت إليك رب لترضى • فإن المسارعة
إلى امتثال أمرك والوفاء بعهودك يوجب مرضاتك • قال فإنا قد فتنا قومك
من بعدك • ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع
هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا
وأضلهم السامري • باتخاذ العجل والدعاء إلى عبادته وقرئ وأضلهم أي أشدهم
ضلالة لأنه كان ضالا مضلا وإن صح أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين
ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل
وإن هذا الخطاب كان له عند مقدمه إذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك إخبارا
من الله تعالى عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فإن أصله وقوع الشيء أن يكون
في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها
السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا

من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا • فرجع موسى الى
قومه بعدما استوفى الاربعين واخذ التورية • غضبان عليهم • اسفا • حزينا بما فعلوا •
قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا • بان يعطيكم التورية فيها هدى ونور ولا وعد
احسن من ذلك ولا اجمل حكى انها كانت الف سورة كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون
جملا • افطال عليكم العهد • اى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم • ام اردتم ان يحل عليكم
يجب عليكم • غضب من ربكم • بعبادة ما هو مثل فى الغباوة • فاخلفتم موعدى •
وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت
وعده اذا وجدت الخلف فيه اى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين
وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له • قالوا
ما اخلفنا موعدك بملكنا • بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامرى
لما اخلفنا • وقرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائى بالضم وثلثتها
فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ • ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم •
احمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس
وقيل استعاروا العيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل
هى ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا
لانها اثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن
ان ياخذ مال الحربى • فقذفناها • اى فى النار • فكذلك القى السامرى • اى ما كان
معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامرى انما اخلف
موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فالراى ان نحفر
حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا • وقرا ابو عمرو و
حمزة والكسائى وابو بكر وروح حملنا بالتخفيف والفتح • فاخرج لهم عجلا
جسدا • من تلك الحلى المذابة • له خوار • صوت العجل • فقالوا • يعنى السامرى ومن
افتتن به اول ما راه • هذا الهكم واله موسى فنسى • اى فنسيه موسى وذهب يطلبه
عند الطور او فنسى السامرى اى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان • افلا يرون •
الا يعلمون • ان لا يرجع اليهم قولا • انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم
جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين •
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا • ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم • ولقد قال لهم هرون
من قبل • من قبل رجوع موسى او قول السامرى كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع
من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم • يا قوم انما فتنتم به • بالعجل • وان ربكم الرحمن
لا غير • فاتبعونى واطيعوا امرى • فى الثبات على الدين • قالوا لن نبرح عليه • على العجل
وعبادته • عاكفين • مقيمين • حتى يرجع الينا موسى • وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول
قال يا هرون • اى قال له موسى لما رجع • ما منعك اذ رايتهم ضلوا • بعبادة العجل
الا تتبعن • ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتى عقبى وتلحقنى

ولا مزيدة

ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك الا تسجد • افعصيت امرى • بالصلابة فى الدين والمحاماة
عليه • قال يا ابن ام • خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام
والجمهور على انهما كانا من اب وام • لا تاخذ بلحيتى ولا براسى • اى بشعر راسى
قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديدا خشنا
متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل • انى خشيت ان تقول
فرقت بين بنى اسرائيل • لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض • ولم ترقب قولى • حين
قلت اخلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ
الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتتدارك الامر برايك • قال فما خطبك
يا سامرى • اى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اى ما طلبك له وما الذى حملك
عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه • قال بصرت بما لم يبصروا به • وقرا حمزة
والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له وهو
ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لا يمس اثره شيئا الا احياه • او رايت ما لم
تروه وهو ان جبريل جاءك على فرس الحياة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته
خوفا من فرعون فكان جبريل يغذوه حتى استقل • فقبضت قبضة من اثر الرسول • من تربة
موطئه والقبضة المرة من القبض واطلاقها على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد
والاول للاخذ بجميع الكف والثانى للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم
والقضم والرسول جبريل ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان ينبه
على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور • فنبذتها • فى الحلى المذابة او فى
فى جوف العجل حتى حيى • وكذلك سولت لى نفسى • سولته وحسنته الى • قال
فاذهب فان لك فى الحياة • عقوبة على ما فعلت • ان تقول لا مساس • خوفا
من ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس وتحاموك وتكون طريدا
وحيدا كالوحشى النافر فى البرية وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة
وان لك موعدا • فى الاخرة • لن تخلفه • لن يخلفكه الله وينجزه لك فى الاخرة بعد ما
عاقبك فى الدنيا وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام اى لن تخلف الواعد اياه
وستاتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون
من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله • وانظر
الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا • ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى
تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها • لنحرقنه • اى بالنار ويؤيده
قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة
لنحرقنه • ثم لننسفنه • لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين • فى اليم نسفا
فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين
لمن له ادنى نظر • انما الهكم • المستحق لعبادتكم • الله الذى لا اله الا هو • اذ لا احد
يماثله او يدانيه فى كمال العلم والقدرة • وسع كل شئ علما • وسع علمه كل شئ

ان يعلم لان الفعل الذي يصاغ منه فعل وان كان في نفسه كان متلازما في العادة
كأن وقرئ عد بعين فيكون انتصاب علما على المفعول له وان انتصب على التمييز
في المشهور لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعول الاول صار
مفعولا • كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني قصة موسى • نقص عليك من انباء
ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك
وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك • وقد آتيناك من لدنا
ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار •
والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس • من اعرض عنه عن الذكر
الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله • فانه يحمل يوم القيامة
وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على
المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما
خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ
وساء لهم يوم القيمة حملا • اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم
محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى
احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى • يوم ينفخ
في الصور • وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ
بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك
وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك • ونحشر المجرمين يومئذ
وقرئ ويحشر المجرمون زرقا • زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان
العين وابغضها على العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك
قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة
الاعمى تزرق • يتخافتون بينهم • يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول
والخفت خفض الصوت واخفاؤه • ان لبثتم الا عشرا • اي في الدنيا يستقصرون مدة
لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد
وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر
لقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون الآية • نحن اعلم بما يقولون وهو
مدة لبثهم • اذ يقول امثلهم طريقة • اعدلهم رأيا او عملا • ان لبثتم الا يوما • استرجاح
لقول من يكون اشد تقالا منهم • ويسألونك عن الجبال • عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل
من ثقيف • فقل ينسفها ربي نسفا • يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها
فيذرها • فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله
ما ترك على ظهرها من دابة • قاعا • خاليا • صفصفا • مستويا كأن اجزاءها على صف
واحد • لا ترى فيها عوجا ولا امتا • اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالمقاييس
الهندسية وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس

وكذلك

وكذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى
استيناف مبين للحالين • يومئذ • اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف
ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة • يتبعون الداعي • داعي الله الى المحشر قيل هو
اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه • لا عوج له
لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته • وخشعت
الاصوات للرحمن • وخضعت لمهابته • فلا تسمع الا همسا • صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت
اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر • يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن • الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اي الا
اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية من الشفاعة
بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن وعلى الثاني
منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن والاذن • ورضي له قولا • اي
ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قوله انا نفع في شانه او
قوله لاجله وفي شانه • يعلم ما بين ايديهم • ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم •
وما بعدهم مما يستقبلونه • ولا يحيطون به علما • ولا يحيط علمهم بمعلوماته
وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك
ولا تفصيل ما علموا منه • وعنت الوجوه للحي القيوم • ذلت وخضعت له خضوع
العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز
ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده • وقد خاب
من حمل ظلما • وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم • ومن
يعمل من الصالحات • بعض الطاعات • وهو مؤمن • اذ الايمان شرط في صحة الطاعات
وقبول الخيرات • فلا يخاف ظلما • منع ثواب مستحق بالوعد • ولا هضما •
ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم ولم يهضم حقه وكذلك
عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة
للوعيد • انزلناه • قرآنا عربيا • كله على هذه الوتيرة • وصرفنا فيه من الوعيد
مكررين فيه آيات الوعيد • لعلهم يتقون • المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة • او يحدث
لهم ذكرا • عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند
اسناد التقوى اليهم والاحداث الى القرآن • فتعالى الله • في ذاته وصفاته
عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم • الملك
النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده • الحق
في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته • ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه • نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل و
مساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد
وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه • وقل رب زدني علما

أي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فإن ما أوحي إليك تناله لا محالة •
ولقد عهدنا إلى آدم • ولقد أمرناه، يقال تقدم الملك إليه وأوعز إليه وعزم عليه
وعهد إليه إذا أمره، واللام جواب قسم محذوف، وإنما عطف قصة آدم على
قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان وعرقهم
راسخ في النسيان • من قبل • من قبل هذا الزمان • فنسي • العهد ولم يعن به حتى غفل
عنه أو ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة • ولم نجد له عزما • تصميم رأي وثبات
على الأمر إذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره، ولعل
ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرب الأمور ويذوق شريها وأريها، وعن
النبي عم لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى
ولم نجد له عزما، وقيل ولم نجد له عزما على الذنب فإنه أخطأ ولم يتعمده، ونجد
إن كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه، وإن كان من الوجود
المناقض للعدم فله حال من عزما أو متعلق بنجد • وإذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم • مقدر باذكر أي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي
العزم والثبات • فسجدوا إلا إبليس • قد سبق القول فيه • أبى • جملة مستأنفة لبيان ما منعه
من السجود وهو الاستكبار، وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا
لأن معناه أظهر الإباء عن المطاوعة • فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما • فلا يكونن سببا لإخراجكما، والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب
الشيطان إلى إخراجهما • من الجنة فتشقى • أفرده بإسناد الشقاء إليه بعد اشتراكهما
في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث إنه قيم عليها ومحافظة على الفواصل
أو لأن المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله
إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى • فإنه بيان وتذكير لما له
في الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن
مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل أعراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر
نقائضها ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر منها، والعاطف وإن ناب عن أن لكنه
نائب من حيث إنه حرف عامل لا من حيث إنه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على أن امتناع
دخول إن عليه، وقرأ نافع وأبو بكر وإنك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها
فوسوس إليه الشيطان • فأنهى إليه وسوسته • قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد
الشجرة التي من أكل منها خلد ولم يمت أصلا فأضافها إلى الخلد وهو الخلود لأنه سببه
وملك لا يبلى • لا يزول ولا يضعف • فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة • أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للستر وهو ورق التين
وعصى آدم ربه • بأكل الشجرة • فغوى • فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد
بأكل الشجرة أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو، وقرئ فغوي
من غوي الفصيل إذا اتخم من اللبن، وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر

ذلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لأولاده عنها • ثم اجتباه ربه • اصطفاه
وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى إلي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس
فاجتليتها، وأصل الكلمة الجمع • فتاب عليه • فقبل توبته لما تاب • وهدى • إلى الثبات
على التوبة والتشبث بأسباب العصمة • قال اهبطا منها جميعا • الخطاب لآدم وحواء
أو له ولإبليس، ولما كانا أصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال • بعضكم
لبعض عدو • لأمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب، أو لاختلاف
حال كل من النوعين بواسطة الآخر، ويؤيد الأول قوله • فإما يأتينكم مني هدى •
كتاب ورسول • فمن اتبع هداي فلا يضل • في الدنيا • ولا يشقى • في الآخرة
ومن أعرض عن ذكري • عن الهدى الذاكر لي والداعي إلى عبادتي • فإن له معيشة
ضنكا • ضيقا مصدر وصف به، ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث، وقرئ ضنكى
كسكرى، وذلك لأن مجامع همته ومطامح نظره يكون إلى أعراض الدنيا متهالكا
على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة، مع أنه تعالى
قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال وضربت عليهم الذلة
والمسكنة، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل، ولو أن أهل القرى آمنوا الآيات
وقيل هو الضريع والزقوم في النار، وقيل عذاب القبر • ونحشره • وقرئ بسكون الهاء
على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فإن له معيشة لأنه جواب الشرط • يوم القيامة أعمى •
البصر أو القلب، ويؤيد الأول • قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا • وأمالهما
حمزة والكسائي لأن الألف منقلبة من الياء، وفرق أبو عمرو بأن الأول رأس الآية ومحل
الوقف فهو جدير بالتغيير • قال كذلك • أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال • أتتك
آياتنا • واضحة نيرة • فنسيتها • فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها • وكذلك
ومثل تركك إياها • اليوم تنسى • تترك في العمى والعذاب • وكذلك نجزي من أسرف
بالانهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات • ولم يؤمن بآيات ربه • بل كذبها وخالفها
ولعذاب الآخرة • وهو الحشر على العمى وعذاب النار أي والنار بعد ذلك • أشد
وأبقى • من ضنك العيش أو منه ومن العمى، ولعله إذا دخل النار زال عماه ليرى
محله وحاله، أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها • أفلم يهد لهم • مسند إلى الله أو
الرسول أو ما دل عليه • كم أهلكنا قبلهم من القرون • أي إهلاكنا إياهم أو الجملة
بمضمونها، والفعل على الأولين معلق يجري مجرى أعلم، ويدل عليه القراءة بالنون
يمشون في مساكنهم • ويشاهدون آثار هلاكهم • إن في ذلك لآيات لأولي النهى
لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي • ولولا كلمة سبقت من ربك • وهي
العدة بتأخير العذاب عن هذه الأمة إلى الآخرة • لكان لزاما • لكان مثل ما نزل بعاد
وثمود لازما لهؤلاء الكفرة، وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمي به اللازم
لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم • وأجل مسمى • عطف على كلمة أي ولولا العدة
بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان

العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه
على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له. فاصبر على ما
يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او
نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا
بانه المولى للنعم كلها. قبل طلوع الشمس يعني الفجر. وقبل غروبها يعني الظهر و
العصر لانهما في اخر النهار او العصر وحده. ومن اناء الليل ومن ساعاته جمع انى
بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد. فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان
فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة
وكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطاء
واقوم قيلا. واطراف النهار تكرير لصلوتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص
ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة
بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه
باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار. لعلك ترضى متعلق
بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك. وقرأ الكسائي
وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك. ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به استحسانا
له وتمنيا ان يكون لك مثله. ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا
من الضمير في به والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا
منهم. زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى
اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه اي ذوي زهرة او
بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهر او
جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون
الزهاد. لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه. ورزق
ربك وما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة. خير مما منحهم في الدنيا
وابقى فانه لا ينقطع. وامر اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل بيته او التابعين
له من امته بالصلوة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا
بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة. واصطبر عليها وداوم عليها.
لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك. نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك
لامر الاخرة. والعاقبة المحمودة. للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه السلام كان اذا اصاب
اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية. وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه
باية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الايات
او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقران الذي هو ام المعجزات
واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم
او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا

وابقى اثرا

وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا الباب ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه
اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى من التوراة
والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام
الكلية مع ان الاتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار
بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست
كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم
تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف. ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها
القران. لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى
بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول. قل كل اي كل واحد منا ومنكم
متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم. فتربصوا وقرئ فتمتعوا. فستعلمون من
اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء والسوأى
اي الشر والسوي وهو تصغيره. ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين
للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف
الاولى لعدم العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها
الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي
وعنه عليه السلام من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ
اهل الجنة من القران الا طه ويس صدق رسول الله وامنا له

سورة الانبياء مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة واثنا عشر اية

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه
بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب الى وان يوما عند ربك كالف سنة مما
تعدون او لان كل ما هو ات قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة
لاقترب او تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب
ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله. وهم في غفلة
معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز
ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون. ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة
الغفلة والجهالة. من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم. محدث تنزيله ليكرر
على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل. الا استمعوه وهم يلعبون
يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور
والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك. لاهية قلوبهم او متعاقبتين
جامعين بين الاستهزاء به والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون
وقرئت بالرفع على انه خبر اخر للضمير. واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او
جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها. الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون

يعني ما يحدث من الله تنزيل شيء من القران
يذكرهم ويعظهم به فالمعنى بل يحدث الله به
الامر بعد الامر وقيل الذكر المحدث ما قاله
النبي عليه السلام وبينه من السنن والمواعظ
سوى ما في القران واضافته الى الرب
لانه قال بامر الرب

قيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدا والجملة المتقدمة خبره او صلة
وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب
على الذم • هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع
النصب بدلا من النجوى او مفعول لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه
في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به
من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط
ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة • قال ربي يعلم القول في السماء والارض
جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به فهو آكد من قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ
حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول • وهو السميع العليم فلا يخفى
عليه ما يسرون ولا يضمرون • بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر
اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى
انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب
عن تحاورهم في شأن الرسول وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن
والثاني والثالث لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه
الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع
معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم
في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم
ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة
طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا
لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق • فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به
الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه
من حيث ان الارسال متضمن للاتيان بالآية الا ترى انه لا فرق بين ان يقول ارسل
محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة • ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية • اهلكناها
باقتراح الآيات لما جاءتهم • افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه
تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا
عذاب الاستئصال كمن قبلهم • وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون • جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسألوا
اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام
فانهم كانوا يشاورونهم في امر النبي عم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير
يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون • وما جعلناهم جسدا
لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل

تحقيقا

تحقيقا لا بشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا
خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي
الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف
المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على
الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء
واشتداده • ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد • فانجيناهم ومن نشاء
يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او واحد من ذريته ولذلك
حميت العرب عن عذاب الاستئصال • واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي • لقد
انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن • فيه ذكركم اي شرفكم وصيتكم
كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم
الاخلاق • افلا تعقلون فتؤمنون • وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب
عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم • كانت ظالمة
صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه • وانشأنا بعدها بعد اهلاك
اهلها • قوما آخرين مكانهم • فلما احسوا بأسنا • فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك
المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف • اذا هم منها يركضون يهربون
مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم • لا تركضوا على ارادة القول
اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثمة
من المؤمنين • وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة
ومساكنكم التي كانت لكم • لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال
من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل • قالوا
يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم
وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر
فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا
ذلك • فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان
المولول كأنه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم
يحتمل الاسمية والخبرية • حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود
ولذلك لم يجمع • خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني
كقولك جعلته حلوا حامضا او حلبته والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود
او صفة له او حال من ضميره • وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما
خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا
لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال
ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال • لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب
لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام

المرفوعة والأجرام المبسوطة كما دنكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش
وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى
لولادة المسيح وعزير. إن كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم
وقيل إن نافية والجملة كالنتيجة للشرطية. بل نقذف بالحق على الباطل إضراب
عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب أي من شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته
الجد على الباطل الذي من عداده اللهو. فيدمغه فيمحقه وإنما استعار لذلك
القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر
الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي إلى زهوق الروح تصويرا لإبطاله ومبالغة
فيه فجعله كأنه جرم صلب كالصخر مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه وقرئ
فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم. وألحق بالحجاز فأستريحا ووجهه
مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق. فإذا هو زاهق هالك والزهوق
ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز. ولكم الويل مما تصفون به مما لا يجوز
عليه وعلى حكمته وهو في موضع الحال وما مصدرية أو موصولة أو موصوفة. وله من
في السموات والأرض خلقا وملكا. ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم
عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وإفراده للتعظيم أو
لأنه أعم منه من وجه أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والأرض
أو مبتدأ خبره. لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها. ولا يستحسرون ولا
يعيون منها وإنما جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور تنبيها على أن عبادتهم بثقلها
ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار ينزهونه
ويعظمونه دائما. لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استئناف أو حال من ضمير
قبله. أم اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لإنكار اتخاذهم الآلهة. من الأرض
صفة لآلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون
التخصيص. هم ينشرون الموتى وهم وإن لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها
الإلهية فإن من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم
بهم والمبالغة في ذلك بزيادة الضمير الموهم لاختصاص الإنشار بهم كأنه قيل أم
اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم. لو كان فيهما آلهة إلا الله غير الله
وصفت بإلا لتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة
الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا أو معه حملا
لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لأنه متفرع على الأول
ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب. لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف
والتمانع فإنها إن توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالفت فيه تعاوقت
عنه. فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الأجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ
المقادير. عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد. لا يسأل عما يفعل

ما تصفونه

لعظمته

لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالألوهية والسلطنة الذاتية. وهم يسألون
لأنهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد. أم اتخذوا من دونه آلهة
كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لأمرهم وتبكيتا وإظهارا لجهلهم أو ضما
لإنكار ما يكون لهم سندا من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلا من العقل على
معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص
الألوهية أو وجدوا في الكتب الإلهية الأمر بإشراكهم فاتخذوهم متابعة للأمر
ويعضد ذلك أنه رتب على الأول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده
نقلا. قل هاتوا برهانكم على ذلك إما من العقل أو من النقل فإنه لا يصح القول
بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا. هذا ذكر من معي
وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي
عن الإشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال
فيه بالنقل. ومن معي أمته ومن قبلي الأمم المتقدمة وإضافة الذكر إليهم لأنه عظتهم
وقرئ بالتنوين والإعمال فيه وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد
فدخل عليه من كما دخل على أخواته. بل أكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين
الباطل وقرئ الحق بالرفع على أنه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب
والمعنى لإعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا
على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل. فهم معرضون عن التوحيد
واتباع الرسول من أجل ذلك. وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله
إلا أنا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فإن ذكر من قبلي من حيث إنه خبر لاسم الإشارة
مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة. وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت
في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله. سبحانه تنزيه له عن ذلك. بل عباد
من حيث إنهم مخلوقون وليسوا بأولاد. مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض
القوم وقرئ بالتشديد. لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما
هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق إليهم وجعل
القول محله وأداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما
لم يقله وأنيب اللام عن الإضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه
بالضم من سابقته فسبقته أسبقه. وهم بأمره يعملون لا يعملون قط ما لم يأمرهم به.
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا وأخروا وهو كالعلة
لما قبله والتمهيد لما بعده فإنهم لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون
أحوالهم. ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع له مهابة منه. وهم من خشيته
من عظمته ومهابته. مشفقون مرتعدون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك
خص بها العلماء والإشفاق خوف مع اعتناء فإن عدي بمن فمعنى الخوف فيه
أظهر وإن عدي بعلى فبالعكس. ومن يقل منهم من الملائكة أو من الخلائق. إني إله

من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة
وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك
وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو
ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام
اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت
السماوات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت
الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات واقاليم وقيل
كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما
بالمطر والنبات فيكون المراد بالسماوات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق
او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك
فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط
او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد
جماعة السماوات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي
مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان
لقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه
اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حيا بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ
حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان
افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسى اذا ثبت
ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالتباس
وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم
فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل
منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد
لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته
او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب
وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته
وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة
معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر
بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف
اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون
على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس
والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار
المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون

وفي معنا

وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك كل نفس
ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه
ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة
مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسبما يوجد منكم من الصبر
والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب
والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا
ما يتخذونك الا هزوا او مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم
اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء
وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة
عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد
والتخصيص وحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه
خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه
بمنزلة المطبوع هو عليه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن
عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته
الملجئة الى العلم والاقرار وهو قولهم متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال
وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها
ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون
على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه اراد بالانسان آدم
وانه حين بلغ الروح صدره ولم تتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل
الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل انها
نزلت في نضر بن الحرث حين استعجل وقيل الظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين
بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل والله اعلم بصحته
سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا
تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها
ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيامة ان كنتم صادقين
يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار
ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون
الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار
من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا
ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا
يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير
للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجأة

مصدر أو حال وقرئ بفتح الغين • فتبهتهم • فتغلبهم أو تحيرهم وقرئ
الفعلان بالياء والضمير للوعد أو الحين وكذا في قوله • فلا يستطيعون ردها •
لأن الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز أن يكون للنار
أو البغتة • ولا هم ينظرون • يمهلون وفيه تذكير بإمهالهم في الدنيا • ولقد
استهزئ برسل من قبلك • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم • فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون • وعد له بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق
المستهزئين بالأنبياء ما فعلوا يعني جزاءه • قل • يا محمد للمستهزئين • من يكلؤكم
يحفظكم • بالليل والنهار من الرحمن • من بأسه إن أراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على
أن لا كالئ غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته • بل هم عن ذكر ربهم معرضون
لا يخطرونه ببالهم فضلا عن أن يخافوا بأسه حتى إذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا
للسؤال عنه • أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا • بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز
منعنا أو من عذاب يكون من عندنا والإضرابان عن الأمر بالسؤال على الترتيب
فإنه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه أبعد • لا يستطيعون
نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون • استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن ما لا يقدر على
نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره • بل متعنا هؤلاء وآباءهم
حتى طال عليهم العمر • إضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم وهو الاستدراج
والتمتيع بما قدر لهم من الأعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك وهو أنه
تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وأمهلهم حتى طال أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك
وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال • أفلا يرون
أنا نأتي الأرض • أرض الكفرة • ننقصها من أطرافها • بتسليط المسلمين عليها
وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدي المسلمين • أفهم الغالبون • رسول الله ربع
والمسلمين والمؤمنين • قل إنما أنذركم بالوحي • بما أوحي إلي • ولا يسمع الصم
الدعاء • وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي وقرئ بالياء على أن فيه
ضميره واللام في الصم للعهد ووضع موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم
انتفاعهم بما يسمعون • إذا ما ينذرون • منصوب بيسمع أو بالدعاء والتقييد به
لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم • ولئن مستهم
نفحة • أدنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة
فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة • من عذاب
ربك • من الذي ينذرون به • ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين • لدعوا على
أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم • ونضع الموازين القسط • العدل توزن
بها صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي
والجزاء على حسب الأعمال بالعدل وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به
للمبالغة • ليوم القيامة • لجزاء يوم القيامة أو لأهله أو فيه كقولك جئت

لخمس خلون من الشهر • فلا تظلم نفس شيئا • من حقها أو من الظلم • وإن كان مثقال
حبة من خردل • أي وإن كان العمل أو الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال
على كان التامة • أتينا بها • أحضرناها وقرئ آتينا جازينا بها من الإيتاء
فإنه قريب من أعطينا أو من المؤاتاة فإنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وأثبنا
من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لإضافته إلى الحبة • وكفى بنا حاسبين
إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا • ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرا للمتقين • أي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء
به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون إليه
من الشرائع وقيل الفرقان النصرة وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على أنه
حال من الفرقان • الذين يخشون ربهم • صفة للمتقين أو مدح لهم منصوب أو مرفوع
بالغيب • حال من الفاعل أو المفعول • وهم من الساعة مشفقون • خائفون وفي تقديم
الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض • وهذا ذكر • يعني القرآن • مبارك
كثير خيره • أنزلناه • على محمد صلى الله عليه وسلم • أفأنتم له منكرون • استفهام توبيخ
ولقد آتينا إبراهيم رشده • الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل
على أنه رشد مثله وأن له شأنا وقرئ رشده وهو لغة • من قبل • من قبل موسى
وهرون أو محمد وقيل من قبل استنبائه وبلوغه • وكنا به عالمين •
علمنا أنه أهل لما آتيناه أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال وفيه إشارة
إلى أن فعله تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات • إذ قال لأبيه وقومه
متعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده وقت قوله • ما هذه
التماثيل التي أنتم لها عاكفون • تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها فإن التمثال
صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية
العكوف بعلى والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن تؤول بعلى أو تضمن العكوف
معنى العبادة • قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين • فقلدناهم وهو جواب عما لزم
الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها • قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم
في ضلال مبين • منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين
إلى دليل والتقليد إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على الحق • قالوا أجئتنا
بالحق أم أنت من اللاعبين • كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله
إنما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجد تقوله أم تلعب به • قال بل ربكم رب السموات
والأرض الذي فطرهن • إضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن
للسموات والأرض أو للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم • وأنا على
ذلكم • المذكور من التوحيد • من الشاهدين • من المحققين له والمبرهنين عليه فإن
الشاهد من تحقق الشيء وحققه • وتالله • وقرئ بالباء وهي الأصل والتاء
بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب • لأكيدن أصنامكم • لأجتهدن في كسرها

ولفظ الكيد وما في التاء لصعوبة الامر • بعد ان تولوا عنها مدبرين • الى عيدكم
وكان قال ذلك سرا • فجعلهم جذاذا • اقطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام
من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف
وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة • الا كبيرا لهم
للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه • لعلهم اليه يرجعون •
لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة الهتهم فيحاجهم
بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او انهم يرجعون الى الكبير فيسالونه عن كاسرها
اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون
الى توحيده عند تحققهم عجز الهتهم • قالوا • حين رجعوا • من فعل هذا بالهتنا
انه لمن الظالمين • بجرأته على الالهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او
بتوريط نفسه للهلاك • قالوا سمعنا فتى يذكرهم • يعيبهم فلعله فعله ويذكر
ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة
الذكر اليه • يقال له ابراهيم • هو ابراهيم وتجوز رفعه بالفعل لان المراد به
الاسم لا المسمى • قالوا فاتوا به على اعين الناس • بمرأى منهم بحيث يتمكن صورته
في اعينهم تمكن الراكب على المركوب • لعلهم يشهدون • بفعله او قوله او يحضرون
عقوبتنا له • قالوا أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم • حين احضروه • قال بل
فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون • اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه
لما راى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء
والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أانت
كتبت فقلت بل كتبته انت او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه كانه قال لما تنكرون
ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه
وقرئ فلعله كبيرهم اي فلعل الفاعل كبيرهم وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان
كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ
وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه عم قال لابراهيم ثلث كذبات تسمية
للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته • فرجعوا الى انفسهم • وراجعوا عقولهم
فقالوا • فقال بعضهم لبعض • انكم انتم الظالمون • بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق
ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين • ثم نكسوا على رؤوسهم •
انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة
اسفل الشيء مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • فكيف تامرنا بسؤالها وهو على ارادة القول • قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم • انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها
جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية • اف لكم ولما تعبدون من دون الله •
تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام

بيان

لبيان المتأفف له • افلا تعقلون • قبح صنيعكم • قالوا • اخذوا في المضارة لما
عجزوا عن المحاجة • حرقوه • فان النار اهول ما يعاقب به ولذلك جاء لا يعذب بالنار
الا خالقها • وانصروا الهتكم • بالانتقام لها • ان كنتم فاعلين • اي
ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون
خسف به الارض وقيل نمرود • قلنا يا نار كوني بردا وسلاما • ذات برد
وسلام اي ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس رضي الله عنه لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها
وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مامورة مطيعة واقامة كوني ذات
برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما
بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا
عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة
فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة
قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فاذا
هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف
بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء
طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار
بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما يفعل بخزنة جهنم وكما ترى في السمندر ويشعر به
قوله على ابراهيم • وارادوا به كيدا • مكرا في اضراره • فجعلناهم الاخسرين • اخسر
من كل خاسر عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا
لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب • ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين • اي من العراق الى الشام وبركاته العامة في العالمين ان اكثر الانبياء
بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية
والدنيوية وهي البركات الحقيقية وقيل باركنا فيه بكثرة الماء والشجر والثمر
والنعم والخصب الغالب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام
فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع
من تحت الصخرة التي ببيت المقدس روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة • ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة • عطية فهو حال منهما
او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحاق فيختص بيعقوب ولا باس به للقرينة
وكلا • يعني الاربعة • جعلنا صالحين • بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه
فصاروا كاملين • وجعلناهم ائمة • يقتدى بهم • يهدون • الناس الى الحق • بامرنا لهم
وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين • واوحينا اليهم فعل الخيرات • ليحثوهم عليها
فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل
الخيرات وكذلك قوله • واقام الصلوة وايتاء الزكوة • وهو عطف الخاص على العام
للتفضيل وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه

وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية التي هي سدوم كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوعه انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر وانهما لم يجتمعا في قوم الا اهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت اي انتشرت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما ان يدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان عليه ثم يترادان ولعلهما قالاه اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة رحمه الله في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي عم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عم جرح العجماء جبار وكلا آتينا حكما وعلما دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او يسبحن والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس وقرأ ابن عامر وحفص بالتاء

لتحصنكم من بأسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاولى لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعدما سارت به بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسه ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعو وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان وروي ان امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسماعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اي كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة

أو نعمة الآخرة . إنهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء
فإن صلاحهم معصوم عن كدر الفساد . وذا النون وصاحب الحوت يونس
بن متى . إذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجرا
عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم ميعادهم بتوبتهم ولم يعرف
الحال فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه
أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا . فظن أن لن
نقدر عليه لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده
أنه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن
أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا أو خطرة شيطانية سبقت
إلى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول
وقرئ به مثقلا . فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات
بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني
الحوتين وظلمة البحر . أن لا إله إلا أنت بأنه لا إله إلا أنت . سبحانك من أن يعجزك
شيء . إني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة وعن النبي عم
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له . فاستجبنا له ونجيناه من الغم
بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه وقيل بعد ثلثة
أيام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة . وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا
الله فيها بالإخلاص وفي الإمام نجي ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية فإنها
تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله ننجي
فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وإن كانت فاء فحذفها
أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين
فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف
في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا
ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره . وزكريا
إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني . وأنت خير الوارثين
فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا
له زوجه أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت
حردة . إنهم يعني المتوالدين أو المذكورين من الأنبياء . كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون إلى أبواب الخير . ويدعوننا رغبا . ذوي رغب وراغبين في الثواب
راجين الإجابة أو في الطاعة . ورهبا . وخائفين العقاب أو المعصية .
وكانوا لنا خاشعين . مخبتين أو دائمين الوجل والمعنى أنهم نالوا من الله ما نالوا
بهذه الخصال . والتي أحصنت فرجها . من الحلال والحرام يعني مريم . فنفخنا فيها
في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها . من روحنا . من الروح

الذي

الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا جبرائيل لأنه نفخ في جيب درعها
فوصل النفخ إلى جوفها . وجعلناها وابنها . أي قصتهما أو حالهما ولذلك
وحد قوله . آية للعالمين . فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع
تعالى . إن هذه أمتكم . إن ملة التوحيد أو الإسلام ملتكم التي يجب عليكم
أن تكونوا عليها . أمة واحدة . غير مختلفة فيما بين الأنبياء ولا مشاركة
لغيرها في صحة الاتباع وقرئ أمتكم بالنصب على البدل من هذه وأمة
بالرفع على أنها خبران . وأنا ربكم . لا إله لكم غيري . فاعبدون . لا غيري
وتقطعوا أمرهم بينهم . صرف إلى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين
وجعلوا أمره قطعا موزعة تقبيح فعلهم إلى غيرهم . كل من الفرق المتحزبة
إلينا راجعون . فنجازيهم . فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن . بالله ورسوله
فلا كفران لسعيه . فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر
لإعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة . وإنا له . لسعيه . كاتبون . مثبتون
في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما . وحرام على قرية . وممتنع على أهلها غير متصور
منهم وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي حرم بكسر الحاء وسكون الراء وقرئ
حرم . أهلكناها . حكمنا بإهلاكها أو وجدناها هالكة . أنهم لا يرجعون
رجوعهم إلى التوبة أو الحياة ولا صلة أو عدم توبتهم رجوعهم للجزاء وهو
مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره توبتهم
أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لأنهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أي
وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر
وقيل حرام عزم وموجب عليهم أنهم لا يرجعون . حتى إذا فتحت يأجوج . متعلق
بحرام أو بمحذوف دل الكلام عليه أو بلا يرجعون أي يستمر الامتناع أو الهلاك أو
عدم الرجوع إلى قيام الساعة وظهور أماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج
وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب
فتحت بالتشديد . ومأجوج . يعني يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم . من كل حدب
نشز من الأرض وقرئ جدث وهو القبر . ينسلون . يسرعون من نسلان
الذئب وقرئ بضم السين . واقترب الوعد الحق . وهو القيامة . فإذا هي شاخصة
أبصار الذين كفروا . جواب الشرط وإذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية
كقوله إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط
فيتأكد والضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار . يا ويلنا . مقدر بالقول
واقع موقع الحال من الموصول . قد كنا في غفلة من هذا . لم نعلم أنه حق . بل
كنا ظالمين . لأنفسنا بالإخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر . إنكم وما تعبدون
من دون الله . يحتمل الأوثان وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم
لما روي أنه عم لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب

الكعبة

اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا
الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولة
بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة
او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله
ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب • حصب جهنم • ما يرمى به
اليها وتهيج به من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا
بالمصدر • انتم لها واردون • استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة
من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها • لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها •
لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها • وكل فيها خالدون • لا خلاص لهم عنها •
لهم فيها زفير • انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب
ان اريد بما يعبدون الاصنام • وهم فيها لا يسمعون • من الهول وشدة العذاب
وقيل لا يسمعون ما يسرهم • ان الذين سبقت لهم منا الحسنى • الخصلة الحسنى وهي
السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة • اولئك عنها مبعدون •
لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضي الله عنه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال
انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف
وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه • ويقول • لا يسمعون حسيسها •
بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس الصوت
الذي يحس به • وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون • دائمون في غاية التنعم
وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به • لا يحزنهم الفزع الاكبر • النفخة
الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت • وتتلقاهم الملائكة •
اي تستقبلهم مهنئين • هذا يومكم • يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول • الذي كنتم
توعدون • في الدنيا • يوم نطوي السماء • مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم
او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر او المحو من قولك
اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم
وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول • كطي السجل للكتب • طيا كطي الطومار لاجل
الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع
اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت
اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان
فيه • كما بدأنا اول خلق نعيده • نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما
ايجادا من العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة
بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة

لهما على السواء

لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره
نعيده او موصولة والكاف متعلق بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي
بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف • وعدا •
مقدر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة • علينا •
اي علينا انجازه • انا كنا فاعلين • ذلك لا محالة • ولقد كتبنا في الزبور • كتاب
داود عليه السلام • من بعد الذكر • اي التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة
وبالذكر اللوح المحفوظ • ان الارض • ارض الجنة او الارض المقدسة • يرثها
عبادي الصالحون • يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها او امة محمد عليه السلام • ان في هذا • اي فيما ذكر من الاخبار والمواعظ
والمواعيد • لبلاغا • لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية • لقوم عابدين •
همهم العبادة دون العادة • وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • لان ما بعثت
به سبب لسعادتهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار
امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال • قل انما يوحى الي انما الهكم
اله واحد • اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود
الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاول لقصر الحكم على الشيء والثاني
على العكس • فهل انتم مسلمون • مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق
بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع • فان تولوا • عن التوحيد
فقل آذنتكم • اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم • على سواء • مستوين في الاعلام
او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء
وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير • وان ادري •
وما ادري • اقريب ام بعيد ما توعدون • من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن
لا محالة • انه يعلم الجهر من القول • ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام • ويعلم
ما تكتمون • من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه • وان ادري لعله فتنة
لكم • وما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان
لينظر كيف تعملون • ومتاع الى حين • وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته • قل رب
احكم بالحق • اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد
عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم ورب
احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام • وربنا الرحمن • كثير الرحمة على خلقه
المستعان • المطلوب منه المعونة • على ما تصفون • من الحال بان الشوكة تكون لهم
وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان المتوعد به لو كان حقا لنزل
بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم • وعن النبي عليه السلام
من قرأ سورة اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية الا ست آيات وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها
للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية
بتقدير في واضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة
تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها
شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها
بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا
على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
ويوم منصوب بتذهل وقرئ وتُذهل وتُذهِل مجهولا ومعروفا اي تذهلها
الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها
بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة
او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم
سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم
هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رايتك
قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده
بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرا حمزة والكسائي
سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت
في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين
ولا بعث بعد الموت وهي تعم اضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل
شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه
تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه
لانه جبل عليه على تقدير فتحه ان يضله على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ
بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه
الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه
وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء
خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب اذ خلق آدم منه او الاغذية التي
يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم
جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص
فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج
قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على
تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله
هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان
نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه اخر اربع
سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا

لغرض

لغرض تبين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد
التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا
صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او للدلالة على الجنس او لانه في الاصل
مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة
كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ
يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ
بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية
من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والاية استدلال ثان
على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال
المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة
ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج
من كل صنف بهيج رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله في كتابه لظهورها
وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة
وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدا خبره
بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء وانه
يحيي الموتى وانه لما احيا النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته
على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة اتية
لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من
في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب
منير على انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين
والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه
متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ
بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو
ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال
الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث مؤداه كالغرض له في الدنيا
خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق المحرق وهو النار
ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيامة ذلك
الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد
وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف
على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر

في

فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه • روي انها نزلت في اعاريب
قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت
امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا
الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي
سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشائم بالاسلام فاتى النبي عم فقال
اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت • خسر الدنيا والاخرة • بذهاب عصمته
وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية
ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف • ذلك
هو الخسران المبين • اذ لا خسران مثله • يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع • ذلك هو الضلال البعيد • عن المقصد مستعار
من ضلال من ابعد في التيه ضلالا • يدعو لمن ضره • بكونه معبودا لانه يوجب
القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة • اقرب من نفعه • الذي يتوقع بعبادته
وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعو من حيث انه
بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء
له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
به او مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدا خبره • لبئس المولى • الناصر • ولبئس العشير •
الصاحب • ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار • ان الله يفعل ما يريد • من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك
لا دافع له ولا مانع • من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة • كلام
فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف
ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن • فليمدد بسبب
الى السماء ثم ليقطع • فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله
الممتلي غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق
فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا
ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه
فلينظر • فليتصور في نفسه • هل يذهبن كيده • فعله ذلك وسماه على الاول كيدا
لانه منتهى ما يقدر عليه • ما يغيظ • غيظه او الذي يغيظه من نصر الله • وقيل
نزلت في قوم مسلمين استبطاوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين
وكذلك • ومثل ذلك الانزال • انزلناه • انزلنا القران كله • ايات بينات
واضحات • وان الله يهدي • ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى • من يريد
هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا • ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم
القيمة • بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به

ويدخله

ويدخله المحل اللائق به وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد
ان الله على كل شيء شهيد • عالم به مراقب لاحواله • الم تر ان الله يسجد له
من في السموات ومن في الارض • يتسخر لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدل
بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب
فيكون قوله • والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب • افرادا لها بالذكر
لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف
او الجمع بين الساكنين • وكثير من الناس • عطف عليها ان جوزنا اعمال اللفظ الواحد
في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الاخر الى اخر
فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدا خبره محذوف
دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي يسجد له كثير من الناس
سجود طاعة • وكثير حق عليه العذاب • بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل
وكثير تكرارا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين
بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله •
ومن يهن الله • بالشقاوة • فما له من مكرم • يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى
الاكرام • ان الله يفعل ما يشاء • من الاكرام والاهانة • هذان خصمان اي
فوجان مختصمان ولذلك قال • اختصموا • حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد
بهما المؤمنون والكافرون • في ربهم • في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت
اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبيا
قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت • فالذين كفروا • فصل
لخصومتهم وهو المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة • قطعت
لهم • قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف • ثياب من نار • نيران تحيط بهم
احاطة الثياب • يصب من فوق رؤوسهم الحميم • حال من الضمير في لهم او خبر ثان
والحميم الماء الحار • يصهر به ما في بطونهم والجلود • اي يؤثر من فرط حرارته
في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة
حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير • ولهم مقامع من حديد •
سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف • كلما ارادوا
ان يخرجوا منها • من النار • من غم • من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار • اعيدوا
فيها • اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم
لهب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها • وذوقوا •
اي وقيل لهم ذوقوا • عذاب الحريق • النار البالغة في الاحراق • ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار • غير الاسلوب
فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم

لانه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في معنييه جميعا يجوز ان المراد بالسجود في حق الانسان العبادة وفي حق الجمادات الانقياد [illegible]

لانه قال [illegible] الاية [illegible]

يحلون فيها • من حليت المرأة إذا ألبستها الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من أساور • صفة مفعول محذوف وأساور جمع أسورة وهي جمع سوار من ذهب • بيان له • ولؤلؤا • عطف عليها لا على ذهب لأنه لم يعهد السوار منه إلا أن يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها أو إضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ ولولوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوا ثم قلب الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولول كأدل • ولباسهم فيها حرير • غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة على هيئة الفواصل • وهدوا إلى الطيب من القول • وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده أو كلمة التوحيد • وهدوا إلى صراط الحميد • المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة أو الحق أو المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الإسلام إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله • لا يريد به حالا ولا استقبالا وإنما يريد استمرار الصدود منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر إن محذوف دل عليه آخر الآية أي معذبون • والمسجد الحرام • عطف على اسم الله وأوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله • الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد • أي المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها وإجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى أخرجوا من ديارهم وشرى عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه • ويكون للناس حالا من الهاء وإلا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على أنه المفعول أو الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على أنه بدل من الناس • ومن يرد فيه • مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود • بإلحاد • عدول عن القصد • بظلم • بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثاني بدل من الأول بإعادة الجار أو صلة له أي ملحدا بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام • نذقه من عذاب أليم • جواب لمن • وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت • أي واذكر إذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف أي وإذ أنزلناه فيه قيل رفع البيت إلى السماء أو انطمس أيام الطوفان فأعلم الله مكانه بريح أرسلها فكنست ما حوله فبناه على أسه القديم • أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود • أن مفسرة لبوأنا من حيث إنه تضمن معنى تعبدنا لأن التبوئة من أجل العبادة أو مصدرية موصولة بالنهي أي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ بالياء وأذن في الناس • ناد فيهم وقرئ آذن • بالحج • بدعوة الحج والأمر به • روي

صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله عليه السلام أمر بذلك في حجة الوداع • يأتوك رجالا • مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر • أي وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر وهزله • يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس • من كل فج • طريق • عميق • بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى • ليشهدوا منافع لهم • دينية ودنيوية وتنكيرها لأن المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة • ويذكروا اسم الله • عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لأن ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على أنه المقصود مما يتقرب به إلى الله تعالى • في أيام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل أيام النحر • على ما رزقهم من بهيمة الأنعام • علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على أنه المقتضي للذكر • فكلوا منها • من لحومها أمر بذلك إباحة وإزاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو ندبا إلى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب • وأطعموا البائس • الذي أصابه بؤس أي شدة • الفقير • المحتاج والأمر فيه للوجوب وقد قيل به في الأول • ثم ليقضوا تفثهم • ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال • وليوفوا نذورهم • ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج • وليطوفوا • طواف الركن الذي به تمام التحلل فإنه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق • القديم لأنه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله وأما الحجاج فإنما قصد إخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه • ذلك • خبر محذوف أي الأمر ذلك وهو وأمثاله يطلق للفصل بين كلامين • ومن يعظم حرمات الله عند ربه • ثوابا • وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم • إلا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة • فاجتنبوا الرجس من الأوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها • واجتنبوا قول الزور • تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الأوثان والافتراء على الله بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي أنه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الإفك من الأفك وهو الصرف فإن الكذب منحرف مصروف

عن المواقع • حنفاء لله مخلصين له • غير مشركين به وهما حالان من الواو • ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء • لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر • فتخطفه الطير • فإن الأهواء المردية توزع أفكاره • أو تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة • وأو للتخيير كما في قوله أو كصيب من السماء أو للتنويع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد أهلك نفسه هلاكا يشبه أحد الهلاكين • ذلك ومن يعظم شعائر الله • دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها أن يختارها حسانا سمانا غالية الأثمان روي أنه عليه السلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار • فإنها من تقوى القلوب • فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما • لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق • أي إلى ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها وهو على الأول متصل بحديث الأنعام والضمير فيه لها أو المراد على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية إلى البيت الذي ترفع إليه الأعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة • ولكل أمة • ولكل أهل دين • جعلنا منسكا متعبدا أو قربانا يتقربون به إلى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك • ليذكروا اسم الله • دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود • على ما رزقهم من بهيمة الأنعام • عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما • فإلهكم إله واحد فله أسلموا • أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك • وبشر المخبتين • المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم • الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم • هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها • والصابرين على ما أصابهم • من المصائب والكلف • والمقيمي الصلاة • في أوقاتها وقرئ والمقيمين الصلاة على الأصل • ومما رزقناهم ينفقون • في وجوه الخير • والبدن • جمع بدنة كخشب وخشبة وأصله الضم وقد قرئ به وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذ من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في إجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره • جعلناها لكم • ومن رفعه جعله مبتدأ • من شعائر الله • من أعلام دينه التي شرعها الله • لكم فيها خير • منافع دينية ودنيوية • فاذكروا اسم الله عليها • بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك • صواف

قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وصوافا بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف وصوافي أي خوالص لوجه الله وصوافي بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها • فإذا وجبت جنوبها • سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت • فكلوا منها وأطعموا القانع • الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده أنه قرئ القنع أو السائل من قنعت إليه قنوعا إذا خضعت له في السؤال • والمعتر • والمعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه • كذلك • مثل ما وصفنا من نحرها قياما • سخرناها لكم • مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها • لعلكم تشكرون • إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص • لن ينال الله • لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول • لحومها • المتصدق بها • ولا دماؤها • المهراقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء • ولكن يناله التقوى منكم • ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمر الله والتقرب إليه والإخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله فهم به المسلمون فنزلت • كذلك سخرها لكم • كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله • لتكبروا الله • لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح • على ما هداكم • أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر • وبشر المحسنين • المخلصين فيما يأتونه ويذرونه • إن الله يدافع عن الذين آمنوا • غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع أي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه • إن الله لا يحب كل خوان • في أمانة الله • كفور • لنعمته كمن يتقرب إلى الأصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم • أذن • رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله • للذين يقاتلون • المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أي الذين يقاتلهم المشركون • بأنهم ظلموا • بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فنزلت وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية • وإن الله على نصرهم لقدير • وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم • الذين أخرجوا من ديارهم • يعني مكة • بغير حق • بغير موجب استحقوا به • إلا أن يقولوا ربنا الله • على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • وقيل منقطع • ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض • بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين • لهدمت • لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرأ نافع لهدمت بالتخفيف • صوامع • الرهابنة • وبيع • النصارى • وصلوات • وكنائس اليهود وسميت بها لأنها

يصلي فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرانية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين
يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله
من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد
العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم
عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه
دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل
من من ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده وان يكذبوك
فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين
تسلية له عم بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد
كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول
لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع
واياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت اجالهم
المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة
هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكتها باهلاك اهلها وقرأ
البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها
ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون
الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها
اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة
معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها
فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمن
محلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي
تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر
مشيد مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على
عروشها خالية مع بقائها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف
على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم
الله وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا
مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا ولم يسافروا
لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم
من الاستبصار والاستدلال او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي
والتذكير بحال من شاهدوا اثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار
وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب

التي في الصدور

التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم
باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي
التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر
قيل لما نزلت ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في
الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد
به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به
ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون بيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي
عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وكاين
من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب
ورجوع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى
بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما
تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخره لعادته تعالى
امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير
والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم
به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام
ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل
نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في اياتنا بالرد والابطال معاجزين
مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا
اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرا
ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة
وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله
بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق
كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى ولذلك شبه النبي عم علماء
امته بهم والنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عم سئل عن الانبياء فقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل
الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل
من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا
زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا
كما قال عم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي
الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه
ثم يحكم الله اياته ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة والله عليم

يعني يقع كذا الا فيظ ومنه الحديث انه ليغان على قلبي واغان الغين السحاب البسها صحاح

مطلب في الغرانيق

باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة ونزول
وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك
حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ
ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه
بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد
ثم نبهه جبرائيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين
وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ
كقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء
الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم فقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ
الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز
جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان
علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل
فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين
وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم
بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا
العلم انه الحق من ربك ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من
الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن
آدم فيؤمنوا به بالقرآن او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية
وان الله لهاد الذين آمنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم
الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القرآن
او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه
حتى تأتيهم الساعة القيامة او الموت او اشراطها بغتة فجاءة او يأتيهم
عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء
يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت
عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير فيه ومنه الريح العقيم
لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم
القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل
الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول
مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله
بقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه

على اثابة

على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله وان عقاب الكافرين
مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة
ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما
في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين
قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان
متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا
يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معادهم
حليم لا يعاجل بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه
بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث
اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي
شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة
اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على
بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد
الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء
النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب
بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال العلم والقدرة بان الله هو
الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان
ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا
يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول
فتكون الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية
وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا
واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح
الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك
الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة
على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل
ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الارض خلقا
وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله
الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف
على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر

بالعقوبة ذلك اي الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء صح

ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها
على صورة متداعية الى الاستمساك. الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيمة
وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة
للميل الهابط قبول غيرها. ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال
وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار. وهو الذي احياكم بعد
ان كنتم جمادا عناصر ونطفا. ثم يميتكم اذا جاء اجالكم. ثم يحييكم في الاخرة
ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها. لكل امة اهل دين جعلنا
منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا. هم ناسكوه ينسكونه.
فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال
واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول
عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب
الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربك زيد وهذا انما يجوز
في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون
ما قتلتم ولا تأكلون مما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة
في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته. وادع الى ربك الى توحيده
وعبادته. انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي. وان جادلوك وقد ظهر الحق
ولزمت الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها
وهو وعيد فيه رفق. الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب
والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين. الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء. ان ذلك
في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له.
ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم. على الله يسير
لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء. ويعبدون من دون الله
ما لم ينزل به حجة يدل على جواز عبادته. وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل سلطانا
او استدلاله. وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم. من نصير يقرر
مذهبهم او يدفع العذاب عنهم. واذا تتلى عليهم اياتنا من القران بينات واضحات
الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية. تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة
وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر. يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم. قل افانبئكم بشر من ذلكم
من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم. النار
اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره. وعدها الله
الذين كفروا. وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استينافا

كما اذا وقعت

كما اذا وقعت خبرا او حالا منها. وبئس المصير النار. يا ايها الناس ضرب مثل
بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل
في استحقاق العبادة. فاستمعوا له للمثل او لشأنه استماع تدبر وتفكر. ان الذين
تدعون من دون الله يعني الاصنام وقرئ يدعون بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول
والراجع الى الموصول محذوف على الاولين. لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه
مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب
من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان. ولو اجتمعوا له هو بجوابه المقدر في موضع حال
جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا
كانوا منفردين. وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل
بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بما سماه تماثيل
هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا
له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما
يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل
الذباب من الكوى فيأكله. ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب
يطلب ما يسلبه من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب او كالذباب والصنم
والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف
بدرجات. ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه
ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة. ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز
لا يغلبه شيء والهتهم التي يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها. الله يصطفي
من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم
الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه
غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم
الى عبادة الله تعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عدا من الموجودات تقريرا
للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك
ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها. يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها
ومترقبها. والى الله ترجع الامور والى الله مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسئل
عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون. يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
في صلوتكم امرهم بهما لانهم كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما
لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا. واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم
به. وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات
وصلة الارحام ومكارم الاخلاق. لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجين
الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها
من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها

وجاهدوا في الله • اي لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة
كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر • حق جهاده • اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف
الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او
لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله • هو اجتباكم • اختاركم
لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله • وما جعل
عليكم في الدين من حرج • اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع
لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم
لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم
من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم
الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد • ملة ابيكم ابراهيم •
منتصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم
توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو
رسول الله وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم
على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم
• هو سماكم المسلمين من قبل • من قبل القرآن في الكتب المتقدمة • وفي هذا • وفي القرآن
والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين
في القرآن وان لم تكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وقيل في هذا بيان تسميته اياكم مسلمين • ليكون الرسول • يوم القيمة متعلق
بسماكم • شهيدا عليكم • بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته
او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى • وتكونوا شهداء على الناس • بتبليغ
الرسل اليهم • فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة • وتقربوا الى الله بانواع الطاعات
لما خصكم بهذا الفضل والشرف • واعتصموا بالله • وثقوا به في مجامع اموركم
ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه • هو مولاكم • ناصركم ومتولي اموركم
• فنعم المولى ونعم النصير • هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير
سواه في الحقيقة عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد
من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم • قد افلح المؤمنون • قد فازوا بامانيهم وقد تثبت
المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل الماضي ولذلك تقربه من الحال
ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش
عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني
البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وأُفلح على
البناء للمفعول • الذين هم في صلوتهم خاشعون • خائفون من الله متذللون له

يلتفتون

يلتفتون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما
نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب
هذا لخشعت جوارحه • والذين هم عن اللغو • عما لا يعنيهم من قول وفعل • معرضون •
لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية
وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض
مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان
اصله ان يكون في عرض غير عرضه • وكذلك قوله • والذين هم للزكوة فاعلون •
وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية
في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة
اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث
لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف • والذين هم لفروجهم حافظون •
لا يبذلونها • الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم • زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون
من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج
او التسري وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد
ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها
خطرا • فانهم غير ملومين • الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها
لازواجهم او ايمانهم فانهم غير ملومين على ذلك • فمن ابتغى وراء ذلك • المستثنى • فاولئك
هم العادون • الكاملون في العدوان • والذين هم لاماناتهم وعهدهم • لما يؤتمنون عليه
ويعاهدون من جهة الحق او الخلق • راعون • قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير
هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر • والذين
هم على صلواتهم يحافظون • يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل
فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا
لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها
بامر الصلوة تعظيم لشأنها • اولئك • الجامعون لهذه الصفات • هم الوارثون • الاحقاء
بان يسموا وراثا دون غيرهم • الذين يرثون الفردوس • بيان لما يرثونه وتقييد
للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لشأنها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم
وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها
على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار • هم فيها خالدون •
انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا • ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من خلاصة سلت من بين الكدر • من طين • متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة ومن بيانية
او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم لانه خلق
صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار
وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته • ثم جعلناه • ثم جعلنا نسله

فحذف المضاف نطفة بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير
الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني
الرحم وهو في الأصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار
ثم خلقنا النطفة علقة بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة
مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بأن صلبناها
فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة أو مما أنبتنا عليها مما يصل إليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ
ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بإفراد أحدهما
وجمع الآخر ثم أنشأناه خلقا آخر هي صورة البدن أو الروح أو القوى
بنفخه فيه أو المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به أبو حنيفة على
أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر
فتبارك الله فتعالى شأنه في قدرته وحكمته أحسن الخالقين المقدرين تقديرا
فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه وفي الحديث عن عمر رض أن رسول الله صلعم لما بلغ قوله
خلقا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون لصائرون إلى الموت
لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم إنكم
يوم القيامة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات
لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة
أو لأنها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق
الذي هو السموات أو جميع المخلوقات غافلين مهملين أمرها بل نحفظها عن
الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسب ما
اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وأنزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر
نفعه ويقل ضرره أو بمقدار ما علمنا من صلاحهم فأسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا
في الأرض وإنا على ذهاب به على إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التعميق بحيث
يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على إنزاله وفي تنكير ذهاب إيماء
إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإيعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله قل أرأيتم إن
أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فأنشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل و
أعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات تأكلون
تغذيا أو ترفها وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يكون
الضميران للنخيل والأعناب أي لكم في ثمرتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر
والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف على جنات
وقرئت بالرفع على الابتداء أي ومما أنشأنا لكم به شجرة تخرج من طور سيناء
جبل موسى عم بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من
أن يكون الطور اسما للجبل وسيناء اسم بقعة أضيف إليها أو المركب منهما علم كامرئ

ومنع صرفه

ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف لأنه
فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق
بفعلال كعلباء من السين إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة
الكوفيين والشامي ويعقوب فإنه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء لا فعلال
إذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن أي تنبت
ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك
ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو إما من أنبت
بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل
أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالأول
وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين
معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء
الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه إداما يصبغ فيه الخبز أي
يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وإن لكم في الأنعام
لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الألبان أو من
العلف فإن اللبن يتكون منه فمن للتبعيض أو للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة
في ظهورها وأصوافها وشعورها ومنها تأكلون فتنتفعون بأعيانها وعليها
وعلى الأنعام فإن منها ما يحمل عليه كالإبل والبقر وقيل المراد الإبل لأنها هي
المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فإنها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة
بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في بعولتهن أحق بردهن
وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله إلى آخر القصص مسوقة لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم
المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من إله غيره استئناف لتعليل الأمر
بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ أفلا تتقون أفلا تخافون أن يزيل
عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته إلى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي
لا تحصونها فقال الملأ الأشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا
إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم أن يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء
الله أن يرسل رسولا لأنزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين
يعنون نوحا أي ما سمعنا به أنه نبي أو ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي إله غيره
أو من دعوى النبوة وذلك إما من فرط عنادهم أو لأنهم كانوا في فترة متطاولة إن هو
إلا رجل به جنة أي جنون ولأجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا
حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما أيس من إيمانهم رب انصرني بإهلاكهم
أو بإنجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم إياي أو بسببه فأوحينا
إليه أن اصنع الفلك بأعيننا بحفظنا نحفظه أن تخطئ فيه أو يفسده عليك مفسد

ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف يصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول
العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن
معك فلما نبع الماء منه اخبرته امراته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل
مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك
فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلكه غيره قال تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين
اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين كجمل وناقة وقرئ من كل بالتنوين
اي من كل نوع زوجين اثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او ومن امن معك الا
من سبق عليه القول منهم اي القول من الله باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق
ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني
في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك و
المعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة
منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين
كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة
او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا
او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة
فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا
لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم لانه نبيهم وامامهم
فكان قوله قولهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر
اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء
عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآية وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشانا
من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او
صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم ياتهم من مكان غير مكانهم
وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير
لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله
وقال الملا من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام
الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استانف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا
بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاده الى الحياة الثانية بالبعث
واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا
الا بشر مثلكم في الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير
للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار
لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون
حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون

من الاجداث

من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال
الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدا خبره الظرف المقدم عليه او
فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او
انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر
الثاني عليه لا ان يكون الظرف لانه اسم جثة هيهات هيهات بعد التصديق
او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كانهم
لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير و
بالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين
وبالسكون على الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان
الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها
حذرا عن التكرار واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملت
تتحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة
الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا
ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو الا رجل افترى
على الله كذبا فيما يدعيه من انه رسول له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين
بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي
قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتاكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن
نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبرائيل
صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن
قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك
فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء
السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم
الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من
المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد
ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين
يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد
لهلاكها وما يستاخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا
تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو
كما في تولج وتيقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرا ابو عمرو وابو بكر
وابن كثير بالتنوين على انه مصدر بمعنى التواتر وقع حالا كلما جاء امة رسولها
كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان
الارسال الذي هو مبدا الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم

الى ان يهلكوا فجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهو ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها ايات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي عم الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده ظاهر للمستبصر بادى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة اي ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة او فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرا ابن عامر وعاصم بضم الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من الارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى عم دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم يكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات

اوحكاية

او حكاية لما ذكر لعيسى عم وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه امتكم اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيه فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون من عذابه والذين هم بايات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون

السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقونها اي ينالونها
قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها سابقون • ولا نكلف نفسا الا وسعها •
قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس • ولدينا
كتاب • يعني اللوح او صحيفة الاعمال • ينطق بالحق • بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف
الواقع • وهم لا يظلمون • بزيادة عقاب او نقصان ثواب • بل قلوبهم • قلوب الكفرة
في غمرة • في غفلة غامرة لها • من هذا • من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة
ولهم اعمال • خبيثة • من دون ذلك • متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه
من الشرك • هم لها عاملون • معتادون فعلها • حتى اذا اخذنا مترفيهم •
متنعميهم • بالعذاب • يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول
فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة • اذا هم يجأرون • فاجئوا
الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويحتمل ان يكون
الجواب • لا تجأروا اليوم • فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا • انكم منا لا تنصرون •
تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة
من جهتنا • قد كانت آياتي تتلى عليكم • يعني القرآن • فكنتم على اعقابكم تنكصون •
تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى
مستكبرين به • الضمير للتكذيب او للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه
اغنى عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين
او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله • سامرا • اي تسمرون بذكر
القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ
سمرا جمع سامر • تهجرون • من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون
عن القرآن وتهذون في شأنه والهجر الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع
تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة • افلم يدبروا القول • القرآن
ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله • ام جاءهم ما لم يأت آباءهم
الاولين • من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم
الاقدمون كاسماعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه • ام لم يعرفوا
رسولهم • او لم يعرفوا محمدا بصحة النسب والامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم
مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء • فهم له منكرون • دعواه لاجل
هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا
ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى الامكان فلم يوجد
ام يقولون به جنة • فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا
واتقنهم نظرا • بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون • لانه يخالف شهواتهم
واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان

استنكافا

استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق • ولو
اتبع الحق اهواءهم • بان كان في الواقع آلهة شتى • لفسدت السموات والارض
ومن فيهن • كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع
الحق اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق
الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم من فرط
غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية
ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة • بل اتيناهم بذكرهم •
بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان
عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم • فهم عن ذكرهم معرضون • لا يلتفتون
اليه • ام تسألهم • قيل انه قسيم قوله ام يقولون به جنة • خرجا • اجرا على اداء
الرسالة • فخراج ربك • رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى • خير • لسعته ودوامه
ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك
والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك
عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج ربك وحمزة والكسائي خراجا فخراج
للمزاوجة • وهو خير الرازقين • تقرير لخيرية خراجه • وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم • تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم
انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدي
الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة • وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط • السوي • لناكبون • لعادلون عنه فان خوف الآخرة
اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه • ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
يعني القحط • للجوا • لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء • في طغيانهم • افراطهم في
الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين • يعمهون • عن الهدى
روي انهم قحطوا حتى اكلوا الجيف والعلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله عم فقال
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت • ولقد اخذناهم بالعذاب • يعني القتل يوم بدر •
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون • بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم والاستكانة
استفعال من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعال من السكون اشبعت فتحته
وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله • حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد • يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل • اذا هم فيه مبلسون • متحيرون
آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك • وهو الذي انشأ لكم السمع
والابصار • لتحسوا بها ما نصب من الآيات • والافئدة • لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى
غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية • قليلا ما تشكرون • تشكرونها شكرا قليلا لان
العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة

قوله ان الياء اما زائدة فيكون من الكون او اصلية فيكون افتعالا من السكون فان قلت كان ينبغي ان يقال استكنوا لكن الالف فيه لاشباع الفتحة كما في قوله ... لانه استفعل من الكون فيكون ... كما تحول العصير ... من كون الى كون

للتأكيد. وهو الذي ذرأكم في الأرض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل. وإليه تحشرون
تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم. وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار
ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته إلى الشمس حقيقة أو لأمره وقضائه
تعاقبهما أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر. أفلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا
وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها وقرئ بالياء على أن الخطاب
السابق لتغليب المؤمنين. بل قالوا أي كفار مكة. مثل ما قال الأولون آباؤهم ومن دان
بدينهم. قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا
أنهم كانوا قبل ذلك أيضا ترابا فخلقوا. لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا
إلا أساطير الأولين. إلا أكاذيبهم التي كتبوها جمع أسطورة لأنه يستعمل فيما يتلهى به
كالأعاجيب والأضاحيك وقيل جمع أسطار جمع سطر. قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون
إن كنتم من أهل العلم أو من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم
حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح وإلزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره ولذلك
أخبر عن جوابه قبل أن يجيبوا فقال. سيقولون لله. لأن العقل
الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر إلى الإقرار بأنه خالقها. قل أي بعدما قالوه. أفلا
تذكرون. فتعلمون أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قدر على إيجادهم ثانيا فإن بدء الخلق
ليس بأهون من إعادته وقرئ تتذكرون على الأصل. قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم. فإنها أعظم من ذلك. سيقولون لله. قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه
وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال. قل أفلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته
ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته. قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن
وقيل خزائنه. وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه. ولا يجار عليه ولا يغاث أحد
ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة. إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى
تسحرون. فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلة
بل أتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور. وإنهم لكاذبون حيث أنكروا
ذلك. ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة أحد. وما كان معه من إله يساهمه في الألوهية
إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض. جواب محاجتهم وجزاء الشرط حذف
لدلالة ما قبله عليه أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد
به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا
فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالإجماع والاستقراء وقيام البرهان
على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد. سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك
لما سبق من الدليل على فساده. عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره
ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك
بناء على توافقهم في أنه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه. فتعالى الله عما يشركون بالفاء
قل رب إما تريني إن كان لا بد من أن تريني فإن ما والنون للتأكيد. ما يوعدون من

من العذاب

من العذاب في الدنيا والآخرة. رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم
في العذاب وهو إما لهضم النفس أو لأن شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن الحسن أنه تعالى أخبر نبيه أن له في أمته
نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد
من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار. وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون
لكنا نؤخره علما بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون أو لأنا لا نعذبهم وأنت فيهم
ولعله رد لإنكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد أراه وهو قتل بدر
أو فتح مكة. ادفع بالتي هي أحسن السيئة. وهو الصفح عنها والإحسان في مقابلتها
لكن بحيث لم يؤد إلى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هي
الأمر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص
على التفضيل. نحن أعلم بما يصفون بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلاف حالك
وأقدر على جزائهم فكل إلينا أمرهم. وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم
وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائضة
الدواب على المشي والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف إليه. وأعوذ بك
رب أن يحضرون. يحوموا حولي في شيء من الأحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة
القرآن وحلول الأجل لأنها أحرى الأحوال بأن يخاف عليه. حتى إذا جاء أحدهم الموت
متعلق بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت وما بينهما اعتراض لتأكيد
الإغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام
أو بقوله إنهم لكاذبون. قال تحسرا على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة لما اطلع على
الأمر. رب ارجعون ردوني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله
ارجعني كما قيل في قفا واطرقا. لعلي أعمل صالحا فيما تركت في الإيمان الذي تركته
أي لعلي آتي بالإيمان فأعمل فيه صالحا وقيل في المال أو في الدنيا وعنه عليه الصلاة
والسلام إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان
بل قدوما إلى الله وأما الكافر فيقول ارجعون. كلا ردع عن طلب الرجعة و
استبعاد لها. إنها كلمة يعني قوله رب ارجعون إلى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم
بعضها مع بعض. هو قائلها يعني [illegible] لا محالة لتسلط الحسرة عليه
أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه. ومن ورائهم أمامهم والضمير للجماعة
برزخ حائل بينهم وبين الرجعة. إلى يوم يبعثون يوم القيامة وهو إقناط كلي عن الرجوع
لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وإنما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرة. فإذا نفخ
في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد [illegible] الصور أيضا
جمع الصورة. فلا أنساب بينهم ينفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء
الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو يفتخرون بها. يومئذ كما
يفعلون اليوم. ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض

قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان ذلك عند النفخة وذاك بعد المحاسبة
او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار • فمن ثقلت موازينه • موزونات
عقائده واعماله اي اعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر • فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والدرجات • ومن خفت موازينه • ومن لم يكن له ما يكون له وزن
وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا • فاولئك الذين خسروا انفسهم
غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها • في جهنم
خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك • تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح
كالنفح الا انه اشد تاثيرا • وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح
تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون • الم تكن آياتي تتلى عليكم • على اضمار
القول اي يقال لهم الم تكن • فكنتم بها تكذبون • تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا
العذاب لاجله • قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا • ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية
الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر
كالكتابة • وكنا قوما ضالين • عن الحق • ربنا اخرجنا منها • من النار • فان عدنا • الى التكذيب
فانا ظالمون • لانفسنا • قال اخسؤوا فيها • اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام
سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ • ولا تكلمون • في رفع العذاب او لا تكلموني
راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول
مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون
الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا ربنا اخرجنا
نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤوا فيها
ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء • انه • ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه
كان فريق من عبادي • يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة • يقولون
ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا • هزوا وقرأ
نافع وحمزة والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء
النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد
والعبودية • حتى انسوكم ذكري • من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني
في اوليائي • وكنتم منهم تضحكون • استهزاء بهم • اني جزيتهم اليوم بما صبروا • على اذاكم
انهم هم الفائزون • فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم
وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استئنافا • قال • اي الله او الملك المامور بسؤالهم وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي قل على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار • كم لبثتم في الارض
احياء واموانا في القبور • عدد سنين • تمييز لكم • قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم
وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم • فاسأل العادين

الذين تمكنوا من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا بما نحن فيه من العذاب
مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون
اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول او العادين
اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم • قال ان لبثتم الا قليلا
لو انكم كنتم تعلمون • تصديق لهم في مقالتهم • افحسبتم انما خلقناكم عبثا • توبيخ على تغافلهم
وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم
ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث • وانكم الينا لا ترجعون • معطوف
على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم •
فتعالى الله الملك الحق • الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه عبيد بالذات مالك
بالعرض من وجه وفي حال دون حال • لا اله الا هو • فان ما عداه عبيد له • رب
العرش الكريم • الذي يحيط بالاجرام وينزل منه الرحمة والخير والبركة ومحكماه الاقضية
والاحكام ولذلك وصفه بالكريم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة
الرب • ومن يدع مع الله الها آخر • يعبده افرادا او اشراكا
لا برهان له به • صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتاكيد
وبناء الحكم عليها تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه
او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك • فانما حسابه عند ربه • فهو مجاز له مقدار ما يستحقه • انه
لا يفلح الكافرون • ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح
بدئ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان
يستغفر ويسترحم فقال • وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك
الموت وعنه انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون
حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ
باربع من آخرها فقد نجا وافلح • صدق رسول الله وصدق حبيب الله بحرمته من الصدق

سورة النور مدنية وهي بسم الله الرحمن الرحيم ثنتان وستون او اربع وستون آية

سورة • اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة • انزلناها • صفتها ومن نصبها جعلها
مفسر لناصبها فلا يكون لها محل الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه • وفرضناها • وفرضنا
ما فيها من الاحكام واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها وشدده ابن
كثير لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها • وانزلنا فيها آيات بينات
واضحات الدلالة • لعلكم تذكرون • فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال • الزانية والزاني
اي فيما فرضنا وانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر • فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة • والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ
بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر وقرئ والزان
بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه

ولأن هذه عقوبة تستحق بالإضافة إليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص من ليس بمحصن
لما دل على أن حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر
بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ أحدهما بالآخر نسخاً مقبولاً
أو مردوداً ولا في العبد ثلاثة أقوال يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة
ولا يغرب كما قال أبو حنيفة رحمه الله والإحصان بالحرية والبلوغ والعقل والإصابة في نكاح
صحيح واعتبرت الحنفية الإسلام أيضاً وهو مردود لرجمه عليه السلام اليهوديين ولا يعارضه من أشرك
بالله فليس بمحصن إذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم ● ولا تأخذكم بهما رأفة ● رحمة في دين الله
في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد
لقطعت يدها وقرئ رأفة بالمد وفتحها على فعالة ● إن كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر ● فإن الإيمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في إقامة أحكامه وهو
من باب التهييج ● وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ● زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد
ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة
وقيل واحد أو اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير ● الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة
والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ● إذ الغالب أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح
والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فإن المشاكلة علة الألفة والتضام والمخالفة سبب
النفرة والافتراق فكان حق المقابلة أن يقال والزانية لا تنكح إلا من زان أو مشرك لكن
المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن لأن الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا
بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني
● وحرم ذلك على المؤمنين ● لأنه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن
في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي
وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه أو منسوخ بقوله
وأنكحوا الأيامى منكم فإنه يتناول المسافحات ويؤيده أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح
والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول إلى نهي الزاني عن الزنا إلا بزانية
والزانية أن لا تزني بها إلا زان وهو فاسد ● والذين يرمون المحصنات ● يقذفونهن
بالزنا لوصف المقذوفات بالإحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار أربعة شهداء
بقوله ● ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ● والقذف بغيره مثل يا فاسق
يا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والإحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والإسلام
والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والأنثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة
أو لأن قذف النساء أغلب وأشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الأداء ولا تعتبر
شهادة زوج المقذوفة خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف
سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ● ولا تقبلوا لهم شهادة ● أي شهادة كانت لأنه
مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافاً لأبي حنيفة فإن الأمر
بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جواباً للشرط لا ترتب بينهما فيترتبان عليه دفعة

كيف وحاله

كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده ● أبداً ● ما لم يتب وعند أبي حنيفة إلى آخر عمره ● وأولئك
هم الفاسقون ● المحكوم بفسقهم ● إلا الذين تابوا من بعد ذلك ● عن القذف ● وأصلحوا
أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف والاستثناء
راجع إلى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الأمور ولا يلزمه سقوط الحد به
كما قيل لأن من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء
وقيل إلى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم ● فإن الله غفور رحيم ● علة للاستثناء ● والذين
يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ● نزلت في هلال بن أمية رأى
رجلاً على فراشه وأنفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على أن إلا بمعنى غير ● فشهادة
أحدهم أربع شهادات ● فالواجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة أحدهم
وأربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر شهادة
● بالله ● متعلق بشهادات لأنها أقرب وقيل بشهادة لتقدمها ● إنه لمن الصادقين
أي فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت إن وعلق
العامل عنه باللام تأكيداً ● والخامسة ● والشهادة الخامسة ● أن لعنة الله عليه
إن كان من الكاذبين ● في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين وهذا
لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة
فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان أبداً وبتفريق الحاكم طلاقاً
عند أبي حنيفة رحمه الله ونفي الولد إن تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة
لقوله ● ويدرؤا عنها العذاب ● أي الحد ● أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن
الكاذبين ● فيما رماني به ● والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ● في
ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر أو بالعطف على أن تشهد
ونصبها حفص عطفاً على أربعاً وقرأ نافع أن غضب الله ● ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وأن الله تواب حكيم ● متروك الجواب للتعظيم أي لفضحكم وعاجلكم
بالعقوبة ● إن الذين جاؤا بالإفك ● بأبلغ ما يكون من الكذب من الأفك وهو
الصرف لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها وذلك أنه عليه السلام استصحبها
في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء الحاجة ثم عادت
إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه
فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت
إلى منزلها لم تجد ثمة أحداً فجلست كي يرجع إليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي
قد عرس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها
فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به ● عصبة منكم ● جماعة منكم وهي من العشرة إلى
الأربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر إن وقوله ● لا تحسبوه
شراً لكم ● مستأنف والخطاب للرسول عليه السلام وأبي بكر وعائشة وصفوان والهاء للإفك

بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال
ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء
على من ظن بكم خيرا. لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما
خاض فيه مختصا به. والذي تولى كبره معظمه وقرئ بالضم وهو لغة
فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله صلعم
او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب
عظيم في الآخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق
وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن
المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله
ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا
بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين
عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف
لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر
الظرف اهم فان التخصيص منصور على ان بلا تخلل باوله. وقالوا هذا افك
مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم
يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقرير لكونه كذبا
فان ما لا حجة عليه كذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل
الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى
لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته
في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم
فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه
بالسنتكم يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه
وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف
المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق
والألق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته ووجدته وتقفونه اي
تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي وتقولون كلاما مختصا
بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم
في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم
تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله
عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا
يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف
آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلعم

سبحانك

سبحانك تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى
من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله من ان يكون حرمة
نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها
فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم لعظم المبهوت عليه
فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله
كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات
الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب لتتعظوا وتتأدبوا والله عليم
بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقررن عليها
ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم
عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما في الضمائر
وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله تعالى يعاقب
على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك
المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وان الله رؤوف رحيم
على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها
الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء
ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه
والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها
منكم من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها
والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الألية او ولا
يقصر من الألو ويؤيده الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر رض وقد
حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل
منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على
ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك
او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط
منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم
واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه
روي انه عم قرأها على ابي بكر رض بلى احب ورجع مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات
الغافلات عما قذفن به المؤمنات بالله ورسوله استباحة لعرضهن و
طعنا في الرسول عليه الصلوة والسلام والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة
لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب

الشيطان

وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي عم وكذلك قال ابن عباس لا توبة له
ولو فتشت وعيدات القران لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة رضي الله عنها
يوم تشهد عليهم لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب [illegible] (ظرف م)
لانه موصوف وقرا حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل ألسنتهم و
ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم
او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته
الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او
ذو الحق البين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم
لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله
اولئك يعني اهل بيت النبي او الرسول وعائشة وصفوان مبرءون مما يقولون اذ
لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال
والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرءون مما يقولون فيهم
او للخبيثين والخبيثات اي مبرءون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم
يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وموسى من
قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها
بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول عم واعلاء منزلته
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا
لا يدخلان الا باذن حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام
من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله
او يؤذن له او من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش
خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استأنس او تتعرفوا هل ثم انسان من الانس
وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عم التسليم
ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم
خير لكم اي الاستئذان او التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية
كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء فدخل
فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي عم أأستأذن
على امي قال نعم قال انه لا خادم لها غيري أأستأذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها
عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم
او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها
احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان
المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس

عادة

عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثني ما اذا عرض فيه حرق
او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى
لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك
المروءة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون
مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط
والخانات والحوانيت فيها متاع لكم استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء
الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما
ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض
بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم او
اطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال
سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال
ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا
ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له
الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد
بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الكفان
والوجه لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة
لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة
وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل
له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا
الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن
او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم
وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا
منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان
او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات
فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت
ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روي انه عم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها
ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عم انه
ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي او
التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ
الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل

طعامهم ولا يعرفون شيئاً من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على
الحال • او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء • لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس
وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف • ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلاً في الرجال وهو ابلغ
من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت • وتوبوا الى الله جميعاً ايها
المؤمنون • اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما
كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه
كلما يتذكر • لعلكم تفلحون • بسعادة الدارين • وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم • لما نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة
وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه
امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج
المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو
استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب
ذكراً كان او انثى بكراً او ثيباً قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي • وان كنت افتى منكم
أتأيم • وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهم وقيل المراد الصالحون
للنكاح والقيام بحقوقه • ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله • رد لما عسى ان يمنع
من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من النكاح فان في فضل الله غنية عن المال
فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط
بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء • والله واسع • ذو سعة
لا ينفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته • عليم • يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته • وليستعفف
وليجتهد في العفة وقمع الشهوة • الذين لا يجدون نكاحاً • اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح
ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه • حتى يغنيهم الله من فضله • فيجدوا ما يتزوجون به • والذين
يبتغون الكتاب • المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد
كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض
فيه يكون منجماً بنجوم يضم بعضها الى بعض • مما ملكت ايمانكم • عبداً كان او امة والموصول
بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى
الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق
فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق
لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل • ان علمتم
فيهم خيراً • امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعاً وقيل صلاحاً
في الدين وقيل مالاً وضعفه ظاهر لفظاً ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه
عدم الجواز • وآتوهم من مال الله الذي آتاكم • امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئاً من اموالهم

وفي معناه

وفي معناه • حط شيء من الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول
وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق
عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم
سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنياً لانه لا يأخذه صدقة كالدائن
والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية •
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء • اماءكم على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست
جوار يكرههن على الزنا فضرب عليهن الضرائب فشكى بعضهن الى رسول الله عليه السلام فنزلت
ان اردن تحصناً • تعففاً شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطاً للنهي
لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه
وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر • لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا
ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم • اي لهن او له ان تاب والاول اوفق
للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان
المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك
حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص • ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات • يعني
الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي بالكسر ههنا وفي الطلاق لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة
من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود • ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم •
ومثلاً من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله عنها
فانها كقصة يوسف ومريم • وموعظة للمتقين • يعني ما وعظ به في تلك الآيات
وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات
المذكورة صفاته • الله نور السماوات والارض • النور في الاصل كيفية تدركها
الباصرة اولاً وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على
الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى
الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السماوات
والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار
او بالملائكة والانبياء او مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم
لانهم يهتدون به في الامور او موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل
الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء العدم والله تعالى موجود بذاته موجد
لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به
او لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكاً فانها
تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص
في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها
والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء

أو بتوسط الملائكة والأنبياء ولذلك سموا أنوارا ويقرب منه قول ابن عباس
معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون وإضافته إليهما للدلالة على سعة
إشراقه أو لاشتمالهما على الأنوار الحسية والعقلية وقصور الإدراكات البشرية
عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما. مثل نوره. صفة نوره العجيبة الشأن وإضافته
إلى ضميره تعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره. كمشكاة. كصفة مشكاة
وهي الكوة الغير النافذة. فيها مصباح. سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الأنبوبة
في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة. المصباح في زجاجة في قنديل
من الزجاج. الزجاجة كأنها كوكب دري مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه
وزهرته منسوب إلى الدر أو فعيل كمريق من الدرء فإنه يدفع الظلام بضوئه أو
بعض ضوئه بعضا من لمعانه إلا أنه قلب همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل
وقراءة أبي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا. توقد من شجرة
مباركة زيتونة أي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت
ذبالته بزيتها وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم إبدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها
وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من أوقد وحمزة والكسائي
وأبو بكر بالتاء كذلك على إسناده إلى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى
تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب. لا شرقية ولا غربية
تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة
أو صحراء واسعة فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى أو لا نابتة في شرق المعمورة
وغربها بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون أو لا في مضحى تشرق
الشمس عليها دائما فتحرقها أو مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير
في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى. يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه. نور على نور. متضاعف
فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة
لأشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الأول أنه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات
البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة أو تشبيه
للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وإنما ولي
الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس أو تمثيل لما نور الله
به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة
أبي مثل نور المؤمن أو تمثيل لما منح الله عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي منوط
بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ
صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية
والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة
القدسية التي يتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء

المعينة

المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالأشياء
الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت
فإن الحساسة كالمشكاة لأن محلها كالكوى ووجهها إلى الظاهر لا تدرك ما وراءه
وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات
من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة
كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الإلهية والمفكرة كالشجرة
المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة
المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية أو لوقوعها
بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية
كالزيت فإنها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا
تعليم أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم
مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس
الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها
قابلة للأنوار وذلك التمكن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وإن كان
بالحدس فكالزيت وإن كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لأنها
تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والإلهام الذي مثله النار
من حيث إن العقول تشتعل عنها ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها
متى شاءت كان كالمصباح فإذا استحضرها كان نورا على نور. يهدي الله لنوره
أي لهذا النور الثاقب. من يشاء. فإن الأسباب دون مشيئته لاغية إذ بها
تمامها. ويضرب الله الأمثال للناس إدناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا
والله بكل شيء عليم. معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعد
ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها. في بيوت. متعلق بما قبله أي كمشكاة
في بيوت أو توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة
فيه فإن قناديل المساجد تكون أعظم. أو تمثيلا لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد
ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة إذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار
وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا بيذكر لأنه من صلة
أن فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لأن الصفة
تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم. أذن الله أن ترفع ويذكر. بالبناء
أو التعظيم. فيها اسمه. عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في أفعاله والمباحثة في
أحكامه. يسبح له فيها بالغدو والآصال. ينزهونه أو يصلون له فيها بالغدوات
والعشيات والغدو مصدر أطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو
جمع أصيل وقرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح
على إسناده إلى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورة الباء

للبيع ومفتوحاً على إسنادها إلى أوقات الغدو رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم
معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص إن أريد
به مطلق المعاوضة أو بإفراد ما هو الأهم من قسمي التجارة فإن الربح يتحقق بالبيع
ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فإنه أصلها ومبدؤها وقيل
الجلب لأنه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا إذا جلبه وإقام
الصلاة عوض فيه الإضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالإعلال
كقوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وإيتاء الزكاة ما يجب إخراجه من المال
للمستحقين يخافون يوماً مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب
والأبصار تضطرب وتتغير من الهول أو تتقلب أحوالها فتفقه القلوب ما لم تكن
تفقه وتبصر الأبصار ما لم تكن تبصر أو تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك
والأبصار من أي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح أو
لا تلهيهم أو يخافون أحسن ما عملوا أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة
ويزيدهم من فضله أشياء لم يعدهم على أعمالهم ولم تخطر ببالهم والله يرزق من يشاء
بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان
والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم ضد ذلك فإن أعمالهم التي
يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما
يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أي يجري والقيعة
بمعنى القاع وهو الأرض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات
في ديمة يحسبه الظمآن ماء أي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة
الخيبة عند مسيس الحاجة حتى إذا جاءه جاء ما توهمه ماء أو موضعه لم يجده شيئاً
مما ظنه ووجد الله عنده عقابه أو زبانيته أو وجده محاسباً إياه فوفاه حسابه
استعراضاً أو مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي أنها
نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الإسلام كفر
أو كظلمات عطف على كسراب وأو للتخيير فإن أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب
ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لجج البحر والأمواج والسحاب أو للتنويع
فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب وإن كانت قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين
فإنها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة في بحر لجي عميق منسوب إلى اللج وهو معظم الماء
يغشاه موج أي يغشى البحر موج من فوقه موج أي أمواج مترادفة متراكمة من فوقه
سحاب من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب أنوارها والجملة صفة أخرى
للبحر ظلمات أي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على
إبدالها من الأولى وبإضافة السحاب إليها إذا أخرج يده وهي أقرب ما يرى إليه لم يكد
يراها لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها كقوله إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى
من حب مية يبرح والضمائر للواقع في البحر وإن لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل

الله نورا

الله له نوراً ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لأسبابها فما له من نور
خلاف الموفق الذي له نور على نور ألم تر أن الله ألم تعلم علماً يشبه المشاهدة في اليقين
والوثاقة بالوحي أو الاستدلال أن الله يسبح له من في السماوات والأرض ينزه
ذاته عن كل نقص وآفة أهل السماوات والأرض ومن لتغليب العقلاء أو الملائكة والثقلين
بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال والطير على الأول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر
والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فإن إعطاء الأجرام الثقيلة ما به تقوى
على الوقوف في الجو صافة باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال
قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر أو من الطير قد علم صلاته
وتسبيحه أي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختياراً وطبعاً لقوله والله عليم بما يفعلون
أو علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل إلى النفع على وجه يخصه بحال
من علم ذلك مع أنه لا يبعد أن يلهم الله الطير دعاء وتسبيحاً كما ألهمها علوماً دقيقة
في أسباب تعيشها لا يكاد يهتدي إليها العقلاء ولله ملك السماوات والأرض فإنه الخالق
لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والأفعال من حيث إنها ممكنة واجبة الانتهاء
إلى الواجب وإلى الله المصير مرجع الجميع ألم تر أن الله يزجي سحاباً يسوقه ومنه
البضاعة المزجاة فإنها يزجيها كل أحد ثم يؤلف بينه بأن يكون قزعاً فيضم بعضه
إلى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه إذ المعنى بين أجزائه ثم يجعله ركاماً متراكماً
بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل
كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء
من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها من برد بيان
للجبال والمفعول محذوف أي ينزل مبتدئاً من السماء من جبال فيها من برد برداً ويجوز
أن تكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء
المظلة وفيها جبال من برد كما في الأرض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور
أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء
وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحاباً فإن لم يشتد البرد تقاطر مطراً وإن
اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجاً وإلا نزل برداً
وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً وينزل منه المطر أو الثلج
وكل ذلك لا بد وأن يستند إلى إرادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها الموجبة
لاختصاص الحوادث بمحالها وأوقاتها وإليه أشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه
عن من يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو
وبإدغام الدال في السين وبرقه بضم الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق
كالغرفة وبضمها للإتباع يذهب بالأبصار بأبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة
وذلك أقوى دليل على كمال القدرة من حيث إنه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب
على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة

أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك • إن في ذلك فيما
تقدم ذكره • لعبرة لأولي الأبصار • لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال
قدرته وإحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي إليها لمن يرجع إلى
بصيرة • والله خلق كل دابة • حيوان يدب على الأرض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل
دابة بالإضافة • من ماء • هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا
للغالب منزلة الكل إذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس
صلة لخلق • فمنهم من يمشي على بطنه • كالحية وإنما سمي الزحف مشيا على الاستعارة أو
المشاكلة • ومنهم من يمشي على رجلين • كالإنس والطير • ومنهم من يمشي على أربع • كالنعم و
الوحش ويندرج فيه ما له أكثر من أربع كالعناكب فإن اعتمادها إذا مشت على أربع
وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الأصناف بمن ليوافق التفصيل الجملة والترتيب
لتقديم ما هو أعرف في القدرة • يخلق الله ما يشاء • مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا
على اختلاف الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفعال مع
اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته • إن الله على كل شيء قدير • فيفعل ما يشاء • لقد أنزلنا آيات مبينات
للحقائق بأنواع الدلائل • والله يهدي من يشاء • بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها
إلى صراط مستقيم • هو دين الإسلام الموصل إلى درك الحق والفوز بالجنة • ويقولون آمنا
بالله وبالرسول • نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه إلى كعب بن الأشرف وهو
يدعوه إلى النبي عم وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا في أرض فأبى أن يحاكمه إلى رسول الله
وأطعنا • أي وأطعناهما • ثم يتولى • بالامتناع عن قبول حكمه • فريق منهم من بعد ذلك • بعد قولهم
هذا • وما أولئك بالمؤمنين • إشارة إلى القائلين بأسرهم فيكون إعلاما من الله بأن جميعهم وإن
آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم أو إلى الفريق منهم وسلب الإيمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه
للدلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الإيمان أو الثابتون عليه •
وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم • أي ليحكم النبي عم فإنه الحاكم ظاهرا والمدعو إليه
وذكر الله لتعظيمه • والدلالة على أن حكمه في الحقيقة حكم الله • إذا فريق منهم معرضون • فاجأ
فريق منهم الإعراض إذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم إلى صلة ليأتوا وهو شرح
للتولي ومبالغة فيه • وإن يكن لهم الحق • أي الحكم لا عليهم • يأتوا إليه مذعنين • منقادين
لعلمهم بأنه يحكم لهم وإلى صلة ليأتوا أو لمذعنين وتقديمه للاختصاص • أفي قلوبهم مرض •
كفر أو ميل إلى الظلم • أم ارتابوا • بأن رأوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك • أم يخافون
أن يحيف الله عليهم ورسوله • في الحكومة • بل أولئك هم الظالمون • إضراب عن القسمين الأخيرين
لتحقيق القسم الأول ووجه التقسيم أن امتناعهم إما لخلل فيهم أو في الحاكم والثاني إما
أن يكون محققا عندهم أو متوقعا وكلاهما باطل لأن منصب نبوته وفرط أمانته يمنعه فتعين
الأول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو
إلى حكمه • إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا
وأولئك هم المفلحون • على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد

إنكاره

بعد إنكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول وإسناده إلى
ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم • ومن يطع الله ورسوله • فيما يأمرانه أو في الفرائض
والسنن • ويخش الله • على ما صدر عنه من الذنوب • ويتقه • فيما بقي من عمره وقرأ
يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وأبو عمرو وأبو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون
القاف فشبه تقه بكتف وخفف • فأولئك هم الفائزون • بالنعيم المقيم • وأقسموا
بالله جهد أيمانهم • إنكار للامتناع عن حكمه • لئن أمرتهم • بالخروج عن ديارهم وأموالهم
ليخرجن • جواب لأقسموا على الحكاية • قل لا تقسموا • على الكذب • طاعة معروفة
أي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة أو طاعة معروفة أمثل
منها أو لتكن طاعة وقرئت بالنصب على أطيعوا طاعة • إن الله خبير بما تعملون • فلا
يخفى عليه سرائركم • قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول • أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به
على الحكاية مبالغة في تبكيتهم • فإن تولوا فإنما عليه • على محمد عم • ما حمل • من التبليغ
وعليكم ما حملتم • من الامتثال • وإن تطيعوه • في حكمه • تهتدوا • إلى الحق • وما على
الرسول إلا البلاغ المبين • التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى وإنما بقي ما
حملتم فإن أديتم فلكم وإن توليتم فعليكم • وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات • خطاب للرسول عم وللأمة أو له ولمن معه ومن للبيان • ليستخلفنهم
في الأرض • ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم
مضمر تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو الوعد في تحققه منزل منزلة القسم • كما
استخلف الذين من قبلهم • يعني بني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة • وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم • وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت • وليبدلنهم من بعد خوفهم
من الأعداء • أمنا • منهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين
خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله
وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة
للإخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين إذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه
لغيرهم بالإجماع وقيل الخوف من العذاب والأمن منه في الآخرة • يعبدونني • حال من الذين
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والأمن • لا يشركون
بي شيئا • حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين • ومن كفر • ومن ارتد أو كفر هذه النعمة • بعد
ذلك • بعد الوعد أو حصول الخلافة • فأولئك هم الفاسقون • الكاملون في فسقهم حيث
ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات أو كفروا تلك النعمة العظيمة • وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة وأطيعوا الرسول • في سائر ما أمركم به ولا يبعد عطف ذلك على أطيعوا الله فإن الفاصل
وعد على المأمور به فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول عم للتأكيد وتعليق الرحمة بها أو بالمندرجة
تحته بقوله • لعلكم ترحمون • كما علق به الهدى • لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض • لا
تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن إدراكهم وإهلاكهم وفي الأرض صلة معجزين وقرأ ابن عامر
وحمزة بالياء على أن الضمير فيه لمحمد والمعنى كما هو في القراءة بالتاء أو الذين كفروا فاعل

ولا يحسبن الكفار في الارض احدا معجزا لله فيكون في الارض مفعوليه او لا يحسبونهم
معجزين ومأواهم النار عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم
النار لأن المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى
الذي يصيرون اليه. يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة
الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام
وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء
غلب فيه الرجال لما روي ان غلاما لاسما بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت
وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر
فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى آباءنا و
ابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم
فوجده وقد انزلت هذه الآية. والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين
لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله. ثلث مرات
في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب
النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبرا لمحذوف اي
وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد
صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف. ثلث عورات لكم
اي هي ثلث عورات اي اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده
واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
بالنصب بدلا من ثلث مرات. ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات
في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان
والمماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين. طوافون عليكم اي هم طوافون
استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه
دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها عورات
بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض. كذلك مثل ذلك
التبيين يبين الله لكم الآيات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم في الاوقات كلها
واستدل به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون
الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم. كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم
كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان. والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن
عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن. فليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد
بمعنى اللاتي او لوصفها بها. غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه
في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة

لا غطاء

لا غطاء عليها والتبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب
منه شيء الا انه خص بكشف المرأة زينتها للرجال. وان يستعففن خير
لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة. والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا
يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح
ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك
من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم
كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او
قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن
لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده
ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل
فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب
ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه. او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت
اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او
ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به
وقرئ مفتاحه. او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضوا بالتبسط في اموالهم
واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا
صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان
في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية على ان لا قطع بسرقة مال المحرم. ليس عليكم
جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة
كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون
الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في القزازة و
النهمة. فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم
منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة
للتحية فانه طلب الحياة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم. مباركة
لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب. طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عم
قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر
خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين. كذلك يبين الله
لكم الآيات كرره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين
بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي
الحق والخير في الامور. انما المؤمنون الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله
ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد

والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر
جميع ● لم يذهبوا حتى يستأذنوه ● يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم و
اعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق
فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير
اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ● ان الذين يستأذنونك اولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله ● فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب
بغير اذن ليس كذلك ● فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ● ما يعرض لهم من المهام وفيه
ايضا مبالغة وتضييق للامر ● فأذن لمن شئت منهم ● تفويض للامر الى راى الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم واستدل به على ان بعض الاحكام مفوض الى رأيه ومن منع
ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا ●
واستغفر لهم الله ● بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا
على امر الدين ● ان الله غفور ● لفرطات العباد ● رحيم ● بالتيسير عليهم ● لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ● لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا
في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته
واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا
باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله
مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على
بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم
يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب ● قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ● يتسللون
قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل ● لواذا ● ملاوذة بان يستتر بعضهم
ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ
بالفتح ● فليحذر الذين يخالفون عن امره ● يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون
سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من
خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه و
الضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم فانه المقصود بالذكر ● ان تصيبهم
فتنة ● محنة في الدنيا ● او يصيبهم عذاب اليم ● في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب
فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل
على خشية المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب ● الا ان لله ما في السموات
والارض قد يعلم ما انتم عليه ● ايها المكلفون من الموافقة والمخالفة والنفاق والاخلاص
وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ● ويوم يرجعون اليه ● يوم يرجع المنافقون اليه
للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات ● فينبئهم بما
بما عملوا ● من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه ● والله بكل شيء عليم ● لا يخفى عليه
خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان

سورة الفرقان مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها سبع وسبعون آية

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ● تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد على
كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على
انزاله الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير
على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان
مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره
او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده
وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته لقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس
للكتب السماوية ● ليكون ● العبد او الفرقان ● للعالمين ● للجن والانس ● نذيرا ● منذرا او
انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت
مجرى المعلوم وجعلت صلة ● الذي له ملك السموات والارض ● بدل من الاول او مدح
مرفوع او منصوب ● ولم يتخذ ولدا ● كزعم النصارى ● ولم يكن له شريك في الملك ● كقول
الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل
عليه فقال ● وخلق كل شيء ● احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقة الانسان
من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة ● فقدره تقديرا ● فقدره وهيأه لما
اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير و
الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل
مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد
كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا ● واتخذوا من دونه آلهة ● لما تضمن
الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما ● لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون ● لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ● ولا يملكون لانفسهم ● ولا يستطيعون لانفسهم
ضرا ● دفع ضر ● ولا نفعا ● ولا جلب نفع ● ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا
ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية
لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث
والجزاء ● وقال الذين كفروا ان هذا الا افك ● كذب مصروف عن وجهه ● افتراه ● اختلقه
واعانه عليه قوم آخرون ● اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته
وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر ● فقد جاءوا ظلما ● بجعل الكلام
المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود ● وزورا ● بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء
يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته ● وقالوا اساطير الاولين ● ما سطره المتقدمون
اكتتبها ● كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها
كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل
وبني الفعل للضمير فاستتر فيه ● فهي تملى عليه بكرة واصيلا ● ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر
من الكتاب او ليكتب ● قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم بفصاحته

قوله وهذه الجملة جواب ما يقال ان صلة الموصول يجب ان تكون معلومة للمخاطب وليست هذه الجملة كذلك فكيف وقعت صلة

اي اشتقاق الخلق لان فيه معنى التقدير

عن احوالكم وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين • انه كان غفورا رحيما • فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا • وقالوا ما لهذا الرسول • ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم • يأكل الطعام • كما نأكل • ويمشي في الاسواق • لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد • لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا • لنعلم صدقه بتصديق الملك • او يلقى اليه كنز • فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش • او تكون له جنة يأكل منها • هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون • وقال الظالمون • وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا • ان تتبعون • ما تتبعون • الا رجلا مسحورا • سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا • انظر كيف ضربوا لك الامثال • اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة • فضلوا • عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء • فلا يستطيعون سبيلا • الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى • تبارك الذي ان شاء جعل لك • في الدنيا خيرا من ذلك • ويجعل لك قصورا • عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله • ولن اتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا غائب مالي ولا حرم • ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو • بل كذبوا بالساعة • فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال وطعنوا فيك بفقرك او ولذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او وكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد لك في الآخرة او فلا تعجب بتكذيبهم اياك فانه اعجب منه • واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا • نارا شديدة الاشتعال وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان • اذا رأتهم • اذا كانت بمرأى منهم كقوله عم لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الآخر على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم • من مكان بعيد • هو اقصى ما يمكن ان يرى منه • سمعوا لها تغيظا وزفيرا • صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف • واذا القوا منها مكانا • في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا • ضيقا • لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض • مقرنين • قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل • دعوا هنالك •

في ذلك المكان

في ذلك المكان • ثبورا • هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك • لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا • اي يقال لهم ذلك • وادعوا ثبورا كثيرا • لان عذابكم انواع كثيرة وكل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور • قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون • الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها او التمييز عن جنان الدنيا • كانت لهم • في علم الله او اللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع • جزاء • على اعمالهم بالوعد • ومصيرا • ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم • لهم فيها ما يشاؤن • ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة • خالدين • حال من احد ضمائرهم • كان على ربك وعدا مسؤلا • الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسؤلا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز • ويوم يحشرهم • للجزاء وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء • وما يعبدون من دون الله • يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل • فيقول • اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون • أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل • لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أاضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة • قالوا سبحانك • تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد • ما كان ينبغي لنا • ما يصح لنا • ان نتخذ من دونك من اولياء • للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي • ولكن متعتهم وآباءهم • بانواع النعم

فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك
والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل
الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا
في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع
او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام
على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة
او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي
كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما تستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء
على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي
يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا
هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم
وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف
لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون
حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
وقرئ يمشون اي يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة
ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم
العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلعم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل
على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما
افتتنوا به وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير
لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء
الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى
جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبرونا
بصدق محمد صلعم وقيل فيكونوا رسلا الينا او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه
لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حين ارادوا لها ما يتفق لافراد
من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم او ما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا
الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا
عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب
قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله
وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة
ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين
فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او ظرف لان

اوظرف

اوظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها
وللمجرمين اما عام يتناول حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى
لعامة المجرمين نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع
ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها
ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة
استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او
هجوم مكروه او تقولها الملائكة بمعنى حراما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا
بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك و
لذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم
من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو
شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم
الى اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء الغبار الذي يرى في شعاع
الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهو الغبار ومنثورا صفته شبه
عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه
او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد
الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه
في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح
بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك
غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره
من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم و
زمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا
او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم
فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويوم تشقق السماء واصله تتشقق
فحذفت التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع
الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام وهو الغمام بصحائف
اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزل ونزل الملائكة ونزل
الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل
يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك
لا الحق لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا
شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين والانامل
والسنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والم

بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعا
الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف
صديقه فعاتبه فقال صبات فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في
بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا قفاه و
تبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عم لا القاك خارجا
من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضه بقتله وطعن ابيا
في المبارزة فرجع الى مكة فمات • يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا • طريقا
الى النجاة او طريقا واحدا وهو الحق ولم يتشعب بي طرق الضلالة • يا ويلتى •
وقرئ بالياء على الاصل • ليتني لم اتخذ فلانا خليلا • يعني من اضله وفلان
كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس • لقد اضلني عن الذكر • عن ذكر
الله او كتابه او موعظة الرسول عم او كلمة الشهادة • بعد اذ جاءني • وتمكنت منه
وكان الشيطان • يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة
الرسول عم او كل من تشيطن من جن وانس • للانسان خذولا • يواليه حتى يؤديه
الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان • وقال الرسول • محمد عم
يومئذ او في الدنيا بثا الى الله • يا رب ان قومي • قريشا • اتخذوا هذا القرآن
مهجورا • بان تركوه وصدوا عنه وعنه عم من تعلم القرآن وعلق مصحفه
لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا واللغو فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير
الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود
والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا اشتكوا الى الله قومهم عجل لهم
العذاب • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين • كما جعلناه لك فاصبر كما
صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع • وكفى بربك
هاديا • الى طريق قهرهم • ونصيرا • لك عليهم • وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن • اي انزل كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله • جملة واحدة • دفعة واحدة كالكتب
الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع
ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله • كذلك لنثبت به فؤادك • اي كذلك انزلناه
مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود
وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي اليه جملة لتعيى بحفظه ولعله لم يستتب
له فان التلقف لا يتاتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع يوجب مزيد
بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن
معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به
فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القراين الحالية الى الدلالة
اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله

مفرقا

مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل ان يكون
من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة
واللام على الوجهين متعلق بمحذوف • ورتلناه ترتيلا • وقرأناه عليك شيئا
بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل
في الاسنان وهو تفليجها • ولا ياتونك بمثل • سؤال عجيب كانه مثل في البطلان
يريدون به القدح في نبوتك • الا جئناك بالحق • الدافع له في جوابه • واحسن تفسيرا •
وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم ولا ياتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت
هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت
له • الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم • اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة
قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عم يحشر الناس يوم القيمة
على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم
منصوب او مرفوع او مبتدا خبره • اولئك شر مكانا واضل سبيلا • والمفضل عليه
هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون
حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة • ولقد اتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا • يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي
ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه • فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا • يعني فرعون وقومه • باياتنا فدمرناهم تدميرا • اي فذهبا
اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها
وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب
باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة
وقوم نوح لما كذبوا الرسل • كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب
واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة • اغرقناهم • بالطوفان
وجعلناهم • وجعلنا اغراقهم او قصتهم • للناس اية • عبرة • واعتدنا للظالمين عذابا
اليما • يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم •
وعادا وثمود • عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا
الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة • واصحاب الرس • قوم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهي البئر الغير
المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها
بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا
فيها حبيب النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم
كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم

الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد
ولذلك سميت مغربا فدعا عليه حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا
وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بير. وقرونا واهلا اعصار قيل
القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون. بين ذلك اشارة الى ما ذكر
كثيرا لا يعلمها الا الله. وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين
انذارا او اعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال. وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا
ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني
بتبرنا لانه فارغ. ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام
على القرية التي امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة
افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من اثار عذاب الله تعالى. بل كانوا
لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا
فمروا بها كما مرت ركابهم او لا ياملون نشورا كما ياملة المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافون
على اللغة التهامية. واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزء
او مهزوا به. اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج
بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه
لقالوا اهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا. ان كاد انه كاد ليضلنا عن الهتنا
ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد
مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات. لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها
ولولا في مثله تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ. وسوف يعلمون حين
يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفيه ويلزمه ويكون
الموجبة وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم. ارايت من اتخذ الهه هواه
بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني
للعناية به. افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام
الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار. ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
فتجدي لهم الايات والحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى
حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من امن ومنهم من عقل الحق
وكابر استكبارا وخوفا من الرياسة. ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم
بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات. بل هم اضل
سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها
وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم
تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي

الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم
وهؤلاء مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم. الم تر الى ربك الم
تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم
اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على
الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف
بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس
وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن
الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود. ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا
من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد. ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا. فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد
ولا يتفاوت الا بسبب حركتها. ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشمس موقعه
لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف
قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به
ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحى الارض تحتها فالقت عليها
ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا
اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان تنتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا
عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها. وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره. والنوم سباتا راحة للابدان
بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه
قطع الحياة ومنه المسبوت للميت. وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه
الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج
للموت والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر. وهو الذي
ارسل الرياح وقرا ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس. بشرا ناشرات للسحاب جمع نشور
وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به
وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر. بين يدي رحمته يعني قدام المطر. وانزلنا
من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود
لما يتوضا به ويوقد به قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه
ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه
قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به
اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنا وانفع مما خالطه
ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك

احيي • لنحيي به بلدة ميتا • بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه
غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد • ونسقيه مما خلقنا
انعاما واناسي كثيرا • يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام
والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم
وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء
فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم
القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة
منافعهم وعلية معاشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما
قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى
واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او
انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء • ولقد صرفناه
بينهم • صرفنا هذا القول بين الناس في القران وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان
المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن
ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا
هذه الاية او في الانهار والمنابع • ليذكروا • ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة
وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم • فابى اكثر الناس
الا كفورا • الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا
بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها
من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى • ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا • نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك
وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في
الدعوة واظهار الحق • فلا تطع الكافرين • فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين
وجاهدهم به • بالقران او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى
انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم •
جهادا كبيرا • لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف
او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد
مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى • وهو الذي مرج البحرين • خلاهما متجاورين
متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها • هذا عذب فرات • قامع للعطش
من فرط عذوبته • وهذا ملح اجاج • بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله
مالح فخفف كبرد في بارد • وجعل بينهما برزخا • حاجزا من قدرته • وحجرا محجورا • وتنافرا
بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة
تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر
العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة

في الفصل

في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت
وتشابهت في الكيفية • وهو الذي خلق من الماء بشرا • يعني الذي خمر به طينة
ادم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة
او النطفة • فجعله نسبا وصهرا • اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله وجعل منه الزوجين الذكر والانثى • وكان ربك قديرا
حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله
قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى • ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم • يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل
بالنفع والضر • وكان الكافر على ربه ظهيرا • يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك
والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به
اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم • وما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا • للمؤمنين والكافرين • قل ما اسالكم عليه • على تبليغ الرسالة الذي يدل
عليه الا مبشرا ونذيرا • من اجر الا من شاء • الا فعل من شاء • ان يتخذ الى ربه سبيلا • ان
يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث
انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد
بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه و
اشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه
لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل • وتوكل على الحي الذي لا يموت • في استكفاء
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم
اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم • وسبح بحمده • ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه
باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه • وكفى به بذنوب عباده •
ما ظهر منها وما بطن • خبيرا • مطلعا • فلا عليك ان امنوا او كفروا • الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش • قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره
زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض
على الثبات والتاني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق
الاشياء على تؤدة وتدرج • الرحمن • خبر للذي ان جعلته مبتدا ولمحذوف ان جعلته
صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي • فاسال به خبيرا •
فاسال عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبرائيل
او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه
على الله فاسال عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا
يجوز ان يكون الرحمن مبتدا والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى
التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا • واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن • لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا

انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى
تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ
حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض
وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء
بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة
كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله
وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا
مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر
كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي
ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا
كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد
ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب
الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا
وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ
حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن
مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن
للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر
وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة
وتواضع وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة
لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا
ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم
في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان
العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر
اجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم
في عبادة الرحمن وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم
ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها
ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف وبه ترتبط الجملة باسم ان او احزنت
وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما [ثان لهم]
يحتملان الحكاية والابتداء من الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا
حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق
في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وابن عامر بضم الياء من اقتر و
قرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة

الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل
عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا
وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون
كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون
ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم
واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك
عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء
وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة
بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا
تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا
وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف
في يضعف وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب
مضاعفة العقوبات لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن
وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل
بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان
الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي
بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي و
دخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا
عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله يرجع الى الله الذي
يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم
بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون
محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى
ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه
ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح
به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ والقراءة لم يخروا عليها صما وعميانا
لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا
عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل
كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون
ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل
فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم
له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رأيت منك اسدا

وقرأ حمزة وابو عمرو والكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة
تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا
للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته
على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل
كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم
كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة
وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله وهم في الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء
الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل
المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة
ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت
مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربي
ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم
فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء
وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها
النصب على المصدر كانه قال اي عبء يعبؤ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث
خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ
فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم
من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم
لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه
على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ
لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي عم من قرأ سورة الفرقان
لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية

طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود
الى الياء المهرب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات
الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول
البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو
عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل
للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة
ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان
او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا
لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما

وصف الاعناق

وصف الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء
او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة
فظلت عطف على ننزل عطف فاكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح
وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه
محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين
الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد
اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا
في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة انباء ما
كانوا به يستهزؤن من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق
ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى
عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة
لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان يكون مقيدا لما يتضمن الدلالة على القدرة
وان يكون مبينا منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره
وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك اي انبات تلك الاصناف
او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة
وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات
العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم
او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر
او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل
وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان ولعل الاقتصار على
القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم
تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم
زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل
اليهم حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن
تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا
يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني فارسل الى هارون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه في الامر
على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان
بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة
الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى لا يختل دعوته ولا تبتر حجته
وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره
فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف منه
ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه

وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول لولا اخرتني الى اجل قريب غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وقرئ واكن بالنصب عطفا على موضع الفاء وما بعده لان لولا اخرتني بمعنى ان اخرتني

آت ائت

استعباد

ذنبا علي زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع • فاخاف ان يقتلون
به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما
ان ذلك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله • قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة
له الي الطلبتين بوعده للدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال
والخطاب في فاذهبا علي تغليب الحاضر لانه معطوف علي الفعل الذي يدل عليه كلا
كانه قيل ارتدع يا موسي عما تظن فاذهب انت والذي طلبته • انا معكم يعني موسي
وهرون وفرعون • مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه
مثل نفسه تعالي بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد الاولياء
منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعني الاصغاء
للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده
ومعكم لغو • فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين • افرد الرسول لانه مصدر
وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا ارسلتهم برسول • ولذلك ثني تارة وافرد اخرى اولان حكمهما لتساندهما واخوتهما
لوحدة المرسل والمرسل به اولانه اراد ان كل واحد منا • ان ارسل معنا بني اسرائيل
اي ارسل لتضمن الرسول معني الارسال المتضمن معني القول والمراد خلهم يذهبوا
معنا الي الشام • قال اي فرعون لموسي بعدما اتياه فقالا له ذلك • الم نربك
فينا • في منازلنا • وليدا • طفلا سمي به لقربه من الولادة • ولبثت فينا من عمرك سنين
قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الي مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الي الله
ثلثين ثم بقي بعد الغرق خمسين • وفعلت فعلتك التي فعلت • يعني قتل القبطي وبخه
به معظما اياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز
وانت من الكافرين • بنعمتي حتي عمدت الي قتل خواصي او ممن تكفرهم الان فانه كان
يعايشهم بالتقية فهو حال من احدي الضميرين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه
من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم
قال فعلتها اذا وانا من الضالين • من الجاهلين بانه يبلغ القتل والمعني من الفاعلين فعل
اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به
التاديب او الناسين من قوله ان تضل احديهما • ففررت منكم لما خفتكم فوهب
لي ربي حكما • حكمة • وجعلني من المرسلين • رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما
عدد عليه من النعمة لكونه مسببا عنها فقال • وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل
اي وتلك التربية نعمة تمنها علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم
بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة
الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر
محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الي
حصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعني تعبيدك بني اسرائيل نعمة

تمنها علي

جوابه

تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف
والفرار منه ومن ملائه • قال فرعون وما رب العالمين • لما سمع جواب ما طعن به فيه
ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار
عن حقيقة المرسل • قال رب السموات والارض وما بينهما • عرفه باظهر خواصه وآثاره
لما امتنع تعريف الا فراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم
موقنين • اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة
ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ
لا بد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد
الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه
الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب
في ذاته • قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سالته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم
انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها
الي مؤثر • قال ربكم ورب ابائكم الاولين • عدولا الي ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في
افتقاره الي مصور حكيم ويكون اقرب الي الناظر واوضح عند التامل • قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون • اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما • تشاهدون كل يوم انه ياتي بالشمس من المشرق
ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور
الكائنات • ان كنتم تعقلون • ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم
اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم • قال لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين • عدولا الي التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع
وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع
وان تعجيبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الي غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من
ملك قطرا او تولي امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد
اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك
جعل ابلغ من لاسجننك • قال اولو جئتك بشيء مبين • افتفعل ذلك ولو جئتك بشيء
مبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته
والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعال •
قال فات به ان كنت من الصادقين • في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة
لا بد له من حجة • فالقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان
من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر • ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
روي ان فرعون لما رأى الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال فما فيها
فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق
قال للملا حوله • مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال • ان هذا لساحر

هذا جواب لوجه قوله ان كنتم موقنين
وفي بعض ان كنتم تعقلون بعد لا لان موسى لم
اولا وخاطبهم بالرفق حيث لم يخاطبهم اولا
بابويهم انهم مسلوبون عن العقل بل خاطبهم
بابويهم انهم مسلوبون اليقين وجه الرفق ان
سلب اليقين لا يستلزم سلب العقل والتميز

مطلب بيان سني موسى

فائق في علم السحر • يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون • بهره سلطان
المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مخاطبة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى
واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه • قالوا ارجه واخاه • اخر امرهما وقيل
احبسهما • وابعث في المدائن حاشرين • شرطا يحشرون السحرة • يأتوك بكل ساحر
عليم • يفضلون عليك في هذا الفن وامالها ابن عامر وابو عمرو والكسائي وقرئ بكل سحار
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم • لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم
الزينة • وقيل للناس هل انتم مجتمعون • استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم
اليه كقول تأبط شرا • هل انت باعث دينار لحاجتنا • او عبد رب اخا عون بن مخراق
اي ابعث احدهما الينا سريعا • لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين • لعلنا نتبعهم
في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي
ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم
لم يتبعوا موسى • فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين • التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذ
على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم وهما لغتان • قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون • اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر
والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق • فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون • اقسموا بعزته على ان الغلبة
لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر •
فالقى السحرة موسى عصاه فاذا هي تلقف • تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف
ما يافكون • ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم
انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة • فالقي السحرة ساجدين
لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق
يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشا
كل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم فكانهم اخذوا وطرحوا
على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق • قالوا آمنا برب العالمين
بدل عن الاول بدل الاشتمال او حال باضمار قد • رب موسى وهرون • ابدال للتوضيح ودفع
التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما • قال آمنتم له قبل ان آذن لكم
انه لكبيركم الذي علمكم السحر • فعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم او فواعدكم ذلك
وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا على بصيرة وظهور
حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح ءآمنتم بهمزتين • فلسوف تعلمون
وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين • بيان له
قالوا لا ضير • لا ضرر علينا في ذلك • انا الى ربنا منقلبون • بما توعدنا به فان الصبر عليه
محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها

انا نطمع

انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا • لان كنا • اول المؤمنين • من اتباع فرعون
او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ
ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك
فلا تنس حقي • واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي • وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم
يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ نافع وابن كثير
ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير • انكم متبعون • يتبعكم
فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان
لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر
فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم • فاغرقهم • فارسل فرعون • حين اخبر بسراهم • في المدائن
حاشرين • العساكر ليتبعوهم • ان هؤلاء لشرذمة قليلون • على ارادة القول وانما استقلهم
وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته
والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم
اسباط كل سبط منهم قليل • وانهم لنا لغائظون • لفاعلون ما يغيظنا • وانا لجميع حاذرون
وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم
من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا
عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون
حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا
من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء قال احب
الصبي السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر • او تاموا السلاح فان
ذلك يوجب حدارة في اجسامهم • فاخرجناهم • بان خلقنا داعية الخروج بهذا
السبب فحملتهم عليه • من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم • يعني المنازل الحسنة والمجالس
البهية • كذلك • مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم
على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف • واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم
وقرئ فاتبعوهم • مشرقين • داخلين في وقت شروق الشمس • فلما تراءى الجمعان • تقاربا
بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان • قال اصحاب موسى انا لمدركون
لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على
ايديهم • قال كلا • لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم • ان معي ربي • بالحفظ والنصرة
سيهدين • طريق النجاة منهم • روي ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت
فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع •
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر • القلزم او النيل • فانفلق • اي فضرب
فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك • فكان كل فرق كالطود العظيم • كالجبل
المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب • وازلفنا • وقربنا • ثم الآخرين
فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم • وانجينا موسى ومن معه اجمعين •

بحفظ البحر على هيئته حتى عبروا • ثم أغرقنا الآخرين • بإطباقه عليهم • إن في ذلك
لآية أية آية • وما كان أكثرهم مؤمنين • وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط
وبنو إسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة • وإن ربك لهو العزيز المنتقم من أعدائه • الرحيم بأوليائه • واتل عليهم على مشركي
العرب • نبأ إبراهيم • إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون • سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق
العبادة • قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين • فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا
وافتخارا ونظل هاهنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل • قال هل يسمعونكم
يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة إذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم أي يسمعونكم
الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها • أو ينفعونكم
على عبادتكم لها • أو يضرون • من أعرض عنها • قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون • أضربوا عن
أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجؤوا إلى التقليد • قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون
أنتم وآباؤكم الأقدمون • فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا • فإنهم عدو
لي يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو
أن المغري بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الأمر في نفسه تعريضا لهم فإنه
أنفع في النصح من التصريح وإشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول
وأفرد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب • إلا رب العالمين • استثناء منقطع أو متصل
على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله • الذي خلقني فهو يهدين • فإنه
يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة
من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة
إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة
والتنعم بلذائذها والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ وللعطف إن جعل صفة رب
العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية • وقوله • والذي هو يطعمني
ويسقين • على الأول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير
الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحد من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم • وإذا مرضت
فهو يشفين • عطف على يطعمني ويسقين لأنه من روادفهما من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب
يتبعان المأكول والمشروب وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض بنسبة الإماتة
إليه فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه وإنما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم إنه لأهل
الكمال وصلة إلى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبلية
ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط الإنسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الأخلاط
والأركان من التنافي والتباين والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال
المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم • والذي يميتني ثم يحيين • في الآخرة • والذي
أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين • ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للأمة أن يجتنبوا المعاصي
ويكونوا على حذر وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم أو استغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر

وحمل

وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث إني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي أختي ضعيف لأنها معاريض
وليست خطايا • رب هب لي حكما • كمالا في العلم والعمل أستعد به خلافة الحق ورياسة
الخلق • وألحقني بالصالحين • ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح
الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره • واجعل لي لسان صدق في الآخرين • جاها
وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له ومثنون عليه
أو صادقا من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه وهو محمد ﷺ • واجعلني
من ورثة جنة النعيم • في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها • واغفر لأبي • بالهداية والتوفيق
للإيمان • إنه كان من الضالين • طريق الحق وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه
أنه كان يخفي الإيمان تقية من نمرود ولذلك وعده به أو لأنه لم يمنع بعد من الاستغفار
للكفار • ولا تخزني • بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث أو بتعذيبي
لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين
وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء • يوم يبعثون • الضمير للعباد لأنهم
معلومون أو للضالين • يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم • إلا
حال من أتى الله بقلب سليم عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته أو لا ينفعان إلا
مال من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر وأرشد بنيه إلى الحق وحثهم
على الخير وقصد بهم أن يكونوا عبادا لله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء
مما دل عليه المال والبنون أي لا ينفع غنى إلا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة
من أتى الله بقلب سليم تنفعه • وأزلفت الجنة للمتقين • بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون
بأنهم المحشورون إليها • وبرزت الجحيم للغاوين • فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم
المسوقون إليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد • وقيل لهم أين ما كنتم
تعبدون من دون الله • أين آلهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم • هل ينصرونكم بدفع
العذاب عنكم • أو ينتصرون • بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال
فكبكبوا فيها هم والغاوون • أي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن
من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها • وجنود إبليس • متبعوه
من عصاة الثقلين أو شياطينه • أجمعون • تأكيد للجنود إن جعل مبتدأ خبره ما بعده
وإلا فللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود إليه في قوله • قالوا وهم فيها
يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين • على أن الله تعالى ينطق الأصنام فيخاصم العبدة
ويؤيده الخطاب في قوله • إذ نسويكم برب العالمين • أي في استحقاق العبادة ويجوز
أن يكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى
أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها
وما أضلنا إلا المجرمون • فما لنا من شافعين • كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء • ولا صديق
حميم • إذ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا
صديق ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق

وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الصديق
الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاقه على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين
والصهيل • فلو ان لنا كرة • تمنّ للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير
او شرط حذف جوابه • فنكون من المؤمنين • جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر
فنكون • ان في ذلك • فيما ذكر من قصة ابراهيم • لآية • لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها
ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها
من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته
معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل
الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول • وما كان اكثرهم
اكثر قومه مؤمنين به • وان ربك لهو العزيز • القادر على تعجيل الانتقام • الرحيم • بالامهال
لكي يؤمنوا هم او واحد من ذريتهم • كذبت قوم نوح المرسلين • القوم مؤنثة ولذلك
تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين • اذ قال لهم اخوهم نوح • لانه كان
منهم • الا تتقون • فتتركوا عبادة غيره • اني لكم رسول امين • مشهور بالامانة فيكم
فاتقوا الله واطيعون • فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله • وما اسألكم عليه • على ما
انا عليه من الدعاء والنصح • من اجر ان اجري الا على رب العالمين • فاتقوا الله واطيعون
كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما
يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء في
اجري في الكلمات الخمس • قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون • الاقلون جاها ومالا جمع
الارذل على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او
تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية
حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه
دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع
مال ورفعة فلذلك قال • وما علمي بما كانوا يعملون • انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما
علي الا اعتبار الظاهر • ان حسابهم الا على ربي • ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه
المطلع عليها • لو تشعرون • لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون • وما انا
بطارد المؤمنين • جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه
حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله • ان انا الا نذير مبين • كالعلة له اي ما انا الا رجل
مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق
طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح
فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم • قالوا لئن لم تنته يا نوح • عما تقول • لتكونن من المرجومين
من المشتومين او المضروبين بالحجارة • قال رب ان قومي كذبون • اظهار بما يدعو عليهم لاجله
وهو تكذيب الحق لا تخوفهم له واستخفافهم عليه • فافتح بيني وبينهم فتحا • فاحكم بيني
وبينهم من الفتاحة • ونجني ومن معي من المؤمنين • من قصدهم او شؤم عملهم • فانجيناه

ومعه

ومن بعد في الفلك المشحون • المملوء • ثم اغرقنا بعد • بعد انجائه • الباقين • من قومه
ان في ذلك لآية • شاعت وتواترت • وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت عاد المرسلين • انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم • اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين • تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء
الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء
متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض
الدنيوية • اتبنون بكل ريع • بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها • آية • علما للمارة
تعبثون • ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوها عبثا او بروج
الحمام او بناء يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها • وتتخذون
مصانع • مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا • لعلكم تخلدون • فتحكمون بنيانها
واذا بطشتم • بسوط او سيف • بطشتم جبارين • متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد
تأديب ونظر في العاقبة • فاتقوا الله • بترك هذه الاشياء • واطيعون • فيما ادعوكم اليه فانه
انفع لكم • واتقوا الذي امدكم بما تعلمون • كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع
النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع
ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون
مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال • امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون • ثم
اوعدهم فقال • اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم • في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على
الانعام قدر على الانتقام • قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين • فانا لا نرعوي
عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه •
ان هذا الا خلق الاولين • ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا
خلقهم نحيى ونموت ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين
وما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن فيه من
الدين الا خلق الاولين وعاداتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت
الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها • وما نحن بمعذبين • على ما نحن عليه • فكذبوه فاهلكناهم
بسبب التكذيب بريح صرصر • ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين • فاتقوا الله
واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين • اتتركون فيما ههنا
آمنين • انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم
آمنين ثم فسره بقوله • في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم • لطيف لين
للطف الثمر او لان النخل اناث وطلع اناث النخل الطف وهو الطلع يطلع منها
كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله
على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار • وتنحتون من الجبال بيوتا
فارهين • بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط

وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ • فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين •
استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا •
الذين يفسدون في الارض • وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون
على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم • قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا حتى
غلب على عقولهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون • ما انت الا بشر مثلنا
تأكيدا له • فات باية ان كنت من الصادقين في دعواك • قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها
الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها • لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت
للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم • ولكم شرب يوم معلوم • فاقتصروا على شربكم
ولا تزاحموها في شربها • ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر • فيأخذكم عذاب يوم عظيم
عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب • فعقروها • اسند العقر الى كلهم لان
عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك اخذوا جميعا • فاصبحوا نادمين على عقرها
خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم • فاخذهم
العذاب اي العذاب الموعود • ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا
بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من امن منهم • كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين • اتاتون الذكران من العالمين • اي اتاتون
من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون الذكران من اولاد
آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول
كل من ينكح وعلى الثاني الناس • وتذرون ما خلق لكم ربكم • لاجل استمتاعكم • من ازواجكم
تبيان لما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون
تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا • بل انتم قوم عادون • متجاوزون
عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا
من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة • قالوا لئن لم
تنته يا لوط • عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا • لتكونن من المخرجين • من المنفيين من بين
اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال • قال اني لعملكم من القالين
من المبغضين غاية البغض كانه يقلي الفؤاد والكبد وهو ابلغ من ان يقول اني
لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم • رب نجني واهلي
مما يعملون • اي من شؤمه وعذابه • فنجيناه واهله اجمعين • اهل بيته والمتبعين على دينه
باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم • الا عجوزا • هي امرأة لوط • في الغابرين • مقدرة
في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية
بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت في القرية فانها لم تخرج مع لوط • ثم دمرنا الآخرين • اهلكناهم
وامطرنا عليهم مطرا • قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم • فساء مطر المنذرين

اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم
محذوف وهو مطرهم • ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم • كذب اصحاب الايكة المرسلين • الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة
بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك
قال • اذ قال لهم شعيب الا تتقون • ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة الشجر الملتف وكان
شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهو اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الالف
اتباعا للفظ • اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين • اوفوا الكيل [illegible] • اتموه • ولا تكونوا من
المخسرين • حقوق الناس بالتطفيف • وزنوا بالقسطاس المستقيم • بالميزان السوي
وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف • ولا تبخسوا الناس اشياءهم • ولا
تنقصوا شيئا من حقوقهم • ولا تعثوا في الارض مفسدين • بالقتل والغارة
وقطع الطريق • واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين • وذوي الجبلة
الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق • قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر
مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه
وان نظنك لمن الكاذبين • في دعواك • فاسقط علينا كسفا من السماء • قطعة
منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين
ان كنت من الصادقين • في دعواك • قال ربي اعلم بما تعملون • وبما تستوجبون به فينزل عليكم
ما وجب لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة • فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
على ما اقترحوا بان سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم السحابة
فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا • انه كان عذاب يوم عظيم • ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم • هذا آخر القصص
السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم و
تهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به و
اقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات
فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم • وانه لتنزيل رب العالمين نزل به
الروح الامين على قلبك • تقرير لحقيقة تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن
ونبوة محمد عم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله والقلب
ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية
انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد
منه الى الدماغ فينتقش بها اللوح المتخيلة والروح الامين جبريل عم فانه
امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب

الروح الأمين • لتكون من المنذرين • عما يؤدي إلى العذاب من فعل أو ترك • بلسان عربي مبين • واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهم فهو متعلق بنزل ويجوز أن يتعلق بالمنذرين أي لتكون من الذين أنذروا بلغة العرب وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام • وإنه لفي زبر الأولين • وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة • أولم يكن لهم آية • على صحة القرآن أو نبوة محمد عم • أن يعلمه علماء بني إسرائيل • أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل أو الفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال أو أن الاسم ضمير القصة وآية خبر أن يعلمه والجملة خبر تكن • ولو نزلناه على بعض الأعجمين • كما هو زيادة في إعجازه أو بلغة العجم • فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين • لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والأعجمين جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة • كذلك سلكناه • أدخلناه • في قلوب المجرمين • والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فيدل الآية على أنه بخلق الله وقيل للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا • لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم • الملجئ إلى الإيمان • فيأتيهم بغتة • في الدنيا والآخرة • وهم لا يشعرون • بإتيانه • فيقولوا هل نحن منظرون • تحسرا وتأسفا • أفبعذابنا يستعجلون • فيقولون أمطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة • أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون • لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه • وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون • أنذروا أهلها إلزاما للحجة • ذكرى • تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار أو الرفع على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة أو خبر محذوف والجملة اعتراضية • وما كنا ظالمين • فنهلك غير الظالمين وقبل الإنذار • وما تنزلت به الشياطين • كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة • وما ينبغي لهم • وما يصح لهم أن ينزلوا به • وما يستطيعون • وما يقدرون • إنهم عن السمع • لكلام الملائكة • لمعزولون • لأنه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة • فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين • تهييج لازدياد الإخلاص ولطف لسائر المكلفين • وأنذر عشيرتك الأقربين • الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم روي أنه لما نزل صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا إليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد • واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين • لين جانبك مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض على أن المراد من المؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان • فإن عصوك • ولم يتبعوك • فقل إني بريء مما تعملون • مما تعملونه أو من أعمالكم • وتوكل على العزيز الرحيم • الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الإبدال من جواب الشرط • الذي يراك حين تقوم • إلى التهجد • وتقلبك في الساجدين • وترددك في تصفح أحوال المتهجدين كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت

الزنابير

الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا أممتهم وإنما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد أن وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه • إنه هو السميع • بما تقوله • العليم • بما تنويه • هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم • لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن بين أن محمدا لا يصح أن يتنزلوا عليه من وجهين أحدهما أنه إنما يكون على شرير كذاب كثير الإثم فإن اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد على خلاف ذلك وثانيهما قوله • يلقون السمع وأكثرهم كاذبون • أي الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها الواقع كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الأكثر بالكل لقوله كل أفاك أثيم والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين أي يلقون السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن يرجموا فيختطفون منهم بعض الغيبات ويوحون به إلى أوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم • والشعراء يتبعهم الغاوون • وأتباع محمد ليسوا كذلك وهو استئناف أبطل كونه شاعرا وقرره بقوله • ألم تر أنهم في كل واد يهيمون • لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه وإليه أشار بقوله • وأنهم يقولون ما لا يفعلون • وكأنه لما كان إعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزل به الشياطين وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعضه بعضد • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا • استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عم يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك أنه عم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل • وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون • تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم وفي أي منقلب ينقلبون أي بعد الموت من الإبهام والتهويل وقد تلاه أبو بكر لعمر حين عهد إليه وقرئ أي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي عم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذبه وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عم

سورة النمل مكية وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين • إشارة إلى آي السورة والكتاب

لبينا ما في اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظر فيه وتأخيره باعتبار تعلق
علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام
او لصحتها باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم
وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه • هدى وبشرى للمؤمنين
حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او لمحذوف • الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة • الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة • وهم بالآخرة
هم يوقنون • من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم
وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون و
يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق
على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص • ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم • زين اعمالهم
القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات
عليها • فهم يعمهون • عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع • اولئك الذين لهم سوء العذاب • كالقتل و
الاسر يوم بدر • وهم في الآخرة هم الاخسرون • اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق
العقوبة • وانك لتلقى القرآن • لتؤتاه • من لدن حكيم عليم • اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع
ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن
منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات
ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله • اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا • اي اذكر قصته
اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم • سآتيكم منها بخبر • اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع
الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة
او الوعد بالاتيان وان ابطأ • او آتيكم بشهاب قبس • شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه
لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له
لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه
والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله
انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده • لعلكم تصطلون • رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء
النار العظيمة • فلما جاءها نودي ان بورك • اي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك
على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف
لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة • من في النار ومن حولها • من في مكان النار وهو البقعة
المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها
والظاهر انه عام في كل من في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء
وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة
الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام
وسبحان الله رب العالمين • من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة
ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته • يا موسى انه انا الله • الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له

او للمتكلم

او للمتكلم وانا خبره والله بيانه • العزيز الحكيم • صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي
القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير • والق عصاك • عطف
على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك
بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان • فلما رآها تهتز • تتحرك باضطراب • كانها جان • حية
خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين • ولى مدبرا ولم يعقب • ولم
يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه • يا موسى لا تخف
من غيره ثقة بي او مطلقا لقوله • اني لا يخاف لدي المرسلون • حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق
فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه • الا من ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم • استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف
عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله
مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على
محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة • وادخل يدك في جيبك • لانه كان مدرعة صوف لا كم
لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع • تخرج بيضاء من غير سوء • آفة كبرص • في تسع آيات
في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين
واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال
فيتعلق به • الى فرعون وقومه • وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا • انهم كانوا قوما
فاسقين • تعليل للارسال • فلما جاءتهم آياتنا • بان جاءهم موسى بها • مبصرة • بينة اسم
فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما
يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا يهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر
اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر • قالوا هذا سحر مبين • واضح سحريته • وجحدوا
بها • وكذبوا بها • واستيقنتها انفسهم • وقد استيقنتها انفسهم لان الواو للحال • ظلما
لانفسهم • وعلوا • ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا • فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين • وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة • ولقد آتينا داود وسليمان علما
طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم • وقالا الحمد لله • عطفه بالواو اشعارا
بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا
الحمد لله • الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين • يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل
على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما
اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما اتاه من فضله وان
يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير • وورث سليمان داود • النبوة
او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر • وقال يا ايها
الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء • تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس
الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق

في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه
او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث
انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها
ما من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي
توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يتصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا
العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ
بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له
وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان
يقصده كل احد ويعلم كل شيء • ان هذا لهو الفضل المبين • الذي لا يخفى على احد • وحشر
وجمع • لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون • يحبسون بحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحقوا • حتى اذا اتوا على واد النمل • واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان
اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كأنهم
ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي • قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم • كأنها لما
رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت
بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم
مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق • لا يحطمنكم سليمان وجنوده • نهي لهم عن الحطم
والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر
لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة • وهم لا يشعرون • انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم
يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استيناف اي فهم سليمان والقوم
لا يشعرون • فتبسم ضاحكا من قولها • تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها
او سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره • وقال رب
اوزعني ان اشكر نعمتك • اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث
لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني • التي انعمت علي وعلى والدي • ادرج فيه
ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما
سيما الدينية • وان اعمل صالحا ترضاه • اتماما للشكر واستدامة للنعمة • وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين • في عدادهم الجنة • وتفقد الطير • وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد • فقال ما لي لا ارى
الهدهد ام كان من الغائبين • ام منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره
فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب
كأنه يسأل عن صحة ما لاح له • لاعذبنه عذابا شديدا • كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث
النمل تأكله او جعله مع ضده في قفص • او لاذبحنه • ليعتبر به ابناء جنسه • او ليأتيني بسلطان
مبين • بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك
وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير او ليأتينني بنونين
الاولى مفتوحة مشددة • فمكث غير بعيد • زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه

خوفا منه

خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف • فقال احطت بما لم تحط به • يعني حال سبأ وفي مخاطبته
اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه
ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق • وجئتك
من سبإ • وقرأ ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير منصرف على تأويل القبيلة او البلدة
بنبإ يقين • بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به
ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهرا فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها
ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحس الماء تحت الارض فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق
حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم
رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء
اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها • اني وجدت امرأة تملكهم • يعني بلقيس بنت
شراحيل بن مالك الريان والضمير لسبإ او لاهلها • واوتيت من كل شيء • يحتاج اليه الملوك
ولها عرش عظيم • عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين
عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر • وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله • كأنهم كانوا يعبدونها • وزين لهم الشيطان اعمالهم • عبادة الشمس وغيرها
من مقابح افعالهم • فصدهم عن السبيل • سبيل الحق والصواب • فهم لا يهتدون • الا يسجدوا
لله • اي فصدهم لئلا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى
ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه
محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله • وقالت الا يا اسمع نعظك بخطة • فقلت سميعا فانطق واصب
وعلى هذا صح ان يكون استينافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون فيكون امرا بالسجود
وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا
بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب • الذي يخرج الخبء في السموات والارض
ويعلم ما تخفون وما تعلنون • وصفه بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة
والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم
اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل
والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ
حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء • الله لا اله الا هو رب العرش العظيم • الذي هو اول
الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم • قال سننظر • سنعرف من النظر بمعنى
التأمل • اصدقت ام كنت من الكاذبين • اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل
اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم • ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه • فانظر
ماذا يرجعون • ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول • قالت • اي بعد ما القي اليها • يا ايها الملأ اني
القي الي كتاب كريم • لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية
في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به • انه من سليمان
استيناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من سليمان

وانه بسم الله الرحمن الرحيم • الا تعلوا علي • ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف
اي هو او المصدر ان لا تعلوا او بدل من كتاب • واتوني مسلمين • مؤمنين فانه وان كان هذا
كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع
وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام
الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون
استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة • قالت يا ايها الملأ
افتوني في امري • اجيبوني في امري الفتوى واذكروا ما تستصوبون فيه • ما كنت قاطعة امرا
ما ابت امرا حتى تشهدون • الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالؤها على الاجابة • قالوا
نحن اولوا قوة • بالاجساد والعدد • واولوا بأس شديد • نجدة وشجاعة • والامر اليك
موكول • فانظري ماذا تأمرين • من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك • قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها • تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية
والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد
ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها • وجعلوا اعزة اهلها
اذلة • بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر • وكذلك يفعلون • تأكيد لما
وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله • واني
مرسلة اليهم بهدية • بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه
بها عن ملكي • فناظرة بم يرجع المرسلون • من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر
بن عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه
درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة
ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظم شأنه تقاصرت اليهم
نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبرائيل بالحال طلب الحق واخبر بما فيه فامر الارضة
فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا
بالماء وكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام
كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية • فلما جاء سليمان • اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ
فلما جاءوا • قال اتمدونن بمال • خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب
وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء • فما اتاني
الله • من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه • خير مما اتاكم • فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها
عندي • بل انتم بهديتكم تفرحون • لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم
حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال
عليه وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها
ارجع • ايها الرسول • اليهم • الى بلقيس وقومها • فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها • لا طاقة لهم بمقاومتها
ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم • ولنخرجنهم منها • من سبأ • اذلة • بذهاب ما كانوا فيه من العز
وهم صاغرون • اسراء مهانون • قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها • اراد بذلك ان يريها

بعض

بعض ما خصه الله تعالى من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها
بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره • قبل ان يأتوني مسلمين • فانها اذا اتت مسلمة لم يحل
الا برضاها • قال عفريت • خبيث مارد • من الجن • بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر العفر وقرئ
وكان اسمه ذكوان او صخرا • انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك • من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف
النهار • واني عليه • على حمله • لقوي امين • لا اختزل منه شيئا ولا ابدله • قال الذي عنده علم من الكتاب
آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبرائيل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك
للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في • انا آتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك • للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحدى اولا ثم
اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة
او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع
موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله • وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر • وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك
نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه • فلما
رآه • اي العرش • مستقرا عنده • حاصلا بين يديه • قال • تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين
من عباد الله • هذا من فضل ربي • تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضاره
في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آية الاسراء
ليبلوني أأشكر • بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه • ام اكفر • بان
اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء • ومن شكر
فانما يشكر لنفسه • لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها
عن وصمة الكفران • ومن كفر فان ربي غني • عن شكره • كريم • بالانعام عليه ثانيا • قال نكروا لها
عرشها • بتغيير هيئته وشكله • ننظر • جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف • اتهتدي ام
تكون من الذين لا يهتدون • الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله
اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس • فلما جاءت قيل
اهكذا عرشك • تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل •
قالت كأنه هو • ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها • واوتينا العلم من قبلها
وكنا مسلمين • من تتمة كلامها كأنها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت
اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل
انه من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله
حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر
عليها غير الله ولا تظهر الا على يد الانبياء او اوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده
قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك
شكرا له • وصدها ما كانت تعبد من دون الله • اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام
او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان • انها كانت من قوم كافرين • وقرئ بالفتح على الابدال

رفاعا صعد على الدرج او صعد نسوتها بين الظهر الخمار او لتعلقه له • قيل لها ادخلي الصرح
القصر وقيل عرصة الدار • فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها • روي انه امر قبل قدومها
فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوان البحر ووضع سريره في
صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل
سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤوق واسؤق • قال انه انه صرح ممرد مملس
من قوارير من الزجاج • قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت
انه يغرقها في اللجة • واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف
في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان • ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا
الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء • فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا
التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين • قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا • قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول
العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا • لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم
ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ • قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد
او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم • قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله
وهو قدره او عملكم المكتوب عنده • بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء
والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه • وكان في المدينة
تسعة رهط • تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة
او السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة • يفسدون في الارض ولا يصلحون اي
شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح • قالوا اي قال بعضهم لبعض • تقاسموا بالله امر
مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد • لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر
ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث • لوليه • لولي دمه • ما شهدنا مهلك اهله • فضلا ان تولينا
اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء
مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا • وانا لصادقون • ونحلف انا لصادقون
او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا
مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين • ومكروا مكرا بهذه المواضعة
ومكرنا مكرا • بان جعلناها سببا لاهلاكهم • وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح
في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث
فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك
الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه بقوله • فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم و
قومهم اجمعين • وكان ان جعلتها ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استيناف او خبر محذوف لا خبر
كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا بالفتح على انه خبر
محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال • فتلك بيوتهم خاوية • خالية من خوى البطن اذا خلا

[illegible]

او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف • بما ظلموا • بسبب ظلمهم • ان
في ذلك لآية لقوم يعلمون • فيتعظون • وانجينا الذين آمنوا • صالحا
ومن معه • وكانوا يتقون • الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة • ولوطا
واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه • اذ قال لقومه
بدل على الاول ظرف على الثاني • اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون
تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها
بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش • ائنكم لتأتون
الرجال شهوة • بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه
والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر • من دون
النساء • اللاتي خلقن لذلك • بل انتم قوم تجهلون • تفعلون فعل من يجهل
قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء
فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب • فما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون • يتنزهون عن
افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا • فانجيناه واهله الا امرأته
قدرناها من الغابرين • قدرنا كونها من الباقين في العذاب • وامطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين • مر مثله • قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى • امر رسوله من بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته
وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى
بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلم ما جهل
من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا
بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش
والنجاة من الهلاك • آلله خير اما تشركون • الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه
لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من
هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء • امن • بل امن
خلق السموات والارض • التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ
امن بالتخفيف على انه بدل من الله • وانزل لكم • لاجلكم • من السماء ماء فانبتنا
به حدائق ذات بهجة • عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص
الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع
المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها • شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو
الاحاطة • أإله مع الله • أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد
بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل أتدعون او أتشركون

ولتوسيط مثله بين الجملتين واخراج الثانية بين بين. بل هم قوم يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد. امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق
السموات وجعلها قرارا ابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى
استقرار الانسان والدواب عليها. وجعل خلالها وسطها. انهارا
جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها
المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم
حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان. أاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فيشركون به. امن يجيب المضطر اذا دعاه. المضطر الذي احوجه
شدة ما به الى اللجاء الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام
فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر. ويكشف السوء
ويدفع عن الانسان ما يسوءه. ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان
ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم. أاله مع الله الذي خصكم بهذه
النعم العامة والخاصة. قليلا ما تذكرون اي تذكرون آلاءه تذكرا
قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ
ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال
امن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض في الظلمات
ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق
يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها. ومن يرسل الرياح بشرا بين
يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح
معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها
وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلة والقابلية لذلك من خلق الله
تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب. أاله مع الله يقدر على مثل ذلك
تعالى الله عما يشركون. تعالى الله القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق
امن يبدأ الخلق ثم يعيده. والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون
بالحجج الدالة عليها. ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية
وارضية. أاله مع الله يفعل ذلك. قل هاتوا برهانكم. على ان غيره يقدر
على شيء من ذلك. ان كنتم صادقين. في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم
الالوهية. قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله. لما بين
اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو
التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية
للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب
مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض
من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي

العلم

العلم من خلقه وهو موصول او موصوف. وما يشعرون ايان
يبعثون. متى ينشرون مركبة من اي وان وقرئت بكسر الهمزة والضمير
لمن وقيل للكفرة. بل ادارك علمهم في الآخرة. لما نفى عنهم علم الغيب واكد
ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان
ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيمة كائنة
لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي. بل هم في شك منها. كمن تحير في امر لا يجد عليه
دليلا. بل هم منها عمون. لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا
وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما
يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل
الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم
في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادارك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة
لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك
بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل
وقرئ ءادرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك
وبلى آادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمن من
ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك
على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة
على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار
لشعورهم. وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون. كالبيان
لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون
لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة
في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة
وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي اننا
لمخرجون على الخبر. لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل. من قبل وعد
محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث
وحيث اخر فالمقصود به المبعوث. ان هذا الا اساطير الاولين.
التي هي كالاسمار. قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين
قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم. ولا
تحزن عليهم. على تكذيبهم واعراضهم. ولا تكن في ضيق. في حرج صدر
وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق. مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس. ويقولون متى هذا الوعد العذاب

الموعود. ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام
مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه. بعض الذى تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر
وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها اظهارا
لوقارهم واشعارا بان الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد
الله ووعيده. وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على
المعاصى والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل
ولكن اكثرهم لا يشكرون. لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه
بل يستعجلون بجهلهم وقوعه. وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه
وقرئ بفتح التاء من كننت اى سترت. وما يعلنون من عداوتك
فيجازيهم عليه. وما من غائبة فى السموات والارض خافية فيهما وهما
من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما فى الراوية او اسمان
لما يغيب ويخفى كالتاء فى عافية وعاقبة. الا فى كتاب مبين. بين
او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة
ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون.
كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح. وانه لهدى
ورحمة للمومنين. فانهم المنتفعون به. ان ربك يقضى بينهم بين
بنى اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ
بحكمه. وهو العزيز فلا يرد قضاؤه. العليم بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه
فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم. انك على الحق المبين. وصاحب الحق
حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره. انك لا تسمع الموتى تعليل اخر للامر
بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وانما
شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى
قوله. ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين. فان اسماعهم فى هذه
الحالة ابعد وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم. وما انت بهادى العمى عن
ضلالتهم. حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرا حمزة وما انت تهدى
العمى. ان تسمع اى ما يجدى اسماعك. الا من يومن باياتنا. من هو فى
علم الله كذلك. فهم مسلمون. مخلصون من اسلم وجهه لله. واذا وقع
القول عليهم. اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث
والعذاب. اخرجنا لهم دابة من الارض. وهى الجساسة روى ان طولها
ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب
ولا يدركها طالب وروى انه صلى الله عليه وسلم سئل من اين تخرج فقال
من اعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام. تكلمهم. من الكلام وقيل

من الكلم

من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم
سليمان عليهما السلام فتنكت بالعصا فى مسجد المومن نكتة بيضاء
فيبيض وجهه وبالخاتم فى انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه
ان الناس كانوا باياتنا. خروجها وسائر احوالها فانها من ايات
الله وقيل القران وقرا الكوفيون ان الناس بالفتح. لا يوقنون
لا يتيقنون وهى حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها
او كلامها على حذف الجار وقرا الكوفيون ان بالكسر. ويوم نحشر
من كل امة فوجا. يعنى يوم القيمة. ممن يكذب باياتنا. بيان للفوج
اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبى واهل كل
قرن شامل للمصدقين والمكذبين. فهم يوزعون. يحبس اولهم على
اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم
حتى اذا جاؤا الى المحشر. قال اكذبتم باياتى ولم تحيطوا بها علما. الواو
للحال اى اكذبتم بها بادى الراى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها
وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اى اجمعتم بين
التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها. اما ذا كنتم تعملون.
ام اى شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير
التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك. ووقع
القول عليهم. حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار بعد ذلك
بما ظلموا. بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله. فهم لا ينطقون.
باعتذار لشغلهم بالعذاب. الم يروا. ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم
الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص
غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال
الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة فى
مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب
معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم فى معاشهم ومعادهم
انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه. بالنوم والقرار. والنهار مبصرا. فان
اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها
بحيث لا ينفك عنها. ان فى ذلك لايات لقوم يومنون. لدلالتها
على الامور الثلثة. ويوم ينفخ فى الصور. فى القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق. ففزع من فى السموات
ومن فى الارض. من الهول وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه. الا من شاء
الله. ان لا يفزع بان يثبت الله قلبه قيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل

موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف
بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على
الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ
دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر
السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت
واحد لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون
الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه
على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم
عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس
والباقي بالفاني وسبعمائة بواحد وقيل خير منها اي خير حاصل
من جهتها وهو الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون
بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ امنون يعني به خوف
عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من
الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرا الكوفيون بالتنوين
لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن يتعدى بالجار
وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله وقرا الكوفيون ونافع يومئذ
بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت
وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه
انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم هل تجزون
الا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار القول اي قيل لهم ذلك
انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر الرسول صلى الله
عليه وسلم بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدا والمعاد وشرح احوال
القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال
بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة
تشريف لها وتعظيم لشانها وفي الذي حرمها وله كل شيء خلقا وملكا
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام
وان اتلو القران وان اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته
شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه
اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل
بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا علي من وباله شيء اذ ما
على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على
ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر
وخروج دابة الارض او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله

فلكن

ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا
ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب
عليهم السلام ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله سورة القصص
مكية وقيل الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان
وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين
نتلو عليك نقراه بقراءة جبرئيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا
من نبا موسى وفرعون بعض نباهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم
يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف
يبين ذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا
يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه
استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا
عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل
جعل او صفة شيعا او استئناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي
اي يستبقي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد
مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه
فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين
فلذلك اجترا على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من
باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث
انهما واقعان تفسيرا للنبا او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة
الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة
به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة
الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين
في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن
لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا
يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم
وهلاكهم على يد مولود منهم وقرا حمزة والكسائي ويرى بالياء وفرعون
وهامان وجنودهما بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا
ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه
في اليم في البحر يريد به النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني

لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من
المرسلين روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات
بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى عليه السلام على الارض
هالها نور بين عينيه فارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها
بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون
في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا
فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض
الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس
ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل
بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على ايديهم
فالجملة اعتراض لتاكيد خطأهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ
خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ وقالت امرأة
فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك
هو قرة عين لنا لانهما لما راياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت
لها ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان
فلطخت برصها بريقه فبرأت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال
لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم
عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رات من نور
بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا
او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة
والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطأ في التقاطه او في طمع النفع
منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون
انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل
لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى
وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم
دماؤهم بينهم فرغ اي هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او سماعها
ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى
اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها
بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين
بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة في جار الواو
مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب

لولا

لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره
وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب
وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه
المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو
الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصصها اثره فقالت
هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون
في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه
واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون
فامرها فرعون بان تاتي بمن تكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون
يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها من انت
منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن
لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها
من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن
بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك
وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد
فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك
من ثلاثين الى الاربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث
نبي الا على راس الاربعين واستوى قده او عقله آتيناه حكما
اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه
فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه استنباه
بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى
وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا
من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين
غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل
كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين
يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على
دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة
على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فسأله
ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه فوكزه
موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره
فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه
ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار

أو لأنه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته
لكونه خطأ وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم
في استعظام محقرات فرطت منهم إنه عدو مضل مبين ظاهر العداوة
قال رب إني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره إنه
هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما أنعمت علي قسم محذوف
الجواب أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة وغيرها لأتوبن فلن أكون ظهيرا
للمجرمين أو استعطاف أي بحق إنعامك علي اعصمني فلن أكون معينا
لمن أدت معاونته إلى جرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لم يستثن
فابتلي به مرة أخرى وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أولياءك
فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك فأصبح في المدينة خائفا يترقب
يترصد الاستقادة فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه يستغيثه
مشتق من الصراخ قال له موسى إنك لغوي مبين بين الغواية لأنك
تسببت بقتل رجل وتقاتل آخر فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما
لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل
قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا قاله الإسرائيلي لأنه لما سماه
غويا ظن أنه يبطش عليه أو القبطي فكأنه توهم من قوله أنه الذي قتل
القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي إن تريد ما تريد إلا أن تكون جبارا
في الأرض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد أن تكون
من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن ولما قال هذا
انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل
فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى
يسرع صفة لرجل أو حال منه إذا جعل من أقصى المدينة صفة له لا صلة
لجاء لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك يتشاورون بسببك وإنما سمي التشاور ائتمارا لأن كلا من
المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج إني لك من الناصحين اللام للبيان
وليس صلة للناصحين لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها
من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين
خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين
قرية شعيب سميت باسم مدين بن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان
بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل توكلا
على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فأخذ
في أوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في الآخرين ولما ورد ماء مدين
وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها أمة

من الناس

من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان
أسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان أغنامهما عن الماء لئلا تختلط
بأغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر
الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف
المفعول لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه إلى السقي لهما ثم
دونه وقرأ أبو عمرو وابن عامر يصدر أي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو
اسم جمع كالرخال وأبونا شيخ كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا
اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على
رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر فأقله وحده مع ما كان به
من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر أخرى عليها صخرة فرفعها
واستقى منها ثم تولى إلى الظل قال رب إني لما أنزلت إلي لأي شيء
أنزلت من خير قليل أو كثير وحمله الأكثرون على الطعام فقير محتاج سائل
ولذلك عدي باللام وقيل معناه إني لما أنزلت إلي من خير الدين صرت
فقيرا في الدنيا لأنه كان في سعة عند فرعون والغرض منه إظهار التبجح
والشكر على ذلك فجاءته إحداهما تمشي على استحياء أي مستحيية متخفرة قيل
كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء أو صفراء وهي التي تزوجها
موسى قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا جزاء
سقيك لنا ولعل موسى عليه السلام إنما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر
بمعرفته لا طمعا في الأجر بل روي أنه لما جاءه قدم إليه طعاما فامتنع عنه وقال
إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل
بنا هذا وإن من فعل معروفا فأهدي بشيء لم يحرم أخذه فلما جاءه وقص عليه
القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت
إحداهما يعني التي استدعته يا أبت استأجره لرعي الغنم إن خير من استأجرت
القوي الأمين تعليل شائع يجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة
فيه جعل خيرا اسما لأن وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب
معروف روي أن شعيبا قال لها وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت إقلال
الحجر وأنه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه قال إني أريد
أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني أي تأجر نفسك مني أو تكون
لي أجيرا أو تثيبني من أجرك الله ثماني حجج ظرف على الأولين ومفعول به على
الثالث بإضمار مضاف أي رعية ثماني حجج فإن أتممت عشرا عمل عشر حجج
فمن عندك فإتمامه من عندك تفضلا لا من عندي إلزاما عليك وهذا استدعاء
العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة ومهر آخر أو رعية الأجل الأول ووعد
له أن يوفي الأخير إن تيسر له قبل العقد وكانت الأغنام للمزوجة مع أنه يمكن

اختلاف الشرايع في ذلك وما اريد ان اشق عليك الزام اتمام العشر
او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من
الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورايك في مزاولته
ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء
بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قايم بيننا
لا يخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا
عدوان علي لا يعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على
العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه
كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء
من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله تنظرت
نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واي الاجلين ما قضيت
فتكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان
بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى
الاجل وسار باهله بامراته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك
عنده عشرا اخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي
تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق
او جذوة عود غليظ سواء كان في راسه نار او لم يكن قال كثير باتت حواطب
ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار
جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرا عاصم
بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما
اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى
في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ
بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا
الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في
المقصود وان الق عصاك فلما راها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا
واهتزت فلما راها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى
مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل
ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك
يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك
يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد
اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكرير الغرض آخر وهو ان يكون
ذلك في وجه العدو اظهار جراة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم
التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه

اذا خاف

اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب
اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرا حفص بالفتح
وبالسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير
وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا
جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمراة
البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله
معي ردا معينا وهو في الاصل اسم لما يعان به كالدفء وقرا نافع ردا بالتخفيف
يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون
ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره
وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرا عاصم وحمزة
يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك
باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك
يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة
فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا
باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم او
قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغا
لبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى
الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه
لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء
كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا
الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرا ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا
لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما
فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة
فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى
الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض
وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون
بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملا
ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده
ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع

على الحال بقوله فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع
الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه
ثم قال وانى لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبنى له رصدا يترصد منه
اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة
وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات
ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية
فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم
الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه
يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى
وسط الكلام واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق بغير استحقاق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح اليا
وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم كما مر بيانه وفيه فخامة
وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للماخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم فى
كف وطرحهم فى اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد صلى الله عليه وسلم
كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة
للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها
من الكفر والمعاصى ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم
فى هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون
ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد
آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام
نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوارا لقلوبهم يتبصر بها
الحقايق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرايع التى هى سبيل الله
ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على
حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب
الغربى يريد الوادى او الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى
او الجانب الغربى منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او ما كنت
حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذى اردنا تعريفه
وما كنت من الشاهدين للوحى اليه او على الوحى اليه وهم السبعون المختارون
للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن
المغيبات التى لا تعرف الا بالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا
انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اى ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا

قرونا

قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت
الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما
كنت ثاويا مقيما فى اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم
تعلما منهم آياتنا التى فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية
وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران فى القصة ولكن رحمة من
ربك ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما
متعلق بالفعل المحذوف ما اتيهم من نذير من قبلك لوقوعهم فى فترة
بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على
ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل وما حواليهم لعلهم
يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية
واقعة فى سياقها لانها تما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا
المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول
هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم
حتى يلجاهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم
عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا
آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اى انما ارسلناك قطعا
لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع آياتك يعنى الرسول المصدق بنوع من
المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى
مثل ما اوتى موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا
اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل يعنى ابناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم
كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون
موسى وهرون او موسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين تظاهرا
تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران
بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة
على سبيل المجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اى بكل
منهما او بكل الانبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل
على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين
موسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه اتبعه ان كنتم صادقين انا
ساحران مختلقان وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل
مجئ حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان
بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه

الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله
وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما
يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه
استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتأكيد او التقييد
فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم
القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتتقرر
الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون
فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلثون
جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن
كالمستكن في به واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله انه الحق
من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين
استيناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما
هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين
الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة
اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن
بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول
وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة
السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
متاركة لهم وتوديع او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين
لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله
في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم
بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه
لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره
ان يقال خرع عند الموت اي ضعف وجبن وقالوا ان نتبع الهدى معك
نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان
اتبعناك وخالفنا العرب انما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا
فرد الله تعالى عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل مكانهم حرما

ذا امن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى
اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات
كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا واذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام
فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد
ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل
انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق
من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى
يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس
فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من
قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن
وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك
مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة
يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم
وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر
متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك
زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت
معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث
في امها في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلوا
عليهم آياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها
ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية
وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة
وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو
خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا
حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه
لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى
السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر
بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين
للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن عامر
في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه
الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم
عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم
تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام

عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو
قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا
هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول
اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف
للدلالة على انهم غووا باختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا
ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة
على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم
ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت
عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما
كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا من
عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا
لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا
يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب
وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم
الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدي
اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر
الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى
استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل
يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الامر الى علم الله
تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء
فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة
او العلم بانه مثله فمن تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان
والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة
الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار
لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير و
ظاهره نفي الاختيار عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد
مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس
لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل
في قولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصول مفعول
ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي
الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار
عما يشركون من اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم

كعداوة

كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه
وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد
في الاولى والاخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون
في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم
القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالنشور قل ارايتم ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم
دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول
الافق الغائر من اله غير الله ياتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن
على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون
سماع تدبر واستبصار قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى
يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق
من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشتغال
ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود
بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك
قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل
من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب
ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم
يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع
للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير
فساد رايهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض
تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد
عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون
به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل
عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان
قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي
او كان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت
امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني
اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون
الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال
المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح
به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولي

القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى
اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ
لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب
بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها
والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة
لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه
انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا
من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ
فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود
منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك
من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن
الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر
والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض بامر يكون
علة للظلم نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين
لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي فضلت به على الناس
واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال
وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة
وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته
كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك
من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره
بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ
التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده
مثل ذلك العلم الذي ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها
او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك
من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم
بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه
في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من
ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على
ما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله
لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا
العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى
ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما

فيها

فيها ولا يلقاها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة
او للجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون
على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي
موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه
عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني
اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى
خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه
فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت انا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك
فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي
قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحي اليه
ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه
فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت
به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه
ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو
اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره واموالها فما كان له من
فئة اعوان منتقمة من فاوت رأسها ذا فئة ينصرونه من دون الله
يدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم
نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه
منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة تقتضي البسط
ولا لهوان يوجب القبض وويكان عند البصريين مركب من وي للتعجب
وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى
ويلك وان تقديره ويك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا
ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله وقرأ حفص
بفتح الخاء والسين ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله
وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كأنه قال
تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد
فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة
فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد
السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل
واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن

اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اى معاد هو
المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على انه من
العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد
المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ
جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت قل ربى اعلم من جاء
بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو
فى ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين
وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اى
سنردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه
رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القى اليك الكتاب
الا رحمة اى لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة
الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك
وقرئ يصدنك من اصده وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن
من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع
اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه الا ذاته
فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ فى الخلق
واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص كان
له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض
الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون
آية بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل
استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين
الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما
كقوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير
مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم
هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين
لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات
ووظائف الطاعات وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من
المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات
فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب
روى انها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمار قد
عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رماه عامر بن الحضرمى
بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامراته ولقد فتنا الذين من قبلهم
متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها

فلا ينبغى ان يتوقع خلافها فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان
والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى
وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس
او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب
الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب
والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم
وهو ساد مسد مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا
الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اى بئس الذى
يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو
لقاء الله فى الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة
من الموت والبعث والجزاء والحساب على تمثيل حاله بحال عبد قدم
على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه
ببشر لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت
المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا
لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا
وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد
نفسه بالصبر على مضض الطاعات والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه
لان منفعته لها ان الله لغنى عن العالمين فلا حاجة به الى طاعاتهم وانما
كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم
احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه
حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى
مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن بوالديك حسنا
وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى وقلنا اولهما
او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ
حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم بالهيته عبر عن
نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم
بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق
فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الى مرجعكم مرجع من
آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء
عليه والآية نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه
حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام

كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى
انبياء الله المرسلين او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول امنا
بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس
ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر
ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا
فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين
ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق
وليعلمن الله الذين امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل
خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم
بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد
بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم و
كذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى
للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن
اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها
لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من
تبعهم شيء وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون
من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما بعد البعث اذ روي انه بعث على راس اربعين ودعا
قومه تسعمائة وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه
العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب
منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من
القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد من الكفرة
واختلاف المميزين لما في التكرار من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان
الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر
فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه
وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث
وجعلناها اي السفينة او الحادثة اية للعالمين يتعظون ويستدلون
بها وابرهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير
ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه
حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل
الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون

الخير

الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم
دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون
كذبا في تسميتها الهة وادعاء شفاعتها عند الله او وتعملونها وتنحتونها للافك
وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون
من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب
او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا
يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره
للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له
متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين
للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبوني
فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم
حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ
المبين الذي يزول معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالاية
وما بعدها من قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل ان تكون
اعتراضا بذكر شان النبي صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد
على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية
الرسول صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان
ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال
ابرهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرا
حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدا ثم يعيده اخبار
بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير
واقعة عليه ويجوز ان تؤول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة
السابقة من النبات والثمار ونحوها ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة
الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء
قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد صلى الله عليهما وسلم
فانظروا كيف بدا الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشاة
الاخرة بعد النشاة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشاتان
من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع
ايقاعه مبتدا بعد اضماره في بدا والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان
المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له
بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرا ابن كثير وابو
عمرو النشاءة كالرافة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة

ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى
يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون
وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه
بالتوارى في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء او القلاع
الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله
منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم
عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا
بايات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا
من رحمتي اى ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة
او يئسوا في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم
فما كان جواب قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا
ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضى به
الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اى فقذفوه في النار فانجاه
منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لايات هى
حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض
مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اى لتتوادوا
بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولى اتخذتم محذوف
ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة
اى اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر
منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس
مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اى هى مودة او سبب مودة
بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد
محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم
كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين
الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ومأويكم النار
وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فامن له لوط هو ابن اخته واول من امن
به وقيل انه امن به حين راى النار لم تحرقه وقال انى مهاجر من قومى
الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم
الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع
لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين
ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس

ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته
النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة
واتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية
الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة
عليه اخر الدهر وانه في الاخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح
ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون
الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص
بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام
في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لفاحشتها
من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى
اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل
وتتعرضون بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق
او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث
وتأتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادى الا لما فيه اهله
المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح وعدم مبالاة
بها وقيل الخذف بالحصى والرمي بالبنادق فما كان جواب قومه الا
ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك
او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال
العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم
وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء
بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة
بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة
لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم
باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها
لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع
وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه و
جواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او بتأقيت الاهلاك
باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت من
الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء
بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان
صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم
وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه

بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع
قالوا لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك
الا امرأتك كانت من الغابرين وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه
ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جر على
المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب
من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها آية بينة هي حكايتها الشائعة او آثار
الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها
المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو
متعلق بتركنا او آية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم
الآخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء
بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة
الشديدة وقيل صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في
دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب
ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار اذكروا او فعل دل عليه ما قبله مثل
اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تأويل القبيلة
وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة
مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر
والمعاصي فصدهم عن السبيل السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق
بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوف
على عاد او تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امرنا من سبق طالبه اذا فاته
فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة
كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا
كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم
فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض
للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا
ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك
اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله
بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع

والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب
وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت
اوهى واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا
ان هذا مثلهم وان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت
العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد
به في الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء على اضمار
القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان وعاصم بالياء حملا على ما قبله
وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين
او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء مصدر
او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على
الاول تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم
تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا
شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم
واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم
وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من
افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون
الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلوة والسلام انه تلا هذه الآية فقال
العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات
والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها
افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك
لآية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله
بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد
ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال
بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روي
ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه
فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما
عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة
على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم
بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا
بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم

الجزء الحادي والعشرون

والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه
وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم
بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او
بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو
من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل
الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم
تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر
الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله
بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها
الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد
لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما اشار
اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا
الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم
خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد
اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه
من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد
من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف
ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات
في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون
الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها
وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى
عليهم السلام وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل انما الايات
عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين
ليس من شأني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات اولم يكفهم آية مغنية
عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم يدوم تلاوته عليهم متحدين
به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الايات او يتلى عليهم يعني
اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك في ذلك
الكتاب الذي هو اية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى
لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من

من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما تقوله اليهود
فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم
فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات
او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت
يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين آمنوا بالباطل
وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم
امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم
العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند
نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم
لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن
لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا
بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل
كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول
الله او بعض ملائكته بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون
ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة
فاياي فاعبدون اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار
دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم من فر
بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق
ابرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام والفاء جواب شرط محذوف
اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها
في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء
ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي
وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب
غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف المؤقت
بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ
فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية
المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون
ولا يتوكلون الا على الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها
او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع
ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم

الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسببها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة
فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت
وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر المسؤل عنهما اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب
انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده
بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون
الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون
على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء
عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا
به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها
اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من
ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار
حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه
ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه
الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة الا
لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة
ثم يتفرقون متعبين وان الدار الاخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع
طريان الموت عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيى سمي به
ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما
في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها
ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة
فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم
اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا في البحر دعوا الله مخلصين
له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون
الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون فاجاؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام
فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم
على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة
ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف
يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا
حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل
والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب
حوله في تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون بعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها

مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون
حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق
المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب
بالحق لما جاءه يعني الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا
ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس
في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي
الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا
بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى
للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلق
المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا
سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير
وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة
قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية الا قوله
فسبحان الله وهي ستون او تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت
الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او
في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم
من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب
سيغلبون في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات
وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ
الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل
الكتاب ونحن وفارس اميون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن
عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله
ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت
اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد
منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر
الخطر من ورثته الى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به
واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه
كان قبل تحريم القمار والاية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ

غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام
والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون
وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر
من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن
بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي اول الامر حين غلبوا
وحين يغلبون ليس شيء منها الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من
غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا ويومئذ ويوم
يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه
من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم
في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين
باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء
فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر
عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان
ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون وعده ولا صحته لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة التي
هي غايتها والمقصودة منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثاني تكرير للاول
او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر الاول وهو على الوجهين مناد على تمكن
غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون
تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض
ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها
وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك
نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج
لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر
الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم او لم يحدثوا التفكر فيها او لم يتفكروا
في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي
له في الممكنات باسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على
ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول
او علم محذوف يدل الكلام عليه واجل مسمى ينتهي عنده ولا يبقى بعده
وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى
او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الاخرة
لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى اثار المدمرين قبلهم كانوا اشد

اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوها وجها لاستنباط المياه
واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض
اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع
لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون
بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط
على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء
ملجؤن الى واد لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات
الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من
غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم
ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة
السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك
عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث اسوأ كالحسنى او مصدر
كالبشرى نعت به ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل
او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى
ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات
واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها
والخبر محذوف للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت
مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون
عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله
يبدؤا الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب
للمبالغة في المقصود وقرأ ابو عمرو وعاصم برواية ابي بكر وروح بالياء على الاصل ويوم
تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس
اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس للتي لا ترغو وقرئ
بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله
شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم
كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم
وكتب في المصحف شفعؤا وعلمؤا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف
اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت
له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب
محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر

تنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد
فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه
واستحقاق الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح
بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد
بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي
هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على
حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء
وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك
زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي
وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه
عليه الصلوة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله
حين تمسون الآية وعنه عليه الصلوة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله
حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين
يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون
فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر
من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة بالموت
وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج
تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرأ حمزة والكسائي
بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانسان لانه خلق
اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض
ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم و
سائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر
لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف
سبب للتنافر وجعل بينكم اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة
ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان نظما
لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج
الى التوادد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله
ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم
ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف
لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا
تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده
او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز و

والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية
لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين
لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده
قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم
من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية
وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين
الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص
باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان
في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة
ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان
اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق
كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا
من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل
يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة
خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما
للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد
فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة
الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته
لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر
للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كأنه قيل ومن آياته
قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة
فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق
ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع
على دعائه وثم اما لتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا
كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل
فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى
وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون
عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة
اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما
عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون

أو لأن الإعادة بمعنى أن يعيد وله المثل الأعلى الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة
والحكمة التامة ومن فسره بقوله لا إله إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية
الأعلى الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه في السموات والأرض يصف
به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن
وإعادته الحكيم الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من أنفسكم
منتزعا من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من
مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الأموال وغيرها فأنتم فيه سواء تكونون
أنتم وهم شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم وأنها معارة لكم
ومن الأولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي تخافونهم أن يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم أنفسكم
كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات
نبينها فإن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في تدبر الأمثال بل اتبع الذين ظلموا بالإشراك أهواءهم بغير علم
جاهلين لا يكفهم شيء فإن العالم إذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي
من أضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من
الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها فأقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير
ملتفت أو ملتفت عنه وهو تمثيل للإقبال والاستقامة عليه والاهتمام به
فطرة الله خلقته نصب على الإغراء أو المصدر لما دل عليه ما بعدها التي فطر
الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو ملة الإسلام
فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وقيل العهد المأخوذ من آدم
وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر أحد أن يغيره أو ما ينبغي أن يغير ذلك
إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة إن فسرت بالملة الدين
القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم
تدبرهم منيبين إليه راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقيل
منقطعين إليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله
أو في أقم لأن الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والأمة لقوله واتقوه
وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين غير أنها صدرت بخطاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم
اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا
بمعنى تركوا دينهم الذي أمروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل إمامها الذي
أضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بأنه الحق ويجوز أن
يجعل فرحون صفة كل على أن الخبر من الذين فرقوا وإذا مس الناس ضر
شدة دعوا ربهم منيبين إليه راجعين إليه من دعاء غيره ثم إذا أذاقهم

منه رحمة خلاصا من تلك الشدة إذا فريق منهم بربهم يشركون فاجأ فريق منهم
بالإشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل
للأمر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير أنه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا
فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على أن تمتعوا ماض أم أنزلنا عليهم
سلطانا حجة وقيل ذا سلطان أي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله
كتابنا ينطق عليكم بالحق أو نطق بما كانوا به يشركون بإشراكهم وصحته أو بالأمر
الذي بسببه يشركون في ألوهيته وإذا أذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة
فرحوا بها بطروا بسببها وإن تصبهم سيئة شدة بما قدمت أيديهم بشؤم
معاصيهم إذا هم يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته وقرأ أبو عمرو والكسائي
بكسر النون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا
ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ٥ يحتسبوا
فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج
به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن
السبيل ما وظف لهما من الزكاة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لمن
بسط له ولذلك رتبه على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله
ذاته أو جهته أو يقصدون بمعروفهم إياه خالصا أو جهة التقرب إليه لا جهة
أخرى وأولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا
زيادة محرمة في المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير بالقصر
بمعنى ما جئتم به من إعطاء ربا ليربو في أموال الناس ليزيد ويزكو في أموالهم
فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب
لتربوا أي لتزيدوا أو لتصيروا ذا ربا وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله
تبتغون به وجهه خالصا فأولئك هم المضعفون ذوو الأضعاف
من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار أو الذين
ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن
المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب الملائكة
وخواص الخلق تعريفا لحالهم أو للتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فأولئك
هم المضعفون والراجع منه محذوف إن جعلت ما موصولة تقديره
المضعفون به أو فمؤتوه أولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم
رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء أثبت
له لوازم الألوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الأصنام وغيرها
مؤكدا بالإنكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم
استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى
عما يشركون ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط

من ذلكم لانه بعض من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم
في جنسي الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة
بالتاكيد لتعجيز الشركاء وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر
كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات
وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ
والبحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل
ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل
سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الآخرة
واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم
يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف
للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك
في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ
الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله
من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله
لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون
فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار
المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم
الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء
المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه
لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص
الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله
دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب
عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب
فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على
ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل
الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها و
العطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل
باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة
البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان

وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث
جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلوة والسلام ما من امرئ مسلم
يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف
على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا ومطبقا وغير مطبق
من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر
بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر
يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم
واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر
من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم
وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى آثار رحمة
الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة
والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى
ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى
لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى
كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن
المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت
من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته
الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا فراوا الاثر او
الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا
لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده
يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات
ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم
وسوء رايهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه
بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا
الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار
وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك
لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء
اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان
لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة
ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود
الحقيقي من الابصار او لعمي قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم
يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان

وقرأ حمزة وحده تهدي العمي

فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتدأكم ضعفاء وجعل ضعفاء
الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف وهو
النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح
ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد
في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير
لان المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وشبيبة
وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم
والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة
من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة
يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث
وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل
للساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم
في الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا
يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة
والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح
او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا
عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في
النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه
اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ
الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد
فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم
من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته
اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم
فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة
وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب
او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم
ولئن جئتهم باية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة
قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك
الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات
اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على
اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا
يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم

فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ
ولا يستحقنك اي لا يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله
بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية وقيل الا
آية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو
ضعيف لانه ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام وهي اربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات
الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان عن الآيات والعامل
فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاثة
من شعبه لفضل اعتدادها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني به كالاحاديث التي لا اصل
لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة
بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اريد به الاعم
وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها
قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث
رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة
من اراد الاسلام ويمنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال
ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا اي
ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا
على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه
واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كان لم يسمعها مشابها حاله
حال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقلا لا يقدر ان يسمع
والاولى حال من المستكن في ولى او في مستكبرا والثانية بدل منها او حال من
المستكن في لم يسمعها ويجوز ان تكونا استئنافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان
العذاب يحيق به لا محالة وقرأ نافع في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين
فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا
مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس
كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده
الحكيم الذي لا يفعل الا ما يستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استئناف

قد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم
فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها
لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا
من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل
بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد
وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي
ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع
بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب
عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني
لقمان بن باعورا من اولاد آزر بن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك
داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم
يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن
حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها
لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود
عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود
فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى
باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما
ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا
ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها
ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود
نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان
وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني لا تشرك بالله باسكان
الياء وقنبل يا بني اقم الصلوة باسكان الياء وحفص فيهما وفي يا بني انها
ان تك بفتح الياء والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر الياء
لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله
قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه وبين من لا نعمة منه
ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن
اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع
الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله
في عامين وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله

فصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك
تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال
في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه الصلوة
والسلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك
الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس
لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا
تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم
واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي
مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما
على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من
النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في
ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان
يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت
لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب الي ابو بكر رضي الله عنه
فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من
الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال
على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة
او في السموات او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب
السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا
استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى
كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن
المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك
اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه
قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا
عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك
كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ
نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل
علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال
او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي
وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤوس الآي
واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلوة والسلام
سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها كان عمر اذا مشى اسرع

فالمراد بيت المتفاوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية
واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت
الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي
تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكر دون الاحاد او لانه مصدر في الاصل
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعلها اسبابا محصلة لمنافعكم وما
في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير وسط واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة
وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع
الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرا نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع
والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد
من دليل ولا هدى راجع الى رسول صلى الله عليه وسلم ولا كتاب منير انزله الله
بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل
ان يكون الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك
وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم
وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون
ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن
في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل
المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي
منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا
يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم
في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور
فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فان ما يزول
بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام
الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا
الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان
معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق
العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم
يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد
شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط
بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة

وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها وعنه حال او للابتداء على انه مستانف
او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ
تمده ويمده بالتاء والياء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد
وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز
لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسالوه عن قوله وما
اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان
لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما
امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع
بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر
ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى اخر السنة
والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان
الاجل هاهنا منتهى الجري وثم غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات
وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم
وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها بان الله هو الحق بسبب انه
الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون من
دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل
الهيته وقرا البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع
عن كل شيء ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في
تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه
والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد
جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته دلائله ان في ذلك لايات
لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الافاق والانفس شكور
يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او
غيرها وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال
ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر
لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد
الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم
واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزي من اجزا اذا

اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه ولا مولود عطف على والد
او مبتدا خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى
بان لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فى الاخرة
ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى
ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روى ان الحرث بن عمرو اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد القيت حباتى فى الارض فمتى
السماء تمطر وحمل امراتى ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه
الصلوة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وينزل الغيث فى ابانه
المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرا نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم
ما فى الارحام ذكر ام انثى تام ام ناقص وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا من خير
او شر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه وما تدرى نفس باى ارض تموت
كما لا تدرى فى اى وقت تموت روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى
رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدنى
فمر الريح ان تحملنى وتلقينى بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا
منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية
للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان اعمل
حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الصق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره
مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل
فى كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه
عليه الصلوة والسلام من قرا سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطى
من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر سورة السجدة وهى
ثلثون اية وقيل تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة
او القران فمبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا
للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين
حالا من الضمير فى فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا
ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير فى فيه لمضمون الجملة ويؤيده
قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق
من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب
عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفى الريب عنه ثم اضرب عن ذلك
الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب
عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر
قوما ما اتيهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك ايا

ايام الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش
مر بيانه فى الاعراف ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضاء
الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى
مصالحكم وينصركم فى مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذ
لكم لم يبق لكم ولى ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء
الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها
الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا فى يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة ما بين
التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج
اليه فى زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة
فان ما بين السماء والارض خمسمائة سنة وقيل يقضى قضاء الف سنة فينزل به
الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه
الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض
بالوحى ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين
والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر
امرها على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد فى تدبيره وفيه
ايماء بانه يراعى المصالح تفضلا واحسانا الذى احسن كل شئ خلقه خلقه موفرا
عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل شئ بدل
الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اى يحسن معرفته وخلقه
مفعول ثان وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشئ على الاول
مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتصل وبدا خلق الانسان يعنى ادم من طين
ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اى تنفصل من سلالة من ماء مهين
ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغى ونفخ فيه من روحه اضافه
الى نفسه تشريفا واظهارا بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة
الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون
شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا فى الارض اى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض
لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل
اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفى خلق
جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرا ائنا نافع والكسائى ويعقوب
انا على الخبر والقائل ابى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم
بالبعث او بتلقى ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفكم يستوفى
نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقى منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان

كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم
لقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو
ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين
ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا
انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره
لرايت امرا فظيعا ويجوز ان تكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت
في علم الله بمنزلة الواقع ولا تقدر لترى مفعولا لان المعنى لو يكون منك رؤية
في هذا الوقت او تقدر ما يدل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم او لكل احد ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان
والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي
وهو لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم
المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب
مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء
يومكم هذا فانه من الوسايط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم
من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استيناف وبناء الفعل على ان واسمها
تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد
ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب
والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما
يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا
خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم
حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن
الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى
عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من
سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل
وعنه النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي
بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع
فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل
ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون
وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس
من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل
من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلوة والسلام يقول الله اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرأ حمزة ويعقوب
اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفي والفاعل في الكل هو الله تعالى وقرأت
لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها
الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه
وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع
للحمل على المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها
المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان
نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين
فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب
الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب
الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان
الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الايات ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها
وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة لا يكشف
الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف
ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن في مرية شك
من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القران فانا لقيناك من الكتاب
مثل ما لقيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب
او من لقائك موسى وعنه عليه الصلوة والسلام رايت ليلة اسري بي موسى عليه
السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى
هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام
بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي
لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر
ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتميز المحق
من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف
على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم
من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القراءة
بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ
يمشون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي

لا نبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تأكل منه من الزرع انعامهم
كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال
قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله
ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين
كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين على
الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا
المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه
جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا
به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال
بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون
الغلبة عليك وقرئ بالفتح على انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من
الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا الم تنزيل في
بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون سورة الاحزاب
اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما
له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما
نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يعود بوهن في الدين
روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في
الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن
قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت
ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة واتبع
ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح
اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو بالياء على ان الواو
ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله
وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني
المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما
جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما
جمع الزوجية والامومة في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك
رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي
معمر او جميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي
الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى

ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه
الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة
والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة
وقرا ابو عمرو اللاي بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن
الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون
فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة
والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر
بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة
انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته
بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي
الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي الى بها وهو بمعنى حلف وذكر
الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او
للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء واد
عياء جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة
الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي
والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق
ادعوهم لابائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله
هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد
به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان
لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين
ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم
جناح فيما اخطاتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي
او بعده على النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح
فيما تعمدت او ولكن فيما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن
المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت
النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور
كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك
اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها و
شفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه صلى الله عليه وسلم اراد غزوة تبوك
فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو
اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية
ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم
واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها

لسن امهات النساء واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض
في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة
في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية او اية المواريث
او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى
اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن
المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم
ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع
كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القران
وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم
عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابرهيم
وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهيرهم ارباب الشرائع وقدم
نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او مؤكدا باليمين و
التكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك
ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم
اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق
او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم و
واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ
الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين
واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني
الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني
عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها الملائكة روي انه
لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة الاف والخندق
بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتى بعث الله تعالى عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب
في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض
وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد
بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق
وقرأ البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ
جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن
اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت
عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ
من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام
والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت
القلوب

القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف
الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة في
امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر
فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا
وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق
والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ
زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف
اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا
باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا
لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني
اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض
وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لا موضع قيام لكم هاهنا وقرأ حفص
بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى
لا مقام لكم على دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا
او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم النبي
للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون
تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي
حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت
عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء
بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم
المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها
وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها
الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا
يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله
وكان عهد الله مسئولا مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان
فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت
معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم
الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من
ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان
اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول
لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا
يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم
الينا وقد ذكرنا اصله في الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا
او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين
ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم
ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حرب الاحزاب ولا يقاومونهم
الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر
والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم
فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى
عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من
الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف
وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق
البسط بقهر باليد او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده
قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا
فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم
ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه
عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب
لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا
لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب
يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه
الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن
التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان
يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن
التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من
الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي
ثواب الله ولقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك
ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن
كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب
لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة
فان المؤتسي بالرسول صلى الله عليه وسلم من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله عليه الصلوة والسلام سيشتد الامر باجتماع
الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله صلى الله عليه وسلم انهم سائرون
اليكم بعد تسع او عشر وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله

الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما
صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب
او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء
الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد
صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب
بن عمير وانس بن النضر رضي الله عنهم والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر
لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة رضي الله عنهما
وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيب يده فقال عليه الصلوة والسلام
اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
تعليل للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء
كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة
بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب
ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين
وهما حالان بتداخل او بتعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة
وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم
ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع
صيصية وهو ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك
وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا
وقرئ بضم السين روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا
السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان
لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى
جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به
فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لقد حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة
واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم
روي انه صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في
منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة
وارضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة
وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن

الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة
واسرحكن سراحا جميلا واطلقكن طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سألنه ثياب
الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعايشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم
اختارت الباقيات ما اختارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من
بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على
ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى
الروايتين عن علي ويؤيده قول عايشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه
ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل
لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وباينة
عند ابي حنيفة واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن
واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة
فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن
للتبيين لانهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة بكبيرة
مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابي بكر والباقون بكسر الياء يضاعف لها العذاب
ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع
زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب
الانبياء بما لم يعاتب به غيرهم وقرا البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف
بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه من التضعيف
كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة الجزو الثاني والعشرون
لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة
على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة
وقرا حمزة والكسائي ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله
تعالى واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن كاحد
من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه
المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء
في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجبن
بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم
عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع
بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا
او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني به
عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل
ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية
الاولى تبرجا مثل تبرج النساء في الايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح

وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق
تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام
وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق
في الاسلام ويعضده قوله عليه الصلوة والسلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال
جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله
ورسوله في ساير ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب
المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم
اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة
الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة
وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة
وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله
فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص
بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس
غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين
وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما
شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء
والايتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك
خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان
المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات
المصدقين بما يجب ان يصدق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة
والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات
وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم
والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم
المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات واجرا
عظيما على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه
الخصال روي ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير فما
فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل
فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري
وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك
في قوله مسلمات مؤمنات وفايدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين
هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا

اى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه
قضاء الله لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هى واخوها عبد الله وقيل فى ام كلثوم
بنت عقبة وهبت نفسها للنبى فزوجها من زيد ان تكون لهم الخيرة من امرهم ان
يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله
والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مومن ومومنة من حيث انهما فى سياق
النفى وجمع الثانى للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذى انعم الله عليه بتوفيقه
للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن
حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما
انكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة
فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال اريد ان افارق صاحبتى فقال ما لك ارابك منها شىء فقال لا والله ما رايت منها
الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له امسك عليك زوجك واتق الله فى امرها
فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان
طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان
فيه ما تخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء
مخافة قالة الناس واظهار ما ينافى اضماره فان الاولى فى امثال ذلك ان يصمت او
يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة
وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل
لا حاجة لى فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا
واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبى صلى الله عليه وسلم ان الله
تولى نكاحى وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم
وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا يكون على المومنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا
قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه
الدليل وكان امر الله امره الذى يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب
ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان
ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة فى الذين خلوا من قبل من الانبياء
وهو نفى الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا
الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ
رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله
حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغى ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد
من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة و

وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ
الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو
امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم
وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر
محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اى ولكن رسول الله من عرفتم انه
لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين وآخرهم الذى ختمهم او ختموا به على قراءة
عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلوة
والسلام فى ابرهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى
بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شىء
عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغى شانه يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس
والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا
وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين
كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما
وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذى يصلى عليكم بالرحمة وملائكته
بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية
بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف
المعنوى ماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو
الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمومنين ترحم عليهم
سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة ليخرجكم من الظلمات
الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمومنين
رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل فى ذلك ملائكته
المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون يوم يلقونه
يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار
بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هى الجنة ولعل اختلاف
النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبى انا ارسلناك
شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال
مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب
الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره الحلق له من حيث انه من اسبابه وقيد
به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه
وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر
وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم
ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين

والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به
او ايذاءك اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ باية السيف
وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله
تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد
وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين
والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر
بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه
كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي بالالف وضم التاء فما لكم عليهن
من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت
الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة
على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على
ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره
يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه
على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما
عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة
فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض
دون المتعة ويجوز ان يؤول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب
والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ
ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق
السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك
ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال
له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة
بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء
امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل
تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم
احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي
نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال
فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة مؤمنة تهب لك نفسها ولا
تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة
بنت الحرث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت

بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام
زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل
فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية
مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع
اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه خص به لشرف
نبوته وتقرير لاستحقاق الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح
لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة
مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة
خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم و
المهر بالوطي حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف
ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج
ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو
ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق
عليهم تارة والعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة
في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي
اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك
من تشاء وقرا حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن
ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء
من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن
ذلك التفويض الى مشيتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن
جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك
وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء
واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين
وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه
وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى
لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرا البصريان بالتاء من بعد
من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت
واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة
وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن
حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو
من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في

ان الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى
الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء
من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا
من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج
والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما
حد لكم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت
ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى
للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به
قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور
في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو
غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر اني الطعام اذا
ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والاية
خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون و
يقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل
بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستانسين لحديث
لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او
مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي
النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم
من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا
يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف
الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سالتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن
المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر
والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلوة والسلام
كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عايشة رضي الله عنها فكره النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية
وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها
لما روي ان الاشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم برجمها
فاخبر بانه صلى الله عليه وسلم فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني
ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله
وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن
على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم
به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا

جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا
ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية
الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء
الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي
العم ابا في قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب
عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما
ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة
النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا لا تخفى عليه خافية
ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل
انقادوا لاوامره والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة
وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي وقوله صلى الله عليه وسلم ومن ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل
النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف
صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا
ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او
يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله
للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار
المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم
مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية
استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا روي انها نزلت في منافقين
يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء
وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن عند خروجهن اذا برزن لحاجة
ومن للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان
يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض
لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث راعى مصالحهم حتى الجزئيات
منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان
وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة
يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك
من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك
بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك

عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله
عليه وسلم اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين
نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين
ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد
كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي
سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا
في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها
او لا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء
او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز
ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات
للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم
تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال
الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن يبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب
ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا
ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم
لعنا كثيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته
من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه
بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه
الى الطور فمات هنالك فحملته الملائكة ومروا به عليهم حتى رأوه غير مقتول
وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة
لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة
ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب
ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من
سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم
اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم
ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله
في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن

منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة
من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت
على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم
فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف
ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب
وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها
استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها
الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن
لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم
والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها
فهما فقال لها اني قد فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا
لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا
ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله
ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف و
بعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي
الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده
لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا
يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين
حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما
وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتاديب
للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا
في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم
واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الاحزاب
وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر سورة سبأ مكية وقيل
الا وقال الذين اوتوا العلم الاية وآيها خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا
لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الاخرة لان ما في الاخرة ايضا كذلك
وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم
الدنيوية وقيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد
تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم الذي
احكم امور الدارين الخبير بيواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ

في موضع وينبع في آخر كالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان
والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب
والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال
العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها
او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة
انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات لما
نفوه وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف
المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة
والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع
على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة
مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس
ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع
الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل
المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل
عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب
فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين
مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده
اولئك لهم عذاب من رجز من سيء العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص
ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من
مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل
هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد
باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي
اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي
الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال
الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم
تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير
ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه
ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان
وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب
وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من

من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه
على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه
وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو
افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص
منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه
في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة الضال ووصف
الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من
السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء
تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله تعالى وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم
الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى
ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي
وانا ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات
بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله
افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك لآية لتفكر والنظر فيهما وما يدلان
عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في امره
ولقد آتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر
الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبي
معه رجعي معه التسبيح على الذنب او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته
فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ
أوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا
باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا
على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول
معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان اصل النظم و
لقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من
الفخامة والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور
كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها والنا له الحديد وجعلناه في
يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالة او بقوته ان اعمل امرناه
ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات
وهو اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها
او قدر مساميرها فلا يجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق وقيل بان دروعه
لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله

الى بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح وقرا ابو
بكر الريح بالرفع اى ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر و
رواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشى كذلك وقرئ غدوتها
وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسالة من معدنه فنبع
منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن
الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من
مبتدا وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما
امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير
عذاب الاخرة يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة
سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة
والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع مجدد وروى انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه و
نسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد
اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية
من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات
على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا
نصب على العلة اى اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر
او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادى الشكور المتوفر على
اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان
توفيقه للشكر يستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى
عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اى على سليمان ما دلهم على موته ما دل
الجن وقيل آله الا دابة الارض اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء
وهو تاثر الخشب من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا
مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته عصاه من
نسات البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا
على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساته على مفعالة كميضاءة في
ميضأة ومن ساته اى طرف عصاه مشتقا من ساة القوس وفيه لغتان كما
في قحة وقحة وقرا نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان
بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن علمت الجن
بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده
حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اى ظهر ان الجن
لو كانوا يعلمون الغيب لما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت

المقدس في موضع فسطاط موسى عليهما السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى
سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد ان يعمى عليهم
موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى
متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى اكلتها الارضة
فخرت ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا
فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة
وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتداء عمارة
بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا لاولاد سبا بن يشجب بن
يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة و
عن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب
في مساكنهم في مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء
مسيرة ثلث وقرا حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ما شذ
من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار
وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسئ معاضدة للبرهان
السابق كما في قصتى داود وسليمان جنتان بدل من آية او خبر محذوف تقديره
الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين
وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضا
مها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا
من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة
بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استيناف للدلالة
على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم
وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل
كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر
فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم
وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل
لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه نقبا على
مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهى
الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد
عليهما الصلوة والسلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط مر بشع فان
الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل
اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان
واثل وشئ من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء
ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو

النبق مما يطيب اكله وذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين
للمشاكلة والتهكم وقرا ابو عمرو ذواتي اكل بغير تنوين وقرا الحرميان بتخفيف اكل
ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث
اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل
نجازي الا الكفور وهل نجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر
وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام
قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء
السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي بقرية ويبيت الرائح في قرية
الى ان يبلغ الى الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان المقال او الحال
ليالي واياما متى شئتم من ليل او نهار آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف
الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي
اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا
النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسالوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز
ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله تعالى
بتخريب القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا
باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد
بما انعم عليهم فيه ومثله قراءة من قرا ربنا بعد او بعد على النداء واسناد الفعل
الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث
يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم
كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب
وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن
المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او
صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في
صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او ظنه ع
وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده
ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما
والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات
او ببني آدم حين راى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة
والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال
لاضلنهم لاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه
وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان
وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط او استيلاء بوسوسة

واستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا
بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن
من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصوله
متعلقا بالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ
محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم
آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني
لقيام صفته وهي من دون الله مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني
لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله
والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم
ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة
فقال لا يملكون بانفسهم واختيارهم مثقال ذرة من خير وشر في السموات
ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية
كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب
القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما
لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على
تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا ينفعهم شفاعتهم ايضا كما يزعمون
اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له ان يشفع لعلو شانه
ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني
كاللام في جئتك لزيد وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى اذا فزع
عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي
يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع
لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر
ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد
اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق
قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون
وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك
ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض
يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم
ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من
الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به
الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى
والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو

على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف
المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفو
فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان
الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركض
حيث يشاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او
محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا
نسأل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند
الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح
بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح
الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني
الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة
وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع
لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف
بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية
عن قبول العلم والقدرة راسا والضمير لله او للشأن وما ارسلناك الا كافة
للناس الا رسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج
منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة
ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا
يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد
يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم
صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم
وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ على
البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
اذا فاجاكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت
والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه
ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل
الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم
فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول
يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين
استكبروا للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا
مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقال الذين استكبروا للذين
استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم

انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا
عن الهدى واثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا
الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف
على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب
الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما راوا العذاب واضمر الفريقان
الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها
فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما في اشكيته وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم
واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل
الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض وما
ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما
مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم اليه التكبر والمفاخرة
بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك
ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون مقابلة
الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن
وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا
بالعذاب قل رد لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك
يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة
وهوان يوجبانه لم يكن بمشيته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة
الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما تكون للاستدراج كما قال وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم
والاولاد او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي
يقربكم الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد
لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير
ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء
الضعف اي يجازوا الضعف الى العشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى
المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب
الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات امنون
من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين
يسعون في اياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين
انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من

عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد
باعتبار الوقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء
فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في
ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين
ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم
واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف
شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله
وقرأ حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي
نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم عن
الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم
بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل
كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون
الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا
يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو
المجازي وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان
يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القرآن الا افك
لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم لامر النبوة او الاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا
باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل
والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه
وما في لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه
وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا
اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان
لا وجه له فمن اين وقع هذه الشبهة لهم وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم
ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم
وما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة الاموال او ما بلغ
اولئك عشر ما اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين
كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري فليحذر هؤلاء من مثله ولا
تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني
مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم
بخصلة واحدة وهي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول

الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء
والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام
يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به
لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او
اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف
منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان
يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح
على رؤوس الاشهاد ويسلم ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات
كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون ان هو
الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم
من اجر اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال كانه جعل
التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما
ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة
مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
ولا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم
ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي باسكان الياء قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من
يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون
وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها
او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة
لربي او مقدرا باعني وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور
وبالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء الحق اي الاسلام وما يبدئ الباطل
وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه
اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا
يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا
لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها قل ان ضللت عن الحق فانما
اضل على نفسي فان وبال الضلال عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة
بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فتحها
نافع وابو عمرو بفتح الياء فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك
قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث
او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون
الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او
من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او على لا فوت

ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ
وقالوا آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى
لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد
فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان
بعدما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله
من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب
الواو لضمها او انه من نأشت الشيء اذا طلبته وقال رؤبة اقحمني جار ابي
الخاموش اليك نأش القدر النؤوش او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله
تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى
التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب من قبله
من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون
بما لم يظهر لهم في الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن او في العذاب من البت
على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبه التي تمحلوها
في امر الرسول صلى الله عليه وسلم او حال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم
في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه
وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم في ذلك والعطف
على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم
بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين
ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي
باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة
انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك
نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق
رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا سورة الملائكة مكية وهي — سورة الملائكة
خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض
مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة
لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه
والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا
الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه اولي اجنحة مثنى
وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من
المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه
فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما
زاد عليها لما روي انه صلى الله عليه وسلم راى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج
وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان تفاوتهم

وتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف
الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم
تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة لزيادات الصور والمعاني
كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على كل
شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة
الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب
من رحمة كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك
فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة
والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه
من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان
ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت
والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم
انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون
عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او
بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على
لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسر له
او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم
فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم
المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك
واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق
لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي
لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية
فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع
الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر غره او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو
عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على
حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير
لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا
الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة
وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فراه

حسنا تقريرله اى فمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس
رايه فراى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن
الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب لدلالة فان الله يضل من
يشاء ويهدى من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك
عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه
فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلث
للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع
الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوى افعالهم المقتضية
للتاسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب
او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه الله الذى ارسل
الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها
بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال
للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت وقرا نافع وحمزة والكسائى وحفص
بتشديد الياء فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او
بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول
فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك
النشور اى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما
الا احتمال الاختلاف فى المادة فى المقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل فى كيفية
الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من
كان يريد العزة الشرف والمنفعة فلله العزة جميعا اى فليطلبها من عنده
فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما
اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم
فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان
ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على
البناء للمفعول والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول
الذكر والدعاء وقراءة القران وعنه صلى الله عليه وسلم هو سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه
الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات
يعنى مكرات قريش للنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتداريهم الرأى فى احدى ثلث
حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك
هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم

من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا
واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما
يمد فى عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر
ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان
لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم
لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد
باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح المحفوظ مثل ان يكون فيه ان حج عمرو
فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص
فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل
الا فى كتاب هو علم الله تعالى او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة
الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش
والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ
بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها استطراد فى صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل
والمعنى كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان
فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن
كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات
كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على
الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك العذب
من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت وترى الفلك فيه فى كل مواخر
تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر ويجوز ان تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة لعلكم تشكرون على ذلك
وحرف الترجى باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل فى النهار ويولج النهار
فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى هى مدة دوره او منتهاه او يوم
القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار
بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له
الملك كلاما مبتدا فى قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير
للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا
لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة
يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا
تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك

وهو الله سبحانه فانه المخبر به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق
ما اخبر به عن المتهمين نفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله (من حال مح)
في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم
وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم
غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد
المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر
غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع
اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة
نفس اثقلها الاوزار الى حملها يحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء (انتلناح)
منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفي ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى
ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو
قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان تامة فانها لا تلائم نظم الكلام
انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس
في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار
لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما
يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكي وهو اعتراض مؤكد
لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم
على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان
للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل
ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها
على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم
ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل
آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء
ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت
بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في
اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك
ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او
ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد
الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير
من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما

وقد قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على
نبوتهم وبالزبر كصحف ابرهيم وبالكتاب المنير كالتوراة والانجيل على
ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين
ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها
على ان كلا منها لها اصناف مختلفة او هيآتها من الصفرة والخضرة ونحوهما (ذو ح)
ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة
السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد
بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف
وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد
مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده
فان الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك
في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها ومن حق التأكيد
ان يتبع المؤكد وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار
والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم
بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم انا اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال
قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر
وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم
يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب
للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله
يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد
بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم
بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة
يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد
ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله
اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول
ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم ويزيدهم
من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي
مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من

وأو وانفتوا والذي أوحينا إليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين أو
للجنس أو للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه أحقه مصدقا لما تقدمه
من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم موافقته إياه في العقائد
وأصول الأحكام إن الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان
في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار
على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على أن العمدة في ذلك الأمور الروحانية
ثم أورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك أو نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه أو
ورثناه من الأمم السالفة والعطف على إن الذين يتلون والذي أوحينا
إليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني
علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرهم فإن الله اصطفاهم
على سائر الأمم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به
في أغلب الأوقات ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله بضم التعليم و
الإرشاد إلى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم
وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خالط الصالح بالسيئ والسابق
الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله صلى
الله عليه وسلم أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب وأما
الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم
فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر
على أن الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولأن الظلم بمعنى الجهل والركون
إلى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل
الكبير إشارة إلى التوريث أو الاصطفاء أو السبق جنات عدن يدخلونها
مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة أو للذين أو للمقتصد والسابق فإن المراد بهما
الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ
أبو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان أو حال مقدرة و
قرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية من أساور من ذهب من الأولى
للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب أي من ذهب مرصع
باللؤلؤ أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل
من أساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
همهم من خوف العاقبة أو همهم من أجل المعاش وآفاته أو من وسوسة
إبليس وغيرها وقرئ الحزن إن ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين
الذي أحلنا دار المقامة دار الإقامة من فضله من إنعامه وتفضله إذ لا
واجب عليه لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب كلال إذ
لا تكليف فيها ولا كد أتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم

لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه
بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد إسعارها كذلك مثل ذلك الجزاء
نجزي كل كفور مبالغ في الكفر أو الكفران وقرأ أبو عمرو يجزى على بناء المفعول
وإسناده إلى كل وقرئ نجازي وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون
من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته
ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بإضمار القول وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والإشعار
بأن استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبون أنه صالح والآن تحقق لهم خلافه
أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم
وما يتذكر فيه متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل
ما بين العشرين إلى الستين وعنه صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى
ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى أولم نعمركم فإنه للتقرير كأنه قيل
عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي أو الكتاب وقيل العقل أو الشيب أو
موت الأقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم إن الله
عالم غيب السموات والأرض لا تخفى عليه خافية فلا تخفى عليه أحوالهم إنه عليم
بذات الصدور تعليل له لأنه إذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون
كان أعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الأرض يلقي إليكم مقاليد التصرف
فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره
جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم
إلا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من
الأمرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت
وهو أشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل أرأيتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم والإضافة إليهم لأنهم جعلوهم شركاء
لله تعالى أو لأنفسهم فيما يملكونه أروني ماذا خلقوا من الأرض بدل من أرأيتم
بدل الاشتمال لأنه بمعنى أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء
أروني أي جزء من الأرض استبدوا بخلقه أم لهم شرك في السموات أم لهم شركة
مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية ذاتية أم آتيناهم
كتابا ينطق على أنا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب
بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون هم للمشركين لقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا
وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والكسائي على بينات فيكون إيماء
على أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل إن يعد الظالمون
بعضهم بعضا إلا غرورا لما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم

عليه وهو تقرير لاسلافهم الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله
فيشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا
لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من
بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة
والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين
بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان
قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى
لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اى من واحدة من الامم اليهود
والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على
غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
ما زادهم اى النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا
في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا المكر السيء
فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف
وقرا حمزة بسكون الهمزة في الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء الا باهله وهو
الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اى ولا يحيق الله فهل ينظرون
ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة
الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعل غير التعذيب تعذيبا
ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض ه
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه في
مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة
وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه
كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي
ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشوم معاصيهم
وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم
القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل
من اى باب شئت وعنه عليه الصلوة والسلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها
خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة
سورة يس مكية وآيها ثلث وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم في المعنى
والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طى على ان اصله يا انيسين فاقتصر
على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على

على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع
الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائي
وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقران الحكيم ابن عامر والكسائي
ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين
لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور
ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور
وفائدته وصف الشرع بالاستقامة تصريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما
تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعنى او فعله على انه على اصله وقرئ
بالجر على البدل من القران لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين
ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم يعنى اباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة
فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به
اباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار اباؤهم على المصدر فهم
غافلون متعلق بالنفي على الاول اى لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك
لمن المرسلين على الوجوه الاخر اى ارسلت اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد
حق القول على اكثرهم يعنى قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون
لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على
الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الايات والنذر بتمثيلهم بالذين
غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطا
طئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون
لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له وجعلنا من
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وعن احاط
بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون
في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الايات والدلائل وقرا حمزة والكسائي
وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان
بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الايتان في بني مخزوم
حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلى ومعه حجر
ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد
فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه
الله تعالى وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة
انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اى القران بالتامل
فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله
او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم

انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما
قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة
كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل
شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم
من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى
مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف المضاف
اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان تقتصر على واحد وتجعل
المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون
بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها واسناده
الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما
يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من
عزه اذا غلبه وحذف المفعول به لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر
المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى
غنما فسألهما فاخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه و
الابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرئ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي
على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا
من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون
فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك
فأنس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه
قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس
له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما
آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق
له بصر واخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما
فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك
وله الشرف قال ليس لي عندك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع
ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة
ايام فدعوا فقام وقال اني دخلت ستة اودية من النار وانا احذركم ما انتم
فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء ورأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء
الثلاثة شمعون وهذان فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن
في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا
لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي
اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في

في دعوى رسالة قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله
وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما
علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو
المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم
وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا
عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب
شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم ائن ذكرتم وعظتم
به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد
زيد بالف بين الهمزتين وفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان وان
بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل
انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم
او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم
وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار
يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من
لا يسألكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي
لا اعبد الذي فطرني على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد
بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها
والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون
مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم و
لا ينقذون بالنصر والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا
ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه
به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع ويعقوب وابو عمرو بفتح الياء اني آمنت
بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما
نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل
له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها
كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما
لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام
استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه
في نصرة دينه ولذلك قال قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول وانما تمنى علم
قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان

والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا
انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية
او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء
صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم
وما انزلنا على قومه من بعده من بعد هلاكه او رفعه من جند من السماء
لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه
استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين
وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا
ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي
ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت
ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبرئيل وقرئت
بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى
ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب
وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه
من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها ما ياتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط
بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم
الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل
الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها
بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة
العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا
قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان
اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي
الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ
بالكسر على الاستئناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء
وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرأ ابن
عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل
بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون واية لهم الارض الميتة وقرأ
نافع بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر اية او صفة لها اذ
لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدأ والاية خبرها او استئناف لبيان
كونها اية واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون قدم الصلة للدلالة
على ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل

واعناب من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على
الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون
التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار
الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا
ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات
وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ
حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون
وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس
ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول
قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها
افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي
خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت الارض من النبات
والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا مما لم يطلعهم
الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته واية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله
ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق
فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد
معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او
لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة
قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص
او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة
وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب عن مغرب ثم
لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ
لا مستقر لها اي لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس
ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها تقدير
العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر
قدرناه قدرنا مسيره منازل اي سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون
الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف
الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة
النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل
ليلة في واحدة منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في اخر منازله
وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن

عامر والقمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج
وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون
القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها
ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات
وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه
فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها
الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل
المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون
عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم
والتنوين عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف
الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها
في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم
الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان
الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن
اشق وتماسكهم فيها اعجب في الفلك المشحون وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم
المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله تعالى ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم
الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان
وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون
من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ
لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ
ولا هم ينقذون ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع
بالحيوة الى حين زمان قدر لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما
خلفكم الوقايع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوائب
الارض لقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر
لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل
لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا
مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة
للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته انطعم من لو يشاء
الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين
ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا
من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء

وتوبيخهم له ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله
ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون
ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون
يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله او تأتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت
ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع
وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو
وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان والتشديد
وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون
من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا
الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ونفخ
في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث
من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ
بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من
اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح
ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن
بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع وهذا صفة لمرقدنا
وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او للمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه
تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث
كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر
كما تظنونه فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث
الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة
الاخيرة وقرئت بالرفع على كانت التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد
تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن
الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا
ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود
وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه
من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه
الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية

فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ
فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من
المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات
هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة
حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكؤن وهم مبتدأ
خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكؤن والجاران
صلتان له او تأكيد للضمير في شغل او في فاكهون وعلى الارائك متكؤن خبر آخر
لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلثة وفي ظلال حال
من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به
لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه
او ما يتداعونه كقوله ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادّع على ما
شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة
او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة
اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم
سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب
رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه
على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون انفردوا عن المؤمنين وذلك
حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا
من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد
اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة
وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته الزاجرة
عن عبادة غيره وجعلها عبادة للشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد
بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع
عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا
هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استيناف
لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الآخر والتنكير للمبالغة او للتبعيض فان
التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا
تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح
اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير
وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون
مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد
الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذو

قوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها عن الكلام وتكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها
على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم
على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا
اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي
اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار
او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون
الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم
وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم
فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه
للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد
المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم
ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم
واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه
فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدو امره
وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون
ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه
على تدريج وقرأ نافع وابن عامر برواية ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب
قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم شاعر اي ما علمناه
الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء
من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا
يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي
لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما
لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف
المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي انه
حرك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير له للقرآن
اي وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله وقرآن
مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من
الاعجاز لتنذر القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قراءة نافع وابن
عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا
في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع
به ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم
في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات

في الحقيقة أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا مما تولينا إحداثه ولم يقدر
على إحداثه غيرنا وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في
الاختصاص والتفرد بالإحداث أنعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع
الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون بها بتمليكنا إياهم أو متمكنون من
ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا إياها لهم قال أصبحت لا أحمل السلاح
ولا أملك رأس البعير إن نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم
مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم
أي ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون أي يأكلون لحمه ولهم
فيها منافع من الجلود والأصواف والأوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب
بمعنى الموضع أو المصدر أفلا يشكرون نعم الله في ذلك إذ لولا خلقه لها و
تذليله إياها كيف أمكن التوسل إلى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا
من دون الله آلهة أشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة
والنعم المتظاهرة وعلموا أنه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء أن ينصروهم فيما
حزبهم من الأمور والأمر بالعكس لأنه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم
جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم أو محضرون أثرهم في النار
فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من أحزن قولهم في الله بالإلحاد والشرك
أو فيك بالتكذيب والتهجين إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم
عليه وكفى ذلك أن تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو
قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز أولم ير الإنسان أنا خلقناه من
نطفة فإذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى
إنكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لإنكاره حيث عجب منه وجعله إفراطا في الخصومة
بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو أهون مما عمله في بداءة خلقه ومقابلة النعمة التي
لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس شيء وأمهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب
روي أن أبي بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله
يحيي هذا بعدما رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت
وقيل معنى فإذا هو خصيم مبين فإذا هو بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق
قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا أمرا عجيبا وهو نفي القدرة
على إحياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا
إياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا إياه مستبعدا له والرميم ما بلي من
العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث
أو بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت
كسائر الأعضاء قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فإن قدرته كما كانت لامتناع
التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم يعلم

يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة
المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها إلى بعض
على النمط السابق وإعادة الأعراض والقوى التي كانت فيها أو إحداث
مثلها الذي جعل لكم من الشجر الأخضر كالمرخ والعفار نارا بأن يسحق المرخ
على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فينقدح النار فإذا أنتم منه
توقدون لا تشكون في أنها نار تخرج منه فمن قدر على إحداث النار من
الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان أقدر على إعادة
الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله
فمالئون منها البطون أوليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما
وعظم شأنهما بقادر على أن يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالإضافة إليهما
أو مثلهم في أصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر
بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بأنه لا جواب سواه وهو
الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات إنما أمره إنما شأنه إذا أراد
شيئا أن يقول له كن أي تكون فيكون فهو يكون أي يحدث وهو تمثيل
لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع
وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو
قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا
على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له و
تعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء وإليه
ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء
وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت لا أعلم ما روي في فضل يس كيف خصت
به فإذا أنه لهذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن
يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين
مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك
يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون
جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مؤمن قرأ يس وهو في سكرات الموت
لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه
فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض
الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان سورة الصافات مكية وآيها مائة وإحدى
أو اثنتان وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات
زجرا فالتاليات ذكرا أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب
باعتبارها يفيض عليهم الأنوار الإلهية منتظرين لأمر الله الزاجرين الأجرام
العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها أو الناس عن المعاصي بإلهام الخير

او الشياطين عن التعرض لهم التاليات ايات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه
او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة
لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار
لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن
الكفر والفسوق بالحجج والنصايح التالين ايات الله وشرايعه او بنفوس
الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل والعدو التالين ذكر الله لا
يشغلهم عنه مباداة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات
والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى
قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين
فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتاخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو
وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربهما فانها من طرف اللسان واصول الثنايا
ان الهكم لواحد جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم
عليه على ما هو المألوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه
الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة
ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال
العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق
الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف
المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة
وما قيل انه مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا
السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة
للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب
على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب
فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت
مصدرا كالنسبة ويويده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان
زينها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما
عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق
لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على
سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف
على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل
شيطان مارد خارج عن الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام
مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه

فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على
حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا
ايهذا الزاجري احضر الوغا فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى
وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا
لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من
التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون
ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده
دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان
او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد
به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول
او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب آخر واصب دائم
او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو
يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة
مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء
ومكسورها واصلها اختطف فاتبعه شهاب اتبع بمعنى تبع والشهاب
ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين
ان صح لم ينافي ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا
زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو
العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحها ولا
يبعد ان يصير الحادث لما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب
الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل
المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتاذى به فيرجع او يحترق
به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون
عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان
ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب
مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم
اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك
وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها
لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر
بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقرير ان استحالتهم ذلك اما لعدم قابلية المادة
ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان
قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث

العالم او بقصد ادم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة
لزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه
الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته
ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك
وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي
اني تعجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث
ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض
والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان
عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا
ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا ذكر لهم ما يدل
على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا راوا اية معجزة
تدل على صدق القائل يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه
سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون ما
يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا
الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه
الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر انا بطرح الهمزة الاولى وقراءة
نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية او اباؤنا الاولون عطف على محل
ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة
الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع رواية قالون وابن عامر الواو
على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب
لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول
وقرأ الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي
اذا كان ذلك فانما البعث زجرة اي صيحة واحدة وهي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا
صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون فاذا هم
قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين
اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون
جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن
والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف
وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد
الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتي على دينهم
او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها
زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا

منا الحسنى الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط
الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسؤولون عن
عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم بعد
الهدي والتعريف للسؤال ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا وهو توبيخ
وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم
واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله
واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون
يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن
اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح
فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه
ولذلك سمي يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن
الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا
ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما
جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم
انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا
لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا
ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية
لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون
كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون
ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق وصدق
المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون
انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب
على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل
وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء
منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة
فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم
خصائصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة
ما يقصد به التلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة
محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من
غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا
النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك

على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه أو في مكرمون
وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس بإناء فيه
خمر أو خمر كقوله وكأس شربت على لذة من معين من شراب معين أو نهر معين أي
ظاهر للعيون أو خارج من العيون وهو صفة الماء وصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماء
أو للإشعار بأن ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من أنواع الأشربة لكمال
اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما أيضا صفتان لكأس ووصفها بلذة إما
للمبالغة أو لأنها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته
بأرض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله
يغوله إذا أفسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب
فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله أفرده بالنفي وعطف على ما يعمه لأنه
من أعظم فساده كأنه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاء وتابعهما
عاصم في الواقعة من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه وأصله للنفاد
يقال نزف المطعون إذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم
قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن عين نجل العيون جمع عيناء
كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء
والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإنه أحسن ألوان الأبدان فأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم أي يشربون فيتحادثون
على الشراب قال وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام و
التعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه فإنه ألذ تلك اللذات إلى العقل وتساؤلهم
عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم إني كان لي
قرين جليس في الدنيا يقول أإنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق
بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أإنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال أي ذلك القائل هل أنتم
مطلعون إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله تعالى أو
بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك
القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلته وعن أبي عمرو مطلعون فأطلع
بالتخفيف وكسر النون وضم الألف على أنه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من
حيث إن أدب المجالسة يمنع الاستبداد به أو خاطب به الملائكة على
وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه
اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم قرأه أي قرينه في سواء الجحيم وسطه
قال تالله إن كدت لتردين لتهلكني بالإغواء وقرئ لتغوين وإن هي المخففة
واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك
فيها أفما نحن بميتين عطف على محذوف أي أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي

أي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا
وهي متناولة لما في القبر بعد الإحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل
وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه
لقرينه تقريعا له أو معاودة إلى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله أو تبجحا بها
وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ إن هذا لهو الفوز العظيم يحتمل أن يكون
من كلامهم وأن يكون من كلام الله تعالى لتقرير قوله والإشارة إلى ما هم عليه
من النعمة والخلود والأمن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون أي لنيل
مثل هذا يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام
السريعة الانصرام وهو أيضا يحتمل الأمرين أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم
شجرة ثمرها نزل أهل النار وانتصاب نزلا على التمييز أو الحال وفي ذكره دلالة
على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء
ذلك ما يقصر عنه الأفهام وكذلك الزقوم لأهل النار وهو اسم شجرة صغيرة
الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة إنا جعلناها
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فإنهم لما سمعوا
أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق
ما يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من
الإحراق إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم منبتها في قعر جهنم وأغصانها
ترتفع إلى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته إياه
في الشكل والطلوع من الشجر كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول
وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات
هائلة قبيحة المنظر لها أعراف ولعلها سميت بها لذلك فإنهم لآكلون
منها من الشجرة أو من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع أو
الجبر على أكلها ثم إن لهم عليها أي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش
وطال استسقاؤهم ويجوز أن يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة
والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق أو صديد مشوبا بماء حميم
يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والأول مصدر
سمي به ثم إن مرجعهم مصيرهم لإلى الجحيم إلى دركاتها أو إلى نفسها فإن
الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله
تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون
إليه كما يورد الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم إن منقلبهم
إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك
الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والإهراع الإسراع الشديد كأنهم يزعجون
على الإسراع على أثرهم وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير توقف على

نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين
انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة
والفضاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا
دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول
صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا
آثارهم ولقد نادانا نوح شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد
دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اى فاجبناه احسن الاجابة فوالله
لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من
الكرب العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ
هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة روى انه مات كل من كان
معه فى السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه فى الاخرين من الامم سلام
على نوح هذا الكلام جئ به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل
هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء فى العالمين
متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية فى الملائكة و
الثقلين جميعا انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة
بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه
بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الاخرين يعنى كفار
قومه وان من شيعته ممن شايعه فى الايمان واصول الشريعة لابرهيم
ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة
واربعون سنة وبينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما فى
الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من افات
القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم
بمعنى اللديغ ومعنى المجئ به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال
لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا
آلهة دون الله تريدون اى تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول
للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك
ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك فى انفسها للمبالغة
او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين
بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به
غيره او امنتم من عذابه والمعنى انه لا يقدر فى وهم ما يصد
عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضى الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو
كالحجة على ما قبله فنظر نظرة فى النجوم فراى مواقعها واتصالاتها او فى علمها او
فى كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سالوه ان يعيد معهم فقال

انى سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه
الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد
انى سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد
الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربى بالسلامة جاهدا
ليصحنى فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم
فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اى للاصنام استهزاء
الا تاكلون يعنى الطعام الذى كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابى فراغ عليهم فمال عليهم
مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم
لانه فى معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته
فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن
اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابرهيم بعدما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها
فظنوا انه هو كما شرحه فى قوله من فعل هذا بآلهتنا الاية يزفون يسرعون من زفيف
النعام وقرا حمزة على بناء المفعول من ازفه اى يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اى يزف
بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم
يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله
خلقكم وما تعملون اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك
جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد
وعملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله
تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا على
خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا
فالقوه فى الجحيم فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التاجج واللام بدل الاضافة اى
جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة
عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث
جعل النار عليه بردا وسلاما وقال انى ذاهب الى ربى الى حيث امرنى ربى وهو الشام
او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وانما
بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال
موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع
رب هب لى من الصالحين بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى
فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد
وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم او يكون حليما واى حلم مثل حلمه
حين عرض ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما
نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة
بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومعه متعلق

محذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن
معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق
والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ
ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه راى ذلك وانه راى
ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح
ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل ذلك فعرف
انه من الله ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام
الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب اثر
الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله
عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب
نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل الله خرج السهم
على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان
قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان
البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا
وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب
اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل
ذلك لم يثبت فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل
من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون
ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرا حمزة والكسائي ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء
خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص
فتحها قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب على ما عرفت او
امرك على ارادة المامور به والاضافة الى المامور ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا
به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام
دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما
ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح
او قضاء الله وقرا نافع بفتح الياء فلما اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح
نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له
فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على
الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه
تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف
على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت
الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على

على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق
به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم عليهما
من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار
فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك
نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من
جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله افعل
ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه
المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح
بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى
به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من
الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة
فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة
هو ابرهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والامر به على التجوز في الفداء
او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة
وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه
في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه
انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين
ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط
بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير
مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق
نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان
الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة
نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من
البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه غاية
لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم
في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم
كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا
ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه
بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في
الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب
ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع
الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب

فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه
وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط
المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى
وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثل ذلك
وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هارون اخي موسى
بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي
وان ابليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال
لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون
الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك بالشام وهو البلد الذي يقال له
الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول
وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي
للانكار المعني بالهمزة ثم صرح بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم
لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار
المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو
لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على ال ياسين
لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له يراد به هو واتباعه كالمهلبين
لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء
النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على
اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا
الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل
لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه
وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان
سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او
نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد
لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن
المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن
لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون
المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة
واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج
من بينهم قبل ان يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد آبق

ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه الى الماء
فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت
بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب
فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في
بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث
على اكثار الذكر وتعظيم لشانه وان من اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند
الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما
يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه
يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه
فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون
وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي
فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه
يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته
باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل
التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره و
ارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد
به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى
الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة
وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان به بمحضره فمتعناهم
الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر
القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل
او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله
اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا
لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن
وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة
بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز
الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة
وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم
بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله
مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور

على الآخرين لاختصاص هذه الطائفة بها ولأن فسادها مما تدركه العامة
بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام على التقسيم أم خلقنا
الملائكة إناثاً وهم شاهدون وإنما خص علم المشاهدة لأن أمثال ذلك
لا تعلم إلا به فإن الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل
الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والإشعار بأنهم لفرط جهلهم يبتون
به كأنهم قد شاهدوا خلقهم ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه
وقيام ما ينفيه وإنهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولدُ الله أي
الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
أصطفى البنات على البنين استفهام إنكار واستبعاد والاصطفاء أخذ
صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة أم بعدها
عليها أو على الإثبات بإضمار القول أي لكاذبون في قولهم اصطفى أو إبداله
من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل أفلا تذكرون أنه منزه عن
ذلك أم لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة
بناته فأتوا بكتابكم الذي أنزل عليكم إن كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعاً منهم أن
يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل
قالوا الله والشيطان أخوان ولقد علمت الجنة إنهم إن الكفرة أو الإنس أو
الجنة إن فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون
من الولد والنسب إلا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع
أو متصل إن فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض أو من يصفون فإنكم
وما تعبدون عود إلى خطابهم ما أنتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس
بالإغواء إلا من هو صال الجحيم إلا من سبق في علمه أنه من أهل النار ويصلاها
لا محالة وأنتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون
وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادّاً مسدّ الخبر أي إنكم وآلهتكم قرناء
لا تزالون تعبدونها ما أنتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة
إلا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صالُ بالضم على أنه جمع محمول على معنى من
ساقط واوه لالتقاء الساكنين أو تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك
أو المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم باليت به بالة فإن أصلها بالية كعافية وما
منا إلا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم
والمعنى وما منا أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء إلى أمر الله
في تدبير العالم ويحتمل أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل
بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علم الملائكة أن المشركين معذبون بذلك
وقالوا سبحان الله تنزيهاً عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا

طبوا الكفرة بأن الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية و
تفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه
وإنا لنحن الصافون في أداء الطاعة ومنازل الخدمة وإنا لنحن المسبحون
المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعة
وهذا في المعارف وما في إن واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص
لأنهم المواظبون على ذلك دائماً من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا إلا له مقام معلوم
في الجنة أو بين يدي الله في القيمة وإنا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون
له عن السوء وإن كانوا ليقولون أي مشركوا قريش لو أن عندنا ذكرا
من الأولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين
لأخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به أي لما جاءهم الذكر الذي
هو أشرف الأذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله
إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب
والمقضي بالذات وإنما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى
واحد فتول عنهم فأعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو
يوم بدر وقيل يوم الفتح وأبصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالأمر
الدلالة على أن ذلك كائن قريب كأنه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا
لك من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا
للتبعيد أفبعذابنا يستعجلون روي أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا
متى هذا فنزل فإذا نزل بساحتهم فإذا نزل العذاب بفنائهم شبهه
بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نُزل على إسناده إلى الجار والمجرور
ونزّل أي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام
للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر
فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر وتول
عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون تأكيد إلى تأكيد وإطلاق بعد تقييد للإشعار
بأنه يبصر وأنهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من أصناف المسرة وأنواع المساءة أو الأول
لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله
المشركون فيه على ما حكي في السورة وإضافة الرب إلى العزة لاختصاصها به إذ لا عزة إلا له
أو لمن أعزه وقد أدرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الإشعار بالتوحيد
وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين
على ما أفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك أخره عن التسليم
والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من أحب

ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن في آخر كلامه من مجلسه سبحان
ربك رب العزة الى آخر السورة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه
كان مؤمنا بالمرسلين سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من
المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول
اي عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله
اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر
على تاويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان جعل صاد اسما للحرف او
مذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد صلى الله عليه وسلم او السورة خبرا
لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل
عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او
لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق
اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة اي استكبار عن الحق
وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا
من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف
والشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير
في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه
كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة
او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة
بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم
الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل
للفعل والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او
مبتدأ محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر
كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات
تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان
اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص
تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم
ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء
كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به
في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه
والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف

عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته
وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون
وضع فيه الظاهر موضع المضمر غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم
جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقوله على الله
اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا
لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا وما نشاهده
من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو
ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب
وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك
لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلوة والسلام
ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك
فقال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا
ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعدما
بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض
امشوا واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان
هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد
بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها
ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان
هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او
ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا
بهذا بالذي يقوله في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها آباءنا او في ملة
عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا
من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة
المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه ءأنزل عليه الذكر من بيننا انكار
لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة لقولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان
مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في
شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل
وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق
بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى

انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزاين
رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزاين رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا
بها من شاؤا او يصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى
ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه
العزيز اى الغالب الذى لا يغلب الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء لمن
يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كانه لما
انكر عليهم التصرف فى نبوته بان ليس عندهم خزاين رحمته التى لا نهاية لها اردف
ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزاينه
فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا فى الاسباب جواب شرط محذوف
اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى
يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو
غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات
لانها اسباب للحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم
جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم
التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية فلا تكترث بما يقولون وما
مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلايم ما بعده
وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد
كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة فى ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات
البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد
بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدى المعذب
ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب
الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعنى المتحزبين
على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند
اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على
استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع
او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك
او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم فى علم الله الا صيحة
واحدة وهى النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرا حمزة والكسائى بالضم
وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به
او الجنة التى تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال للصحيفة الجايزة قط
لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل

قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود
واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه
بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملايكة بالتمثيل
والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان
او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله
عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد
واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل للايد دليل
على ان المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف
الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع
مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد
حال بالعشى والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضئ
ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت
الشمس ولما تشرق وعن ام هانى انه صلى الله عليه وسلم صلى صلوة الضحى قال
هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية
والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر
جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له
اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه
وبين ما قبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها او
كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة
والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة
على آخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت
انى قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته واتيناه الحكمة
اى النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام
بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المقصود
من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف
والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل
المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد
الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول
صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤ الخصم استفهام معناه
التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع
اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من
السنام واذ متعلق بمحذوف اى نبا تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبا على ان
المراد به الواقع فى عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة

نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا بأتى لأن إتيانه الرسول صلى الله عليه
وسلم لم يكن حينئذ وإذ الثانية في إذ دخلوا على داود بدل من الأولى أو ظرف
لتسوروا ففزع منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس
على الباب لا يتركون من يدخل عليه فإنه كان عليه السلام جزأ زمانه يوما للعبادة
ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة
على صورة الإنسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان
على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد
التعريض إن كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا
تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط أي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا
تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا إلى سواء الصراط
إلى وسطه وهو العدل إن هذا أخي بالدين أو الصحبة له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة هي الأنثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل
فيما يساق للتعريض أبلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة
بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء ولي نعجة فقال أكفلنيها ملكنيها وحقيقته
اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي أي نصيبي وعزني في
الخطاب وغلبني في مخاطبته إياي محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر رده أو في
مغالبته إياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث
زوجها دوني وقرئ وعازني أي غالبني وعزني على تخفيف غريب قال لقد ظلمك
بسؤال نعجتك إلى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في إنكار فعل خليطه
وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه أو على تقدير صدق المدعي والسؤال
مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر بإلى لتضمنه معنى الإضافة
وإن كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدي
وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها
وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم أي وهم قليل وما مزيدة للإبهام والتعجب من قلتهم وظن داود أنما
فتناه ابتليناه بالذنب أو امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه
لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لأنه مبدأه أو خر للسجود راكعا
أي مصليا كأنه أحرم بركعتي الاستغفار وأناب ورجع إلى الله بالتوبة وأقصى
ما في هذه الإشعار بأنه عليه السلام ود أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله
بهذه القضية فاستغفر وأناب عنه وما روي أن بصره وقع على امرأة فعشقها
حتى تزوجها وولدت منه سليمان إن صح فلعله خطب مخطوبته أو استنزله عن
زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى
وما قيل إنه أرسل أوريا إلى الجهاد مرارا وأمر أن يتقدم حتى قتل فتزوجها هراء و

وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين وقيل إن قوما قصدوا أن يقتلوه فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد
أن ينتقم منهم فظن أن ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به وأناب
فغفرنا له ذلك أي ما استغفر عنه وإن له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة
وحسن مآب مرجع إلى الجنة يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض استخلفناك
على الملك فيها أو جعلناك خليفة من قبلك من الأنبياء القائمين بالحق فاحكم
بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل
أن ذنبه المبادرة إلى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك عن
سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فإن تذكره
يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا
خلقا باطلا لا حكمة فيها أو ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا
السماء والأرض وما بينهما لاعبين أو للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق
الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا
الإشارة إلى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب
هذا الظن أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم
منقطعة والهمزة فيه لإنكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقهما
باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله أم نجعل المتقين كالفجار فإنه أنكر التسوية
أولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز
أن يكون تكريرا للإنكار الأول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم
الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فإن التفاضل بينهما إما أن يكون في الدنيا
والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه أو في غيرها وذلك يستدعي أن يكون لهم
حال أخرى يجازون فيها كتاب أنزلناه إليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب
على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات
الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الأصل ولتدبروا أي أنت
وعلماء أمتك وليتذكر أولوا الألباب وليتعظ به ذوو العقول السليمة أو
ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه
من الدلائل فإن الكتب الإلهية بيان لما لا يعرف إلا من الشرع وإرشاد إلى ما
يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الأول والتذكر للثاني ووهبنا لداود
سليمان نعم العبد أي نعم العبد سليمان إذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله
أنه أواب رجاع إلى الله بالتوبة أو إلى التسبيح مرجع له إذ عرض عليه طرف

لاوّاب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن
من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة
في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو
الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد روي انه عليه
السلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من
العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل
عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى
آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت
من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير
والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله
عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو بفتح الياء حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري
المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير
للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق
اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل
جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو
لضمة ما قبلها كمؤقن وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس
ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما
روي مرفوعا انه قال لاطوفن على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد
في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جاءت بشق
رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له
ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به
الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل غزا صيدون
من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا
على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع
ولايدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب
المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل
للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته
شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه
الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها
لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت
يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان

وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فشق بطنها فوجد
الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به
وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله
عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير
علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان
يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك
لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة
لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب
لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة
انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها
لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة
لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من
قولهم اصاب الصواب واخطا الجواب والشياطين عطف على الريح كل
بناء وغواص بدل منه وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه
فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص
ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل
اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد
تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء
لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده
اعطاه عكس وعده واوعده وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي
اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم نسلط به غيرك عطاؤنا
فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال
من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف
فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم
لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك
اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من
الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب وهو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو
ابن عيص بن اسحق وامراته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل من عبدنا
وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني وقرا حمزة والكسائي باسكان الياء
واسقاطها من الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية
لكلامه الذي ناداه له ولولا هي لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان
الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم

فعله

فلم يغنيا وكانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا
لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى
رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس
اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرا يعقوب
بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين
للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل
بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب
منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من
الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او
احييناهم بعد موتهم وقيل ووهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف
ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج
بالصبر واللجاء الى الله تعالى فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض و
الضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي ان
زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف ذهبت لحاجة و
ابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية
في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه
الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك
خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله
واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب وقرا ابن كثير عبدنا وضع الجنس
موضع الجمع او على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب
عطف عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او
اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها
وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهلة انهم كالزمنى
والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب
فيها هي ذكرى الدار تذكرهم للاخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك
لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الاخرة
واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام
بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا
لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير
كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميت واذكر
اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ
واللام فيه كما في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي والليسع تشبيها
بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في

في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل
صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى
ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القران ثم شرع في
بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن
عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي
وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها
ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران
لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان
او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استيناف
لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان
مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثم وعندهم قاصرات
الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لدات لهن فان التحاب بين الاقران
اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه
يمسهن في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب
علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا
لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا
وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد
المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم
لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب
هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين
خبر محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت
العين اذا سال دمعها وقرا حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين
وآخر اي مذوق او عذاب آخر وقرا البصريان واخر اي ومذوقات او انواع
عذاب اخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير
على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهي
لغة ازواج اجناس خبر لاخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر
محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا
دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة
والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او
حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون
النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق
بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب
او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتموه من العقائد الزائغة والاعمال

القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه
مثله فيصير ضعفين كقولهم ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اي الطاغون
ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم
ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر
وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب لهم في الاستسخار
منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين
ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان
المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او
لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام
تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهما او منقطعة
والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور
انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين
ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل
من ذلك قل يا محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله
وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء
رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب
اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف
تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر
بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من
اني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الالوهية وقيل ما بعده
من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض
عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على
النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن
تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع
ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ
التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين
اي لانما كأنه لما جوز الوحي اتى بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا
لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر
على الحكاية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون
مبين له فان القصة التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس
في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت
اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود هنا وهو انذار المشركين على استكبا رهم

رهم على النبي بمثل ما حاق ابليس باستكباره على آدم هذا ومن الجائز ان يكون
مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى
والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته
بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له
ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستكباره
عن الطاعة واستنكاره امر الله او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية
لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب
الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به
في تركه وهو لا يصلح للمانع اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض
سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من
غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن
ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة
ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابداء للمانع وقوله خلقتني
من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها
من الجنة او السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة
ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم
يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر
قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم
على اختلاف القراءتين قال فالحق والحق اقول اي فاحق الحق واقوله وقيل
الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان
تبايعا وجوابه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما
اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ
عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني او قسمي او الخبر اي انا الحق
وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين
على حذف حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد
وهو سائغ فيه اذا شاركه الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني
وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد منك من
جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تأكيد له او للضمير
قل ما اسألكم عليه من اجر اي على القرآن او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين
المتصنعين بما ليسوا من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول

القران ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نباه وهو ما فيه من
الوعد والوعيد وصدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة
او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على
ذنب صغيرا او كبير سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الاية وايها خمس
وسبعون او ثنتان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر محذوف
مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاولين صلة التنزيل
او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب
على الاول السورة وعلى الثاني القران وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل
نحو اقرأ او الزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات
الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من
الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم
الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه
مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص
اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات
الالوهية والاطلاع على الاسرار والضماير والذين اتخذوا من دونه اولياء
يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على
حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ
خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله
يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا
او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم
الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما
هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة
ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم
ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا
البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ
لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين
ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل
الخالق فيقوم مقام الولد ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد
القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية
وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة
المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى
الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على

على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الاخر كانه يلف عليه
لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا
عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب
على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع من
الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال
آخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر
دلالة واعجب وفيه على ما ذكر ثلاث دلالات خلق ادم اولا من غير اب
وام ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفايت للحصر منهما وثم للعطف
على محذوف وهو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت
ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الايتين فان
الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم
خلق منها حوا وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف
بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة
منها كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى
من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق
ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه غلب
اولي العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا
سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من
بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او
الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق
لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى
تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن
ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا
يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي
باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي
عمرو ويعقوب اسكانها وهي لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا
يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال
ما ينازع العقل في الدلالة على انه مبدا الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول
وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعوا اليه اي
الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي
في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن

وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة
جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد
فيه اشعار بان الكفر نوع تشهية لا سند له واقناط للكافر من التمتع في الاخرة
ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن
هو قانت قايم بوظايف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف
تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت
كمن ضده وقرا الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل
له اندادا ساجدا وقايما حالان من ضمير قانت وقريا بالرفع على الخبر بعد الخبر
والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه في موقع الحال او
الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي
لاستواء الفريقين باعتبار القوة العملية بعد نفيه باعتبار القوة العلمية على
وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي
العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا
الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين
امنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين
احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا
حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه الدنيا بيان لمكان حسنة وارض الله
واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه
انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان
لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث
انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون
بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل
العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء
من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت ان اكون
اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان
قصب السبق في الدين بالاخلاص ولانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن
دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان
العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا
تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت
لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد
الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه
من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني
امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه

كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم
ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم
قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم
بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران
وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم
وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك
هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير
بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل
من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل للاخرين
ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم
فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت
البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في
المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان
ان يعبدوها بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما
سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر
موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدا اجتنابهم وانهم نقاد في الدين
يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك الذين
هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة عن منازعة الوهم
والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها
افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة
على محذوف دل عليه الكلام تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب
فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع
من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع
فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائهم الى
الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة
للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف
من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض
تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان
قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله
محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في
الارض هي عيون ومجاري كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع
وللنابع فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه

من بر وشعير وغيرها او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه
اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله
حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه
وبانه مثل الحيوة الدنيا فلا يغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم
افمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة
الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع
للروح المتعلق للنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة
والاهتداء الى الحق وعنه صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح
فقيل ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور و
التأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي
من اجل الشيء اشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف
اولئك بالقبول وهولاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله
تعالى وقابله بقساوة القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر
بادني نظر والاية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث
يعني القران روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا
له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تاكيد للاسناد
اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن
او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى
والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر
وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام
وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمائل
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل
في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم
اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان
اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون
والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب
او الكائن من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل
الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة
يقي بها نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء
العذاب يوم القيمة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين
اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم

لهم ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين
من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم
ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف
والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه
لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد
ضربنا في هذا القران من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون
يتعظون به قرانا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني
زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ
من المستقيم واختص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد اتاك
يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله
لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد
رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه
من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك
فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه
والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه
صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرا نافع وابن عامر و
الكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين
وثلثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم اي وهناك
رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا
صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف
النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان
التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه
لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به
غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي
عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب
المخاطب على الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك
كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد
والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا
سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم
بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك
اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير
توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة
لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم

يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجاء بما علم مجيء الرسول
صلى الله عليه وسلم به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول
الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل
الجائي هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر رضي الله عنه وذلك يقتضي
اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه
اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء
للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله
عنهم اسوأ الذي عملوا خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك
او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان
ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيئ كقولهم
الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم
ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة
الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي
مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده
قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني
قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك الهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث
خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم
انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الامر بما خوف عليه ومن يضلل
الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى
الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب
منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل افرايتم ما تدعون من
دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارايتم بعدما تحققتم ان
خالق العالم هو الله ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه او ارادني
برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني وقرأ ابو عمرو كاشفات ضره
ممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير
ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او
شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات
وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون
لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما
استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف
للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على

مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم
الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك
الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق
ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها
فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على
الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها
وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو
في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة و
الكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى
اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب
لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
ان في ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها
العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحركة فتتوفيان عند الموت
وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك في
التوفي والامساك والارسال لايات دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول
رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية
حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة
والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى
توفي آجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم
عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ايشفعون ولو كانوا
على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة
جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون
هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا
باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه
مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه
ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده
دون الهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة انقبضت ونفرت
واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم
بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار
ان يمتلي قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غما حتى
ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة قل اللهم فاطر السموات والارض

عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في كفرهم وعجزت في عنادهم
وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة
وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم
سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا
اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء
لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله
وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا
عن ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك
عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به
قال انما اوتيته على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه لما لي من استحقاقه
او من الله لي واستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير
لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتانيث
الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك
وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما
اوتيته على علم عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون
وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة
اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء
المشركين ومن للبيان او التبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب
اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم
بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس
عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بان
الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين
على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله
ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف
الظاهر ويدل على الاطلاق فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية
والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة
بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة و

والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن
القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر
الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على
الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ما احب
ان يكون لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة
ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان
من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا
الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في
جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول
المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص
في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن
او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون
المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل
ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس
كراهة ان تقول نفس وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول
الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا يا حسرتا
وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه
وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك
تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت
على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله
والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين
باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان
الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين
ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة
على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بالاباطيل تحسرا بلى قد جاءتك اياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله
لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود
يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى
الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل
اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة ترى
الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة
بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى

من رؤيته البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو أليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين
عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لأنهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا
وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها بأهم
أقسامه وبالسعادة والعمل الصالح إطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير
حفص بالجمع تطبيقاً له بالمضاف إليه والباء فيها للسببية صلة لينجي أو لقوله
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال أو استيناف لبيان المفازة الله خالق
كل شيء من خير وشر وإيمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد
السموات والأرض لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن
قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لأن الخزائن لا يدخلها ولا
يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته إذا لزمته
وقيل جمع إقليد معرب كليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل
النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله
وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن
بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه والذين
كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا
وما بينهما اعتراض للدلالة على أنه مهيمن على العباد مطلع على أفعالهم مجاز عليها
وتغيير النظم للإشعار بأن العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين
أن خسروا أنفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم أو
عما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بأمر السموات والأرض
أو كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لأن غيرهم ذو حظ من الرحمة
والثواب قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون أي أفغير الله أعبد بعد هذه
الدلائل والمواعيد وتأمروني اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك
وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بإلهك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينتصب غير بما دل
عليه تأمرونني أعبد لأنه بمعنى تعبدونني على أن أصله تأمرونني أن أعبد فحذف أن
ورفع الفعل كقوله أحضر الوغى ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرونني
بإظهار النونين على الأصل ونافع بحذف الثانية فإنها تحذف كثيراً ولقد أوحي
إليك وإلى الذين من قبلك أي من الرسل لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد تهييج الرسل وإقناط الكفرة والإشعار
على حكم الأمة وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم
والأخريان للجواب وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لأن شركهم
أقبح وأن يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر وليحبطن أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل

بل الله فاعبد رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن
كذلك وكن من الشاكرين إنعامه عليه وفيه إشارة إلى موجب الاختصاص
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في أنفسهم حق تعظيمه حيث
جعلوا له شريكاً ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والأرض جميعاً
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة
الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته ودلالة
على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير
اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازاً كقولهم شابت لمة الليل والقبضة
المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف
تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف
تشبيهاً للموقت بالمبهم وتأكيد الأرض بالجميع لأن المراد بها الأرضون
السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على أنها
حال والسموات معطوفة على الأرض منطوية في حكمها سبحانه وتعالى
عما يشركون ما أبعد وأعلى من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم أو
ما يضاف إليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الأولى فصعق
من في السموات ومن في الأرض خر ميتاً أو مغشياً عليه إلا من شاء
الله قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل فإنهم يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه أخرى نفخة أخرى وهي تدل على أن المراد بالأول ونفخ في الصور
نفخة واحدة كما صرح به في مواضع وأخرى يحتمل النصب والرفع فإذا هم
قيام قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر
ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب
كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم وأشرقت الأرض بنور ربها بما
أقام فيها من العدل سماه نوراً لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي
الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضاف اسمه
إلى الأرض أو بنور يخلق فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضافه
إلى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب
المحاسبة بين يديه أو صحائف الأعمال في أيدي العمال واكتفى باسم الجنس
عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء
للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين
العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما
جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو أعلم بما يفعلون
فلا يفوته شيء من أفعالهم فضل التوفية وقال وسيق الذين كفروا
إلى جهنم زمراً أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض على تفاوت أقدامهم

في الضلال والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة
لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة وهي
الجمع القليل حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها
الجملة وقرا الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا
الم يأتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع
من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة
وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص
ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين
اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم
في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم
فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق
العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل
به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من
اعمال اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم
الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت
مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب
اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف
وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف
وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي
فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم
وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي
استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم
من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ
كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع
واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش
اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة
حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه
اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق
وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقا

باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين على ما قضى بيننا
بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم
لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله
رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه عليه السلام كان
يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر **سورة المؤمن مكية وايها خمس وثمانون**
وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم حم امالها ابن عامر وحمزة والكسائي وابو
بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك
لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتانيث او
لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص
الوصفين لما في القران من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق
ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها
حقيقة على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده
او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله
وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو
الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع
الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب لان التائب
من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول
الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات
الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير
فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا لما حقق امر
التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه
وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه
على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم
وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم ماخوذون عما قريب
بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم
والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة
من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا
من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له
ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهم فكيف كان عقاب
فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجب وكذلك حقت

كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار
بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون
العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه
وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش
ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع
الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان
الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا
لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون
للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا
على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة
وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت
الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون
ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت
رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في
عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات هاهنا فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب
الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها ومن صلح من اباءهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم
او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد
انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه
حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات
وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله
ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الاخرة
كانهم طلبوا السبب بعدما سالوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة
او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله
اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه
اخبر عنه او للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء اعمالها الخبيثة
الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد
قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا
عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء او بتصيير
كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان

خص بالتصغير فاختيار الفاعل المختار احد مقدوريه تصيير وصرف له عن
الآخر واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة
الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان
ما في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه
ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها
من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من
النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا
وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله
وحده متوحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم
بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة العلي
الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وعلى
من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم
اياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل
لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالايات
التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع
الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان
الجازم لشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره
الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران اخران
للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده
في الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال
وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان
يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش
او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي
الروح من امره على من يشاء من عباده خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات
ايضا مسخرات لامره باظهار اثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير
التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدؤه والامر
هو الملك المبلغ الى مختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية
الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد
الثاني يوم التلاق يوم القيمة فان فيه يتلاقى الارواح والاجساد واهل
السماء والارض والمعبود والعابد والاعمال والعمال يوم هم بارزون
خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم
لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء
من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة

لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه
في ذلك اليوم ولما يجاب عنه او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب
وارتفاع الوسايط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دايما اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقايد
والاعمال هيآت توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوايق
تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوايق وادركت لذتها والمها
لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب
اذ لا يشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم
يوم الازفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الازفة
وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع
عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا
كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها
او من ضميرها في لدى وجمعه لذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله
فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة
ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع
والضماير ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع
ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين
النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة
الاعين وما تخفي الصدور من الضماير والجملة خبر خامس للدلالة على انه
ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك
الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه والذين يدعون من
دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي بشيء
او لا يقضي وقرا نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله
هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد
لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين
كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما
جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في
امتناع دخول اللام عليه وقرا ابن عامر اشد منكم بالكاف واثارا في الارض
مثل القلاع والمداين الحصينة وقيل المعنى واكثر اثارا كقوله متقلدا
سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب
عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او
الاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن

التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا
يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين
او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما
جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم
اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى
وما كيد فرعون الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم
الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه عن
قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت
عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل
على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده
قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف ان لم اقتله
ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام كقوله ويذرك
والهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب و
التهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص
بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع كلامه اني
عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان
توكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص
اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثا لهم
على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون
وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل
له على القول وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه وفي الدخان بالادغام
وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من ال فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله
يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا
اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتامل
في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد
جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم
اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف
به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه
لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار

للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا
وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل لقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان
الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا
لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا
حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به
لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي لا تفسدوا
امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين
لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير
عليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي
ولساني يتواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال
للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع
او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه
والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب
مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا
عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله
يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو
ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق
ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة ينادي فيه بعضهم
بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة
واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من
بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين
عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن
يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب على ان
فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف
بن ابرهيم بن يوسف بن يعقوب من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله
من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان
لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ان بعضهم
يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان
من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك
في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع

الحجج بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله
وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ
وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير
سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ ابو
عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما
كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب
متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء
اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات بيان لها وفي
ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع
الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله
اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي
اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال
الله اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف
على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما
لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا
في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد
عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ
زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان
فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون
الا في تباب اي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون
اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان
ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة
زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله تعالى
وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا
مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل
الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل
وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم
ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به
نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول
فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل
او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به علم بربوبيته

والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح
الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال
القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة
على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله
انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق عدم دعوة آلهتكم
الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة
مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن
فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور
بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من
التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي
لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه
كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلال والطغيان
كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر
بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري
الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب توعدهم
المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى
وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى
بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه
يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق
او القتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة او النار خبر
محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال عنها او من
الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل
يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف
اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم
في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا وذكر الوقتين يحتمل التخصيص
والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي
هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل
فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب
جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة
بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه
على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا اتباعا
كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم
مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون

مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم
فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه
بمعنى كلنا وتنوينه عوض المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في
الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك
ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم
موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان تكون جهنم ابعد دركاتها
من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من
العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن
العذاب بيانه قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم
الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة
قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم
وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب
انا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام من الكفرة في الحياة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من
الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد
كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس
من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل
من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون
وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار
جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف
والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية
هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي
العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه
واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك
وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه
تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم
على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب عليه
ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
اتيهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا
لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه
الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة

الرياسة أو أن النبوة والملك لا يكون إلا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات أو المراد فاستعذ
بالله فالتجئ إليه إنه هو السميع البصير لأقوالكم وأفعالكم لخلق السموات والأرض أكبر من خلق
الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها أولا من غير أصل قدر على خلق الإنسان ثانيا من أصل وهو
بيان لأشكل ما يجادلون فيه من أمر التوحيد ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لا ينظرون
ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم أهواءهم وما يستوي الأعمى والبصير الغافل والمستبصر
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي أن يكون لهم حال
يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لأن المقصود نفي مساواته
للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه
على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما
تتذكرون أي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس أو الكفار وقرأ الكوفيون
بالتاء على تغليب المخاطب أو الالتفات أو أمر الرسول بالمخاطبة إن الساعة لآتية
لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها وإجماع الرسل على الوعد
بوقوعها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على
ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني أستجب لكم أثبكم لقوله
إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين
وإن فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته
للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أبوابها وقرأ ابن كثير وأبو بكر
سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
لتستريحوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي إلى ضعف المحركات وهدوء الحواس والنهار
مبصرا يبصر فيه أو به وإسناد الإبصار إليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل
إلى الحال إن الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللإشعار به لم يقل لمفضل ولكن
أكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران
بهم ذلكم المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا إله
إلا هو أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص
فيكون لا إله إلا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة فأنى تؤفكون فكيف ومن
أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون
أي كما أفكوا أفك عن الحق كل من جحد بآياته ولم يتأملها الله الذي جعل لكم الأرض قرارا
والسماء بناء استدلال ثان بأفعال أخر مخصوصة وصوركم فأحسن صوركم بأن خلقكم
منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع
واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين
فإن كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية
لا إله إلا هو إذ لا موجود يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه
مخلصين له الدين أي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين

قائلين له قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات
من ربي من الحجج والآيات أو من الآيات فإنها مقوية لأدلة العقل منبهة
عليها وأمرت أن أسلم لرب العالمين أن أنقاد له وأخلص له ديني هو
الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا أطفالا والتوحيد
لإرادة الجنس أو على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا أشدكم اللام فيه متعلقة
بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز
عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين
وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة
أو بلوغ الأشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت
أو يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت
فإذا قضى أمرا فإذا أراده فإنما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه إلى
عدة وتجشم كلفة والفاء الأولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ما سبق من حيث
أنه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد ألم تر إلى الذين يجادلون
في آيات الله أنى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل
أو المجادل فيه أو للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن أو بجنس الكتب السماوية
وبما أرسلنا به رسلنا من سائر الكتب أو الوحي والشرائع فسوف يعلمون
جزاء تكذيبهم إذ الأغلال في أعناقهم ظرف ليعلمون إذ المعنى على الاستقبال
والتعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل عطف على الأغلال أو مبتدأ خبره يسحبون
في الحميم والعائد محذوف أي يسحبون بها وهو على الأول حال وقرئ والسلاسل
يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية
والسلاسل بالجر حملا على المعنى إذ الأغلال في أعناقهم بمعنى أعناقهم في الأغلال
أو إضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور
إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أي ملئ والمراد
تعذيبهم بأنواع من العذاب وينقلون من بعضها إلى بعض ثم قيل لهم أينما كنتم
تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم
أو ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا أي
بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فإنهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا
إلى شيء ينفعهم في الآخرة أو يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم
الإضلال بما كنتم تفرحون في الأرض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك
والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول إلى الخطاب للمبالغة
في التوبيخ ادخلوا أبواب جهنم الأبواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس

مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى
فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك
وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان
وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه
فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم
في حيوتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب ويدل على
شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء
مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة وما
كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على
ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد
باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق
بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح
الايات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تاكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر
ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال وعلى الفلك
ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل
لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون
لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم اياته
دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاي ايات الله اي فاي اية من تلك
الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته
متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء
غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض ما بقي منهم من القصور
والمصانع ونحوها وقيل اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة
او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات
الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم
عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الاخرة وهو قولهم
لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم
تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء و

فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا
بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون
الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال
لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله
كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان
لان رؤية الناس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية
سنت الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من
المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير
للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق
ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية واياتها ثلث او اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من
الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة
وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه
السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى
واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية
فصلت اياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من
بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرانا عربيا نصب
على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون لقوم
يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرانا او صلة لتنزيل
او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين
له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره فهم
لا يسمعون سماع تامل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع
كنان وفي اذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب
يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدا منهم ومنه بحيث استوعب
المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك
ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا انا عاملون على ديننا او في ابطال
امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم
التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد
والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا
اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص

في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال
وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم
وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالاخرة
هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم
للاخرة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن
واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى
اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع
ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها
في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم
به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك
الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها
وجعل فيها رواسي استيناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة
من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها
معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات
وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او
اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها
اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة
والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما
لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء
والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في
فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين
عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى
الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي
على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض
بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني
ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا
بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة
والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير
والترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض
ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد
توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة اي لتوافق كل واحدة اختها فيما

فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته
ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا
موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير
تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع
الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه خاطبهما واقدرهما على الجواب انما
يتصور على الوجه الاول والاخر وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما
مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا
واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على
الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس
والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها
بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء
الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها وحفظا اي
وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى
كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير
العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا
البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع
كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي
المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا
اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا
لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا
بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن
جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الاخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من
قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن
المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة
كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ان لا تعبدوا الا الله بان لا
تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة
برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم
علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير
استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من
قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذي
خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي
على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها
وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة

بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها
من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا
وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او
الوصف بالمصدر وقيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب
قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب
الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى
وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي
للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم
على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره
ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا
الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء
فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون
من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة
ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين
ونصب اعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فهم يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا
ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد
عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر
عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي
انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء او ليس
نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة
الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون الناس عند ارتكاب
الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم
عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق ان لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم ذلكم اشارة
الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز
ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد
به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها
وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين
اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا

يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات
المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين يستولون
عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل
ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع
الشهوات وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة
العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي
آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن
والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ
بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون
اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء
القائلين او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم
وقد سبق مثله ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء
او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار
دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا
يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين
كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني النوعين الحاملين
على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ
في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندسهما انتقاما
منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين
قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم
لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة ولانها عسر
قلما يتبع الاقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من
الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل
عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن
او عند الموت او الخروج عن القبر الا تخافوا مما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في
الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل
بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيث ما تتعادى الكفرة و
قرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها

ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من
غفور رحيم حال مما تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون
مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين تفاخرا به او اتخاذا
للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن
استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المؤذنين
ولا يستوي الحسنة والسيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد
النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن
منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن
دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف
اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق
وما يلقاها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا
فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس
وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته
لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده
او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه
انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن آياته الليل والنهار
والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا
لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا
بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات
وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى
لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون
له بالليل والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسأمون اي لا يملون ومن آياته انك
ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ وربأت
اي زادت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء من الاحياء
والاماتة قدير ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف
والتاويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن
يلقى في النار خير امن ياتي آمنا يوم القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا
مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير
وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون
في آياتنا او مستانف وخبران محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون

ينادون والذكر القرآن وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى
ابطاله وتحريفه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل
من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم
اي حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما يقول لك كفار
قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله
لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم
وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد
المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب
لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته
بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي أكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص
والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه والكلام وهذا قراءة ابي بكر وحمزة والكسائي
وقرأ الباقون أأعجمي وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام اعجمي على الاخبار وعلى
هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها
عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه للمحذور او للدلالة
على انهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى
الى الحق وشفاء من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم
وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن
سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف
ذلك على للذين آمنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم
قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت
من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الآجال لقضي
بينهم باستئصال المكذبين وانهم وان اليهود او الذين لا يؤمنون لفي
شك منه من التوراة او القرآن مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا
فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم
ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا
هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن
عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا
وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون موصولة معطوفة
على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائي بزعمكم
قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم
لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا

عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا
يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب
والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في
النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله
ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ
في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا
من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول
وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم
كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق
لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس
ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا
على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه
وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته
واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه
كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبروني ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به
من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول
موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما
اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية
وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه
خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان
من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول
او التوحيد او الله او لم يكف بربك اي او لم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كانه قيل
او لم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء شهيد بدل
منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات
الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم
يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية الا انهم
في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء
الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء
منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر
حسنات سورة عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين
وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك

اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في هذه السورة من المعاني
اوحي مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع
على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ
ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدره
ويوحى مسندا الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له
مقررتان لعلو شان الموحى به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي
بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته
وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله
وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع
فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر
من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول
لان اعظم الآيات وادلها على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على
الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي
مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة
يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان
بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما
من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير وعلى الثاني
دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء
باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء
وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد
عليهم بوكيل بموكل بهم او موكول اليك امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا الاشارة
الى مصدر يوحي او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر في القرآن في مواضع جمة
فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى
وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع فيه الخلائق
او الارواح والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثاني مفعولي الاول واول
مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن
لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم
في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين
لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين
بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله
لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية

والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي
ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار
ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي جواب
شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير
كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شيء من امر
من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر
او بالاثابة والمعاقبة وقيل ما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه
الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور واليه انيب
ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او مبتداء خبره
جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم
ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام من جنسها ازواجا او
خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو
البث وفي معناه الذر والذرو فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام
ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس
مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل
كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان
نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم
الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس
مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير
لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته انه بكل شيء عليم فيفعله كما ينبغي
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى
وعيسى اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرائع وهو الاصل
المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة
في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب
وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل
اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم
عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما
تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا
يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول
او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او
طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او آخر

او اخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا
وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول او
المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا
لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من
القرآن مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب
او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما
اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل
واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة
وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين
امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات
والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله
ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وكل يجازى بعمله
لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة
مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير
مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الاية ما يدل على متاركة الكفار راسا حتى
تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله
فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا
بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب
بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب
بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام
والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل
بان انزل الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة
قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان
يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه
بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع
الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة
يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة
للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي
ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد
لتجويزه فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف
من البر لا يبلغها الاوهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من

عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز
المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث
انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء
البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطه بالواحد
عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على
ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى
ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل
للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها واسناد الشرع
اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا
كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة
لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم
عذاب اليم وقرئ وان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير
عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب
الآخرة ترى الظالمين في القيمة مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع
بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي
ما يشتهونه ثابت عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي
يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي
يبشر الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره يبشر من
ابشره قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة
في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى
لا اسألكم قط ولكن اسألكم المودة في القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي
القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله
والبغض في الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك من هؤلاء قال
علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله
في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف
حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه ومودته لهم نزد له فيها في الجنة حسنا بمضاعفة الثواب
وقرئ يزد اي يزد الله وحسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية
الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى على الله كذبا افترى
محمد بدعوى النبوة او القرآن فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله

مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما
من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا فكانه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك
لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه بالصبر
فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استيناف
لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفتريا لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق
بوحيه او بقضائه او بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له
وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان
بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم
يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية
والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفوا عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون
فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ حمزة والكسائي ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد
اجابة الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما ترتب عليه ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله
على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل
ما كان للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا
وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء وهذا على الغالب واصل
البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير
ما يشاء ما اقتضته مشيئته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم
فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل
في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل
الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بفتح النون
وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي
يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته
خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم
وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب
للسبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة
وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما يدخل
الماضي يدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب
معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر

استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفوا عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية
مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم
بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضى عليكم من المصائب وما لكم من
دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار السفن الجارية
في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في رأسه
نار ان يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت
على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه
على النظر في آيات الله والتفكر في الاية او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة
والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن
فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق
ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين
يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب
نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن
عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او
يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة
حيوتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما
الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع
بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله
تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون
والذين بما بعده عطف على للذين امنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون
على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائي
كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم
ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط
تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعل الله
لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل
وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة
الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي
ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدي فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها

مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفى واصلح
بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب
الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد
ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل
على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا
عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم
ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك
منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له
من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا
العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل
اي الى رجعة الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب
خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي
اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف
وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب
المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم
على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم
وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل
الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله لا يرده
الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتي اي من قبل ان يأتي يوم من الله لا يمكن
رده ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في
صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا
رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا
رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل
سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه
وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها
عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر
موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات
والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا
ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا
ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد
مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين
جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية

للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك او
لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة
على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم
المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين
الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر
وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس بذاته
مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما
روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى
في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية
دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع
او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ اليه وحيه كما امر وعلى الاول المراد بالرسول الملك
الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب
صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل
مصدرين ومن وراء حجاب ظرف وقعت احوالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام
انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط
اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي
اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبرئيل والمعنى ارسلناه اليك
بالوحي وما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه
لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع
ولكن جعلناه اي الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ
لتهدى اي ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات
وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له **سورة الزخرف**
مكية وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا وايها تسع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا اقسم بالقران على انه جعله قرانا عربيا
وهو من البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه لقول ابي تمام وثنايا كانها اغريض
ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقران
من حيث انه معجز مبين طريق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب يدل
على انه تحاصره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا وقرا حمزة
والكسائي بالكسر على الاستيناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية

السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع
الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه
غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه او حال
منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده
ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض قال طرفة اضرب
عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف
اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر
عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء
صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا
وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد
انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه
ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك
الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة
للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من
نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم
المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين
وسلف في القران قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى
على الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم لعله لازم مقولهم وما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة
عليهم وكانهم قالوا الله كما حكي عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما
سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استيناف الذي جعل
لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم
تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي
نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا مال عنه
الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون
تنشرون من قبوركم والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه
على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق
للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على
ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله

وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى
واحد وعنه صلى الله عليه وسلم اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله واذا
استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا الى قوله
وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل
والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل
عنه ويستعد للقاء الله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن
سالتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة
بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على
استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور
مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل به
والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار
والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته
اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها
اشتد غمه به كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذى
جعله له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه
اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفي
ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ
مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا
او من ينشأ في الحلية اى او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في
الخصام في المجادلة غير مبين غير مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى ويجوز
ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى ومن هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة
غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ اى يربى وقرئ ينشؤ ويناشؤ
بمعناه ونظيره اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم
رايا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على
تمثيل زلفاهم وقرئ أنثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم
فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرأ
نافع ااشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين واأشهدوا بمدة بينهما
ستكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة ويسألون اى عنها يوم القيمة وهو
وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهى ان لله جزءا
وانه بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة
على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على

على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة
الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى
ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب الى انكار ان يكون لهم سند من
جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق
على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية
وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة
للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد ومنها
الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن
لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة
صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اى
اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر
ماض اوحي الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول
انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اى وان
كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه فانتقمنا منهم
بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ
قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك
بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه
انني براء مما تعبدون برئ من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك
استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم
وكرام الا الذى فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم
وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اى انني براء
من آلهة تعبدونها غير الذى فطرني فانه سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهديني
الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها وجعل ابراهيم عليه السلام او الله تعالى كلمة
التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو
الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اى فيمن عقبه لعلهم
يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء وآباءهم
هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة
فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض
به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة

التوحيد والقرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات أو مبين للتوحيد
بالحجج والآيات فلما جاءهم الحق لينبههم عن الغفلة قالوا هذا سحر وإنا به كافرون
زادوا شرارة فضموا إلى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا
وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين من إحدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن
المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فإن الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم ولم
يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات
القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية أهم يقسمون رحمة ربك إنكار فيه
تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهو خويصة أمرهم في دنياهم فمن أين
لهم أن يتدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب الإنسية وإطلاق المعيشة يقتضي
أن يكون حلالها وحرامها من الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وأو
قعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل
بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تألف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم
لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم إنه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف
فكيف يكون فيما هو أعلى منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون
من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا أن يكون الناس أمة واحدة
ولولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج
وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم
بدل من لمن بدل الاشتمال أو علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا
وهو لغة في سقف ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون أي أبوابا وسررا
من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا أو ذهبا عطف على محل من فضة
وإن كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا إن هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة
وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى إلا وإن نافية وقرئ به وبإن وما
والآخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على أن العظيم هو العظيم
في الآخرة لا في الدنيا وإشعار بما لأجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس
على الإيمان وهو أنه تمتع قليل بالإضافة إلى ما لهم في الآخرة مخل به في الأغلب
لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما أشار إليه بقوله ومن يعش عن ذكر
الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات
وقرئ يعش بالفتح يقال عشي إذا كان في بصره آفة وعشا إذا تعشى بلا آفة كعرج
وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه

يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على إسناده إلى ضمير الرحمن ومن
رفع يعشو ينبغي أن يرفعه وإنهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي
من حقه أن يسبل وجمع الضميرين للمعنى إذ المراد جنس العاشي والشيطان
المقيض له ويحسبون أنهم مهتدون الضمائر الثلاثة الأول له والباقيان
للشيطان حتى إذا جاءنا أي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر
جاآنا أي العاشي والشيطان قال أي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني وأضيف البعد
إليهما فبئس القرين أنت ولن ينفعكم اليوم أي ما أنتم عليه من التمني إذ
إذ ظلمتم إذ صح أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بدل من اليوم أنكم في العذاب
مشتركون لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين
في سببه ويجوز أن يسند الفعل إليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب
كما ينفع الواقعين في أمر صعب معاونتهم في تحمل أعبائه وتقسيمهم لمكابدة
عنائه إذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ إنكم بالكسر وهو يقوي الأول أفأنت
تسمع الصم أو تهدي العمي إنكار تعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد
تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا غيا
فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه
إشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فإما نذهبن بك أي فإن قبضناك
قبل أن نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون
المؤكدة فإنا منهم منتقمون بعذاب في الدنيا والآخرة أو نرينك الذي وعدناهم
أو أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس أو
نرينك بإسكان النون وكذا نذهبن فإنا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا
فاستمسك بالذي أوحي إليك من الآيات والشرائع وقرئ أوحى على البناء للفاعل
وهو الله تعالى إنك على صراط مستقيم لا عوج له وإنه لذكر لك لشرف لك ولقومك
وسوف تسألون أي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسأل من أرسلنا من
من قبلك من رسلنا أي واسأل أممهم وعلماء دينهم أجعلنا من دون الرحمن
آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد
به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس ببدع ابتدعه
فيكذب ويعادى له فإنه كان أقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد
أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إني رسول رب العالمين يريد
باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد
فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون فاجأوا وقت ضحكهم منها أي استهزأوا بها

او لم ما اروها ولم يتاملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي
بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس
اليها من الايات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل
من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري
بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك
الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم
يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك
في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم
الباهر ساحرا ادع لنا ربك اي يدعو لنا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك
بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب
عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا
لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجؤا نكث عهدهم
بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم
بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لي ملك
مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط
ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما للعاطفة
لهذه الانهار على الملك فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري
خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو
مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام
لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم
من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون
ام تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه
مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه
بطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير
وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة
والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعا او جاء معه الملائكة مقترنين
مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى
تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم
فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق
فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد
غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من
الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم
وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف

او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال الضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي
ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال
مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعا انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم او غيره بان قال النصارى اهل الكتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه
ابن الله والملائكة اولى بذلك او على قوله واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا
او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك قريش منه من هذا المثل
يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم صار ملزما به وقرأ
نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون
عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا االهتنا خير ام هو اي الهتنا خير
عندك ام عيسى فان كان في النار فليكن الهتنا معه او الهتنا الملائكة خير ام
عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت الهتنا اولى بذلك او الهتنا خير
ام محمد صلى الله عليه وسلم فنعبده وندع الهتنا وقرأ الكوفيون االهتنا بتحقيق
الهمزتين والف بعدها ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل
والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص
على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا
عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء
لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة
في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت
عجيبة فانه تعا على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها
ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق
الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه
او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياءه الموتى يدل على
قدرة الله تعا عليه وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي
الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها
يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه
عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير
ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل
الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن
فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول صلى الله
عليه وسلم امر ان يقوله هذا هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه
ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم
عن الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل

او بالشرايع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين لكم
بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا
فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انتم اعلم بامر دنياكم
فاتقوا الله واطيعوه فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم
بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع هذا صراط مستقيم الاشارة
الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله تعالى يدل على ما هو المقتضي
للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او
اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين
من عذاب يوم اليم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا
ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة
وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء
يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا
يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابد
الاباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون
المتحابون في الله يومئذ الذين امنوا باياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين
حال من الواو اي الذين امنوا مخلصين غير ان هذه العبارة ابلغ ادخلوا الجنة
انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره
على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه
والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف
جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهي الانفس
وقرا نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم
بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم
زايل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك
الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه
يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها
صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق
الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها
ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القران وهو حقير
بالاضافة الى ساير نعايم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين
في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالايات وحكى عنهم ما يخص بالكفار
في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف
عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب
مبلسون ايسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم

فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا او مضموما ولعله اشعار
بانهم لضعفهم لا يستطيعون تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا وقالوا
ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو
لا ينافي ابلاسهم فانه جوار وتمن للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص
لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان
في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن
اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا
امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم
والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون
امرا من كيدهم بالرسول صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجويهم وتناجيهم بلى نسمعها
ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم
ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة
الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثم مشعرة بانتفاء الطرفين وان ههنا
لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم للازم الدال على انتفاء
ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس
بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين
له او الانفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وما كان
له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرا حمزة والكسائي ولد بالضم سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام
لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به ساير الاجسام من توليد المثل
فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا
يومهم الذي كانوا يوعدون اي القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع
هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الاخرة وهو الذي في السماء اله وفي
الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن
معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرا الله والراجع مبتدا محذوف لطول
الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عايد لكن لو جعل
صلة وقدر له مبتدا محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء
بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية واختصاصه
باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك
السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم

القيمة فيها واليه يوصون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء
على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم
شفعاء هم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل
ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل
ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين او المعبودين ليقولن
الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون من عبادته الى عبادة
غيره وقيله وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ونصبه للعطف على سرهم او على محل
الساعة او لاضمار فعله اى وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ
بالرفع على انه مبتدأ خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة
بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع
بتقدير قيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم
آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول صلى الله
عليه وسلم وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الاية وايها سبع او تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم حم
والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما به والا فللقسم والجواب
قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيه انزاله او
انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم
نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية او
لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية
انا كنا منذرين استئناف بين المقتضى للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر
حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها
القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما
اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها بقوله تنزل الملائكة والروح
فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل اى يفرقه الله
ونفرق بالنون امرا من عندنا اى اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على
مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امرا او
ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق
او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين
او مأمورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا القرآن
لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب
موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة

ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من
عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها
وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع
العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وهو
لا يحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او استئناف
وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اى ان كنتم من اهل الايقان
في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان
الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق
سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين قرئا بالجر بدلا بل هم
في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان
مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف
بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي
الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان
الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة
لما روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج
من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن
فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره
او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله
هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا
مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف
يتذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار
من الآيات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي
لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي صلى الله
عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من
اعمارهم انكم عائدون الى الكفر عقيب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال
اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما
يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في يوم القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش
البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون
فان ان يحجزه عنه او بدل من يوم تأتي وقرئ نبطش اى نجعل البطشة الكبرى باطشة
بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم
بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ
بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او في

نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه وان ادوا الي عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم
معي او بان ادوا الي حق الله تعالى من الايمان وقبول الدعوة لان مجي الرسول تكون
برسالة ودعوة اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان
الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة
بوحيه ورسوله وان كالاولى في وجهيها اني اتيكم بسلطان مبين علة النهي ولذكر
الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى واني عذت بربي وربكم التجات
اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا او شتما او تقتلوني وقرئ عت بالادغام
وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا لي بسوء فانه
ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعدما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء
قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء
وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادي ليلا اي فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك
فاسر وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا
بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته
ولا تضربه بعصاك ولا تغيره شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى
لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل
حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج
اخرجناهم منها والامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما اخرين
ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء
والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليه السماء
وكسفت لمهلكه الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه
ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل
السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت اخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين من استعباد فرعون وقتل ابنائهم من فرعون بدل من العذاب على حذف
المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من
جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان
عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال
من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني اسرائيل
على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال على العالمين
لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم واتيناهم من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار
قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار
على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة
ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما

في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها
حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من
شانها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بابائنا خطاب
لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم
ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش
وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك
ذمهم دونه وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل
لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من
قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استئناف بمال قوم تبع والذين من قبلهم هددوا
كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استونف به انهم كانوا
مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما
بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر
في الدنيا وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من
الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم
الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه
واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم
اي ان جزاءهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او ظرف للفصل مولى
من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى
الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله
الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من
اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى
الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة
ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت
يغلي في البطون وقرا ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم
لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليا مثل غليه خذوه على
ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء
وجره بقهر وقرا الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم
وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب فوق رؤسهم
الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب
الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق
انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به او تقريعا على ما كان يزعمه وقرا
الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به
تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة وهو قراءة نافع

وابن عامر والباقون بفتح الميم امين يامن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات
وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل
والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او
استيناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق
من البرقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او
آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء
والعيناء عظيم العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة
يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان
ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون
فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة
والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة
في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن
ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقيهم عذاب الجحيم وقرئ ووقاهم على المبالغة
فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا وقرئ بالرفع اي ذلك فضل
ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك
سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه
فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون
ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتيج الى اضمار مثل
تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم
وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض
لآيات للمؤمنين ويحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات
لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على
المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى
غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان
واسمها وقرأه حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به
الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة
والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف
على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص او يرتفع
باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور
تلك آيات الله اي تلك الآيات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق

بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد
آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او
بعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث وآياته ودلائله المتلوة
او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح
يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات
الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد
الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها
اي كأنه فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع
فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من آياتنا
شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين لذلك
من غير ان يرى فيها ما ينافي الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدة الاشعار بانه اذا سمع
كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه
او لشيء لانه بمعنى الآية من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من
خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد
شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله من الاصنام ولهم عذاب عظيم
لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات
ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز
اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل
كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها
ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون
هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه
حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما
في السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد او لما في الارض وقرئ منة على المفعول
ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول له لدلالة الجواب
عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله
لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها او لا يأملون
الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت
في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون
او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة
او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم
وليجزى قوما اي ليجزى الخير والشر والجزاء اي ما يجزى به لا المصدر فان

الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن
اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازي
على اعمالكم ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية
والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم
ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين
حيث اتيناهم ما لم نؤت غيرهم واتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين
ويندرج فيها المعجزات وقيل ايات من امر النبي صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه
فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة
وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة
ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة
بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اراء الجهال التابعة للشهوات وهم
رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا
مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام
فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القران
او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلالة ورحمة ونعمة
من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى
الهمزة انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان
الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان
في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء
بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان
للثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من
الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة
كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة او استيناف مقرر لتساوي محيا كل صنف
ومماته في الهدى والضلال وقرئ ومماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان
كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله
السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق
المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن
واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق
لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى
وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسميته ذلك ظلما ولو فعله الله
لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرايت من اتخذ
الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ الهة هواه

هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه واضله الله
وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا
يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار
والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا
تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حيوتنا الدنيا التي نحن
فيها نموت ونحيى اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت
بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض او يصيبنا الموت
والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة
اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة
بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى
حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم
الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا
به واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او
مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا
باباءنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم
ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء
قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالايات
دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان باباءهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا
يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما
يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية
مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزين على الركب وقرئ جاذية اي جالسة
على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب
كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول
على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها
اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ
نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه
عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم ياتكم
رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء
بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتكم الاجرام واذا قيل
ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة

لاريب فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة
اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي
والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي
ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل
ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة
وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها
او جزاؤها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم
في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به و
اضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا
فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها
وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا
ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها
آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه و
اطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن
روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا
خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث
للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل
واحد وهو آخر مدة بقائه المقدرة له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون
ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل أرأيتم ما تدعون من دون
الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل
فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل في انفسها في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص
الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب
من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فانه بالحق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم
بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين
في دعواكم وهذا الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا
اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلث
في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة
والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون
احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان
يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون

غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس
كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال
او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شأنه والمراد به الآيات
ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم
بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين جاءهم من غير نظر وتأمل هذا سحر مبين ظاهر
بطلانه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار
له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله
بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب
من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح
في آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار
وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن
واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم
الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها نظيره
الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتأكيد النفي المشتمل
على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اي
يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار
عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين
وما انا الا نذير من عقاب الله تعالى مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات
المصدقة قل أرأيتم ان كان من عند الله اي القرآن وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز
ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني
اسرائيل الا انها تعطف بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن
سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت الرسول صلى الله
عليه وسلم على مثله مثل القرآن وهو ما في التورية من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة
لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فآمن اي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا
للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر
بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم
ظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم لو كان خيرا الايمان او ما اوتي به
محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة
وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة
واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف
لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم

اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على
الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب
في مصدق او منه لتخصيصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه
مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول لمصدق اي
يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد
الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور
التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين
فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب
وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون
احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره
وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالضر والضر وقيل المضموم
اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل
عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به
كما يعبر بالامد عن المدة كقول لبيد حتى يستكمل عدة العمر ومده اذا انتهى امده ثلثون
شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان
اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن
اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع
لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل و
استحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب
اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه
لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضيه
نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء الله عز وجل واصلح لي في
ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين
يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ويتجاوز عن
سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين
في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل
ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدأ خبره
اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص
السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان

ان اخرج ابعث وقرأ هشام اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي
فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان
يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على
ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها
اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل
على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان الاسلام في امم قد خلت من قبلهم كقوله
في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على
الاستيناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر
او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وهنا جاءت على التغليب وليوفيهم
اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل تعرض النار
عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم
وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ
بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا
باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان
وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار
الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا
اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف
الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض ان
لا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتأفكنا
لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت
من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي
فيه فأستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت
به وما على الرسول الا البلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا
مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا سحابا عرض في افق السماء
مستقبل اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي
يأتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح
هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك
كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون
الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا
وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فتكون العائد محذوفا او الهاء نظر ربها

ويحتمل ان يكون استينافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتاخر
ويكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم اي فجاءتهم
الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم
وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي
القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت
الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم
كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم ان نافية
وهي احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما
او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم
فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه
الخطوب والاول اوفق واظهر لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا
على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو
القليل اذ كانوا يجحدون بايات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل
من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به
يستهزئون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود
وقرى قوم لوط وصرفنا الايات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا
فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة يتقرب بها الى الله حيث
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول
المحذوف وثاني مفعوليه قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول
له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم
وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك
الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم
اي جعلهم آفكين وافكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا يفترون
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار
يستمعون القرآن حال محمول على المعنى فلما حضروه اي القرآن او الرسول
قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع فلما قضي اتم وفرغ من قراءته
وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين
اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا
بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقائد والى
طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم

بكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم
من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان
لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض
اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا
عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي
ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد
الاباد بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر
والباء مزيدة لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله
بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود
كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين
كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى
الامر هو الاهانة والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا
الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم
اصحاب الشرائع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها
ومعاداة الطاعنين فيها كقوله فنسي آدم ولم نجد له عزما وفي سليمن وفي
يونس ولا تكن كصاحب الحوت ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى
عليهم السلام وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه
حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب
على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال
له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل
بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة بلاغ هذا الذي
وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ
بلغ وقيل مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا
بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل
يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ بفتح اللام
وكسرها من هلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا سورة محمد صلى الله
عليه وسلم وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآيها سبع او ثمان
وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول
في الاسلام وسلوك طريقه ومنعوا الناس عنه وهم المطعمون يوم بدر او شياطين

قريش او المطعمين من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل
مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضائعة محبطة
بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا
به وجه الله او ابطل ما عملوا من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله
واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين
والانصار والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد
صلى الله عليه وسلم تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان
الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم
اعتراضا على طريقته وحقيقته بكونه ناسخا ولا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل
وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح
واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتاييد ذلك اشارة الى ما مر من
الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدا وخبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل
وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء
الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك سمي تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب
يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين واحوال الناس او يضرب امثالهم
بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين
وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى
المفعول ضما الى التاكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي
ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم
اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم
والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون منا او
تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو
ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء
والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل
او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها الاتها واثقالها التي لا
تقوم الا بها كالسلاح والكراع اى تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل
اثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او
للمن والفداء او للمجموع والمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع
المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلام ذلك اى الامر ذلك او افعلوا
بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم باستئصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض
ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب
العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع

يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله اى جاهدوا وقرا البصريان
وحفص قتلوا اى استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل
من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم
ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا
في الدنيا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله
ويهتدي اليه كانه كان ساكنه مذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب
الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان
تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم
في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم
فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول
لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة
لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القران لما فيه
من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم تخصيص وتصريح
بسببية الكفر بالقران للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه
يلزم الكفر به ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم و
اهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر امثالها امثال
تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله التي
قد خلت ذلك بان الله مولى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى
لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم فانه
المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا و
ياكلون كما تاكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى
لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار
السبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو
كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القران
او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك
والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة
مثل الجنة التي وعد المتقون اى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل
مبتدا خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل الجنة كمثل
من هو خالد او امثل الجنة مثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار و
حذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين

المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمحاربة من سوى بين الجنة والنار وهو
على الأول خبر محذوف تقديره أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد
في النار أو بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من
على بينة في الآخرة تقريرا لإنكار المساواة فيها أنهار من ماء غير آسن تفسير
لشرح المثل أو حال من العائد المحذوف أو خبر لمثل وآسن من أسن الماء
بالفتح إذا تغير طعمه وريحه أو بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وأنهار من خمر لذة
للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة وريح ولا غائلة سكر وخمار
تأنيث لذ أو مصدر نعت به بإضمار أو تجوز وقرئت بالرفع على صفة الأنهار
والنصب على العلة وأنهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات
النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الأشربة في الجنة بأنواع
ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب
غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس
ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف أو مبتدأ خبره محذوف
أي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الأشربة
فقطع أمعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا
من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم
ويسمعون كلامه فإذا خرجوا قالوا للذين أوتوا العلم أي لعلماء الصحابة
ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء أو استعلاما إذ لم يلقوا له
آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه مستعارا من
الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير في
قال وقرئ أنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فلذلك استهزؤا
بها وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم أي زادهم الله بالتوفيق والإلهام
أو قول الرسول هدى وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون أو أعانهم على تقواهم أو أعطاهم
جزاءها فهل ينظرون إلا الساعة فهل ينتظرون غيرها أن تأتيهم بغتة بدل اشتمال
من الساعة وقوله فقد جاء أشراطها كالعلة له وقرئ إن تأتهم على أنه شرط
مستأنف جزاؤه فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم والمعنى إن تأتهم الساعة بغتة لأنه
قد ظهر أماراتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم
ذكراهم أي تذكرهم إذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم أنه
لا إله إلا الله واستغفر لذنبك أي إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة
الخائضين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس بإصلاح أحوالها
وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم
بالدعاء والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي إعادة الجار وحذف المضاف

المضاف إشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وأنها جنس آخر فإن الذنب
ما له تبعة ما بترك الأولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فإنها مراحل لا بد من
قطعها ومثواكم في العقبى فإنها دار إقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا
لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة أي هلا نزلت سورة في أمر الجهاد
فإذا أنزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال أي الأمر به
رأيت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون إليك
نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فأولى لهم فويل لهم أفعل من الولي
وهو القرب أو فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو
يؤول إليهم أمرهم طاعة وقول معروف استئناف أي أمرهم طاعة أو طاعة
وقول معروف خير لهم أو حكاية قولهم كقراءة أبي يقولون طاعة فإذا عزم
الأمر أي جد وهو لأصحاب الأمر وإسناده إليه مجاز وعامل الظرف محذوف
وقيل فلو صدقوا الله أي فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان لكان
الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم
أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم
تناحرا على الولاية وتجاذبا لها أو رجوعا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور
ومقاتلة مع الأقارب والمعنى أنهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء
بأن يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز
فإن بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره أن تفسدوا وإن توليتم اعتراض و
عن يعقوب إن توليتم أي إن تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الإفساد
وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع أولئك
إشارة إلى المذكورين الذين لعنهم الله لإفسادهم وقطع الأرحام فأصمهم
عن استماع الحق وأعمى أبصارهم فلا يهتدون سبيله أفلا يتدبرون القرآن
يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي
أم على قلوب أقفالها لا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر وقيل أم
منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لأن المراد قلوب بعض
منهم أو للإشعار بأنها لإبهام أمرها في القساوة أو لفرط جهالتها فكأنها
مبهمة وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة
بها لا تجانس الأقفال المعهودة وقرئ إقفالها على المصدر إن الذين ارتدوا
على أدبارهم أي ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل
الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر
من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني
وفيه أن السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل و
يمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف أي كيد

الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم
لقراة يعقوب واملي لهم اي وانا املي لهم فيكون الواو للحال او الاستيناف
وقرا ابو عمرو واملي لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين
كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود للذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او
المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر في بعض اموركم
او في بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا
والتضافر على الرسول صلى الله عليه وسلم والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي
افشاه الله عليهم وقرا حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم
الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع
المحذوف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافونه و
يجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله
من الكفر وكتمان نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه
من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم
مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء
لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم
بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف و
لحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل
الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات
ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على
مشاقها ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم
وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرا ابو بكر الافعال الثلثة بالياء
ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين
لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا
بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه
وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم او مكايدهم
التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا
القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب
والرياء والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله في اهل القليب ويدل بمفهومه على
انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا

وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى السلم اي الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه
باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وانتم الاعلون الاغلبون
والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل
اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه تعطيل
ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان
تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم
جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ان يسألكموها فيحفكم
بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى
شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم
على رسول الله والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه
سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم
هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا
في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين
وهي النفقة في الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل
على الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضرر
البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي
فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم
وان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا
يستبدل قوما غيركم يقم مقامكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم بالتولي
والزهد في الايمان وهم الفرس لانه سئل صلى الله عليه وسلم وكان سلمان
الى جنبه فضرب فخذه فقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من
انهار الجنة. سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية
واياتها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح
مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك
او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين
حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له
في الحديبية اية عظيمة وهي انه نزح ماءها بالكلية فتمضمض ثم مج فيها فدرت
بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في
تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الروم وقيل
الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر علة للفتح من
حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين

وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدى
الظلمة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه
ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوه ويهديك صراطا مستقيما فى
تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة
او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذى انزل السكينة الثبات والطمانينة
فى قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل فيها
السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر
ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما
بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما
دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اى دبر ما دبر من
تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكافرين والمنافقين
لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال
ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اى الادخال والتكفير عند الله فوزا
عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حار من العود ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا
فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر
رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين
لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح
غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما فى الاصل
مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم عطف لما استحقوه فى الاخرة على ما استوجبوه
فى الدنيا والواو فى الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب
سبب للعن لاستقلال الكل فى الوعيد بلا اعتبار السببية جهنم وساءت مصيرا جهنم
ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك
ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبى صلى
الله عليه وسلم والامة اولهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه
بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا
غدوة وعشيا او دائما وقرا ابن كثير وابو عمرو الافعال الثلثة بالياء وقرئ وتعزروه
بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بالزائين وتوقروه
من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته
يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد
فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى

فى بيعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرا حفص عليه بضم الهاء
وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت فى بيعة
الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار
استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل
باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة
قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم
وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس
فى قلوبهم تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن
يمنعكم من مشيته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة وخلل فى المال
والاهل وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائى بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد
ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لان ظننتم ان
المشركين يستاصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات
على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك فى قلوبكم فتمكن فيها
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور
والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله تعالى ورسوله صلى
الله عليه وسلم من الامور الزائفة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم
وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع
الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله
فهو كافر وبانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة
ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء اذ لا وجوب عليه
ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب
داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء فى الحديث الالهى سبقت رحمتى غضبى
سيقول المخلفون يعنى المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعنى مغانم خيبر
ذرونا نتبعكم فانه صلى الله عليه وسلم رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست
واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا
كثيرة فخصها بهم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية
ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معى ابدا والظاهر انه فى
تبوك والكلام اسم للتكلم غلب على الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائى كلم الله وهو جمع
كلمة قل لن تتبعونا نفى فى معنى النهى كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى
خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم فى الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا
يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى
الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى

رة من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم
بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي
باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة
او الاسلام لا غير لما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم
او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة
لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم
ومعنى يسلمون ينقادون لنا ولقبولهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وهو
الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا
اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد
على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم من الوعيد ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته
ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا
انفع من الترغيب لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه صلى الله
عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش
فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم ان
يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم
من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح
واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها
يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم
كثيرة تاخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر
وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي
قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم
من الله تعالى بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية
او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل مثل
لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما
هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او
منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها
موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط
الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء
قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل
مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا

ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة
فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا
وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة
من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة
الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى
ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح واستشهد به على ان مكة
فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من
مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا
فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا
ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ
والهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه
المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله
عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم
بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطأ على حنق
وطأ المقيد نابت الهرم وقال صلى الله عليه وسلم ان اخر وطأة وطئها الله
بوج وهو واد بالطائف كان اخر وقعة للرسول صلى الله عليه وسلم بها واصله
الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم
منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتاسف عليهم
وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه
ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اي تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف
لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين اظهر
الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل
الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي عن اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين
اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي توفيقه لزيادة الخير او الاسلام من يشاء من مؤمنيهم
او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا
منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او
صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين انزل عليهم الثبات والوقار وذلك بما روي انه صلى الله
عليه وسلم لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن
حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام
فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة

قالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه
محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه الصلوة والسلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان
يابوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى
كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء
بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرها
واهلها اي المستاهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله
رسوله الرؤيا راى عليه الصلوة والسلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا او
قصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تاخر
قال بعضهم والله ما حلقنا وما قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه
ملتبسا بالحق فان ما راه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان
يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت
على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن
المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية
تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا
او النبي لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا
بعضكم ومقصرا اخرون لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم
تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد الحرام او فتح
مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره
على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا
او بتسليط المؤمنين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما
وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة
ومحمد خبر محذوف او مبتدا والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار
رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف
دينهم ويتراحمون فيما بينهم لقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم
ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي
تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئ ممدودا
ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور
او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة
فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل
مستانف او تفسير او مبتدا او كزرع خبره اخرج شطاه فراخه يقال اخرج الشطا

الشطا الزرع اذا افرخ وقرا ابن كثير وابن عامر شطاه بفتحات وهو لغة فيه
وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها
وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة وهي المعاونة او من الايزار
وهي الاعانة وقرا ابن عامر فازره كاجره في آجر فاستغلظ فصار من الدقة
الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه
بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله
للصحابة قلوا في بدو الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس
ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه
غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفتح فكانما
كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مكية وهي ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف
المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم راسا
او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا
وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين
المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان
يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله
بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم
عليم بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي
اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على
الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم
بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار
والمبالغة في الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى عليه وزيادة الاهتمام به
ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل
المعلل باعتبار التادية لان في الجهر والرفع استخفافا وقد يؤدي الى الكفر المحبط
وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن
قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل
جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال صلى الله عليه وسلم لست هناك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة
ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة
عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد ذلك كانا يسرانه حتى يستفهمهما

اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة
للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او الفعل
باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى
فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه
ميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير
للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر
عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول
بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا
بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء
وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة
والحجرات بفتح الجيم وسكونها وقرئ بهما جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط
ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء
النبي صلى الله عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم
اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند
فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد
اخرج الينا وانما اسند على جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم
اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان
بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم
حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت
ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى
مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها
بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى
يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه
من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب
والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق
النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع
لهؤلاء المسيئين للادب التاركين لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها
الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه صلى الله
عليه وسلم بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة
فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم بعده خالد بن الوليد

الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق
والنبأ للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل
من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب
تبينه من حيث هو كذلك لما رتبه على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات
لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان
تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما
فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلثة
دائر مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي
اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان
فيكم رسول الله على حال يجب تغيرها وهي انكم تريدون ان يتبع رايكم في الحوادث
ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار
اليه بالايقاع ببني المصطلق ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من
فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة
من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك
هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى بنفسه
الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة بغض
فعدى الى اخر والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان
الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما
اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند
الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام والله
عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع
فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى تعدت
عليها على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق
الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان
فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل
ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور
ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت في قتال حدث بين الاوس
والخزرج في عهده صلى الله عليه وسلم بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن
وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة
من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم

ينتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح
ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا
الى المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم
الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله
في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين
والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص
بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور
وظيفة الرجال كما قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون
فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية
تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم
عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي
ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من
فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا
بالالقاب ولا يدعو بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد
دخولهم في الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى
المؤمنين خصوصا اذ روي ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون
وعمي موسى وزوجي محمد عليهم الصلوة والسلام او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه
وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان
موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا
منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن
ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله ومنه ما يحرم
كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين
ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم
الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها
ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى
الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس فهو اثر التجسس وغايته ولذلك قيل للحواس
الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم
بعضا بالسوء في غيبته وسئل عنه صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك
بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل

لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات
الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية
الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا وتعقيب
ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا
فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ
وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط
منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب
او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما
عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى
رسول الله قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما
قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا
كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون
تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم
المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون
والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة
وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل
بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل وقرئ
لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى
بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما
الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم
خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة
في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة
ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل
لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة
ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين
وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا
اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهي
عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل
الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا
ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك

النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الاية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعتدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن بذلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الاية من الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقران المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقران ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله تعالى عما هو اهون مما يشا

هدونه من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تأكل من اجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القران لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله تعالى في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالات او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير جديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن

اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز لقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل
الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان
عرقان يكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي
وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله من
كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين
فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهو ما فيه من تشديد يثبط العبد عن
المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم تقوم الاشهاد عن اليمين
وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه كقوله واني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد لقوله والملائكة
بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر
ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات
فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه
سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث
والجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام
الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء
للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق
او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن
وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به
او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت
ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث
ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل
السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد
جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة
من هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر
فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات
وقصور النظر عليها والالف بها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب
للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القران فبصرك
اليوم حديد ترى ما لا يرونه وتعلم ما لا يعلمونه ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات
على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب
عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته
لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او
خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او

420 للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره
كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل
من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون
الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل
المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد
متعد مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدا متضمن معنى
الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه
تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض
له وانما استؤنفت كما استؤنفت الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف
دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته
بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما
في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد
فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراي مائلا الى الفجور
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي الله لا تختصموا
لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول وقد
قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو
حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية
على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله
ما يبدل القول لدي اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي واعفو
بعض المذنبين لبعض وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم
نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل
والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى
تمتلئ لقوله لاملان جهنم او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد
فراغ او انها من شدة زفرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثرة لهم والطالبة
لزيادتهم وقرا نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول
كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى
تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز
ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر
او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب
او مصدر ازلفت وقرا ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين
باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب
منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان
من لا يوصف به او مبتدا خبره ادخلوها على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى

المجيء وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه
احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون
خشيته مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله تعالى
بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك
يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا
مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا
في البلاد خرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على
الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه هل من
محيص اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم
في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا
على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى
نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة
لمن كان له قلب اي قلب واع يتفكر في حقائقه او القى السمع او اصغى لاستماعه وهو
شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره
وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب
واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه
الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول
المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام
منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن
والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن اناء
الليل فسبحه فسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر وقرا
الحجازيان وحمزة بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
فالصلوة قبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاء
ان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع
لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم يناد المناد اسرافيل
او جبريل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور
المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه
الى الكل على السواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب عاد اعلم يوم
الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة و

والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال
للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتشقق
وقرا الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث
وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم
القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم
بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران
من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق
هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وايها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا يعني الرياح لانها تذرو التراب وغيره او
النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة
وغيرهم وقرا ابو بكر وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب
الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك
وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر
سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة
مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من
الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرها من اسباب القسمة او الرياح تقسم
الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام
بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب
الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به
باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع
جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة
على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع
الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد من الطرائق المحسوسة التي هي
مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم
فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق
او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالجبل والحبك كالنعم
والحبك كالسلك والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة
انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القران او في القيمة او امر الديانة
ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات
في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه والضمير للرسول صلى الله
عليه وسلم او القران او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة
اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر

افك من افك عن القول المختلف وسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اى يصدر تناهيهم
عنها وبسببها وقرئ افك بالفتح اى من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس
عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل
اجرى مجرى اللعن الذين هم فى غمرة فى جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون
ايان يوم الدين اى فيقولون متى يوم الجزاء اى وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم
على النار يفتنون يحرقون جواب السؤال اى هو يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على
النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا
فتنتكم اى مقولا لهم هذا القول هذا الذى كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذى
كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذى صفته ان المتقين فى
جنات وعيون آخذين ما آتيهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما
آتاهم حسن مرضى متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو
تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة
اى يهجعون فى طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة
اى فى قليل من الليل هجوعهم او يهجعون فيه ولا يجوز ان يكون ما نافية لان ما بعدها
لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى
هو وقت السبات والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم
يستغفرون اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كانهم
اسلفوا فى ليلهم الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور
علمهم بالله وخشيتهم منه وفى اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا
الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدى والمتعفف الذى يظن غنيا
فيحرم الصدقة وفى الارض آيات للموقنين اى فيها دلائل من انواع المعادن و
الحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء
واختلاف اجزائها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته
وارادته ووحدته وفرط رحمته وفى انفسكم اى وفى انفسكم آيات اذ ما فى العالم شئ
الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة
واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفى السماء
رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر
فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان
الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستانف خبره فورب السماء
والارض انه لحق وعلى هذا الضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر
الآيات والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم فى انكم
تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن فى لحق او الوصف

الوصف لمصدر محذوف اى لانه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن
وهو ما ان كانت بمعنى شئ وان بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده
قراءة حمزة والكسائى وابى بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابرهيم فيه تفخيم لشان الحديث
وتنبيه على انه اوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا
اثنى عشر ملكا وقيل ثلثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم فى صورة الضيف
المكرمين اى مكرمين عند الله او عند ابرهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه
ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اى نسلم عليكم سلاما قال سلام اى عليكم
سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى يكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا
مرفوعين وقرا حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اى انتم قوم
منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه
علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فان من ادب
المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان
عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اى منه وهو مشعر بكونه
حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار
ان قاله حيث ما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه
لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله
قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو
اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم فى صرة
صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول فاقبلت باخذت فصكت وجهها
فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها
من الحياء وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذى بشرنا به قال
ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها
المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة
مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد فى
الفجور فاخرجنا من كان فيها فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من
المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل
به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على
من اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة
وتركنا فيها آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار
او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفى موسى عطف على وفى الارض اى تركنا فيها او على
معنى وجعلنا فى موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين
وهو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى

بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف و
قال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه
حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر
وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ
ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة
وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد
من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم
ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب
بعد الثلث وقرا الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم
معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم
ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا
قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة
ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين
خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون
لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء
او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها
فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم
تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل
التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة
اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله
بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب
ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة
والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه
وسلم وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او
مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد النافية لا يعمل فيما قبلها
اتواصوا به اي كان الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه
جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع
لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم
بعدما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض
بعدما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى
تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزيده بصيرة وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم
مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد

ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة او ليكونوا
عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل
رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شانه
مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل
معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسالكم عليه اجرا ان الله هو
الرزاق الذي يرزق كل مفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا
الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين
ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب
مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة
السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب
لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون
من يوم القيمة او يوم بدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والذاريات اعطاه الله
عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وآيها تسع او ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينا وهو جبل
بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى والطور الجبل بالسريانية او ما طاح
من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب
مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله تعالى
في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما
تكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب
وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت
المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة
وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص
والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من
قوله واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا تسجر بها جهنم
او المختلط من السجر وهو الخلط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه
ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها انها امور تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته
وصدق اخباره وضبطه اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب
اضطرابا والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج وتسير الجبال
سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اذا وقع ذلك فويل
لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا
يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم
فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم
بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي فيقال

لهم ذلك افسحر هذا اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم
الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون
فى الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين
قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اى ادخلوها على اى وجه
شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اى الامران الصبر وعدمه انما
تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه
سيان فى عدم النفع ان المتقين فى جنات ونعيم اى فى اية جنات واى نعيم او فى جنات
ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون
على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية
او فى جنات او حال باضمار قد من المستكن فى الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله
او منهما كلوا واشربوا هنيئا اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى
لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى
هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين
الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا
بسببهن ولذا عطف والذين آمنوا على حور اى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين
وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ
ابن عامر ويعقوب ذرياتهم للمبالغة فى كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على
الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل
بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفى فى الالحاق
المتابعة فى اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم فى دخول الجنة او فى الدرجة لما روى انه صلى
الله عليه وسلم قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه
ثم تلا هذه الاية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم
من عملهم من شئ بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء او باعطاء الابناء
بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام
من الت يالت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت
يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا
فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اى وزدناهم وقتا بعد وقت
ما يشتهون من انواع النعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا
خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير فى قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اى لا يتكلمون بلغو
الحديث فى اثناء شربها ولا يفعلون ما يأثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا وذلك
مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اى بالكأس
غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون
مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه الصلوة والسلام والذى نفسى

بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل فى
اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة
فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة فى المسام
نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك فى الدنيا ندعوه
نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائى بفتح همزة انه
الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكر ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك
بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولونه ام يقولون شاعر نتربص به ريب
المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا
قطعه قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ام
تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة
نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون
وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد فى العناد وقرئ
بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن
لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين فى زعمهم اذ
فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى ويجوز ان يكون رد التقول
فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شئ ام احدثوا وقدروا من غير
محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شئ من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون
يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات
والارض وام فى هذه الايات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون
اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما
اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا
او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته الحكمة ام هم المصيطرون الغالبون على
الاشياء يدبرونها كيف شاؤا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين
فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم
بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه
لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يكون ممن يترقى بروحه
الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم
من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا فى اتباعك ام عندهم الغيب
اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم فى
دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون
وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون
هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون

في الكيد من كاد به فكفهم أم لهم إله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان
الله عما يشركون عن إشراكهم أو شركة ما يشركونه به وإن يروا كسفا قطعة من السماء
ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم
بعضها على بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الأولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر
وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه أو أصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم
شيئا أي شيئا من الإغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله
وإن للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك أي دون عذاب
الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين
ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك بإمهالهم وإبقائك في عنائهم فإنك
بأعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة
بكثرة أسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من أي مكان قمت أو من منامك أو إلى الصلاة
ومن الليل فسبحه فإن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء ولذلك أفرده بالذكر
وقدمه على الفعل وإدبار النجوم وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح أي
في أعقابها إذا غربت أو خفيت وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطور كان
حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته **سورة النجم مكية وآيها إحدى أو**
اثنان وستون بسم الله الرحمن الرحيم والنجم إذا هوى أقسم بجنس النجوم أو الثريا
فإنه غلب فيه إذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فإنه يقال هوى هويا بالفتح
إذا سقط وغرب وهويا بالضم إذا علا وصعد أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل أو النبات
إذا سقط على الأرض أو إذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن
الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون إليه
وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى إن هو ما القرآن أو الذي ينطق به
إلا وحي يوحى أي إلا وحي يوحيه الله تعالى إليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له وأجيب عنه بأنه إذا
أوحي إليه بأنه يجتهد كان اجتهاده وما يستند إليه وحيا وفيه نظر لأن ذلك يكون بالوحي لا
الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فإنه الواسطة في إبداء
الخوارق روي أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا
جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله
تعالى عليها قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في السماء ومرة
في الأرض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الأمر وهو بالأفق الأعلى أفق السماء والضمير
لجبريل عليه السلام ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول
وقيل ثم تدلى من الأفق الأعلى فدنا من الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون إشعارا بأنه عرج به
غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فإن التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله
من السرير وأدلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان جبريل عليه السلام كقولك هو مني معقد الإزار أو المسافة

المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما أو أدنى على تقديركم كقوله أو يزيدون والمقصود
تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبس فأوحى جبريل
إلى عبده عبد الله وإضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما أوحى جبريل
وفيه تفخيم للموحى به أو الله إليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى
كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه
بشراشره إلى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى ببصره من صورة جبريل
أو الله أي ما كذب بصره بما حكاه له فإن الأمور القدسية تدرك أولا بالقلب
ثم تنتقل منه إلى البصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لأنه
عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقيل أو ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه
أنه صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب أي صدقه
ولم يشك فيه أفتمارونه على ما يرى أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه
من مري الناقة فإن كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ الكوفيون غير
عاصم ويعقوب أفتمرونه أي أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته أو أفتجحدونه
من مراه حقه إذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فإن المماري والجاحد يقصد
أن غلبة الخصم ولقد رآه نزلة أخرى مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة
ونصب نصبها إشعارا بأن الرؤية في هذه المرة كانت أيضا بنزول ودنو والكلام
في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى ونصبها على
المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الأخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي إليها علم الخلائق
وأعمالهم أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي
شجرة النبق لأنهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا أنها في السماء السابعة عندها جنة
المأوى الجنة التي يأوي إليها المتقون أو أرواح الشهداء إذ يغشى السدرة ما يغشى
تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم
الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما رآه وما طغى وما جاوزه بل أثبته إثباتا صحيحا مستيقنا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي
أمر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى أي والله لقد رأى الكبرى من
آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل إنها المعنية بما رأى ويجوز أن تكون الكبرى
صفة للآيات على أن المفعول محذوف أي شيئا من آيات ربه ومن مزيدة أفرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي
فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب
بالتشديد على أنه سمي به لأنه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى شجرة لغطفان
كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وأصلها تأنيث
الأعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وهي فعلة من مناه إذا قطعه فإنهم كانوا
يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كأنهم يستمطرون الأنواء عندها

تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله نفخة واحدة او الاخرى من التاخر
في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام
استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم
تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور
لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير
بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي
ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها الهة وليس فيها
شيء من الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها الهة وبنات وشفعاء او
للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف
على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين
سميتموها انتم سميتم بها وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون
به ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا
وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب
فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل
ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوهما فلله الآخرة
والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا
من بعد ان يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له
ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا وما لهم به من علم
اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني
من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في
المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عمن
تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان
من غفل عن الله تعالى واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ
علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية
مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همهم بالدنيا وقوله ان
ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي
انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ و
قد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب
ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي
خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي

١١
ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او
بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب
الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس
او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه
مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح
او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب
الكبائر وله ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد
المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب
العقاب على الله تعالى هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم
اجنة في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدا خلقكم من التراب
بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل
وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي
وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام افرأيت الذي تولى عن اتباع
الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر
اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد
بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت
دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب
ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب
فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى
وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك
لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبرئيل حين يلقى في النار
فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا
يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه و
هو التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة
من الثقيلة وهي وما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان
لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا
يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد
في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلوة والسلام من سن سنة
سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة على
التسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف
يرى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار
من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه
ثم يجزاه الجزاء الاوفى اي يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع

الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى وان
الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما
في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى
لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل
عنده بفعل الله تعالى على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا
قدر وان عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرا
ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى
واقنى واعطى القنية وهى ما تاثل من الاموال وافرادها لانها اشرف
الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى
يعنى العبور وهى اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول
عليه السلام خالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك يسمون الرسول ابن ابى كبشة ولعل تخصيصها
للاشعار بانه عليه الصلوة والسلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها وانه
اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد
الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرا نافع وابو عمرو في رواية
ورش وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وقالون كذلك مع جعل الواو همزة وثمود عطف
على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون
بالتنوين ويقفون بالالف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف عليه من قبل من قبل عاد
وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه
حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التى ائتفكت باهلها اى انقلبت وهى قرى قوم لوط اهوى
بعد ان رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباى آلاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما
سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا
نذير من النذر الاولى اى هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول
صلى الله عليه وسلم نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة
بالدنو في قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها
اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الان يؤخرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله
اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث
يعنى القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون
لاهون او مستكبرون من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه
من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اى واعبدوه دون الآلهة عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرا والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة سورة
القمر مكية وآيها خمس وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان

ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم
القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل
من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا عن تاملها والايمان
بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله آيات اخرى مترادفة
ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته
فاستحكم او مستبشع من استمر الطعام اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى
وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره
وذكرهما بلفظ الماضى للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى
غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشئ اذا انتهى
الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اى ذو مستقر بمعنى الاستقرار وبالكسر والجر
على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء
القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء
الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء
وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهى بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ
بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها
فما تغنى النذر نفى او استفهام انكار اى فاى غناء تغنى النذر وهو جمع نذير
بمعنى المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغنى فيهم
يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون
واسقاط الياء اكتفاء بالكسر للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر
الى شئ نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرا ابن كثير نكر
بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اى يخرجون من
قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقى
التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما
حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه على صيغة تشبه الفعل وقرئ
خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج
والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادى اعناقهم اليه او ناظرين اليه
يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا
نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلى
منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون
هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم
اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه انى اى بانى وقرئ بالكسر على
ارادة القول مغلوب غلبنى قومى فانتصر فانتقم لى منهم وذلك بعد يأس منهم فقد
روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر

لقومه فانهم لا يهلكون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار
وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض
عيونا وجعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة
فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة
واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله تعالى في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت
وهو ان قدر ما انزل من السماء على قدر ما اخرج من الارض او على امر قدره الله وهو هلاك
قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع
دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح
لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا
ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى ورحمة الى امته ويجوز ان يكون
على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة
او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل
ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد
والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه وهيأناه من يسر ناقته للسفر
اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار
وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم
بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت
في يوم نحس شوم مستمر استمر شومه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم
فلم يبق منهم احدا واشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم
دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز
نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح
طيرت رؤوسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث في قوله
اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق
بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا
او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء
والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم
نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانه عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما
رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة االقي الذكر الكتاب
والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره
على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة
من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام

ام من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما
اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر الابلغ في الشرارة
وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم
امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب
محتضر يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف
اخي ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف
فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم
صيحة واحدة صيحة جبرئيل عليه السلام فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس
المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه
صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر
المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا آل لوط نجيناهم
بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا
كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا
اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه
عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كساير
الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرئيل بجناحه صفقة فاعماهم فذوقوا
عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم
بكرة وقرئ غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم
حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب
واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستينافا للتنبه والاتعاظ
لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل
للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم
بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا كلها يعني الايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز
لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار
المعدودين قوم نوح وعاد او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر ام
نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من العذاب ام يقولون
نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب
او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون
الدبر اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد
وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزلت

قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم
الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة
ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في
ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها
ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم
ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا
كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل
يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق
المشهور في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب هنا مع الاضمار لما فيه من
النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة
او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر
الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ
وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح
ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء
وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كأسد وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد
صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها
بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه
اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها
مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر
وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي
وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلثة التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها
على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما
وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب
والنجم النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر والذي له ساق يسجدان
ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين
ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان
له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا
بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به
من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة
محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع

ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى
انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف
به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من
حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت
ويعرف به المقدار وتسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لئلا تطغوا
فيه اي لا تعتدوا ولا تنقصوه حقه ان يسوى بتجاوز الانصاف وقرئ لا تطغوا على
ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه
ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث
على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل
ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة
للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات
الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به
كالمكموم وكالجذع والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به
والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من
قولهم خرجت اطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان
اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ
حمزة والكسائي والريحان بالخفض والباقون بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلب
الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلب واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من
صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد
خلق الله تعالى آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك
قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من
الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فبأي
آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات
وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف و
مغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء
واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين
ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب
يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط
لانهما خليجان ينشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض
لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان
حديهما باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الحجر الاحمر وان صح ان تخرج من الملح فعلى الاول انما

قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان
المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج اي يخرج
ينصب اللؤلؤ والمرجان فباى الاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف
الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات
الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي
ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فباى الاء ربكما
تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب
لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات
ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات
وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي
يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فباى الاء ربكما
تكذبان مما ذكرنا من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا
او مما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات
والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد
بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا او غيره كل يوم هو في شأن كل وقت
يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه ان يغفر
ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي
يوم السبت شيئا فباى الاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما
من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم
وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده
سأفرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء
وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما
على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فباى الاء ربكما
تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه
فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة
وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا
لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم
فباى الاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة
او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات
العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال يضيء كضوء سراج
السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ
بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ

وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباى الاء ربكما تكذبان فان
التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الالاء
فاذا انشقت السماء فكانت وردة حمراء كالوردة وقرئت بالرفع على كان التامة
فيكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت
كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل
هو الاديم الاحمر فباى الاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي يوم ينشق
السماء لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون
من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله
فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه
وان تأخر لفظا تقدم رتبة فباى الاء ربكما تكذبان اي مما انعم على عباده المؤمنين
في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ
بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى
فباى الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين النار
يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه
وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباى الاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام
ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه
او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا
او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل
اللعين جنتان جنة للخائف الانسي واخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى
لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات
واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية
وكذا ما جاء مثنى بعد فباى الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار
والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة جمع غصن التي تتشعب من فروع
الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباى الاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل احداهما التسنيم والاخرى
السلسبيل فباى الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب
معروف او رطب ويابس فباى الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من
استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر متكئين
مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب
يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباى الاء ربكما
تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من
الاماكن والقصور او في هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس

قبلهم ولا جان لم يمسس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون
وقرأ الكسائي بضم الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان اي في حمرة
الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل
الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون
تلك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين
فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة
وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض
وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين
وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا
لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة
على ان من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطبا او رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهن خيرات اي خيرات فخففت لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق
والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة
ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان
متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد
يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم
بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى
فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه يطلق على ذاته فما ظنك
بذاته تعالى وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه سورة الواقعة مكية وآيها تسع وأربعون
بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها
وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون حين
تقع نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي
او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها
باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا
شجعته عليه وسولت له انه يطيقها خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير
لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله تعالى ورفع
اوليائه او ازالة الاجرام عن مجاريها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال
اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق
بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من

من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء
غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع
صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب
المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن
وتشأمهم بالشمائل او اصحاب اليمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون
صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان
السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم
والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير
ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين
سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا
في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان
هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او
الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم
في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اي
هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى محمد صلى الله عليهما
وسلم وقليل من الآخرين يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي
هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة و
اشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة
المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع
متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون
مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب
اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكأس من معين من خمر لا يصدعون
عنها بخمارها ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون بمعنى لا
يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون
يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي فيها او ولهم حور وقرأ حمزة
والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب
لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئا بالنصب على ويؤتون
حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون
اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم
اي لا يقال لهم أثمتم الا قيلا الا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا لقوله لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة

على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر
مخضود لا شوك له من خضد الشوك إذا قطعه أو مثني أغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن
إذا أثناه وهو رطب وطلح وشجر موز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين
منضود نضد حمله من أسفله إلى أعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء
مسكوب يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب أو مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين
في التنعم بأكمل ما يتصور لأهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادي إشعارا
بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الأجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة
عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها
أنها على الأرائك ويدل عليه قوله إنا أنشأناهن إنشاء أي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير
ولادة إبداء وإعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله
بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فجعلناهن أبكارا
عربا متحببات إلى أزواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله أترابا
فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن لأصحاب اليمين متعلق بأنشأنا أو جعلنا أو صفة
لأبكارا أو خبر لمحذوف مثل هن أو لقوله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وهي على الوجه الأول
خبر محذوف وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه
في الحرارة وظل من يحموم من دخان أسود يفعول من الحمة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفي
ذلك ليمحق ما أوهم الظل من الاسترواح إنهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون
على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب
وحنث في يمينه خلاف بر فيها ويحنث إذا أثم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أإنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقا خصوصا في هذا الوقت كما دخلت
العاطفة في قوله أو آباؤنا الأولون للدلالة على أن ذلك أشد إنكارا في حقهم لتقادم زمانهم
وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق
مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بإن والهمزة قل إن الأولين والآخرين
لمجموعون وقرئ لمجمعون إلى ميقات يوم معلوم إلى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله
معلوم له ثم إنكم أيها الضالون المكذبون أي بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم لآكلون من شجر
من زقوم من الأولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه
من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون
التذكير للزقوم فإنه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الإبل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء
جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها
وقيل الرمال على أنه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل
به ما فعل بجمع أبيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه فلا اتحاد
هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في
قوله فبشرهم بعذاب أليم لأن النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن

نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة عليه أو
بالبعث فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة أفرأيتم ما تمنون أي ما تقذفونه في الأرحام
من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى أمناها أأنتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا
أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم فأقتنا موت كل بوقت معين وما نحن
بمسبوقين لا يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته ولا يغلبنا أحد من سبقته على كذا إذا
غلبته عليه على أن نبدل أمثالكم على الأول حال أو علة لقدرنا وعلى معنى اللام وما نحن بمسبوقين
اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم أو نبدل صفاتكم على
أن أمثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق أو صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة
الأولى فلولا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فإنها أقل صنعا لحصول المواد
وتخصيص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس أفرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه
أأنتم تزرعونه تنبتونه أم نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم
تفكهون تعجبون أو تندمون على اجتهادكم فيه أو على ما أصبتم بذلك لأجله من المعاصي
فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر
وفظللتم على الأصل إنا لمغرمون لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام
وقرأ أبو بكر أئنا على الاستفهام بل نحن محرومون قوم حرمنا رزقنا أو محدودون لا مجدودون
أفرأيتم الماء الذي تشربون أي العذب الصالح للشرب أأنتم أنزلتموه من المزن من السحاب
واحده مزنة وقيل المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب أم نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية إن
كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه أجاجا ملحا أو من الأجيج فإنه يحرق الفم
وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه أو الاكتفاء
بسبق ذكرها أو تخصيص ما يقصد لذاته ويكون أهم وفقده أصعب بمزيد التأكيد فلولا
تشكرون أمثال هذه النعم الضرورية أفرأيتم النار التي تورون تقدحون أأنتم أنشأتم شجرتها
أم نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة
في أمر البعث كما مر في سورة يس أو في الظلام أو تذكيرا لنار جهنم وأنموذجا لنار جهنم ومتاعا
ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام
من أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فأحدث التسبيح بذكر اسمه
أو بذكره فإن إطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب وتعقيب الأمر بالتسبيح
لما عدد من بدائع صنعه وإنعامه إما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون
لنعمه أو للتعجب من أمرهم في غمط نعمه أو للشكر على ما عدها من النعم فلا أقسم إذ الأمر أوضح من
أن يحتاج إلى قسم أو فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في لئلا يعلم أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع
فتحة لام الابتداء ويدل عليه أنه قرئ فلأقسم أو ولا مزيدة أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع
النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر
لا يزول تأثيره أو بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة

ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فإنه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه
ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة إنه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة
في إصلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه إلا المطهرون
لا يطلع على اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة أو لا يمس القرآن إلا المطهرون
من الأحداث فيكون نفيا بمعنى نهي أو لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون
من أطهره إذا طهره والمطهرون أي أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والإلهام تنزيل من رب العالمين
صفة ثالثة أو رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب أي نزل تنزيلا أفبهذا الحديث يعني
القرآن أنتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به
وتجعلون رزقكم أي شكر رزقكم أنكم تكذبون أي بمانحه حيث تنسبونه إلى الأنواء وقرئ شكركم أي
وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به أو تكذيبكم أي تقولكم في صفة القرآن أنه سحر وشعر أو في
المطر أنه من الأنواء فلولا إذا بلغت الحلقوم أي النفس وأنتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب
لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن أقرب ونحن أعلم إليه أي إلى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب
الذي هو أقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا إن كنتم غير
مدينين أي مجزيين يوم القيامة أو مملوكين مقهورين من دانه إذا أذله واستعبده وأصل
التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس إلى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض
عليه بلولا الأولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى إن كنتم
غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم أفعال الله تعالى وتكذيبكم بآياته إن كنتم صادقين في
تعطيلكم فلولا ترجعون الأرواح أي إلى الأبدان بعد بلوغ الحلقوم فأما إن كان من المقربين
أي إن كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لأنها كالسبب
لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم وأما إن كان من أصحاب
اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين أي من إخوانك يسلمون عليك وأما إن كان
من المكذبين الضالين يعني أصحاب الشمال وإنما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها وإشعارا بما أوجب
لهم ما أوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها
إن هذا أي الذي ذكر في السورة أو في شأن الفرق لهو حق اليقين أي حق الخبر اليقين فسبح باسم
ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شأنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والأرض ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي
وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع إشعارا بأن من شأن ما أسند إليه أن يسبحه في جميع
أوقاته لأنه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا في بني إسرائيل
أبلغ من حيث إنه يشعر بإطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وإنما عدي باللام
وهو معدى بنفسه مثل نصحته في نصحت له إشعارا بأن إيقاع الفعل لأجل الله تعالى وخالصا
لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح له ملك السموات والأرض فإنه الموجد
لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استئناف أو خبر لمحذوف أو حال من المجرور في له وهو على
على كل شيء من الإحياء والإماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الأول السابق على سائر الموجودات من
حيث إنه موجدها ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها أو هو
الأول الذي تبتدئ منه الأسباب وتنتهي إليه المسببات أو الأول خارجا والآخر ذهنا والظاهر والباطن
الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول أو الغالب على كل شيء والعالم
بباطنه والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم
يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش
يعلم ما يلج في الأرض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالأمطار وما
يعرج فيها كالأبخرة وهو معكم أينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون
بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لأنه دليل عليه له ملك السموات والأرض ذكره
مع الإعادة كما ذكره مع الإبداء لأنه كالمقدمة لهما وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله ورسوله
وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في
الحقيقة له لا لكم أو التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الإنفاق
وتهوين له على النفس فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وعد فيه مبالغات
جعل الجملة اسمية وإعادة ذكر الإيمان والإنفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الأجر ووصفه
بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله أي وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول
يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان
والرسول يدعوكم إليه بالحجج والآيات وقد أخذ ميثاقكم أي وقد أخذ الله ميثاقكم
بالإيمان قبل ذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم
وقرأ أبو عمرو على البناء للمفعول إن كنتم مؤمنين لموجب ما فإن هذا موجب لا
مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم أي الله أو العبد من الظلمات
إلى النور من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وإن الله بكم لرؤوف رحيم حيث نبهكم بالرسل
والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم ألا تنفقوا وأي شيء لكم في أن لا
تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة إليه ولله ميراث السموات والأرض يرث كل شيء فيهما لا
يبقى لأحد مال وإذا كان كذلك فإنفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان أولى
لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة بيان لتفاوت
المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري
الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من أنفق محذوف
لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة إذ عز الإسلام به وكثر أهله وقلت
الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا أي من بعد الفتح وكلا
وعد الله الحسنى أي وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر
وكل بالرفع على الابتداء أي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره
وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه فإنه أول من آمن وأنفق

في سبيل الله تعالى وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا من الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق
بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا
وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان
لم يضاعف فكيف وقد اضعاف وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار
المعنى وكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرا ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر
ويعقوب فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او
فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم
وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم
جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم
من النور والبشرى بالجنان المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل
من يوم ترى للذين امنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف
او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور من بين ايديهم
وقرا حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل
ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه
يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا اخر فانه لا سبيل
لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين
والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه
الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم
يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين
الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو
الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرا ابن
عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأويكم النار هي موليكم هي اولى
بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محريكم
اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم
او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يأن للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال انى الامر يأني انيا وانا واناء اذا
جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى وقرئ الم يان روي
ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه
فنزلت وما نزل من الحق اي القران وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الاخر
ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرا نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل

انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرا رويس بالتاء والمراد النهي
عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان
بطول اعمارهم او امالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت
الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة
او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم
تعقلون كي تكمل عقولكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد
قرئ بهما وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله
قرضا حسنا عطف على محل الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا
وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم
اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى
ضمير المصدر والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي
اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم المبالغون في الصدق فانهم امنوا وصدقوا
جميع اخبار الله تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل
والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم
ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من
حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة
حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال
لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون
به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب
وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا
ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث
فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان
المؤمن اذا راى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى
فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار
حطاما ثم عظم امور الاخرة بقوله وفي الاخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك
في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها سابقوا
سارعوا مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة
عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك

بالطول وقيل المراد به البسط لقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة كجدب وعاهة في الارض ولا في انفسكم كمرض وافة الا في كتاب الا مكتوب في اللوح مثبت في علم الله تعالى من قبل ان نبراها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او الانفس ان ذلك ان ثبته على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تاسوا اي اثبت وكتب كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اتيكم بما اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرا ابو عمرو بما اتيكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالي الضراء والسراء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد و اشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرا نافع وابن عامر ان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان لتسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان الات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد التها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية واتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة وقرئ رافة على فعالة ورحمة ورهبانية اي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس

الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله تعالى وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها او لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها اي فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها اليه فاتينا الذين امنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين امنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وامنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على الدين السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي وايها اثنان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الايات الاربع ولفظ قد يشعر بان الرسول صلى الله عليه وسلم او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر الدال في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظاهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية

واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظّاهرون من اظّاهر وعاصم يظاهرون
من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله
بهن كالمرضعات وازواج الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عاصم امهاتُهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم
وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن
الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين
يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد
وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها
فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة
استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام
على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكرار
لفظه وهو قول الظاهرية او بمعنى ان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها
او باستباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية
ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا
على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالاخر لعموم اللفظ ومقتضى
التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به
لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية
فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان
افطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع
عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه صلى الله
عليه وسلم رخص للاعرابي المفطر ان يعدل الى الاطعام فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين
نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الاخريين او لجوازه
في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله
لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه
في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير
قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من
المتعاديين في حد غير حد الاخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا كما كبت اخزوا
او اهلكوا واصل الكبت الكب الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا ايات بينات
تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم
يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين
فينبئهم بما عملوا اي على رؤوس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط به عددا لم يغب
منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ما يقع من تناجي ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول

نجوى بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر
مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم
في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة الا هو سادسهم وتخصيص
العددين اما لخصوص الواقعة فان الاية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر
والثلثة اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط
بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل
مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا
على محل من نجوى او محل ولا ادنى ان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب
مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه
من الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم
ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم
ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية
الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا
جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام
على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا
بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين امنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب
فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا
الله الذي اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم و
العدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم انها في نكبة
اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله الا بمشيئة الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس
توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس
الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون
فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح
فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة
او جهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله
الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايواءهم غرف الجنان في الاخرة والذين اوتوا العلم
درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي
العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او
استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا

قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والنهي
عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب
او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ءاشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي
رضي الله عنه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت
بدرهم وهو على القول بالوجوب لا تقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه
اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من
الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد
حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم
صدقات اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر
وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم
ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم مما قام مقام توبتهم واذ
على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا
الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا
وباطنا الم تر الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون
مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه
كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته
وما لا يعلم وروي انه صلى الله عليه وسلم كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب
جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه الصلوة
والسلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله
لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل
واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة
وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين
الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول
عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله
على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء لان
تمكن الكذب والنفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب
على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون
مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت
الابل وحدتها اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون
الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا و

ورسلي اي بالحجة وقرا نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز
لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا
اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك
اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من
مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت
فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو
وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب
اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في
السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت
في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف
في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن
مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا
على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى
قوله والله على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك
او في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليه
او في اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم فانهم يحشرون اليه عند قيام الساعة
فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى اخر
ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم
تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم
بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم
فاتاهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله
وقرئ فاتاهم اي العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب
واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين
واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية
وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم
استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه
من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار

فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على شيء غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث
انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في
الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل
ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من
عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة
الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اي شيء
قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة
وجمعها ليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ على اصلها
اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف
اي وفعلتم او واذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه صلى الله عليه وسلم
لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها
فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء
الله على رسوله اي وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون
له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون
للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من
الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب
الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيء بني النضير وان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا
اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم
يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب
في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء
الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله
تعالى في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الان
سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف
الاخماس الاربعة كما يشاء والان على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء
دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ
دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع
على كان التامة اي كيلا يقع دولة جاهلية وما اتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر
فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه
فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله شديد العقاب لمن خالفه
للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى
اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم

واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال
مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك
هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوءوا الدار والايمان عطف على المهاجرين
والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او
تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان
لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوءوا الدار
من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في
انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي
المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من
كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص
البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الاجل والذين جاءوا من بعدهم هم الذين
هاجروا بعدما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة
ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل اي لاخواننا في الدين في قلوبنا غلا للذين امنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم
فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد
الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم في قتالكم
او خذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم
لنعاونكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم
ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه
دليل على صحة النبوة واعجاز القران ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما
ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون
لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول
في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان
استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله
تعالى حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون
جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم
باسهم بينهم شديد اي ليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا
بل لقذف الله تعالى الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق
عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب
يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا

قبل بني النضير والمهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير لوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر للمأمور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكان وقرئ خالدان على انه الخبر لان وفي النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة كغده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد والاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانسيهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله خاشعا متصدعا من خشية الله فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها

باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضي الله عنهم وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت فسل علي السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم يكن لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم جهادا عن اوطانكم في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطأه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيء وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادهم حاصل وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم فيما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله تعالى لمن يفر عنكم غدا وقرا حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرا ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان

ولكم لغوا وحال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا
لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بري كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم ولا بالهتكم وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء
الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان
استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان ياتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها
اياه وما املك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع
استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل
الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع
العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا
فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرطنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان
كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة
تكرير لمزيد الحث على التاسي بابرهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان
يرجو الله واليوم الاخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي
بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين و
تبرءوا عنهم فوعدهم الله تعالى بذلك فانجز اذا اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء
والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل
الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن بر هؤلاء
لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي بالعدل ان الله
يحب المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت
ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في
الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين
وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن
فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع
على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب
بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن
الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة
والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستئناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا
اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه
ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه صلى الله عليه وسلم كان بعد بالحديبية

اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا
لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها
عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا
اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام
المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد
نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرا البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسألوا
ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات
ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الاية يحكم بينكم استئناف او حال من الحكم على حذف الضمير او
جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم
وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة
في التعميم او شيء من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه
الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة
ولا تؤتوا زوجها الكافر روي انه لما نزلت الاية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر
الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فاتوا بدل الفائت
من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا
جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه صلى الله عليه وسلم
لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
يريد وأد البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في
معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يامر
الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان
الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء
المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او
لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالايات كما يئس
الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر موضع
الضمير للدلالة على ان الكفر ايسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون
والمؤمنات شفعاء يوم القيمة سورة الصف مدنية وقيل مكية وايها اربع عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
سبق تفسيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا
لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما
الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالها معا واعتناقهما

في الدلالة على المستقبح عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض
ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في
المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم
بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال
بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم
لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من
المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد
لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى
الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة
واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له
فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية في حال تصديقي لما تقدمني
من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول
من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى ان ديني التصديق بكتب
الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي
هو خاتم النبيين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء
به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان
الاشارة الى عيسى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام
اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته المقتضي له خير الدارين فيضع
موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب اجابة رسوله وتسمية اياته سحرا فانه يعم
اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه
والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا
اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما زيدت
لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله
بالهدى بالقران او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على الاديان
كلها ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين امنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي
الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر
من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم
ذنوبكم جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا

وتجاهدوا او هل تتقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جواب هل ادلكم لان مجرد دلالته
لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك
الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة
المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقيل
اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدا خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان
وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه وقد قرئ بالنصب على البدل او الاختصاص
او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا
وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم
يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا واجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان
وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين
من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار
الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية
اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا
كما كان الحواريون من الحوار وهو البياض حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون
اصفياؤه وهم اول من امن به وكانوا اثني عشر رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت
طائفة بعيسى فايدنا الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام
فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى
مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه سورة الجمعة مدنية وآيها
احدى عشر بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك
القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث
في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون رسولا منهم من جملتهم اميا
مثلهم يتلوا عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من
خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والشريعة او معالم الدين
من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم
وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها
واخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة
الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم ولم يلحقوا بهم بعد
وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره
وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه
من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه
نعيم الدنيا ونعيم الاخرة او نعيمها مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل
بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم

يحملها ولا ينتفع بها او يحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف والله لا
يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون
الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم و
ينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت
الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم
لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع
لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي
للصلوة اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت
العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قبا واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار
لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو
والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة
ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله تعالى خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون
الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا
في الارض اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا
من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله
كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام
فخرج الناس اليها الا اثني عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة
فان المراد باللهو الطبل والتصفيق الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على
ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة
اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا راوا
تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من
الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله
خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود
به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم

لم يعتقدوه اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف
في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او
صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى ما تقدم من
الكلام اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب
والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او آمنوا اذا راوا آية
ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا
فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها
وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما
فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم
كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في قولهم اي تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب
منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع
خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو بكر والكسائي
وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة
عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون
صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب
قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب
من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون
عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا
واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في
الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم
في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن
المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب
الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول وليخرجن بالنون
ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او
اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه
من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون لفرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين
آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا تشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن
ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي

اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اى اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون
لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للاخرة
من قبل ان ياتي احدكم الموت اى يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب
امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف
على موضع الفاء وما بعده وقرا ابو عمرو واكون بالنصب عطفا على فاصدق وقرئ
بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها
اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر بالياء ليوافق
ما قبله في الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مكية الا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم مختلف فيها وآيها ثمان عشر

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض
بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث
الحقيقة وهو على كل شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال
هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه
اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة و
صوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف
الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه
المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم
ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او
جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم
ايها الكفار نبا الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في
الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل القطار ولهم
عذاب اليم في الآخرة ذلك اى المذكور من العذاب والوبال بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا
والبشر يطلق للواحد والكثير فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله
عن كل شئ فضلا عن طاعتهم واستغنى عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين
كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما في حيزه
قل بلى اى بلى يبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة
وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما
تعملون خبير فمجازيكم عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب
والجزاء وقرا يعقوب نجمعكم والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم
بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار

التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها ودوامها
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الاشارة
الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار
وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها
وبئس المصير كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة
الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع
عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه
نفسه ويهدا بالهمزة اى يسكن والله بكل شئ عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا
الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اى فان توليتم فلا
بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا
تامنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك
التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم
بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم
لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم
اى ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا
في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى افعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث
على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا خيرا او
خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره
ان تقرضوا الله تصرفوا المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب قلب
يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل
بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شئ العزيز الحكيم تام القدرة والعلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنا عشر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امامهم فنداؤه كنداهم او لان
الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة
الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اى وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما
يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره
يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه
يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه

اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق امراته حائضا امره عليه الصلاة
والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلثة اقراء
واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت
الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق
لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن
الفراق وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذوا على الزوج
فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة
في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعذاب لا تدري اي النفس او انت ايها
النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف
فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق
مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها
تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا
للتنازع وهو ندب لقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي رضي الله عنه وجوبه
في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث
على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة
اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهي عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض
والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل
على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا بما في شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا
وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز
بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه صلى الله عليه
وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروي
ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب
ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع
ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرا حفص
بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا
او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق
بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي
لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقة

والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل
ههنا بخلافه ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه في العمل تخصيص
وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول ارجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها
يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم
ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له
اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم من وجدكم من وسعكم اي مما
تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن
فتلجئوهن بالخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا
يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد
انقطاع علقة النكاح فاتوهن اجورهن على الارضاع واتمروا بينكم بمعروف وليامر بعضكم بعضا بجميل
في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امراة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله اي لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه
وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك
وعده باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او اجلا وكاين من قرية اهل قرية عتت عن امر
ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة
وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الاخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت
وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا
شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المامور بها في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز
ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا
به عاجلا الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره او
لنزوله بالذكر وهو القران او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمدا صلى الله عليه وسلم
لمواظبته على تلاوة القران او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال
الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القران ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او
ذكرا والرسول مفعوله او بدل على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم ايات الله مبينات حال من اسم الله
او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين امنوا بعد
انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الان من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن
من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا
فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدا وخبر ومن الارض
مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي
يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط

بكل شيء علما على الحلق او سرله او عضم بعمها فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وايها اثنتا عشر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عايشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عايشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير تحرم او حال من فاعله او استيناف ببيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احل الله رحيم رحمك حيث لم يواخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشية حتى لا تحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من راى التحريم مطلقا او تحريم المراة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه صلى الله عليه وسلم اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة عايشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على الحديث اي على افشائه عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب وفي المخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعايشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكره ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوؤه وقرا الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرا نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار

بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرا ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجبة وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدا خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم فاستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه وماواهم جهنم وبئس المصير جهنم او ماواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين المؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلن يغني النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل ادخلا النار عند موتهما او يوم القيامة النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال اسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله تعالى اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرات فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او الحملة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة

وبدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت
من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها
لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية
عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم
امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله
توبة نصوحا سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها عن
عذاب القبر وآيها ثلثون بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك بقبضة
قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير وهو على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت
والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا
فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون
ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
في طاعته جملة واقعة موقع المفعول الثاني للفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من
التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين
وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب الذي خلق سبع سموات
طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق
وصفت به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد
والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه
بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار
بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى
والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من
فطور متعلق به على معنى التسبب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متاملا
فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور
الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد
الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله
ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير
كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض
بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب
مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما
للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل
معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح و
هو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا

وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على ان للذين
عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير واذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت
الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم
وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة
من الكفرة سألهم خزنتها الم ياتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت
قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير
اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا
في نسبتهم الى الضلال والنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف
اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب
واقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء
الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية
للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون
فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح
من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب
السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم الاعتذار والاعتراف
اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر والمراد به الكفر فسحقا لاصحاب
السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمة الله والتغليب للايجاز والمبالغة
والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا
عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم
واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر
قبل ان تعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته
حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه
المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون
فيما بينهم باشياء فيخبر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم فقالوا اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد
فنبه الله تعالى على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا
في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه
الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل
وكلوا من رزقه واليه النشور المرجع فيسالكم عن شكر ما انعم عليكم أأمنتم من في السماء يعني
الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تاويل من في السماء امره وقضاؤه
او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى
واوا لانضمام ما قبلها وامنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابو عمرو ورويس ان
يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال فاذا هي تمور
تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا

اى مطرا عليكم حصبا فستعلمون كيف نذير كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اى انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى
الله عليه وسلم وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها
فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار
على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل فى الطيران والطارى عليه ما يمسكهن فى الجو
على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شى بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجرى فى الهوا
انه بكل شى بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى ام تنظروا فى امثال هذه الصنائع فلم تعلموا
قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل
عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن
تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدا وهذا خبره والذى
بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا فى غرور لا معتمد
لهم امن هذا الذى يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه
بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا فى عتو عناد
ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب
وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار
ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعى كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى
مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله
بقوله امن يمشى سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوى الاجزاء او الجهة
والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب
من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشى
المتعسف فى مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف فينكب وبالسوى
البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا هو الذى
يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار
لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما
خلقت لاجلها قل هو الذى ذراكم فى الارض للجزاء واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد
اى الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبى صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين قل انما العلم اى علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين
والانذار يكفى له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما راوه اى الوعد فانه بمعنى الموعود
زلفة ذا زلفة اى قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية
العذاب وقيل هذا الذى كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من
الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم ان اهلكنى الله اماتنى ومن
معى من المؤمنين او رحمنا بتاخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اى لا ينجيهم احد من

من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذى
ادعوكم اليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق والعلم بان غيره
بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو
فى ضلال مبين منا ومنكم وقرا الكسائى بالياء قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا
فى الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر
سهل المأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر
سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء
الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او اليهموت وهو الذى عليه الارض او الدواة
فان بعض الحيتان يستخرج منه شى اشد سوادا من النقش يكتب به ويؤيد الاول
سكونه وكتبه بصورة الحرف والقلم هو الذى خط اللوح او الذى يخط به اقسم به لكثرة
فوائده واخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل
فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم
وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى
الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى اولى العلم لاقامته مقامه او
لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى
ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الراى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون
والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال
او الابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط
وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة عن خلقه فقالت
كان خلقه القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم
الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول
والمجلود او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما
يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على
الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم
على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه
احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا
التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اى ودوا لو تدهن
فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض
المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق
والباطل مهين حقير الراى من المهانة وهى الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال
للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق
والعمل الصالح معتد متجاوز فى الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا
قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما عد من مثالبه زنيم دعى مأخوذ من

زنمة الشاة وهي المتدلية من اذنها وحلقها وقيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني
عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين
من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون
علة للا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرا ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر
ااَن كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي الان كان ذا مال كذب
او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل
بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع
الكافر لغناه فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد
جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال لقولهم جدع انفه ورغم
لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا
اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان
لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل او القته الريح
او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شي كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما
كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال
اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان
شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالا
عينه او لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان شاء الله واحد او ولا يستثنون حصة
المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه
وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شي فعيل بمعنى
مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم
لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اي
اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو
للصرام بغدو العدو المتضمن معنى الاستيلاء ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا
وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود
للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد
بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك ههنا وغدوا
على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت
الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين فنكدوا عليهم بحيث لا يقدرون
فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله يتلاومون
وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا الى
جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها قالوا انا

انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن اي بعد ما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا
خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون
اليه من خبث نيتكم وقد قاله حيث ما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا
كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري
في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار
بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت ومنهم من رضي ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا
انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف
بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون
العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك
الذي بلوناهم به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اعظم منه لو كانوا
يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الاخرة او في جوار القدس
جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة
فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم
كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر
من اختلال فكر واعوجاج راي ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون
ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز
ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشي واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود
مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين
الى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم
في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان
علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم
في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه
في هذه الايات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه استحقاق او وعد او محض
تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم
مثل المؤمنين في الاخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به
يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله
تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت
عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من
ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ يكشف بالبناء على الفاعل
والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم
يوم القيمة او يدعون الى الصلوة لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته
او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود
في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا

الحديث كله الى فانى اكفيكه سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال
وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم
حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما
سمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته ام تسئلهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم
من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم
يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير
نصرك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس اذ نادى ربه في بطن الحوت وهو مكظوم
مملوء غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة
وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية
الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار
وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها
المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل
هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه
اولى وفيه دليل على خلق الافعال والاية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو
على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا
بحيث يكادون يزلقون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه
بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني
اسد عيانون فيريد بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان
العين ليدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ
نافع ليزلقونك من زلقه وزلق لحزنه وحزنه وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا
الذكر اي القران اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة
في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القران بين انه ذكر عام لا يدركه
ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم **سورة الحاقة مكية وآيها احدى
وخمسون** بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها
او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب
والجزاء على الاسناد المجازي وهو مبتدأ خبرها ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء
هي على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما
ادريك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها
دراية احد وما مبتدأ وادريك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي
تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير
الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة

للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب
وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي
شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها
فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهي
استيناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان
هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت
الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم
ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم
حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبح الاربعاء الى غروب الاربعاء
الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب
فانتزعها الريح فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي
والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى
لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ
البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه
والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال
ذات الخطأ فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة
في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك
في الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم اي اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة
نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة
على قدرة الصانع وحكمته وكمال قدرته ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها بسكون
العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية
من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير
للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع
اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيمة وذكر مآل المكذبين
بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر
لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور
والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال رفعتا من اماكنها
بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان
بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا
لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها
وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة
وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس
المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب

البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثره
ان ذلك لكون ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم
يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي عنه عليه السلام انهم اليوم اربعة واذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى
باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته
بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس لقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ
تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة
الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب
وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله تعالى
حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس
كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض
فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل وهاء يا امرأة وهاءما
يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا
لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء
فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب
الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت
ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك
عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة او جعل
الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة
المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى
بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع
الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة
في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح
العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي
متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او ليت هذه الحالة كانت الموتة
التي قضيت علي لانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت
الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف
او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت
احتج بها في الدنيا خذوه يقوله الله تعالى لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم
وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة
فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة
كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في
الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو
المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه

طعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة
فكيف تارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لانه
اقبح العقائد الكفر بالله تعالى واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب
يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون
اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطاء المضاد للصواب وقرئ الخاطيون
بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم
ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات
والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القران لقول رسول كريم يبلغه عن الله
تعالى فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم
او جبرئيل عليه السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون
لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون
تذكرون تذكرا قليلا ولذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي
الكاهنية لان عدم مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة
فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنة ومعاني
اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان
جبرئيل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة
اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم
لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله
الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل
اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد
فانه عام والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا
لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب
المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم
تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك
عدي الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او رسول الله
استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت
هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ
سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضي
الفعل لتحققه وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الاخرة وهو عذاب النار للكافرين
صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا

والباء على هذا لتضمين سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج
ذي المصاعد وهي الدرجات التي تصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون
في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد
مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين
الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه يعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين
الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم
واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل
مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم
كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق
بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار
او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل وافراده
لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو
متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر
واستبطاء النصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت
الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه قريبا
منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر
دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات
او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان
الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا
طيرته الريح ولا يسال حميم حميما ولا يسال قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير
ولا يسال على بناء المفعول اي ولا يطلب من حميم حميم او لا يسال منه حاله يبصرونهم
استئناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من
مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من
عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استئناف يدل على ان اشتغال
كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال
عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين
فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين
او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم
عن الوداد ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو
خبر او بدل او للشان ولظى مبتدا خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار
منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرئ نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المتنقلة
على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تدعوا تجذب وتحضر

لقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل يدعو
زبانيتها وقيل يدعو يهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة
وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد
الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير منوعا يبالغ في
الامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا
الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة
بعد ما من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة
على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر
الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشية من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها
الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوة
والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم
والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في
المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم
ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذاب الله وان بالغ
في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
سبق في سورة المؤمنين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم يعني لا يخونون
ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص
بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلوتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها
وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الاية مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب
الله فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى
جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان
المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع
كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها
افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له
والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة
ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل
النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدلال بالنشأة
الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد
ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم
ان نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا صلى الله عليه وسلم بدلهم وهو خير منهم وهم
الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ان نهلكهم فذرهم يخوضوا ويلعبوا

حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون سبق فى اخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين
جمع سريع كانهم الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرا ابن عامر وحفص
نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع نصب خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك
اليوم الذي كانوا يوعدون فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المعارج اعطاه
الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون سورة نوح مكية وايها تسع او ثمان وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اى بالانذار او بان قلنا
له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك
من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان قال يا قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا
الله واتقوه واطيعون مر فى الشعراء نظيره وفى ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم
بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذى قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا
جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا فى اوقات الامهال والتاخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم
والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم فى حب الحيوة كانهم شاكون فى الموت قال رب انى دعوت
قومى ليلا ونهارا اى دائما فلم يزدهم دعائى الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء
على السببية كقوله فزادتهم ايمانا وانى كلما دعوتهم الى الايمان ليغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم فى
اذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر
الى من فرط كراهة دعوتى او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا
على الكفر والمعاصى مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعى
استكبارا عظيما ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اى دعوتهم مرة بعد اخرى
وكرة بعد اولى على اى وجه امكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما
اغلظ من الافراد او لتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او صفة
مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة
عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل
فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم
عليه ما هو اوقع فى قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله تعالى عنهم القطر اربعين سنة
واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء
والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوى فى هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات
البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال
تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا
عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار
من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان
ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا اخر فانه يدل على انه يمكن ان

ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده
من ايات الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اى
فى السموات وهو فى السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا
مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا
انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم
نباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا
بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبداءة وانها تكون لا محالة
والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن
لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصونى فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله
وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك
سببا لزيادة خسارهم فى الاخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد
ادت بهم الى الخسار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى والبصريان وولده بالضم والسكون على انه
لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا فى
الغاية فانه ابلغ من كبار وهو ابلغ من كبير وذلك احتيالهم فى الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا
لا تذرن الهتكم اى عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن
هؤلاء خصوصا قيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوروا
تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع
صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا
تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى ترويج
مكرهم ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم او الضياع والهلاك لقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر
مما خطيئاتهم من اجل خطاياهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا
بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما
بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود
مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا
تعريض لهم باتخاذ الالهة من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا اى احدا وهو مما يستعمل فى النفى العام فيعال من الدار او الدور واصله
ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا
يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين فعرف شيمهم وطباعهم
رب اغفر لى ولوالدى لملك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتى
منزلى او مسجدى او سفينتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا
تبارا هلاكا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح
عليه السلام سورة الجن مكية وايها ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ أحي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله
انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية
او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة
على انه عليه الصلوة والسلام ما رآهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها
فاخبر الله تعالى به رسوله فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن
نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به
بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على ما نطقت به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا وقرا
ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله ان لو استقاموا
وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام
على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف
على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان
في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه وهو مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالتعالي
عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ
جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطاء ما اعتقدوه
من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا
قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم ان
احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي
قولا مكذوبا فيه ومن قرأ ان لن تقوّل كعوقب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد
هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا
او زاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان
الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف
كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي
ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم
جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء
المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب
او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له
شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين
على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون
ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب

او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من
قدّ اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن
نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا
ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف
وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا
نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان
من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون
عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا
عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد
بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان لو استقام الانس او الجن او كلاهما على
الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق
وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم
كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع
القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانهم
ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا
شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء
وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل
المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله
تعالى واراب السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي صلى الله
عليه وسلم وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار
بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم
عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه
مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن
عامر لبدا بالضم جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود
قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم
على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا
بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا
او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما
اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجأ الا ان ابلغ عنه
او الا هو ان لا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفة فان
صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه

فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاءه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون
في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف
دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا
واقل عددا هو او هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا
غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون
انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر
فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى
يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص
الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات
انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من
اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد
ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق
علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل
واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن
كان له بعدد كل جني صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة سورة المزمل
مكية وآيها تسع عشرة او عشرون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل
اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء وقد قرئ به وبالمزمل
مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي صلى الله عليه وسلم
تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة
او تحسينا له اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة رضي الله عنها فنزل
او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا
تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة وداوم عليها وقرئ
بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد
عليه استثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين
قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل
والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين
الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على
البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل
فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن
ترتيلا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم
ثغر رتل ومرتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه
من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه

عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه
مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل
على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان
او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة
للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس
ما به تعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة
من نشأ من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق
منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ
بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها
الاول من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو
عمرو وابن عامر وطاء اي مواطاة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد
من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب
وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهماتك واشتغالا بها
فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب
بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك
ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد
وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد
نفسك عما سواه ولهذه الرموز ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب
المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون
غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اي توكل اليه الامور فاصبر على ما يقولون من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم الى الله تعالى وذرني والمكذبين
دعني واياهم وكل الى امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم
يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا تعليل للامر
والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع
والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت
العقوبات الاربع مما يشترك فيه الاشباح والارواح فان النفوس المنهمكة في الشهوات
تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة
متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن التجلي بانوار القدس فسر العذاب
بالحرمان عن لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف
لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل
بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر

إنا أرسلنا إليكم رسولا يا أهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة
والامتناع كما أرسلنا إلى فرعون رسولا يعني موسى عليه السلام ولم نعينه لأن المقصود
لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فأخذناه أخذا وبيلا ثقيلا
من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون
أنفسكم إن كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة
هوله وهذا على الفرض والتمثيل وأصله أن الهموم تضعف القوى وتسرع
بالشيب ويجوز أن يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على
تأويل السقف أو إضمار شيء لشدة ذلك اليوم على عظمها وإحكامها فضلا عن غيرها
والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله أو لليوم على إضافة المصدر إلى المفعول
إن هذه الآيات تذكرة عظة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا أي يتقرب
إليه بسلوك التقوى إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه أقل استعير
الأدنى للأقل لأن الأقرب إلى الشيء أقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه
وثلثه بالنصب عطفا على أدنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من
أصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله فإن
تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم أن لن
تحصوه أي لن تحصوا تقدير الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الأوقات فتاب
عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرءوا ما تيسر من القرآن
فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عنها بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها
قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا
بالصلوات الخمس أو فاقرءوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم علم أن سيكون منكم
مرضى استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم
مرتبا عليه وقال وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله والضرب
في الأرض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في
سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة
وأقرضوا الله قرضا حسنا يريد بها الأمر بسائر الإنفاقات في سبيل الخير أو بأداء
الزكاة على أحسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما
تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا من الذي تؤخرونه إلى الوصية
عند الموت أو من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيد أو فصل لأن أفعل
من كالمعرفة ولذلك يمنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا
الله في مجامع أحوالكم فإن الإنسان لا يخلو من تفريط إن الله غفور رحيم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر أي المتدثر وهو لابس
الدثار روي أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم
فلم أر شيئا فنظرت فوقي فإذا هو على العرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه
فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل عليه السلام وقال يا أيها المدثر
ولذلك قيل هي أول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه متفكرا أو كان نائما
متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية أو المختفي فإنه
كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر أي الذي دثر هذا الأمر
وعصب به قم من مضجعك أو قم قيام عزم وجد فأنذر مطلق للتعميم أو مقدر بمفعول
دل عليه قوله وأنذر عشيرتك الأقربين أو قوله وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا
وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي
أنه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيقن أنه الوحي وذلك لأن الشيطان لا يأمر
بذلك والفاء فيه وفيما بعده لإفادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن فكبر ربك أو للدلالة
على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فإن أول ما يجب
معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك
فطهر من النجاسات فإن التطهير واجب في الصلاة محبوب في غيرها وذلك بغسلها
وحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو أول ما أمر به من رفض
العادات المذمومة أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة والأفعال الدنيئة فيكون أمرا باستكمال
القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية والدعاء إليه أو فطهر دثار النبوة عما يدنسه
من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من
الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن
تستكثر ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو أن يهب شيئا طامعا في عوض أكثر
نهي تنزيه أو نهيا خاصا به لقوله صلى الله عليه وسلم المستغزر يثاب من هبته والموجب له
ما فيه من الحرص والضنة أو لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا إياها أو على الناس بالتبليغ
مستكثرا بها الأجر منهم أو مستكثرا إياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف أو الإبدال من تمنن
على أنه من منّ بكذا أو تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على إضمار أن وقد قرئ بها وعلى هذا
يجوز أن يكون الرفع بحذفها وإبطال عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك
ولوجهه أو أمره فاصبر فاستعمل الصبر أو فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين
فإذا نقر في الناقور نفخ في الصور فاعول بمعنى النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي
هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك
وأعداؤك عاقبة ضرهم وإذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين
فإن معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير
ويومئذ بدله أو ظرف لخبره إذ التقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير غير يسير
تأكيد يمنع أن يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرني
ومن خلقت وحيدا نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء أي ذرني وحدي معه
فإني أكفيكه أو من التاء أي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو من العائد المحذوف

اى ومن خلقته فردا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما او
ارادة انه وحيد ولكن فى الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا
كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه
بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج هو
ان يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه او فى المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل
كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له
تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اى باستحقاق
الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد
على ما اوتيه او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال
كلا انه كان لاياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستيناف
بمعاندة ايات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الاية
فى نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل
لما يلقى من الشدائد وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين
خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى
فكر فيما يخيل طعنا فى القران وقدر فى نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره
استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ
فى الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبى صلى الله
عليه وسلم وهو يقرا حم السجدة واتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو
من كلام الانس والجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه
فقعد عليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه
يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا
فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا
بهذا القول وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية
ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اى فى امر القرآن مرة بعد اخرى ثم عبس قطب
وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب فى وجهه
وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى
ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر وقوله
ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها سأصليه سقر بدل من
سارهقه صعودا وما ادريك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقى ولا تذر بيان لذلك او حال
من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى على شئ يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة
للبشر مسودة لاعالى الجلد او لائحة للناس وقرئ بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر
ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى

فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشر والطبيعية السبع او ان جهنم لها ابواب سبع
ست منها لاصناف الكفار لكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من
العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملكا او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها
بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملكا او صنف او ان الساعات اربع وعشرون خمسة
منها مصروفة فى الصلوة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع العذاب يتولاه
الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة
اعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا
اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله تعالى روى ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة
عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها
على انه لا ينفك منه وافتتانهم استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد
القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما راوا ذلك موافقا
لما فى كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون اى فى ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض
المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين فى قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما
سيكون فى المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون فى التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اى
شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب
كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين
ويهدى المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات
والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم او كيف واعتبار
ونسبة وما هى وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها
او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع وحمزة ويعقوب
وحفص اذ ادبر على المضى والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر اى البلايا
الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف كالتاء كما الحقت قاصعاء
بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا
للبشر لاحدى الكبر انذارا حال مما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن
شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت
رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب
اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال فى جنات لا يكتنه وصفها
وهو حال من اصحاب اليمين او ضميرهم فى قوله يتساءلون عن المجرمين اى يسال بعضهم بعضا او يسالون

غيرهم عن حالهم كقولك تنداعيناه اى دعوناه وقوله ما سلككم فى سقر بجوابه حكاية لما جرى بين
المسؤلين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة الواجبة ولم نك نطعم المسكين
ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع فى
الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة
حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن
التذكرة معرضين اى معرضين عن التذكير يعنى القران او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة
فرت من قسورة شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اى اسد
فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم
قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم حتى يأتى كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع محمدا صلى الله
عليه وسلم كلا ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع
ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة واى تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره وما يذكرون
الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيئتهم لقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل
العبد بمشيئة الله وقرأ نافع يذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى
عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق محمدا وكذب به بمكة سورة القيامة مكية ايها
تسع وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيامة ادخال لا النافية على فعل
القسم للتاكيد شايع فى كلامهم كما قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامرى لا يدعى القوم انى افر وقد
مر الكلام فيه فى قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التى تلوم
النفس المقصرة فى التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة
او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس
برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت يا ليتنى
كنت قصرت او نفس ادم عليه السلام فانها لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى المقسم
الى القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعنى الجنس واسناد الفعل لان فيهم
من يحسب او الذى نزل فيه وهو عدى بن ربيعة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره
به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها
وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوى بنانه نجمع سلامياته ونضم بعضها
الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوى بنانه الذى هو
اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون
بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا بالجواز ان يكون
الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسئل
ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر
الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ
بلق من بلق الباب اى انفتح وخسف القمر وذهب ضوؤه وقرئ على بناء المفعول وجمع الشمس

والقمر فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن
حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب الضوء عن البصر والجمع باستتباع
الروح الحاسة فى الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان
القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين
المفر اى الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان كلا
ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل او اشتقاقه من الوزر وهو
الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم
او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار ينبؤ الانسان
يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخره لم يعمله او بما قدم من عمل
عمله وبما اخر من سنة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر
خلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه
شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء
ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع
معذرة على غير قياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك
به يا محمد صلى الله عليه وسلم بالقران لسانك قبل ان يتم اليك وحيه لتعجل به لتأخذه
على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه فى صدرك وقرانه واثبات قراءته
فى لسانك وهو تعليل للنهى فاذا قراناه بلسان جبرئيل عليه السلام عليك فاتبع
قرانه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل
عليك من معانيه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب
وهو اعتراض بما هو تاكيد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة
فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها فى غيره او بذكر ما اتفق فى اثناء نزول
هذه الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه
فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان
علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه اعمالك وقراءته فاذا قراناه فاتبع قراءته بالاقرار
والتامل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول صلى الله عليه وسلم
عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون
الاخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بنى ادم مطبوعون على الاستعجال وان كان
الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن
عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة
تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس
هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار
لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يتعدى
بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعما بمعنى السؤال

فان الانتظار لا يستعقب العطا ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الاخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اى فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك فان المتبختر يتمطى من المط فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الاخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال اخر بالابداء على الاعادة على ما قرره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال سبحانك بلى وعنه من قرا سورة القيمة شهدت له وجبرئيل يوم القيمة انه كان مؤمنا

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله اهل راونا بسفح القاع ذى الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشي اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مني الرجل والمراة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منه مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موضع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف

بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل بنصب الدلائل وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كفورا لمطابقة قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المأخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تاخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرا نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كاس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كاس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اى ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدا منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف لبيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه واجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله تعالى او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسير المؤمنين ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكروا دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اى شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلثة ان برئا فشفيا وما معهم شي فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا

فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا
ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا
مثل ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام فقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك متكئين
فيها على الارائك حال من هم في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى ان هواها معتدل
لا حار محم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر
قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر
ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة
اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت قطوفها
تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل
سهل التناول ولا تمتنع على قطافها كيف شاؤا ويطاف عليهم بآنية من فضة
واكواب واباريق بلا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة اي تكونت جامعة
بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من
نون سلاسلا وابن كثير الاول لانها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي
قوارير قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما
تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها
المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا
قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كاسا كان
مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب
الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة
مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء
والمراد به ان ينفي عنها لدغ الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا
فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح
ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من
صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا
رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رأيت
نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف
عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك وهو ان تنتقش
نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فتستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم
ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ
ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك
كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر

بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابو عمرو
وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق
بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا
اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع
والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم
جزاء لما عملوا بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير
في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقيهم
ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند
سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية
والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي
منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء
على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى
عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير
مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم
ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي
اليه او للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم
باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك
يستدعي ان تكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر
غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او داوم على صلوة
الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل
فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل
من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل
ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا
شديدا مستعار من الثقل الباهظ الحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن
خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا
بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة
الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق
القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن
ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء
ان الله كان عليما بما يستأهل كل احد حكيما اي لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل من
يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب
الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها

وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في
امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم
ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او بآيات
القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ
ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين
العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن
ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه
فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله تعالى او برياح عذاب ارسلن
فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا وتسببن له فان العاقل
اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه
على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه
على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى
المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلة اي
عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك
والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأ حمزة نذرا وابو عمرو والكسائي بالتخفيف انما توعدون
لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم
طمست محقت او اذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب
ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم
بحصوله فانه لا يتعين قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على
الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب
من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل
وما ادراك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك وويل
في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه
ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه
بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك
فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك
مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وانبيائه فليس
تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة
وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء
مهين نطفة قذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من

الوقت قدره الله تعالى للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدرناه فنعم القادرون
نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا
كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت
به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار
اقطارها احياء وامواتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء
الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف
للعلم به وهو الانس او يحمل على المفعولية وكفاتا حال او الحال فيكون المعنى
بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات
جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم واشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم
ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم
انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا
وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل ذي
دخان جهنم لقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان
العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس
الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة
في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل
شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد
لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي
بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع
قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر
جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب كانه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل
صفر فان الشرار بما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب
الى الصفرة والاول اشبه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط
وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع
جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده
والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق
بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ
بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل
يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون على ولا يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار
عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن اوهم
ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم
والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين
في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب

ان المتقين من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون
مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك
انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة والعمل ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم
الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت
لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار
المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم
بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا واخشعوا او صلوا او اركعوا في الصلوة اذ روي
انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل
هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به
على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث
بعده بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة
والمعاني الشريفة قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب له انه ليس
من المشركين

سورة النبا مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون اصله عما فحذف الالف كما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون
عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسال عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم
او يسالون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم
اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبا العظيم بيان للشان المفخم او صلة يتساءلون
وعم متعلق بمضمر مفسره ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك
فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون
تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في
القيامة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم
ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه
الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها
لكم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا
نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها
او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا
غطاء يستر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون
فيه لتحصيل ما تعيشون به او حيوة تبعثون فيه عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا
سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا
وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد
الشمس وانزلنا من المعصرات السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح
فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان
تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما

وانما جعلت مبدا للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات
ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع
الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به
حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها
ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضر
وخضراء او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان ميقاتا كان في علم الله او في
حكمه ميقاتا حدا توقت به الدنيا او تنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في
الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روي
انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي
وبعضهم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع
من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة
بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين
باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان
والتابعين للشهوات والمانعين حق الله تعالى والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشقت
وقرا الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت ابوابا من كثرة الشقوق كان الكل ابواب
او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب
اذ يرى على صورة الجبال ولم يبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت
مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها
في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة كيلا يشذ منها
واحد وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا وماوى لابثين فيها
وقرا حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها
اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب
لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه اخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا
يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا حالا
من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين
الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا اخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب
الرجل اذا اخطاه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها
حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم
وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه
اخر ليتوافق رؤس الآي وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا
بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا

انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال
بمعنى تفعيل مطرد شايع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب لقوله فصدقتها
وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او
المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة
او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين
او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة المصدر
اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان
الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف
الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب
وتكذيبهم بالايات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الاية اشد ما في القرآن
على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع
الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن اترابا
لذات وكاسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي
بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء
تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا
من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك
بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء
الرحمن صفة له وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون
منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب
او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة
باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد
لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما
يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون
والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق
الكاين لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا
قريبا يعني عذاب الاخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر
المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمت من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم
فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية
منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق
ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود
الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية وآيها خمس او ست واربعون بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا
في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون
اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها
سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار و
بارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك ما اعد لها
من الالام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها
اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع
من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط
من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك
فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير
الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب
قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاول نزعا والثاني نشطا او صفات النفوس
الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق
النازع في القوس وتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس
فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط
الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات
او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم
للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او
صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج
من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر
اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة
وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض
والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها
وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة
الثانية والجملة في موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي
صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها
الى القلوب يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت
من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة
كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه
فحفرت حفرا وهي حفرة ائذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما نخرة
بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص ورويس نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا
كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون
لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها

فانما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض
بعدما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب
يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر
خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد اتيك حديثه فيسليك على تكذيب قومك
و يهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب
لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان
وقرا الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء
الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له
قولا لينا فاريه الاية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه
كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة فكذب
وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى
ساعيا في ابطال امره او ادبر بعدما راى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة
او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله
نكال الاخرة والاولى اخذا منكلا لمن راه او سمعه في الاخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق
او على كلمته الاخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او
لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه
الخشية أانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء
فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا
فسويها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها
من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم
وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها كقوله والشمس
وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها
بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها
حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع
على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم
فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي اكبر الطامات
وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار
يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان نسيه من فرط الغفلة او
طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت
لمن يرى لكل راء بحيث لا يخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير
الجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار
وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر

فاثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم
هي الماوى هي ماواه واللام فيه ساد مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى هو الطاغي
وهي فصل او مبتدا واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدا والمعاد ونهى
النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هي الماوى ليس له سواها ماوى يسئلونك عن الساعة
ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو
حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت
من ذكريها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استاثره الله تعالى
بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستانف معناه انت ذكر من ذكرها اي
علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب
الى ربك منتهيها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو
لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل
لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اي عشية يوم
او ضحاه لقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية واياها احدى واربعون بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه
الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام
فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا راه
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة
لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آان بهمزتين وبينهما الف بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك
وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه
احق بالرافة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله
يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان
لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فينفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت
في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرا عاصم
بالنصب جوابا للعل واما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرا ابن
كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اي تعرض وتدعى الى التصدي وما عليك الا يزكى وليس عليك
باس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما
من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد
له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان
العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه
او عن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقران او العتاب بالمذكور
والتانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف مكرمة

عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدا حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير معين في نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن ادم الى هذه الغاية ما امره الله بأسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤوب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصف بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا يغنون عنه او الحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من المسرة ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر واظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحاب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى أانت قلت للناس وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم انه اي القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة لقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم حيث عد فضائل جبريل عليه السلام واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم انه

لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما تستعد لها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في الاغترار والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما تكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا يدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر المحذوف قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انفطرت كتب له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهر فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين وما منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف من تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون يقوله لهم الزبانية تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم ورونقه وقرأ يعقوب تعرف على

بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اى مختوم اوانيه
بالمسك مكان الطين لعله تمثيل لنفاسته او الذى له ختام اى مقطع هو رائحة المسك وقرا الكسائى
خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به ويقطع وفى ذلك يعنى الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب
المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا
يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب
عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعنى
رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون
يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بالسخرية منهم
وقرا حفص فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال
وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة
فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال
من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرا حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء
قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة سورة الانشقاق
مكية وايها خمس وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بالغمام لقوله
تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اى
انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى ياذن للامر ويذعن له وحقت
وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت
بسطت بان تزال جبالها واكامها والقت ما فيها ما فى جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت
فى الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها واذنت لربها فى الالقاء والتخلية وحقت للاذن
وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء
بما مر فى سورتى التكوير والانفطار او بدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه وبايها الانسان
انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزائه فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله الى عشيرته المؤمنين او فريق
المؤمنين او اهله فى الجنة من الحور واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى يؤتى كتابه بشماله من وراء
ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه
وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرا الحجازيان والشامى والكسائى ويصلى لقوله وتصلية جحيم وقرئ
ويصلى لقوله ونصله جهنم انه كان فى اهله فى الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الاخرة انه
ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تعالى بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله
بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة
انه البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب
وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه

من الوسقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها
فى الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هى الموت ومواطن
القيامة واهوالها او هى وما قبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى لتركبن
بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة
ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب
النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له
فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون
لتلاوته لما روى انه صلى الله عليه وسلم قرا واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين
وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه
ولم يسجد وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اى بالقران والله اعلم بما يوعون
بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وامن منهم لهم اجر غير ممنون
مقطوع او ممنون به عليهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله
ان يعطيه كتابه من وراء ظهره سورة البروج مكية وايها ثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء ذات البروج يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات
وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب
السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد
ومشهود ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام
فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة فى الكثرة كانه قيل ما افرطت
كثرته من شاهد ومشهود او النبى وامته او امته وسائر الامم او كل نبى وامته او الخالق
والخلائق او عكسه فان الخالق يطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ
والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله
قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف
كانه قيل انهم ملعونون يعنى كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت
لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق فى
الارض ونحوهما بناء ومعنى والاخقوق روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه
غلاما ليعلمه وكان فى طريقه راهب فمال قلبه اليه فراى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست
الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان
الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس للملك فابراه فساله
الملك عمن ابراه فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده
بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه فى سفينة
ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس

ويصلبني ويأخذ سهماً من كنانتي ويقول باسم رب الغلام ثم يرميني به فرماه فوقع في صدغه
ومات فآمن الناس فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى
جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وعن علي
رضي الله عنه أن بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال إن الله أحل نكاح الأخوات فلم يقبلوه
فأمر بأخاديد النار وطرح فيها من أبى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير
فأحرق في الأخاديد من لم يرتد النار بدل من الأخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها
بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس إذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به
أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وما نقموا وما أنكروا
منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزاً غالباً يخشى عقابه حميداً منعماً يرجى ثوابه وقرر ذلك
بقوله الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد للإشعار بما يستحق أن يؤمن به
ويعبد إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالأذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الإحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب
الأخدود وبعذاب الحريق ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير إذ الدنيا وما فيها تصغر دونه إن
بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فإن البطش أخذ بعنف إنه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق
ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب
لمن أطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم
في ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك أو للعرش
ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره هل أتاك حديث
الجنود فرعون وثمود أبدلهما من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم
للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما أصابهم بل الذين كفروا في
تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الإضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم ورأوا
آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يعوزونه كما لا يفوت المحاط المحيط
بل هو قرآن مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ في قرآن مجيد
بالإضافة أي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن
وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة التي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
والكوكب البادي بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق واختص عرفاً بالآتي ليلاً ثم استعمل للبادي فيه
وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أو الأفلاك والمراد
الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولاً بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيماً لشأنه إن كل

نفس لما عليها أي إن الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب فإن هي المخففة واللام الفاصلة
وما زائدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما عليها على أنها بمعنى إلا وإن نافية والجملة على الوجهين
جواب القسم فلينظر الإنسان مم خلق لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه توصية الإنسان
بالنظر في مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته خلق من ماء
دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من المائين
في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها
ولو صح أن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن
تتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ
أعظم الأعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه
وله خليفة وهو النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب
إلى أوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين وبضمتين وفيه لغة رابعة وهي
صالب إنه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف
ويتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه
فما له فما للإنسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع
ترجع في كل دورة إلى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي أوباً لأن الله تعالى يرجعه
وقتاً فوقتاً أو لما قيل من أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه إلى الأرض وعلى هذا يجوز أن يراد
بالسماء السحاب والأرض ذات الصدع ما تتصدع عنه الأرض من النبات أو الشق بالنبات
والعيون إنه إن القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فإنه جد كله
إنهم يعني أهل مكة يكيدون كيداً في إبطاله وإطفاء نوره وأكيد كيداً وأقابلهم بكيدي في
استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم
ولا تستعجل بإهلاكهم أمهلهم رويداً إمهالاً يسيراً والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة سبح اسم مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم
ربك الأعلى نزه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره زاعماً أنهما
فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح
باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى
قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك
سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه
والذي قدر أي قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها
وأفعالها وآجالها فهدى فوجهه إلى أفعاله طبعاً واختياراً بخلق الميول والإلهامات ونصب
الدلائل وإنزال الآيات والذي أخرج المرعى أنبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته
غثاء أحوى يابساً أسود وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرجه أحوى من شدة خضرته
سنقرئك على لسان جبريل عليه السلام أو سيجعلك قارئاً بإلهام القراءة فلا تنسى أصلاً

مع انك امي لتكون ذلك اية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات
وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل
المراد به القلة والندرة لما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط اية في قراءته في الصلوة فحسب ابي
انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان رأسا فان القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر
وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان
فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي
او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض
فذكر بعدما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول
الياس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار الاية او لذم المذكورين و
استبعاد لتأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن
تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول
العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة
لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه جزء من سبعين
جزءا من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من
تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم
ربه بقلبه ولسانه فصلى كقوله اقم الصلوة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى
تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما
يسعدكم في الاخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا اكثر
في الجملة وقرا ابو عمرو بالياء والاخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له
ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب
المنزلة صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه
الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام سورة
الغاشية مكية وهي ست وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك
حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة او النار من قوله وتغشى وجوههم
النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض
الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ
تصلى نارا تدخلها وقرا ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة
حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس
الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم
والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن
ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة
لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه
وقرئ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو

لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع
والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة
له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض
وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل
كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد
النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار
لا وقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز
مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي
هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل
المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت
فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة
على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات
من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك
عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا
ولم يتذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن هشام بالسين على الاصل
وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة
وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار
في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما
بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على
انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية
للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا سورة الفجر مكية وايها تسع
وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح
اذا تنفس او بصلوته وليال عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان
الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع
والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق كقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق
لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات او شفع الصلوات
ووترها او بيوم النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول
ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة
موجبة للشكر وقرا حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل
اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على
كمال القدرة ووفور النعمة او يسري فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة
تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب

اصلا وقرئ بسرا بالسين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم او المقسم به قسم
حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر
عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف
وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن
سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد
على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم
عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع
او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا
ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى
على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها ارم فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها
على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه
خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها
سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه
منازل كقوله وتنحتون بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده
ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد
صفة المذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد
بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله
الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض
وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة من
العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد
مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان
متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعي لها فاما
الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه
والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في
اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني
وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما
الانسان اذا ما ابتليه اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظره
وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء
والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوله وردع عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول
مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل والاخلال
به لا يكون اهانة وقرا ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف
وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرا ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على تهالكهم بالمال

وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم
وتاكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم
كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم او ياكلون ما جمعه المورث من
حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره كلا ردع لهم عن ذلك و[illegible]
وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال
والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي ظهرت ايات قدرته واثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند
حضور السلطان من اثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء
يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع
كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي
يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى لئلا يناقض ما قبله و
استدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت
لحياتي اي لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على
استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه
احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله
له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراهما الكسائي ويعقوب على
بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهي التي اطمانت بذكر الله تعالى فان
النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته و
تستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد
قرئ بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس
قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله
فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين
فتستضيئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمراة المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي
التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعدت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كان له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وايها عشرون بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وقيده بحلول
الرسول صلى الله عليه وسلم فيه اظهارا لمزيد فضله اشعارا بان شرف المكان بشرف اهله
وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد
ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد
ادم او ابرهيم عليهما السلام وما ولد ذريته او محمد عليه الصلوة والسلام والتنكير
للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان
في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان
لا يزال في شدائد مبداها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو

تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بما كان يكابد من قريش والضمير في أيحسب لبعضهم الذي كان
يكابد منه أكثر أو نغتر بقوته كأبي الأشد بن كلدة فإنه كان يبسط تحت قدميه أديم عكاظي ويجذبه
عشرة فيتقطع ولا تزل قدماه أو لكل أحد منهم أو للإنسان أن لن يقدر عليه أحد فينتقم منه يقول أي
في ذلك الوقت أهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء إذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة
أو معاداة للرسول أيحسب أن لم يره أحد حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني أن الله
تعالى يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا
يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها
وهديناه النجدين طريقي الخير والشر أو الثديين وأصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة
أي فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد والعقبة الطريق في
الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والإطعام في قوله وما أدراك ما العقبة فك رقبة
أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس
ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك
رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا
جاع وقرب في النسب وترب إذا افتقر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك رقبة
أو أطعم على الإبدال من اقتحم وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض معناه أنك لم تدر كنه
صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم أو فك بثم لتباعد الإيمان
عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر
وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده أو
بموجبات رحمة الله أولئك أصحاب الميمنة اليمين أو اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه
دليلا على حق من كتاب وحجة أو بالقرآن هم أصحاب المشأمة الشمال أو الشؤم ولتكرير
ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من
أوصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمز من آصدته
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة
سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والشمس
وضحاها ضوئها إذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد
إذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر إذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر
أو غروبها ليلة البدر أو في الاستدارة وكمال النور والنهار إذا جلاها جلى الشمس فإنها
تنجلي إذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر ذكرها للعلم بها والليل إذا يغشاها
يغشى الشمس فيغطي ضوءها أو الآفاق أو الأرض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى
القسمية النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف
بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل
والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها وإنما أوثرت على
من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناها

بناءها وكذلك الكلام في قوله والأرض وما طحاها ونفس وما سواها
وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فألهمها فجورها
وتقواها بقوله وما سواها إلا أن يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما
في قوله علمت نفس أو للتعظيم والمراد نفس آدم وإلهام الفجور والتقوى إفهامهما
وتعريف حالهما والتمكين من الإتيان بهما قد أفلح من زكاها أنماها بالعلم والعمل وهو
جواب القسم وحذف اللام للطول وكأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه
أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى
درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي
هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض أحوال النفس والجواب
محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود
لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دساها نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق
وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغواها بسبب طغيانها
أو بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وأصله
طغيا وإنما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى
إذ انبعث حين قام ظرف لكذبت أو طغوى أشقاها أشقى ثمود وهو قدار بن
سالف أو هو ومن مالأه على قتل الناقة فإن أفعل التفضيل إذا أضفته صلح
للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله أي
ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما
حذرهم منه من حلول العذاب إن فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فأطبق
عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم بذنبهم
بسببه فسواها فسوى الدمدمة بينهم أو عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير أو ثمود بالإهلاك
ولا يخاف عقباها أي عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الإبقاء
والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر **سورة والليل مكية وآيها
إحدى وعشرون** بسم الله الرحمن الرحيم والليل إذا يغشى أي يغشى
الشمس أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه والنهار إذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين
بطلوع الشمس وما خلق الذكر والأنثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من كل
نوع له توالد أو آدم وحواء وقيل ما مصدرية إن سعيكم لشتى إن مساعيكم لأشتات
مختلفة جمع شتيت فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي
والمعنى من أعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق
ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة
من يسر الفرس إذا هيأه للركوب بالسرج واللجام وأما من بخل بما أمر به واستغنى بشهوات
الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بإنكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية

الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى
هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد
الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى
الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب
الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها
لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لا يلزمها
ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة
وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها
ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف
الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي او
حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا
لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى
ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى
يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر **سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة**
بسم الله الرحمن الرحيم والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار
يقوى فيه او لان الساعة التي فيها كلم موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده
قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من
سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم
النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى
ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل
ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثناء كما مر في
سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون
ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة
عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي
والكرامة في الدنيا وعده ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير من بدايته
فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه
من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء
دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع
الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة
الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل
ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن

عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا
في الطريق حين خرج به ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على
جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من
ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس
في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها
وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل
يتيم وسائل **سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان** بسم الله الرحمن الرحيم
الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا
او الم نفسحه بما اودعناه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد
ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة
الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه
ووضعنا عنك وزرك عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت
الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام
او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم
وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل
ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين
بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان
مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع
والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم
والمعنى بما في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله اتصال
المتقاربين ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد او استئناف وعده بان العسر مشفوع بيسر آخر
كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه
قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان
للعهد او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت
من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا
بالنعم الآتية وقيل اذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلاة
فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه
وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم نشرح
فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني **سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان** بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف
سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة

وينفع سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس
والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث
لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت
المقدس او البلدان وطور سينين وسينا اسمان للموضع الذي فيه وهذا البلد الامين
اي الامن من امن الرجل امانة فهو امين او المامون فيه يامن فيه من دخله والمراد به مكة
لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة
وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل
سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو
على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك بعد فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا
بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات
والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذي
فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة
والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام
حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرا هذه السورة سورة العلق مكية وايها تسع
عشرة وهي اول سورة نزلت وقيل الفاتحة ثم هذه بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا باسم ربك اي اقرا القران مفتتحا باسمه او مستعينا به الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي
خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة
من القراءة فقال خلق الانسان او الذي خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة
على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى
نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرا تكرير للمبالغة والاول مطلق والثاني
للتبليغ او في الصلوة ولعله لما قيل له اقرا باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقال اقرا وربك الاكرم
الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة
الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم
يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الايات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد
سبحانه مبدا امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا
للربوبية وتقريرا للاكرمية واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع
لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى اي
راى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين
لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان
والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رايت محمدا ساجدا
لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا
واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي ارايت

ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت تكرير للاول وكذا الذي في قوله ارايت ان
كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه
جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان
ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او امرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان
على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه
وضلاله وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى امر بالتقوى والناهي
مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره
الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه
الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجيب والتوبيخ ولم يتعرض له في
النهي لان النهي كان عن الصلوة والامر بها واقتصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او
لان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة
وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن
بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن
مشددة ولاسفعن وكتبه في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة
للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها
وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطاء وهما لصاحبها
على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى
فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله
انهدده وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو
في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها
زباني والياء معوضة عن التاء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك
واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد
الى ربه اذا سجد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله
سورة القدر مختلف فيها وايها خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم
انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقران فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة
المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله
وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدا
بانزاله فيها او انزل جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله
على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه
في فضلها في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى
اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور
فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه
وسلم ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم

اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان
لما له فضل على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من
اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة
اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة
ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرا الكسائي بالكسر على انه
كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي
من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة لم يكن مختلف فيها وايها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى
فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله تعالى ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين
عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول
او القران فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقران بافحامه من تحدى به رسول
من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدا يتلوا صحفا مطهرة صفته او خبره
والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في المصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل وكون
الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات
مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان امن بعضهم او تردد
في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من
قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم
وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما
امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد
الزائغة ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة
القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او
في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه
ولعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرا نافع البريئة بالهمز على الاصل
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة
ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد
لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضي الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا
عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك
الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية
مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وايها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم
اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او
اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها
ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم
يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر لان المومن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها
تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله تعالى فتخبر
بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك
اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها
ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها
في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا
متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة
المجتنب عن الكبائر توثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط
والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة
الصغيرة او الهباء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن
قرا القران كله

سورة والعاديات مختلف فيها وايها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم
والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو
ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال
بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند
فاورى فالمغيرات يغير اهلها على العدو صبحا اي في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت
نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع
اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روي انه صلى الله عليه وسلم بعث خيلا
فمضى شهر لم ياته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر
كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات
اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين
ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة
بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على
نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير
المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر
ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في
الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة
لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال بهم لاختلاف معانيهم في
الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وايها عشر

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما
ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم
وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصابه بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال

كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من
ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة راضية في عيش ذات رضى
اي مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته
فامه هاوية فمأواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادراك ما هيه نار حامية
ذات حمي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مختلف فيها وايها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهي اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى
زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم
الى ذكر الموتى بزيارة القبور روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد
مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم
وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم
التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم
لكم وهو السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل
ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف
تعلمون خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف
تعلمون تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر
والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي
كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب
للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل جواب قسم محذوف
اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى
اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار
عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم
لتسئلن يومئذ عن النعيم اي الذي الهيكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم
مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات
وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ
الف آية

سورة والعصر مكية وايها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم
بصلوة العصر لفضيلتها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما
يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الانسان لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم
في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم
اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت
الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به
عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله

ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا
بان ما عدا ما عد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وايها تسع بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر
كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر في اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على
الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة لمزة بالسكون على بناء المفعول
وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان
مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم
منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة
للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده
تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه
مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للآخرة كلا ردع له عن حسبانه
لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادراك ما الحطمة
ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر
غيره ان يطفئه التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر
لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تألما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال
القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اطبقت الباب اذا اصدته قال تحن الى اجبال
مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة
مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وايها خمس بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها
وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة
على كمال الله تعالى وقدرته وعزته وشرف رسوله من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة
التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل
اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج
رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي
اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم
برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي
رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره
فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى
الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم
وعظم شأنها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة

من الطير في نضامتها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ
بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك
كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة
العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله
الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ **سورة قريش مكية وايها**
اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا والفاء
لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه
لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون
او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف
قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليلاف قريش الفهم رحلة الشتاء
وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث
بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم
للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد للتفخيم فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم
من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام
وامنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم
ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من
طاف بالكعبة واعتكف بها **سورة الماعون مختلف فيها وايها سبع** بسم الله الرحمن الرحيم
ارايت استفهام معناه التعجب وقرئ ارايتك بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف
الاستفهام سهل امرها ارايتك بزيادة حرف الخطاب الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام
والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو
ابوجهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يساله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فساله
يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض
اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء
فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن
يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة
والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ
فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي
قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين
موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخلق والخالق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت
غفر له ان كان للزكوة مؤديا **سورة الكوثر مكية وايها ثلث** بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي
عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد

وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل
حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القران فصل لربك فدم على الصلوة لوجه الله
خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن
التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة
كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك
اي من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت
فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات
بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر **سورة الكافرون مكية وايها ست** بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من
قريش قالوا يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل
فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم
عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف
ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على
طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة
الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه
قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي
والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه
اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من
الفريقين الاخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
سورة النصر مدنية وايها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره
اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد
عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها
المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا
لشكره ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن
وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان
على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له
حامدا على نعمه روي انه لما دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما
كانت الظلمة تقول حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على
صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك
بالالتفات الى الغير وعنه عليه الصلوة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل
استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق

كما قيل ما تم شئ الا دنا نقصه انه كان توابا لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت
قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس رضي الله عنه فقال صلى الله
عليه وسلم ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال
امر الدين فهي كقوله اليوم اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت
سورة التوديع وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت وخسرت
والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وقيل انما خصتا لانه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم
فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخرته
وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما
كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب
كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله
جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد
تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه
حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه او
مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه
او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب
بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان
حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد
نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقد قرئ سيصلى
بالضم مخففا ومشددا وامراته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدا وهي ام جميل اخت
ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله
عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك
والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم
بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق
اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها
في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب
جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر
وحبل مرتفع به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه
وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه
بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله
اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر
ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الاكرام اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه
الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة
وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا
قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون
مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم او موادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما
هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد
اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه
في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف
به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها لم يلد لانه لم
يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي
لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه
لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله من صاحبة
وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى قدم
تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط
الجمل الثلث بالعاطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرا حمزة
ويعقوب ونافع في رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال
هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل
ثلث القران فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر
المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقراها فقال وجبت فقيل يا رسول
الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات
فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات
ويخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور
النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر
ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار
تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره
اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق
ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلات دمعا
وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها اذا وقب
دخل ظلامه في كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل
وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد
ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ
مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر

دسته في بير فرض عليه ونزلت المعوذتان واخبره جبريل عليه السلام بموضع السحر فارسل عليا رضي
الله عنه فجاء به فقراهما عليه وكان كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة
في انه مسحور لانهم ارادوا به جنونه بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل
مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حل عقدها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف
كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل
ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز
ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية
من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلثة وبالحاسد الحيوان فانه انما
يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة
للمضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا
سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين سورة الناس مختلف
فيها وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ وقرئ في السورتين
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة
المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة
من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها بالناس
هنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق
عبادتهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك
قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها
واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة
ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف
امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير ويتدرج في وجوه
الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة
المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس
اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمي
بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في
صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا
آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع
على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم
من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به
الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى لله الحمد على الاتمام والصلوة والسلام
على خير خلقه محمد واله الكرام وقع الفراغ من كتبة تفسير الكلام المجيد بعون الملك الحميد المسمى
بانوار التنزيل واسرار التاويل من مصنفات المولى المعظم قاضي القضاة الاعظم قدوة الائمة امام الائمة

لائمة فخر المجتهدين ومقتدى المحققين خلف المتقدمين وافضل المتاخرين ناصر الحق والملة
والدنيا والدين ابي سعيد عبد الله بن محمد
البيضاوي تغمده الله برضوانه واسكنه
بحبوحة جنانه يوم الثلثا عند الضحوة
الصغرى ثالث شهر مبارك
ذي الحجة الحرام سنة اثنين
وخمسين وثمانمائة على يد
اضعف عباد الله جرما
واقواهم جرما الراجي
الى غفور ربه الكريم
كيحسرو بن فتح الله
حامدا لله
ومصليا
على رسول
الله

صح: عمر ٧

٢